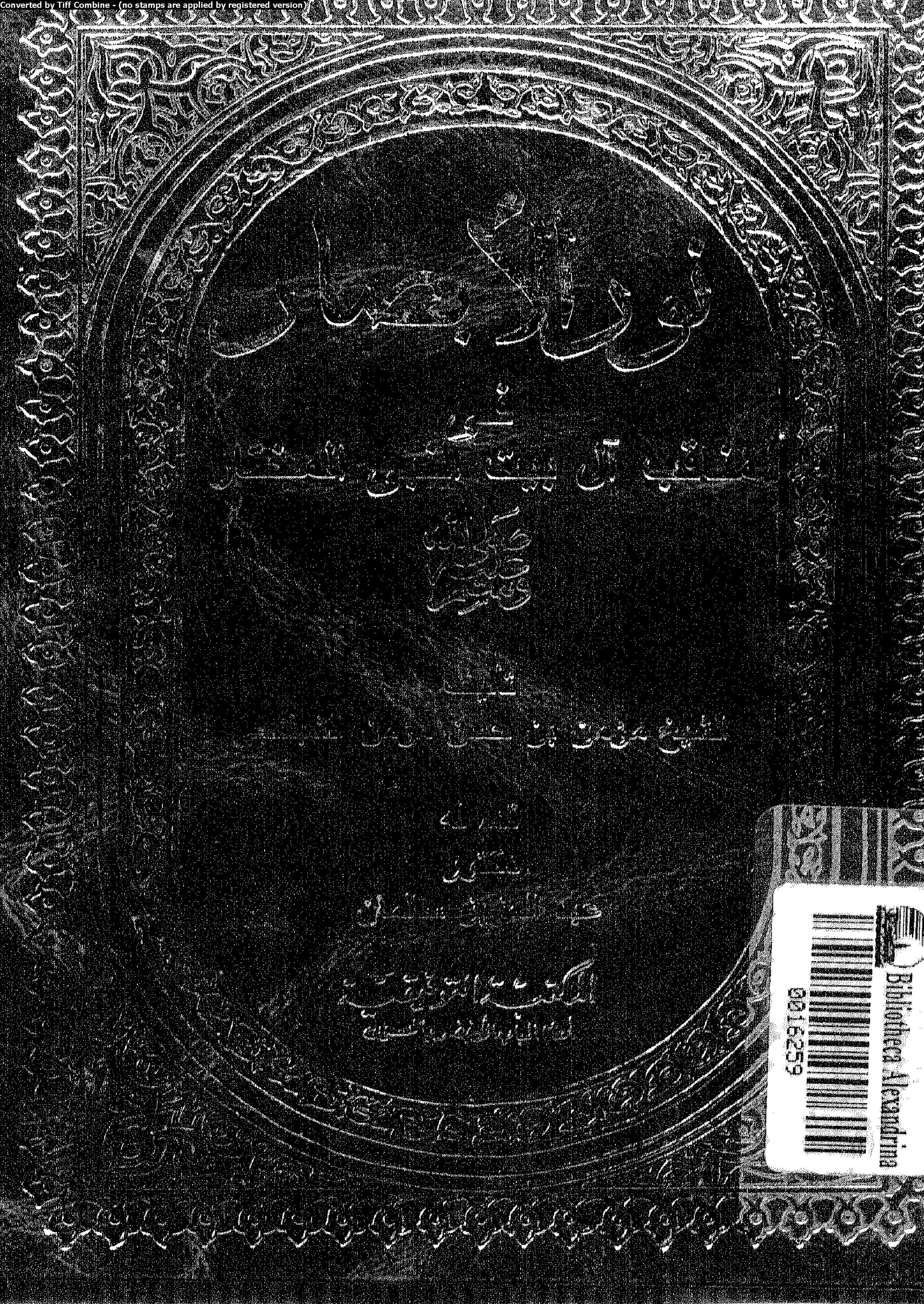


نور الأبصار
في
مناقب آل بيت النبي المختار
صلى الله عليه وسلم
تأليف
الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي
المكتبة التوفيقية







نور الأبصار

فى

مناقب آل بيت النبى المختار

صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشيخ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي

قدم له

دكتور

عبد العزيز سالمان

المكتبة التوفيقية

أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم الدكتور/ عبد العزيز محمد سالمان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير وعلى آل بيته الأخيار الطيبين الأطهار الذين قال فيهم ربهم ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

وبعد فإن الله خلق آدم واصطفاه واصطفى من ولده إبراهيم واصطفى من إبراهيم إسماعيل واصطفى محمداً ﷺ من ولد إسماعيل فجعله خياراً من خيار من خيار كما قال عن نفسه ﷺ وبعثه للناس كافة، وجعل حبه من حب الله وحب آل بيته من حبه وقد تسابق الكثير من علماء المسلمين منذ فجر الإسلام وحتى اليوم فى ذكر مناقب آل بيته ﷺ ومن بين هؤلاء المؤلف الذي بين أيدينا «نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار ﷺ».

وهو بحق نور للأبصار والبصائر لما احتواه بين دفتيه من ذكر رسول الله ﷺ وآل بيته وصحابته وعترته وأعلام شريعته وأقطاب حقيقته.

ومؤلف الكتاب هو الشيخ العالم مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى المولود بقرية شبلنجا إحدى قرى محافظة القليوبية، وحفظ القرآن الكريم بكُتاب القرية ثم انتقل إلى

الأزهر الشريف حيث تلقى العلم على يد كبار مشايخ عصره.

ويذكر لنا المؤلف أن دافعه إلى تأليف نور الأبصار أنه قد أصابه رمد فشفاه الله بفضل آل بيت رسول الله ﷺ وفى ذلك يقول «أصاب عينى رمد فوفقنى الفرد الصمد لزيارة السيدة نفيسة بنت حسن الأنور فزرتها وتوسلت بها إلى الله وبجدها الأكبر فى كشف ما أنا فيه، وإزالة ما أكابده وأقاسيه، ونذرت إن شفانى الله لأجمعن كليمات من كتب السادة الأعلام تشتمل على ذكر بعض مناقب آل بيت النبى ﷺ الكرام. . .».

وفكرة الكتاب عندما ظهرت لدى مؤلفه كانت تتمثل فى موجز صغير يتناول بعض مناقب أهل بيت النبى ﷺ. إلا أن هذه الفكرة تطورت لتتناول ـ فى عرض مجمل بديع ـ حياة الرسول ﷺ وذلك حتى تتم الفائدة ولا يفوته شرف الكتابة عنه ﷺ.

ونجده قبل أن يدلف إلى السيرة النبوية المباركة يحشد قدرًا كبيرًا من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية الكريمة التى وردت فى فضل الخلفاء الأربعة أبى بكر، وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم أجمعين.

ثم يدخل بنا الشيخ إلى الروضة النبوية الشريفة ليس كمحدث ولا مؤرخ ولا مفصل لسيرة وإنما كان كل ذلك بأسلوب رشيق خفيف على النفس فيعطى الكثير من المعلومات فى صحائف قليلة فيبدأ بذكر نسبه ﷺ ومولده ومرضعاته وبعثته وهجرته ثم يبين دلائل نبوته ومعجزاته وشيئا من خصائصه وشمائله . . . ثم يضع بين أيدينا عددًا غير قليل من أحاديث الرسول ﷺ حتى تعم الفائدة. ثم يذكر غزواته ﷺ ويختتم السيرة العطرة بذكر أعمامه وعماته وأولاده وخدمه. . . . .إلخ.

ثم يثنى المؤلف بذكر قطوف من سيرة الصديق الأكبر سيدنا أبى بكر رضى الله عنه واضعًا بين يدينا خطبه ومواعظه بعد أن يذكر نسبه وأولاده وزوجاته. . . .إلخ.

ثم يعرض لمواقف من سيرة الفاروق عمر وسيّدنا عثمان ذى النورين رضى الله

عنهما. . . . ويذكر لنا الشيخ أنه تناول سيرة الخلفاء الثلاثة: أبى بكر وعمر وعثمان ليس باعتبارهم من آل البيت وإنما تيمنًا ببركتهم وتتميمًا للفائدة مع مالهم من قرابة النسب والمصاهرة.

وبعد ذلك يتناول الشيخ سيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب بقدر من التفصيل على اعتبار أنه - كرم الله وجهه - أول آهل البيت وزوج ابنته ووالد السبطين والذى قال له النبى ﷺ «أنت منى وأنا منك» وقال له أيضًا «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى» وقد ذكر المؤلف قدرًا كبيرًا من الحكم والمواعظ البليغة التى اشتهر بها سيدنا على كرم الله وجهه.

ولا ينسى قبل أن يخرج من بستان على بن أبى طالب أن يعرفنا بابنه محمد المشهور بابن الحنفية والذى كان صاحب الراية يوم موقعة الجمل.

ثم ينتقل بعد ذلك إلى اللب والجوهر فيفصل القول فى آل البيت ابتداء من سيدنا الحسن السبط بن سيدنا على كرم الله وجهه وسيدنا الحسين شقيقه ابنى فاطمة الزهراء ريحانة رسول الله ﷺ.

ثم يتناول المؤلف بعد ذلك سيرة باقى أئمة آل البيت فيذكر مناقب على بن الحسين الملقب بزين العابدين، ومحمد الباقر بن على زين العابدين، وجعفر الصادق ابن محمد الباقر، وموسى الكاظم بن جعفر الصادق، وعلى الرضا بن موسى الكاظم، ومحمد الجواد، وعلى الهادى، الحسن الخالص بن على الهادى، ثم ينتهى إلى محمد بن الحسن الخالص.

ثم يستعرض شيخنا سيرة جماعة من أهل البيت ممن لهم فى القاهرة مزارات مشهورة ابتداءً من السيدة سكينة بنت الإمام الحسين رضى الله عنهما، والسيدة رقية بنت الإمام على بن أبى طالب والسيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسينى، والسيدة زينب بنت الإمام على كرم الله وجه، والسيدة فاطمة بنت الإمام الحسين، والسيدة عائشة بنت جعفر الصادق، والسيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور،

وسيدنا زيد بن على زين العابدين، وحسين أبى على المشهور بأبى العلاء الحسينى، والسيدة فاطمة بنت على الرضا.

ثم يعرض لنا الشيخ مناقب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب فيبدأ بالإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان، ثم إمام دار الهجرة مالك بن أنس ثم يتناول ـ فى تفصيل ـ مناقب الإمام الشافعى شيخ مذهبه... وينتهى بذكر مناقب الإمام أحمد بن حنبل.

ويختتم المؤلف كتابه ختامًا لطيفًا حيث يذكر لنا بعض مناقب وكرامات الأقطاب الأربعة: سيدى أحمد الرفاعى، وسيدى عبد القادر الجيلانى وسيدى أحمد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقى وكلهم من آل البيت حين ينتهى نسبهم إلى الإمام الحسين بن على بن أبى طالب.

وقد عرض الكتاب فى صورة مبسطة غاية البساطة بأسلوب واضح ليس فيه غموض فيستطيع كل قارئ ـ أيًا كانت درجة ثقافته ـ أن يرتاده وينهل منه.

وهو بحق موسوعة شاملة لأئمة الشريعة وأقطاب الحقيقة مزود بكم هائل من الأحاديث النبوية الشريفة التى وردت فى فضل الشخصيات التى عرض لها، ويحتوي ـ بالإضافة إلى التاريخ ـ على قدر كبير من الحكم والمواعظ والطرائف والنوادر.

نسأل الله أن ينفعنا به وينفع به كل من قرأه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

دكتور

عبد العزيز سالمان

ترجمة المؤلف

نسبه : هو السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى نسبة إلى شبلنجا قرية من قرى مصر بينها وبين بنها العسل مسيرة نحو ساعتين بسير الأثقال من الجانب الشرقى، قال ابن الأثير : بنها بكسر الباء والعامة تفتح باءها من قرى مصر بارك النبي ﷺ فيها وفى عسلها.

مولده : ولد صاحب الترجمة سنة نيف وخمسين بعد المائتين والألف، وتربى في حجر والده بالقرية المذكورة وحفظ القرآن بها وهو ابن عشر سنين وقدم الجامع الأزهر لتجويد القرآن قبل أن يبلغ الحلم سنة ١٢٦٧.

تلقيه للعلم : واشتغل بالعلم عن جهابذة الوقت . فحضر دروس الفقه على العلاّمة الشيخ محمد الخضري الدمياطي المتوفى يوم الثلاثاء لثلاث خلت من صفر سنة ١٢٩٨، وحضر عليه أيضًا المواهب اللدنية، وشرح عبد السلام على جوهرة التوحيد ومختصر البخارى للزبيدى ، وبعض صحيح مسلم ، والشمايل مرتين وحكم ابن عطاء الله مرتين ، وفضائل رمضان ، والهمزية ، والبردة، وبانت سعاد، وبعض جمع الجوامع. وحضر الفقه أيضا على العلامة الشيخ محمد الأشمونى حفظه الله تعالى، وحضر عليه أيضًا شرح الهدهدي ، وتفسير الجلالين ، ومغني اللبيب ، وشرح السعد ، وجمع الجوامع ، وبعض المطوّل،والبردة. وحضر دروس الفقه أيضا على العلاّمة الشيخ محمد الإنبابي رحمه الله تعالى ، وحضر عليه أيضًا شرح الملوي على السمرقندية، وشرح ابن عقيل، وشرح الأشمونى فى النحو، ورسالة الشيخ الفضالى فى التوحيد ، ومولد النبى ﷺ لابن حجر . وحضر على السيد عبدالهادى نجا الأبيارى رحمه الله تعالى مغنى اللبيب، ومتن الكافي وبعض المطوّل . وحضر

على العلاّمة الـشيخ محمد عليش رحـمه الله تعالى شرح الأشمـونى ، وإيساغوجي بالمشهد الحسيني. وحضر على إمام المحققين الشيخ إبراهيم السقاء. شرح الملوى على السلم. وحضر على العلاّمـة الشيخ أحمد كبوه رحمه الله تعالـى ، الجامع الصغير. وحضـر أيضًا ابن عقـيل على العلّامـة الشيخ إبراهيم الشـرقاوى رحمـه الله تعالى. وحضر على الشـيخ سيد الشرشيـمى الشرقاوي رحمه الله تعـالى ، شرحي الشذور، والقطر. وحضر على العلّامة الشيخ إبراهيم السنجلفى رحمه الله تعالى ، شرح القطر أيضًا. وحضر على الشيخ محمد المرصفى المدعو بأبى سليمان رحمه الله تعالى شرح الأزهرية . وحضـر على الشيخ نصر الهـورينى رحمه الله . شرح الشـيخ خالد على الآجرومية. وحضر شرح الكفراوى. على الشيخ على السندبيسي رحمه الله تعالى . وحضر على الشـيخ أحمد السنهوري، شـرح الآجرومية أيضًا. وحضـر على الشيخ محمد الطوخى رحمـه الله تعالى، متن الآجرومية. وحضر كتبًا صـغيرة على أشياخ يطول شرحهـم، كالسنوسية وغيـرها. وطالع كتبًا مع بعض إخـوانه من أهل العلم، كالمنهج، والأشمونى، ورسالة الصبيان الـبيانية، ومتن السلم فى المنطق، ومتن الشقاء للقاضي عـياض، ومختصر ابـن أبي جمرة وغير ذلك. وطالـع كتبًا كثيـرة أيضًا فى التاريـخ والأدب. وطالع متن الشعـراني وطبقـاته، وطبقـات المناوي، وطبـقات ابن السبكي.

تآليفه :واختصـر تاريخ الجبرتى فى جـزءين صغيـرين أخذ فيهـما اللب وترك القشـر، وله فتح المنان بتـفسيـر غريب جمل القـرآن، وهو جزء صغـير تعرض فـيه لأسبـاب النزول والناسخ والمنسوخ ورواية حـفص عن عاصم ورسم بعض الـكلمات القرآنية بما أن الوقف تابع للرسم.

شمائله : صفته معتدل القامة نحيف الجسم ، لونه البياض يضرب إلى حمرة، خفيف العارضين.

خصاله : يميل إلـى العزلة ويـأنس بنفـسه، ويألـف زيارة القـبور والمشـاهد، ولايعظم غنيًا لغناه أو لطمع في جاه، ولايحقر فقيراً لفقره بل ربما أجله لخصلة حسنة فيه كعلم وعمل. وفي المغنى للمتنبي :

ولست بنظار إلى جانب الغنى إذا كانت العلياء فى جانب الفقر

مكان تدريسه : ولم يزل المترجم له يزاول العلم مطالـعة وإملاء بزاوية الأستاذ السيد محـمد البكري بن أبي الحسن البكري التى بجوار الجـامع الأزهر من ناحية بابه المعروف بباب الشوربة على يسار الطالب للقرافة.

قال الشعرانى رضـي الله عنه : كان لسيدي محمد بـن أبي الحسن البكرى قدم فى الولاية والعلـم مع حداثة سنه، وكانـت الدنيا خادمة لـه واقتنى الخيل المسـومة، وكنت إذا مرضـت أخشى أن يعودنى، وهل مـثلى يسعى له سـيدى محـمد ابن أبي الحـسن البكري، وكـانت له شطـحات في درسـه يعنى بهـا الجن الحـاضرين درسـه لايفهمها الحاضرون من الإنس اهـ.

وكان والده أبو الحسن يسأله الشيخ الرملي في المسائل الفقهية ، سأله مرة: هل الركعتان اللتان قبل الظهر أفضل أم الركـعتان اللتان بعده، فقال له: إذا قلنا بأن التابع يشرف بشرف المتبوع فالركعتان اللتان بعده أفضل. ولأبي الحسن رضي الله عنه تفسير جليل موجود بكتيبة السادات الوفـائية، وله شرح على منهاج الشيخ النووي . ولولده سيدي محـمد أيضًا مؤلفات جليلة مـنها كتاب فى التاريخ لم يكن فـي كتب التاريخ أحسن منه ، والله أعلم .

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾

(قرآن كريم)
سورة الأحزاب آية ٣٣



الحمد لله الذى أسبغ علينا جلابيب النعم، واصطفى سيدنا محمداً ﷺ على سائر العرب والعجم، وفضل آل بيته على المخلوقات، ورفعهم بفضله وكرمه أعلى الدرجات، فأحرزوا قصبات سبق سيادة الدنيا والآخرة، واتصفوا بالكمالات الظاهرة والباطنة والمحاسن الفاخرة، فهم نور حدقة كل زمان، ونور حديقة كل عصر وأوان، المميزون بالفضل عمن سواهم، الخاذلون لمن أبغضهم وعاداهم، معادن العلوم والمعارف، أولو الفصاحة والبلاغة واللطائف، أحمده سبحانه وتعالى على تزايد آلائه الوافرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة أدخرها لهول الآخرة، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صاحب العلامات، المبعوث بالآيات الواضحة والبراهين القاطعة المؤيد بالمعجزات، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الطاهرين الذين من تمسك بهم كان من الفائزين المتمسكين بالسبب المتين.

وبعد : فيقول فقير رحمة ربه المهيمن السيد الشبلنجي الشافعي المدعو بمؤمن: أصاب عينى رمد فوفقنى الله الفرد الصمد لزيارة السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور فزرتها وتوسلت بها إلى الله وبجدها الأكبر في كشف ما أنا فيه، وإزالة ما أكابده وأقاسيه، ونذرت إن شفانى الله لأجمعن كليمات من كتب السادة الأعلام، تشتمل على ذكر بعض مناقب أهل بيته ﷺ الكرام ، فمضى زمن يسير وحصل الشفاء، فأخذت في الأسباب وعزمت على الوفاء، فما كان من نفسى إلا أن حدثتنى بالإحجام، وثبطتنى ومنعتنى من أن أحوم حول هذا المرام، قائلة أنت قليل البضاعة، ولست أهلاً لتلك الصناعة، ولعلمي بأن هذا الأمر ميدان الفرسان، ومورد الصناديد

من الرجال الشجعان، ضربت عنه صفحًا مدة من الزمان، وصار عندي نسيًا منسيًا، متروكًا في زوايا النسيان، حتى ذكرت ذلك لبعض الإخوان ، أصلح الله لى ولهم الحال والشان، فحرضنى على الإقدام، وحملنى على توسيع دائرة الغرض من الكلام فى هذا المقام، بذكر رؤساء الصحابة الأربعة الخلفاء المهتدين ، والأئمة الأربعة المجتهدين أئمة الدين، هذا مع أني رجعت عنه القهقرى، وذهبت عنى حالة من يقدم رجلاً ويؤخر أخرى، ثم تذكرت قول القائل:

أسير خلف ركاب النجب ذا عرج ... مؤملاً جبر ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا ... فكم لرب الورى فى الناس من فرج

وإن ظللتُ بقاع الأرض منقطعًا ... فما على أعرج فى الناس من حرج

وقول الآخر:

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها ... كفى المرء نبلًا أن تعدّ معايبه

فرجع عزمى وزال تردّدى وكسلى وانتصبت لجمع كتاب تقرّ به أعين الناظرين، وتستشرف له أولو الرغبة وتشدّ إليه رحال الطالبين. وسميته: «نور الأبصار فى مناقب آل بين النبى المختار». ورتبته على أربعة أبواب وخاتمة. الباب الأول: في ذكر سيرة النبى ﷺ والخلفاء الأربعة أبى بكر وعمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم. الباب الثاني: في ذكر الحسن والحسين وباقى الأئمة الاثنى عشر. الباب الثالث: في ذكر جماعة من أهل البيت لهم بمصر القاهرة مساجد معمورة ومزارات مشهورة. الباب الرابع: فى ذكر الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب. الخاتمة: فى ذكر الأربعة الأقطاب الأشائر، وقد التزمت في هذا الكتاب أن أذكر أسماءهم وكناهم وألقابهم وآباءهم وأمهاتهم ومواليدهم ووفاتهم ومدة أعمارهم وأسماء حجابهم وشعرائهم ونقش خاتمهم ومعاصريهم وغير ذلك كذكر صفاتهم .

والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم وسـببًا للفوز لديه بجنات النعيم إنه على ما يشـاء قدير وبعباده لطيف خـبير ، وهذا أوان الشروع فى المقصـود بعون ربنا الملك الوهاب المعبود .



الباب الأول

فى ذكر سيرته ﷺ وخلفائه الأربعة



واعلم أنه قد جاء فى فضلهم رضى الله عنهم آيات وأحاديث كثيرة عامة وخاصة، ولنذكر لك نبذة عامة فنقول ونستمد من الله التوفيق لأقوم طريق: عن عكرمة رضى الله عنه عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ [1] الآية. قال : «إذا كان يوم القيامة يؤتى بسرير من ياقوته حمراء طوله عشرون ميلاً فى عشرين ميلاً ليس فيه صدع ولا وصل معلق بقدرة الله تعالى فيجلس عليه أبو بكر الصديق رضى الله عنه، ثم يؤتى بسرير من ياقوته صفراء على صفة السرير الأول فيجلس عليه عمر رضى الله عنه، ثم يؤتى بسرير من ياقوته خضراء على صفة الأول فيجلس عليه عثمان رضى الله عنه، ثم يؤتى بسرير من ياقوته بيضاء على صفة الأول فيجلس عليه عليّ رضى الله عنه، ثم يأمر الله الأسرّة أن تطير بهم فتطير بهم الأسرّة إلى تحت ظل العرش، ثم تسبل عليهم خيمة من الدرّ الرطب لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع وكل ما خلق الله تعالى لكانت في زاوية من زوايا تلك الخيمة، ثم يرفع إليهم أربع كاسات: كأس لأبى بكر وكأس لعمر وكأس لعثمان وكأس لعليّ رضى الله عنهم أجمعين فيسقون وذلك قوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ . ثم يأمر الله جهنم أن تمحض بأمواجها وتقذف الرافض والكافر على وجهها فيكشف الله عن أبصارهم فينظرون إلى منازل أمة محمد ﷺ فى الجنة فيقولون هؤلاء الذين سعد بهم الناس ونحن شقينا ثم يردون إلى جهنم اهـ. من عمدة التحقيق. وفيه أيضًا : ذكر الكسائى فى كتابه قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أن نوحًا عليه السلام كان كلما صنع فى السفينة شيئًا تأكله الأرضه ليلاً فشكا إلى الله تعالى ، فأوحى الله تعالى إليه اكتب عليها عيونى من خلقى قال يارب وما عيونك من خلقك؟ قال هم أصحاب نبيي محمد ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ . فكتبهم نوح عليه السلام على جوانبها الأربعة فحفظت . قال وإذا تأملت ما ذكره الكسائى مع قوله تعالى :

---

(١) سورة الحجر آية ٤٧ .

﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾[1] نجد فيه السر الأعظم والفضل الذى تقصر دونه الغايات اهـ. وعن ابن عباس رضي الله عنهـما قال : قال رسول الله ﷺ : «أخبرنى جبريل قال يامحمد خلـق الله آدم وأدخل الروح فى صدره أمرنى أن أخرج تفاحة من جنات عدن فأخرجتها وعصرتها فى حلق آدم خمس نقط، فالنقطة الأولى خلقك منها والثانيـة أبو بكر، والثالثة عمـر، والرابعة عثمـان والخامسة عليّ وهو قـوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[2] . فالبشر والنسب والصهر أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ رضى الله عنهم أجمعين». وفى تفسير الخطيب يروى عن أبي بن كـعب أنه قال« قرأت على النبى ﷺ والعصـر ثم قلت ما تفسـيرها يارسول الـله؟ فقال ﷺ والعـصر قسـم من اللـه أقسم ربكم بآخـر النهار إن الإنسان لفي خسر أبو جهل إلا الذين آمنوا أبو بكـر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر عليّ» . وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفًا عليه اهـ. أخرج ابن عـساكر عن عليّ رضي الله عنه قـال : قال رسول الله ﷺ :« رحم الله أبا بكر زوجني ابنته وحملنى إلى دار الهـجرة وأعتق بلالاً ، رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مراً ، رحم الله عـثمان تستحيى منه الملائـكة، رحم الله عليًا اللهم أدر الحق معه حـيث دار». وأخرج الطبراني عن سـهل قال: «لما قدم النبىﷺ مـن حجة الوداع صعد المنبـر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيـها الناس أني راض عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين فاعرفوا لهم ذلك» . وروى أبو سعـيد الخدري رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: « دخلت الجنة فبينـما أنا أطوف فى رياضها وبين أنهارها وأشجـارها إذ ضربت بيدي إلى ثمرة فـأخذتها فانفلقت في يـدي على أربع قطع فخرج من كل قطـعة حوراء لو أخرجت ظفرها لفـتنت أهل السموات والأرض ، ولو أخرجت كفـها لغلب ضوؤها ضوء الشمس والقمـر، ولو تبسمت لملأت ما بين السماء والأرض مسـكًا من رائحتها

(١) سورة القمر آية ١٣.

(٢) سورة الفرقان آية ٥٤.

فقلت لـلأولى لمن أنت؟ قالت: لأبي بكـر الصديق فقلـت: امضى إلى قصـر بعلك فمضت، وقلت للثانية: لمن أنت؟ فقالت: لعمر بن الخطاب فقلت" امضى إلى قصر بعلك فمضت، وقلت للثالثة: لمن أنت؟ قالت: للمختضب بدمه المقتول ظلمًا عثمان ابن عفـان فقلت لهـا: امضى إلى قـصر بعلك فـمضت، وقلت للرابعـة: لمن أنت؟ فسكتت ثم قـالت: والله يارسول الله إن الله تعالـى خلقنى على حسن فاطـمة ولقد سمـانى على اسمـها وإن الله تعـالى زوجنى من عليّ بـن أبى طالب قبل أن يـتزوج فاطمة بألف عام». وروى عن النبي ﷺ أنه قال لأبى بكر رضي الله عنه: «يا أبا بكر خلقني الله عزّ وجلّ من جوهرة من نور فنظر إليها الرب جلّ جلاله وتقدست أسماؤه فأوقفني بين يديه فاسـتحييت منه فعرقت فسقط منـى أربع نقط فخلقك يا أبا بكر من أول نقطة وخلق عمر من الثانية وخلق عثمان من الثالثة وخلق عليًا من الرابعة فنورك يا أبا بكر ونور عـمر وعثمـان وعلي من نورى» اهـ. من الروض الفـائق. وفي بحر العلوم عن ابن عـباس رضي الله عنهما: لما خـلق الله آدم ظهر فى ظهره نور مـحمد ﷺ فكانت الملائكـة تقف خلفه ينظرون إلى ذلـك النور فقال آدم: يارب مـا لهؤلاء ينظرون من خـلفي إلى ظهري؟ قـال: ينظرون إلى نور مـحمـد خاتم الأنبيـاء الذي أخرجه من ظهرك، قـال: يارب اجعل نوره بحيث أراه فظهر فى سبـابته فقال: يارب هل بقي فى ظهري مـن هذا النور شيء؟ قال: نعم نور أصحابه، قـال: يارب اجعله فى بقية أصابعي فـجعل نور أبي بكر في الوسطي ونور عمر فى البنصـر ونور عثمان فى الخنصر ونور علي فى الإبهام وكان آدم يـنظر تلك الأنوار تتلألأ في خلال أصابع يمينه إلى أن أكل من الشجرة وعوتب بذلك فنقل ذلك كله إلى ظهره اهـ. وعن الزبير ابن العوام قـال: قال رسول الله ﷺ في غـزوة تبوك: «اللهم إنك باركـت لأمتي في صحابتى فلا تسلبـهم البركة واجمعهم عليه - يعني أبا بـكر- ولاتشتت أمره فإنه لم يزل يؤثر أمرك على أمـره. اللهم وأعز عمر وصبـر عثمان وقوّ عليًـا وثبت الزبير بن العوام واغـفر لطلحة وسلـم سعدًا ووفق عبـد الرحمن وألحق بي بالسـابقين الأولين والأنصار والتابعـين بإحسان». وقال رسول الله ﷺ : « إن الله أختـار اصحابي على

جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين فاختار من أصحابى أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعليًا». وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله عزّ وجلّ افترض عليكم حب أبى بكر وعمر وعثمان وعليّ كما افترض عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج، فمن أبغض واحدًا منهم لم يقبل الله له صلاة ولا زكاة ولاصومًا ولاحجًا ويحشره من قبره إلى النار». وفي المعني قيل:

من أحسن الظن في الله الكريم وفى ... رسوله كان مكتوبًا من الشرفا

ومن أحبّ صحاب المصطفى فلـه ... جنات عدن يرى فى ظلها غرفا

ومن يكن باغضًا فيهم. فإن لـه ... نار الجحيم ويضحى باكيًا أسفًا

فهم نجوم الهدى فى كل ظلمـة ... والله حسبي فيما قلته وكفى

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه. عن النبي ﷺ أنه قال: «إن لحوضي أربعة أركان: ركن منه في يد أبى بكر والثانى فى يد عمر والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد علي، فمن أحب أبا بكر وأبغض عمر لم يسقه أبو بكر، ومن أحبّ عمر وأبغض أبا بكر لم يسقه عمر، ومن أحبّ عثمان وأبغض عليًا لم يسقه عثمان، ومن أحبّ عليًا وأبغض عثمان لم يسقه علي، ومن أحسن القول في أبي بكر فقد أقام الدين ، ومن أحسن القول فى عمر فقد أوضح السبيل، ومن أحسن القول في عثمان فقد استنار بنور رب العالمين، ومن أحسن القول فى عليّ فقد استمسك بالعروة الوثقى، ومن أحسن القول فى أصحابي فهو مؤمن، ومن أساء القول في أصحابي فهو منافق». وفي المعنى قيل:

همو صحابة خير الخلق أيدهـم ... رب السماء بتوفيق وإيثـار

فحبهم واجب يشفى السقيـم به ... فمن أحبهم ينجو من النـار

وروى أبو ذر رضي الله عنه عن النبيﷺ أنه قال :« من أدخل السرور على أصحابى فقد أدخل السرور عليّ، ومن أدخل السرور عليّ فقد سرّ الله، ومن سرّ الله كان حقًا على الله أن يسره ويدخله الجنة». وقال رسول الله ﷺ :«لايجتمع حبّ

هؤلاء الأربعة إلا فى قلب مؤمن أبى بكر وعمر وعثمان وعليّ». وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: « كنا جلوسًا عند رسول الله ﷺ إذ أقبل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فقال رسول الله ﷺ: مرحبًا بالمواسي بماله مرحبًا بالمؤثر على نفسه، ثم أقبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: مرحبًا بالمفرق بين الحق والباطل مرحبًا بمن أكمل الله به الدين وأعز به المسلمين، ثم أقبل عثمان رضي الله عنه فقال: مرحبًا بصهري وزوج ابنتي الذي جمع الله به نوري السعيد فى حياته الشهيد في مماته ويل لقاتله من النار، ثم أقبل عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: مرحبًا بأخي وابن عمي والذي خلقت أنا وهو من نور واحد، معاشر المسلمين هؤلاء لايتفق حبهم إلا في قلب مؤمن ولايتفرق إلا في قلب منافق فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله» .

(لطيفتان) الأولى قيل إن عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضي الله عنهما كانا فى بعض أشغال النبى ﷺ فأدركتهما صلاة العصر، فقال عمر بن الخطاب لعثمان: تقدم فصلِّ بنا فقال عثمان: أنت أولى مني بالتقدم ياعمر فإن رسول الله ﷺ قدّمك وأثنى عليك فقال عمر: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم الرجل عثمان صهرى وزوج ابنتى ومن جمع الله به نوري». فقال عثمان: أنا لاأتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمر أكمل الله به الإسلام». فقال عمر: أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عثمان تستحيى منه الملائكة» فقال عثمان : أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عمر أكمل الله به الدين وأعزّ به المسلمين». فقال عمر: أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عثمان جمع القرآن وهو حبيب الرحمن». فقال عثمان: أنا لا أتقدم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم الرجل عمر يتفقد الأرامل والأيتام ويحمل لهم الطعام وهم نيام». فقال عمر رضي الله عنه: أنا لا أتقدم عليك فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقك: « غفر الله لعثمان مجهز جيش العسرة». فقال عثمان: أنا لا أتقدّم عليك فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول فى حقك: «اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب». وسماك رسول الله ﷺ الفاروق وفرق

الله تعالى بـك بين الحق والباطل ، فبلغ ذلك رسـول الله ﷺ فدعا لهمـا وشكرهما على حسن أدبهـما بعضهما مـع بعض . (اللطيفة الثانيـة) روى أبو هريرة أن أبا بُكر الصـديق رضى الله عنه وعـلي بن أبي طالب رضي الله عنـه قدما يـومًا إلى حـجرة رسول الله ﷺ فقال علي لأبي بكر: تقدم فكن أول قارع يقرع الباب والحّ عليه فقال أبو بكر: تقدم أنت يا عليّ فقال عليّ رضـي الله عنه: ماكنت بالذي يتقدم على رجل سمعـت رسول الله ﷺ يقول في حقـه : « ما طلعت الشمس ولا غـربت من بعدي على رجل أفضل من أبـي بكر الصديق». فقال أبو بكر رضـي الله عنه: ما أنا بالذى يتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « أعـطيت خير النساء لخير الرجال». فقال عليّ : أنا لاأتقدم على رجل قـال فى حقه رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى صدر إبراهيم الخليل فلينظر إلى صدر أبي بكر الصديق». فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا لا أتقدم عـلى رجل قال في حقه رسـول الله ﷺ : «من أراد أن ينظر إلى آدم وإلى يوسف وحسـنه وإلى موسى وصلاته وإلى عـيسى وزهده وإلى محـمد ﷺ وخلقه لينظر إلى عليّ» . فقـال على رضي الله عنه : أنا لا أتقدم على رجل قال في حقه رسـول الله ﷺ : « إذا اجتمع العالم في عرصـات القيامة يوم الحـسرة والندامة ينادي مناد من قبل الحق عز وجلّ : يا أبا بكر ادخل أنت ومحبوبك الجنة» . فقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا لا أتقـدّم على رجل قال في حقـه رسول الله ﷺ يوم حنين وخيـبر وقد أهدى إلـيه تمر ولبن: « هذه هدية مـن الطالب الغالب إلـى عليّ بن أبي طالب» فقـال علي رضي الله عنه : أنا لا أتقـدّم على رجل قال في حقـه رسول الله ﷺ : « أنت يا أبا بكر عيني». فقـال أبو بكر رضي الله عنه: أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ : «يجيء عليّ عـلى مركب من مراكب الجنة فينادي مناد يامحـمد كان لك فى الدنـيا والد حسن وأخ حسـنٍ أما الوالد الحسن فـأبوك إبراهيم الخليل وأما الأخ فعلي بن أبى طالب رضي الله عـنه». فقال عليّ : أنا لا أتقدّم على رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ : « إذا كان يوم القيامة يجيء رضوان خازن الجنان بمفاتيح الجنة ومفاتيح النار ويقول : يـا أبا بكر الرب جلّ جلاله يقرئك السلام ويقول لك هذه مفاتيح الجـنة ومفاتيح النار ابعث من شئت إلى الجـنة وابعث من شئت إلى

النار». فقال أبو بكر : أنا لا أتقدّم عـلى رجل قال فى حقه رسول الله ﷺ : " « إن جبريل عليه السـلام أتانى فقال لي : يامحمد إن الله عزّ وجلّ يـقرئك السلام ويقول لك أنا أحبك وأحبّ عليًا فسجدت شكرًا وأحب فـاطمة فسجدت شكرًا وأحب حسنًا وحسينًا فـسجدت شكرًا» فقال علي رضي الله عنه:« أنا لا أتـقدم على رجل قال فى حقـه رسول الله ﷺ : « لو وزن إيمان أبى بـكر بإيمان أهل الأرض لرجح علـيهم». فقال أبو بكر رضي الله عنه: لا أتقدّم على رجل قال في حقه رسول الله ﷺ : « إن عليًا يجيء يوم القيامة ومعه أولاده وزوجته على مركب من البدن فيقول أهل القيامة: أى نبي هذا فينادى مـناد هذا حبيب الله علي بن أبي طالب» . فـقال علي رضي الله عنه: أنا لا أتقدم على رجل قال فى حقـه رسول الله ﷺ : « غدًا يسمع أهل المحشر من ثمانـية أبواب الجنة ادخل من حيـث شئت أيها الصـديق الأكبر» . فقـال أبو بكر رضي الله عنه: أنا لا أتقـدم على رجل قال في حقه رسـول الله ﷺ : « بين قصري وقصر إبـراهيم الخليل قصر عـلي بن أبي طالب». فقال عـلي رضي الله عنه: أنا لا أتقدم علـى رجل قال في حقـه رسول الله ﷺ : « إن أهل السمـوات من الكروبيين الروحانيين والملأ الأعلـي لينظرون في كل يوم إلى أبي بكر الصديق». فـقال أبو بكر رضي الله عنه : أنا لا أتقدّم على رجل قال الله في حقه وحق أهل بيته: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾[1] فقال علي رضى الله عنه: أنا لاأتقدم على رجل قال الله في حـقه : ﴿**وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**﴾[2] فنزل جبريل عليـه السلام على الصادق الأمين من عند رب العالمين وقـال : يا محمد العلي الأعلى يقرئك السلام ويقول لك : إن ملائكة سبع السموات لينظرون فى هذه الساعة إلى أبى بكر الصـديق وإلى علي بن أبي طالب ويسمعون ما جـرى بينهما من حسن الأدب وحسن الجواب من بعـضهما لبعض فقم إليهما وكن ثالـثهما فإن الله قد حفهما بالـرحمة والرضوان وخصهما بحسـن الأدب والإسلام والإيمان. فخرج النبى ﷺ إليهما فوجدهما كما ذكر له جبريل فقبل النبى ﷺ وجه كل واحد منهما وقال :

---

(١) سورة الإنسان آية ٨. .

(١) سورة الزمر آية ٣٣. .

«وحق من نفس محمد بيده لو أن البحار أصبحت مداداً والأشجار أقلامًا وأهل السموات والأرض كتابًا لعجزوا عن فضلكمًا وعن وصف أجركما» أورده صاحب الروض الفائق وأنشد :

من ذا يطيق بأن يحصى الثناء على	محمد وعلى الصدّيق صاحبه
وقد رقى عمر الفاروق منزلة	وحاز عزاً وفخراً في مراتبه
وحاز عثمان فضلا بالنبى وقد	أثنت جميع البرايا عن مناقبه
وذو الفقار عليّ المرتضى فله	بحر من العلم يبدو من عجائبه
فهم ملاذ لمن خاف الحساب إذا	ضاقت عليه أمور فى مذاهبه
عليهم صلوات الله ما لمعت في	الليل أنوار برق في غياهبه

وفي حياة الحيوان: سأل النبى ﷺ ربه أن يريه أهل الكهف فقال الله تعالى : إنك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن ابعث إليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم إلى الإيمان بك فقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام: كيف أبعث إليهم؟ قال: ابسط كساءك وأجلس على كل طرف من أطرافه واحداً على الأول أبا بكر رضي الله عنه وعلى الثانى عمر رضي الله عنه وعلى الثالث عليًا وعلى الرابع أبا ذر ثم ادع الرخاء المسخرة لسليمان بن داود عليهما السلام فإن الله عزّ وجل أمرها أن تطيعك ففعل النبى ﷺ ما أمره به فحملتهم الريح وانطلقت إلى باب الكهف فلما دنوا من الباب قلعوا منه حجراً فقام الكلب ينبح عليهم حين أبصر القوم وحمل عليهم، فلما دنا منهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا فقالوا: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردّ الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم فقالوا : وعليكم السلام وعلى محمد رسول الله السلام مادامت السموات والأرض وعليكم بما بلغتم ثم جلسوا يتحدثون فآمنوا بمحمد ﷺ وقبلوا دينه الإسلام وقالوا : بلغوا محمداً منا السلام ثم أخذوا مضاجعهم وعادوا إلى رقدتهم اهـ.
ويروى عن علي بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال : « رأيت النبى ﷺ متوكئًا على أبي بكر وهو يقول هكذا نحيا. وهكذا نموت وهكذا ندخل الجنة» .

(عجيبة ذكرها غير واحد) : روى إمامنا محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه قال: رأيت بمكة أسقفًا يطوف بالكعبة فقلت له: ما الذي أخرجك عن دين آبائك؟ فقال: تبدلت خيراً منه قلت وكيف ذاك؟ قال :ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل الأمواج تدافعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر فيها أشجار كثيرة ولها ثمر أحلى من الشهد وألين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله على ذلك وقلت : آكل من الشجر وأشرب من هذا النهر حتى يقضي الله بأمره، فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة ونمت على غصن من أغصانها فلما كان في جوف الليل وإذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول : لا إله إلا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر الصديق صاحبه في الغار عمر الفاروق فاتح الأمصار عثمان القتيل في الدار عليّ سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ومأواه النار وبئس القرار، ولم تزل تكرر هذه الكلمات إلى الفجر فلما طلع الفجر قالت : لا إله إلا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادي الرشيد أبو بكر الموفق للتسديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضل الشهيد على بن أبي طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الملك المجيد، ثم أقبلت إلى البر فإذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه إنسان وقوائمها قوام بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسي الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح : يا هذا قف وإلا تهلك فوقفت فقالت ما دينك؟ فقلت : دين النصرانية. فقالت: ويلك ارجع إلى دين الحنفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجن لاينجو منهم إلا من كان مسلمًا فقلت: وكيف الإسلام؟ فقالت : تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فقلتها . فقالت: أتمم إسلامك بالترضي على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، فقلت: ومن أتاكم بذلك؟ قالت: قوم منا حضروا عند رسول الله ﷺ سمعوه يقول : « إذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح : إلهي قد وعدتني أن تشيد أركاني فيقول الجليل جلّ جلاله: قد شيدت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعليّ وزينتك بالحسن والحسين. ثم قالت الدابة: أتريد المقام ههنا أم الرجوع إلى أهلك؟ فقلت: الرجوع إلى أهلى فقالت: اصبر حتى

تمر مركب فبينما نحن كذلك وإذا بمركب أقبلت تجرى فأومأت إليهم فدفعوا إليّ زورقًا فنزلت فيه ثم جئت إليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلاً كلهم نصارى فقالوا : ما الذي جاء بك إلى هنا فقصصت عليهم قصتى فتعجبوا كلهم وأسلموا عن آخرهم ببركة رسول الله ﷺ، فعليك يا أخى بمحبة رسول رب العالمين وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، ولتكن محبتك لأصحابه ﷺ على وجه صادق ولا يضر التفاوت إن كان سببه ما بلغك من تفاوت مراتبهم التى ظهرت من رسول الله ﷺ . قال الشيخ الشعراني في منته: سمعت سيدي عليًا الخواص رحمه الله تعالى يقول: لايكفي في محبة أصحاب رسول الله ﷺ أن تحبهم المحبة العادية إنما الواجب علينا أنا لو كنا نعذب من جهتهم بمحبتنا لهم لا نرجع عن محبتهم كما لانرجع عن إيماننا بالتعذيب كما وقع لبلال وصهيب وعمار وكما وقع للإمام أحمد بن حنبل فى مسألة خلق القرآن، فمن لايحتمل في حب الصحابة مثلما حمل هؤلاء فمحبته مدخولة اهـ ثم قال فتأمل ياأخى في نفسك فربما تكون محبتك مجازية لا حقيقة لتجنى ثمرتها يوم القيامة. قال الشيخ الشعراني في منته أيضًا : ومما أنعم الله به عليّ رؤيتي أولاد أصحاب رسول الله ﷺ بالعين التى كنت أرى بها والدهم لو أدركته حتى كأنى بحمد الله تعالى صحبت جميع أصحاب رسول الله ﷺ في تفاوت مراتبهم التى ظهرت من رسول الله ﷺ دون ما يقع في نفوسنا نحن من التعظيم فربما أدخل علينا العصبية فى محبتنا بخلاف من كان محبته للصحابة تبعًا لما بلغه عن رسول الله ﷺ فإنه يكون سالمًا من العصبية فى عقديته .

(وحكى) عن المحب الطبري مفتى الحرمين أن الشريف أبا نمي قال له بأيّ طريق قدمتم أبا بكر على علي مع غزارة علمه وقربه من رسول الله ﷺ فقال له : «سدوا كل خوخة في المسجد إلا خوخة أبي بكر» . وقال ﷺ : « مروا أبا بكر فليصل بالناس». وقرأنا هذا الحديث بالسند الصحيح إلى رسول الله ﷺ وقبض رسول الله ﷺ فقالت الصحابة : من رضيه رسول الله ﷺ لديننا رضيناه لدنيانا فقال الشريف أبو نمي : نعم فعمر فقال المحب الطبري: وأما عمر فإن أبا بكر عند موته اختاره للمسلمين، قال الشريف: نعم فعثمان فقال المحب الطبري : إن عمر جعل الأمر

شورى بين من توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فقدّموا عثمان فقال الشريف فمعاوية فقال المحب الطبري هو مجتهد كما أن عليًا كان مجتهدًا فقال الشريف فمع من تقاتل لو أدركتهما؟ فقال مع علي رضي الله عنه فقال الشريف فجزاك الله عنا خيرا قال الشعراني فانظر يا أخي هذا الكلام النفيس من هذا العالم الذي لايخرج عن التبعية في شيء فعلم أن الواجب علينا أن نحب أصحاب رسول الله ﷺ تبعا لحب رسول الله ﷺ ونحب أولادهم كذلك لحب رسول الله ﷺ لابحكم الطبع وتقدم أولاد فاطمة على أولاد أبى بكر الصديق كما كان أبو بكر يقدمهم على أولاده عملا بحديث « لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من أهله وولده والناس أجمعين». وقيل مرة للإمامْ علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لم قدموا عليك أبا بكر وعمر؟ فقال: إن الله هو الذي قدمهما عليّ لقوله تعالى : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ (١). وقد ركن رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وعمر وتزوج ابنتهيما ولو كانا ظالمين لما تزوج رسول الله ﷺ ابنتهيما ولا ركن إليهما. وقد ذكر الشيخ عبد الغفار القوصي رضي الله تعالى عنه فى كتابه المسمى بالوحيد في علم التوحيد أنه كان له صاحب من أكابر العلماء فمات فرآه بعد موته فسأله عن دين الإسلام فتلكأ في الجواب قال : فقلت له أما هو حق؟ فقال: نعم هو حق فنظرت إلى وجهه فإذا هو أسود كالزفت وكان في حياته رجلاً أبيض فقلت له: ما الذي سوَّد وجهك كما أرى إن كان دين الإسلام حقا ؟ فقال بخفض صوت كنت أقدم بعض الصحابة على بعض بالهوى والعصبية قال وكان هذا العالم من بلد تنسب إلى الرفض اهـ. وبلغنا أن معاوية رضي الله عنه قال يومًا لواحد من جلسائه أيكم يأتينى بالزرقاء الكنانية فأتوة بها فقال لها : تذكرين ركوبك الجمل الأحمر مع علي؟ فقالت نعم أذكر ذلك قال : لقد شاركته في سفك الدماء فقالت : بشرك الله بخير مثلك من يحدث جليسه بما يسره، فقال : أوقد سرك ذلك فقالت نعم؟ فقال والله لوفاؤكم بحقه بعد مماته أعجب إليّ من وفائكم بحقه فى حال حياته اهـ.

---

(١) سورة هود آية ١١٣ . . .

(وحكى) المحب الطبري رحمه الله تعالى أن جماعة من الروافض أتوا إلى خادم قبر رسول الله ﷺ بمال جزيل ليوصله إلى ناظر الحرم ويمكنهم من قتل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فقبل الناظر ذلك سرًا وبقى الخادم فى تشويش عظيم وما بقي إلا أن الليل يدخل ويأتون بالمساحي والزنابيل ويحفرون عليهما وكانوا أربعين رجلا قال المحب الطبري فأخبرنى الخادم أنهم لما دخلوا المسجد في الليل خسف الله بهم الأرض أجمعين فلم يطلع منهم أحد إلى يوم تاريخه وطلع الجذام فى ناظر الحرم حتى تقطعت أعضاؤه ومات على أسوأ حال قال ثم إن جماعة من الروافض الذين كانوا أرسلوا الأربعين رجلا بلغهم الخسف فأتوا المدينة متنكرين وعملوا الحيلة على الخادم وأدخلوه دارًا لاساكن فيها وقطعوا لسانه ومثلوا به فجاءه النبى ﷺ فمسح عليه وعلى فمه فأصبح وليس به ضرر ثم عملوا عليه الحيلة ثاني مرة وقطعوا لسانه وضربوه ضربًا شديدًا فجاءه النبي ﷺ فمسح عليه فأصبح وما به ضرر فعملوا عليه الحيلة ثالثًا وضربوه وقطعوا لسانه وأغلقوا عليه الباب فجاءه رسول الله ﷺ فمسح عليه فأصبح وما به ضرر اهـ . قال الشيخ عبد الغفار القوصي رضي الله عنه، وكذلك بلغنا أن رجلا كان بسبب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وتنهاه زوجته وولده عن ذلك فلم يرجع فمسخه الله تعالى خنزيرًا في عنقه سلسلة عظيمة وصار ولده يدخل على الناس عليه ينظرونه ثم مات بعد أيام فرماه ولده فى مزبلة قال الشيخ عبد الغفار ورأيته أنا بعيني حال حياته وهو يصرخ صراخ الخنازير ويبكى ثم أخبرنى الشيخ محب الدين الطبري أن شخصًا ذكر له أنه اجتمع بولد هذا الرجل وذكر له القصة وأنه كان يضربه ويقول له سب أبا بكر وعمر فلم يفعل اهـ. من المنن . فإن قلت: ذكرت أبا بكر وعمر وعثمان في هذا الكتاب وليسوا من أهل البيت. قلت: ذكرتهم تيمنًا ببركتهم وتيممًا للفائدة وأيضًا هم من أقاربه ﷺ كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى في ترجمة كل واحد منهم فى الكلام على نسبه، وفي هذا القدر كفاية، والله ولي التوفيق والهداية.

فصل
فى ذكر نسبه ﷺ ومولده ومرضعاته وما يتصل بذلك

من المعلوم أن الكلام على مـا يتعلق بسيرته ﷺ قد أفرد بـالتآليف التى لاتكاد تدخل تحت الحصر والغرض ههنا ما ذكر طرف مما يتعلق به ﷺ في هذه العجالة على سبيل الإيجاز تـبركًا به ﷺ . إذا علمت هذا فنقول: هو ﷺ محـمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بـن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأمه آمنة بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب المذكور فى نسبه ﷺ وهو الجد الخامس له ﷺ

نسب كأن عليه من شمس الضحى ... نورًا ومن فلق الصباح عمـودا

ما فيه إلا سيد من سيـد ... حاز المكارم والتقى والجـودا

وولد ﷺ بمكة عند طلوع الفجر يوم الاثنين لاثنـتى عشرة ليلة مضت من ربيع الأول عام الفيل. وفي المواهب اللـدنية وقيل ولد ليلا، فعن عائشـة كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما كانت الليلة التى ولـد فيها رسول الله ﷺ قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود؟ قـالوا لا نعلمه قال انظروا يا معشر قريش وأحـصوا ما أقول لكم ولد الليلة نبي هذه الأمة الأخيرة بين كتفيه علامة فيها شعيرات متواترات كأنهن عرف فرس انتـهى، والقول الأول مروي عـن عبد الله بن عـمرو بن العاص (واخـتلف في مكان ولادته ﷺ) فقيل ولد بمكة في الدار التى كـانت لمحمد بن يوسف الثقفي أخى الحجاج وقيل بالشـعب وقيل بالردم وقيل بعسفان كذا فـي المواهب اللدنية ونزل علـى يد الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف رافـعًا بصره إلى السماء واضعًا يديه على الأرض وفيه من الإشـارة ما لايخفى مكحولا نظيفًـا مسرورًا أى مقطوع السر وهـو ما تقطعه القابلة من السرة مخـتونًا أى على صورة المختون، وقيل ختنه جـده عبد المطلب سابع

ولادته قال العلماء ويمكن الجمع بينهما بأنه يجوز أن يكون ولد مختونًا ختانًا غير تام فتمم جده ختانه، وقيل ختنه جبريل يوم شق صدره عند حليمة السعدية مرضعته.

(فائدة) قال كعب الأحبار ولد مختونًا من الأنبياء ثلاثة عشر آدم وشيث وإدريس ونوح وسام ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين اهـ. من حياة الحيوان. ومات أبوه عبد الله وأمه حامل به ولهذا كان المسمى له والعاق عنه ﷺ سابع ولادته جده عبد المطلب والكلام على ما يتعلق بمولده ﷺ أفرد بالتأليف ، وهذه العجالة مبنية على التخفيف. وأرضعته ﷺ من النساء ثمان منهن أمه آمنة ثلاثة أيام وقيل سبعة وثويبة الأسلمية جارية أبى لهب التى أعتقها حين بشرته بولادته ﷺ أيامًا قبل قدوم حليمة وخولة بنت المنذر وأم أيمن ذكرهما اليعمري وامرأة سعدية غير حليمة ذكرها ابن القيم وثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن عاتكة نقله السهيلي عن بعضهم في الكلام على قوله ﷺ :« أنا ابن العواتك» . (وفي حياة الحيوان) العواتك ثلاث نسوة كن من أمهات النبى ﷺ إحداهن عاتكة بنت هلال بن فالج بن ذكوان وهي أم عبد مناف بن قصي والثانية عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج وهى أم هاشم بن عبد مناف والثالثة عاتكة بنت الأوقص بن مرة بن هلال وهى أم وهب أبي آمنة أم النبي ﷺ والعواتك جمع عاتكة وأصل العاتكة المتضمخة بالطيب وأكثرهن إرضاعًا له ﷺ حليمة السعدية وصرح بعضهم بإسلام زوجها بل وبنيها أيضًا، ولما خافت عليه ردته إلى أمه فخرجت به أمه إلى المدينة لزيارة أخواله من بني النجار أى أخوال جده عبد المطلب وهى راجعة به وماتت ودفنت بالأبواء وكان عمره ست سنين على ماقاله ابن إسحاق فحضنته أم أيمن بركة الحبشية التي ورثها من أبيه رحملته إلى جده عبد المطلب بمكة فكفله إلى تمام ثمان. وأصابه ﷺ فى السنة السابعة رمد شديد ولما مرض جده عبد المطلب مرض الموت أوصى به إلى عمه أبى طالب لفخامته وكونه شقيق أبيه عبد الله فافتخر بشرف كفالته وتربيته ﷺ وكان يرى منه الخير والبركة كشبع عياله إذا أكل معهم وعدم شبعهم إذا لم يأكل معهم ونزول المطر الغزير حين استسقى به لقحط أصاب أهل مكة وسافر به إلى الشام فى تجارة فلما نزل الركب بصرى رآه ﷺ راهب بها يقال له

بحيرا وهو فى صومعته وكان قد انتهى إليه علم النصرانية فصنع للقوم طعامًا كثيرًا لأجله ﷺ وكثيرا ما كانوا يمرون به يكلمهم ولايعرض عليهم ثم قال لعمه ارجع بابن أخيك واحذر عليه من اليهود فلما فرغ أبو طالب من تجارته رجع مسرعًا إلى مكة وسافر أيضا ﷺ مع عميه الزبير والعباس ابني عبد المطلب إلى اليمن للتجارة. وثبت أنه ﷺ آجر نفسه قبل النبوة لرعي الغنم وكذا ثبت في حق غيره من الأنبياء كموسى، قيل من حكم ذلك أن من رعى الغنم التي هي أضعف البهائم يسكن فى قلبه الرأفة واللطف فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذب نفسه أولا . ولما بلغ ﷺ خمسًا وعشرين سنة وهو يدعى فى مكة بالأمين سافر إلى الشام فى تجارة لخديجة وأنفذت معه عبدها ميسرة وتزوجها فى هذه السنة أيضًا وكانت هذه السفرة ثالث سفرة آجر نفسه فيها لخديجة. ولما بلغ خمسًا وثلاثين سنة جددت قريش بناء الكعبة لصدع جدرانها بسيل دخل بعد حريق أصابها من تبخير لها فكان النبي ﷺ بنقل معهم الحجارة فلما وصلوا إلى موضع الحجر اختلفوا فيمن يضعه ثم رضوا بأن يضعه ﷺ بيده فوضعه. ولما قربت أيام الوحي حبب إليه الخلوة فكان يختلي في غار حراء ويتعبد فيه قيل بالذكر وقيل بالفكر، وفي كلام الشيخ محيى الدين أن تعبده قبل نبوّته كان بشريعة إبراهيم الخليل عليه السلام وقيل غير ذلك وكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحي قيل مدتها ستة أشهر، وثبت أنه لما دنا زمن الوحي كثر رجم الشياطين بالنجوم مع إصابتها وانقطع بالمرة استراق السمع من حينه، وما روي من رجمهم بها ليلة مولده وقبلها فى أزمنة الرسل فعلى ثبوته كان قليلا وتارة يصيب وتارة لايصيب . وأما فى زمن قرب الوحي إليه ﷺ فكان يصيب ولابد من الكثرة كذا فى سيرة الحلبي. ولما تم له أربعون سنة قيل وأربعون يومًا وعشرة أيام وقيل شهران يوم الاثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وقيل لسبع وقيل لأربع وعشرين ليلة كذا في المواهب جاء جبريل بالنبوة وهو في غار حراء فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فضمه حتى بلغ منه الجهد ثم أطلقه فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فضمه كذلك ثم أطلقه فقال له اقرأ فقال ما أنا بقارئ فضمه كذلك ثم أطلقه فقال له اقرأ باسم ربك الذي خلق إلى قوله ما لم يعلم ثم نزل به

الجبل إلى الأرض فضربها برجله فنبعت عين ماء فتوضأ وأمر النبي ﷺ أن يفعل كفعله ثم صلى به ركعتين وقال الصلاة هكذا وغاب عنه فانطلق ﷺ إلى خديجة يرجف فؤاده وأخبرها الخبر وقال خشيت عليّ فقالت له كلا أبشر فوالله لايخزيك الله أبدًا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة وكان امرأ تنصر فى الجاهلية يكتب الكتاب العربي وفي رواية العبراني فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخًا كبيرًا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن العم اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن أخي ماذا ترى فأخبر رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل على موسى ياليتنى فيها جذعًا ليتنى أكون حيًا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أو مخرجى هم؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركنى يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا وكان مدة فترته ثلاث سنين كما جزم به ابن إسحاق ثم نزل عليه جبريل بسورة « يا أيها المدثر».

وتتابع الوحي ونزولها ابتداء رسالته ﷺ فهى متأخرة عن نبوته بثلاث سنين وقيل مقارنة لنبوته وصار يدعو الناس إلى الله تعالى خفية لعدم الأمر بالإظهار وكان من أسلم إذا أراد الصلاة ذهب إلى بعض الشعاب ليستخفي بصلاته من المشركين حتى اطلع نفر من المشركين على سعد بن أبي وقاص وهو في نفر من المسلمين يصلون فى بعض الشعاب فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون وقاتلوهم فضرب سعد رجلا منهم فشجه وهو أول دم أهريق في الإسلام فعند ذلك دخل ﷺ هو وأصحابه فى دار الأرقم مستخفين بصلاتهم وعبادتهم إلى أن أمر الله تعالى بإظهار الدين وهدي عمر ابن الخطاب إلى الإسلام بعد إسلام حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست من النبوة على الراجح وكانت مدة إخفائه ثلاث سنين ، وفى هذه المدة كانت قريش تؤذيه ﷺ وتؤذي من آمن به حتى عذبوا جماعة من المستضعفين كبلال وخباب بن الأرت وعمار بن ياسر وأبيه ياسر وأمه سمية وأخيه عبد الله ثم مات ياسر فى العذاب وطعن أبو جهل لعنه الله سمية بحربة في فرجها فماتت فكانت أول شهيدة في الإسلام

ولكثرة إيذائهم هاجر جمع من المسلمين إلى الحبشة بإشارته ﷺ فأكرمهم النجاشي منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقيه بنت رسول الله ﷺ وعند بلوغ خروجهم قريشًا خرجوا فى أثرهم فلم يظفروا بأحد منهم وهذه هى الهجرة الأولى من هجرتى الحبشة وكانت فى رجب سنة خمس من النبوة ثم بعد مكثهم بالحبشة دون ستة أشهر رجع كثير منهم لما بلغهم سجود المشركين مع رسول الله عند قراءته سورة والنجم وظنوا إسلامهم .

فصل

تعاهد قريش على قتله ﷺ وموت عمه أبى طالب وذهابه إلى ثقيف والطائف وابتداء إسلام الأنصار وما يتصل بذلك

قال فى المواهب اللدنية :ولما رأت قريش عز النبي ﷺ بمن معه وعز إصحابه بالحبشة ،وإسلام عمر بن الخطاب وفشو الإسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم وبني المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم ومنعوه ممن أراد قتله فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجتمعوا واشتوروا أن يكتبوا كتابًا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ألا يناكحوهم ولا يبايعوهم ولايخالطوهم ولايقبلوا منهم صلحًا أبدًا حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا ذلك فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة بن هاشم فشلت يده وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة هلال المحرم سنة سبع من النبوة وانحاز بنو هاشم وبنو عبد المطلب إلى أبى طالب ودخلوا معه شعبه إلا أبا لهب فكان مع قريش وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثًا حتى جهدوا وكانت قريش قد قطعت عنهم الميرة وكان لايصل إليهم شيء إلا سرًا وكانوا لايخرجون إلا من موسم إلى موسم. ثم قال رجال في نقض الصحيفة وكان قد أطلع الله نبيه على أمرها أن الأرضة أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع إلا اسم الله فقط فأخبر عمه بذلك فأخبرهم أبو طالب انتهى. وكان الذين سعوا في إنزالها خمسة هشام بن الحرث وهو رئيسهم وهو أول من مشى فى نقضها وزهير بن عاتكة بنت عبد المطلب وأبو البحتري وزمعة اجتمعوا بالحجون وأجمعوا على نقضها فقال لهم زهير أنا أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا إلى أنديتهم وغدا زهير فى حلة جميلة فطاف سبعًا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة إنا نأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم كما ترون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة قال أبو جهل كذبت والله لاتشق قال

زمعة أنت والله أكذب أى من كل كاذب لا من زهير ما رضينا كتابتها حين كتبت وقال أبو البحتري صدق زمعة ما نرضى ما كتب فيها ولانقره وقال المطعم صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها. قال أبو جهل هذا أمر قد قضى بليل اشتورتم فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس فقام المطعم إلى الصحيفة بشقها فوجد الأرضة قد أكلتها إلا ماكان اسم الله كما قال ﷺ فأخرجوهم من الشعب وذلك فى السنة العاشرة وقد ذكر هؤلاء الخمسة صاحب الهمزية بقوله :

فديت خمسة الصحيفة بالـ ... خمسة إن كان للكرام فداء

فتية بيتوا على فعل خير ... حمد الصبح أمرهم والمساء

يا لأمر أتاه بعد هشام ... زمعة إنه الفتى الأتناء

وزهير والمطعم بن عدىّ ... وأبو البحتري من حيث شاءوا

نقضوا مبرم الصحيفة إذ شد ... ت عليهم من العدا الأنداء

وفي السنة العاشرة من النبوة أول ذي القعدة مات عمه ﷺ أبو طالب بعدما خرج من الحصار بالشعب بثمانية أشهر واحد وعشرين يومًا وفى المواهب اللدنية وكانت سنه سبعًا وثمانين سنة روي عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال لما حضر أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده عبد الله بن أمية وأبا جهل بن هشام فقال ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله تعالى فقال له أبو جهل يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويقول ياعم قل لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله ويقولان له يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب حتى كان آخر كلمة تكلم بها أبو طالب أنا أموت على ملة عبد المطلب ثم مات وروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : لما مات أبو طالب أخبرت رسول الله ﷺ بموته فبكى ثم قال اذهب فاغسله وكفنه وواره غفر الله له ورحمه ففعلت وجعل رسول الله ﷺ يستغفر له أيامًا ولا يخرج من بيته حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] الآية . قال ابن عباس عارض رسول الله ﷺ جنازة أبى

---

(١) سورة التوبة آية ١١٣ . .

طالب وقال وصلت رحمك وجزاك الله خيرًا يا عم .

(تنبيه) الكفر على أربعة أنواع: كفر إنكار، وكفر جحود، وكفر نفاق، وكفر عناد. أما كفر الإنكار فهو ألايعرف الله بالقلب ولايعترف باللسان. وأما كفر الجحود فهو أن يعرف الله بقلبه ولكن لا يقر بلسانه ككفر إبليس، وكفر اليهود بمحمد ﷺ من هذا القبيل قال الله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[1]. أى جحدوا . وأما كفر النفاق فهو أن يقرّ بلسانه ولكن لايدين به ولايكون منقادًا ومطيعًا ككفر أبى طالب فإنه قال :

ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتنى سمحًا بذاك مبينًا

ودعوتنى وعرفت أنك ناصحى ... ولقد صدقت وكنت فيه أمينا

وجميع الأنواع الأربعة المذكورة سواء فى أن الله تعالى لايغفر لأصحابها إذا ماتوا عليها نعوذ بالله منها (وفي هذه السنة) العاشرة من النبوة كانت وفاة خديجة الكبرى رضى الله عنها. روى أن خديجة لما مرضت مرض الموت دخل عليها رسول الله ﷺ فقال لها يا خديجة أما علمت أن الله قد زوجنى معك فى الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون؟ قالت فعل ذلك يارسول الله؟ قال نعم قالت بالرفاء والبنين فتوالت على رسول الله ﷺ فى هذه السنة مصيبتان موت عمه أبى طالب وخديجة رضى الله عنها (وفى هذه) السنة العاشرة أيضًا خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف وإلى ثقيف قيل وحده وقيل معه زيد بن حارثة بعد ثلاثة أشهر من موت خديجة لثلاث ليال بقين من شوال يستنصرهم وهو مكروب لموت عمه أبى طالب قال محمد بن كعب القرظى لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذسادة ثقيف وأشرفهم وهم إخوة ثلاثة عبد ياليل بمثناة تحتية بعدها ألف ثم لام مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة ثم لام"، ومسعود وحبيب بُنى عمرو بن عمير ، وفي شرح المواهب وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس إليهم

(١) سورة البقرة آية ٨٩ . . .

ودعاهم إلى الله عز وجل وكلمهم بما جاءهم به من نصرته على الإسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك وقال الآخر : أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك، وقال الثالث والله لا أكلمك كلمة أبدًا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطرًا من أن أرد عليك الكلام وإن كنت تكذب ما ينبغي لي أن أكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم إذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليّ وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه ذلك فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع الناس عليه فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أدموا رجليه. وفي المواهب قال موسى بن عقبة رموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء، زاد غيره وكان إذا أذلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج في وجهه شجاجًا وألجئوا النبي ﷺ إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف وعمد النبي ﷺ إلى ظل شجرة فجلس فيه محزونًا وابنا ربيعة كانا في الحائط ينظران إليه فلما رأيا ما لقيه من سفهاء ثقيف تحركت له رحمهما فدعوا غلامًا لهما نصرانيًا يقال له عداس فقالا خذ قطفًا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل فنظر عداس إلى وجهه ثم قال إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذا البلد فقال رسول الله ﷺ من أى البلاد أنت وما دينك قال أنا نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال رسول الله ﷺ :أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال ذاك أخي كان نبيًا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه وأسلم وينظر إليه ابنا ربيعة فيقول أحدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل لقد أخبرني بأمر لايعلمه إلا نبي. وقد أورد البغوي في تفسيره حديث عداس في سورة الأحقاف عند

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾[1]. وذكره غيره ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف حين يئس من خير ثقيف محزونًا، روى أن الله أرسل إليه جبريل ومعه ملك الجبال فقال له إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين وهما جبلا مكة قال العلماء أى بعد نقلهما إلى الطائف وقيل الضمير لأهل مكة لأنهم سبب ذهابه إلى ثقيف فقال عليه الصلاة والسلام بل أرجو أن يخرج الله تعالى من أصلابهم من يعبده لايشرك به شيئًا فقال له ملك الجبال أنت كما سماك ربك رءوف رحيم ثم سار إلى حراء وفي أسد الغابة ولما عاد من الطائف أرسل إلى مطعم بن عدي يطلب منه أن يجيره فأجاره ودخل المسجد معه وكان رسول الله ﷺ يشكرها له وكان رجوعه من الطائف لثلاث وعشرين ليلة خلت من ذى القعدة (وفى رجوعه ﷺ) من الطائف نزل نخلة وهو موضع على ليلة من مكة فصرف إليه سبعة من جن نصيبين وهي مدينة بالشام فلما سمعوا القرآن استمعوا له وهو يقرأ سورة الجن كما قاله مغلطاي فلما رجعوا إلى قومهم ﴿ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾[2]. وأنزل الله على نبيه :﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [2] كما فى الصحيحين وذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾[1] الآية . (وفي السنة) الحادية عشرة من النبوة كان ابتداء إسلام الأنصار روى أن رسول الله ﷺ كان يخرج ويتتبع آثار الناس فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز في المواسم ويقول من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي فله الجنة فلايجد أحدًا ينصره ولايجيبه حتى إنه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردونه أقبح ردّ ويؤذونه ويقولون قومك أعلم بك إلى أن أراد الله إظهار دينه فساقه ﷺ إلى هذا الحي من الأنصار وهو لقب إسلامي لنصرتهم النبي ﷺ وكان يسمون أولاد قيلة والأوس والخزرج فلقي فى منى بعض الخزرج عند العقبة التى بجنب منى فقال من أنتم؟ قالوا من الخزرج قال أفلا تجلسون أكلمكم فجلسوا فدعاهم إلى الإسلام وتلا عليهم القرآن وكان عندهم علم منه فعرفوا نعته لأن يهود المدينة كانوا يقولون لهم إن نبيًا يبعث الآن نتبعه ونقتلكم معه فأجابوه لئلا تسبقهم اليهود إليه وأسلم منهم ستة

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٩ . .　　(٢) سورة الجن آية ١ و ٢.

فقال لـهم تمنعون ظهرى حتـى أبلغ رسالة ربى فقالـوا ندعو إلى ما دعوتنا إلـيه فإن أجابوا فلا أحد أعز منك وموعدك الموسم في الـعام القابل وأمرهم بالكتمان عن أهل مكة فلما وصلوا المـدينة لم يبق فيها دار إلا وفيـها ذكره ثم في العام الثانـي لقيه اثنا عشر خمسـة من الستة الأول والبقية من الخـزرج أيضًا إلا رجلين فمن الأوس، وهذه هي العقبة الثانية فأسلموا وقبلوا ما اشترطه عليهم ثم رجعوا وأظهر الله الإسلام فيهم وكان أسعـد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلـم ثم أرسلوا يطلبون من يعلمـهم القرآن فأرسل إليهم مصعب بن عمير فأسلم عـلى يده جمع كثير منهم سيد الأوس سعد بن معاذ وأسيد بن حـضير وأسلم بنو عبد الأشهل كلهم فـي يوم واحد رجالا ونساء ثم قدم فى العام الثالث فى الموسم نحو سبعين رجلا وهى العقبة الثالثة فبايعهم على أنهم يمنعونه مما يمنعون مـنه نساءهم وأبناءهم وعلى حرب الأحمر والأسود وحـضر العباس هذه الثالثة وأكد عليهم صدق الحديث.

(تنبيه) بعضهم يسمى العقبة الثالثة ثانية (وفي السنة) الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بسنة كما قاله ابن شهاب عن ابن المسيب أسرى بالنبى ﷺ وعرج به يقظة ليلة السبت لسبع وعـشرين خلت من ربيع الأول قاله ابن الأثير والـنووي في شرح مسلم وقيل في ربيع الآخر قـاله النووي في فتاواه وقيل في رجب وعليـه العمل الآن وقيل غير ذلك. وأما منامًا فوقع له ذلك ثلاثًا وثلاثين مرة على ما ذكره الشعراني وفرضت عليه في تلك الليلة الصلوات الخمس قيل كما هي الآن في عدد الركعات وهو الأصح وقيل ركعتين ركعتين ثم فرض عام الهجرة بعدها إتمام الرباعية أربعًا والثلاثية ثلاثًا في الحضر وكانت الصلاة أول الإسلام ركعتـين بالغداة قال الحلبى أى قبل طلوع الشمس وركعتين بـالعشى قال الحلبي أى قبل غـروب الشمس والأكثر على أن الـبداءة بصلاة ظهر اليـوم التالى لتلك الليـلة قال الخطيب: فإن قـيل فلم لم يبدأ بالصـبح؟ وأجاب بجـوابين : الأول أنه حـصل التصـريح بأن أول وجـوب الخمس مـن الظهر وعـزاه للمجـموع . الثاني أن الإتيـان بالصلاة متوقف عـلى بيانها ولم تبين إلا عـند الظهر انتهى وقيل كانت البداءة بصلاة صبحه .

(فائـدة) قال صاحب الـكنز المدفون سـألني سائل عـن ركوبه ﷺ البـراق ليلة الإسراء هل انتهـى به إلى بيت المقدس خاصة أم صعـد عليه السموات؟ قـال فتأملت الأحاديث الواردة في ذلك فوجدت منها ما هـو ساكت عن ذلك ومنها ما هو مصرح بالثانى ومنه حديث أنس أخرجه الإمام أحمد بن عـفان أنبأنا همام قال: سمعت قتادة يحدث أنس فذكره ولفظه «ثم أتيت بدابة قال : فحملت عليه فانطلق بي جبريل حتى أتى بي إلى الـسماء الدنـيا ولم يذكـر بيت المقدس» وفـي رواية حذيفـة « والله سارا بالبراق حتى فتحت لهما أبواب السـماء فرأيا الجنة والنار» رواه الترمذي . قال الحلبي كانت صلاتـه ﷺ قبل فرض الصلوات الخمـس إلى الكعبة وبعده إلـى بيت المقدس جاعلا الكـعبة بينه وبيت بيت المقـدس ليكون مستقـبلا لها أيضًا فلمـا قدم المدينة لم يمكنه هذا الجعل فشق عليـه استدبار الكعبة فهذا سبب تحـويل القبلة (وفي هذه الليلة) شق صدره ﷺ وقد وقع شق صدره الشريف ﷺ خـمس مرات: مرة فى طفولته عند حليمة وهي متـفق عليها، ومرة وهو ابن عشر سنين وأشهـر رواها مسلم، ومرة ليلة الإسراء ، ومرة حـين جاءه الملك بالوحى ذكرهـا بعضهم ، ومرة فـى النوم وفى ليلة الإسـراء رأى ربه بعـينى رأسـه على الصـحيـح وكلمـه، ورؤيته لـه فى الدنيـا من خصوصيـاته ﷺ وهى مستحيلة شـرعًا على غيره في الدنيا، ولما أصبـح أخبر الناس فكذبه الكفار وسألوه عن صـفة بيت المقدس ولم يكن رآه قبل فرفعـه له جبريل حتى وصفه لهم .

فصل
في ذكر الهجرة وما يتصل بها

قال أهل السيـر: لما أبرم عقد المبايعة بين النبـي ﷺ وبين أهل المدينة ولم يقدر أصحابه أن يقيـموا بمكة من إيذاء المشركين ولم يصبروا على جـفوتهم رخص لهم في الهجـرة إلى المدينة روى عن عائشـة رضي الله عنها أنهـا قالت: لما اشتد الـبلاء على المسلمين من المشركين شكوا إلى رسول الله ﷺ ثم استأذنوه فى الهجرة فقال قد رأيت دار هجرتكم وهى أرض سبخة ذات نخل بـين لابتين ثم مكث بعد ذلك أيامًا وخرج إلى أصحـابه وهو مسرور فـقال قد أخبـرت بدار هجرتكم ألا وهي يثـرب فمن أراد منكم الخروج فليخـرج فخرجوا أرسالا أى قطائع سرًا إلا عمـر بن الخطاب فإنه أعلن بالهجرة ولم يمنعه أحد من كفار مكة هو وأخوه زيد بن الخطاب ولم يبق معه ﷺ إلا أبو بكر الصديق وعلى بن أبي طالب كذا قـال ابن إسحاق وغيره، ثم لما رأت قريش أن رسول الله ﷺ أصـاب منعـة وأصحـابًا بغيـر بلدهم ورأوا خـروج أصحـابه من المهاجرين إليهم تحذروا خروجه ﷺ واجتمعوا بدار الندوة للمشاورة وهى دار قصي بن كلاب وكـانت قريش لا تقضي أمـرًا إلا فيها وفـيها يتـشاورون وحجبـوا الناس عن الدخول إليهم لئـلا يدخل أحد من بني هاشم فيطلع على حـالهم قال ابن دريد كانوا خمـسة عشر رجـلا وقال ابن دحية كـانوا مائة رجل ولما جلـسوا للتشاور تـبدى لهم إبليس في صورة شـيخ نجدي جليل وفي رواية وبيده عكازة يـتوكأ عليها وعليـه جبة صوف وبرنس أخضر متطيلسًا فـوقف على باب الدار فلما رأوه قالوا من الشيخ؟ قال شيخ من أهل نجد سمع بـالذي تواعدتم له فحضر معكم ليسـمع ماتقولون وعسى ألا يعدمكـم منه رأى ونصح وإن كنتم تكرهون جـلوسى معكم فلا أقـعد معكم فـقالت قريش بعضهم لبعض هذا الرجل من نجد لا مـن مكة ولايضركم حضوره فشرعوا في

الكلام وقال بعضهم لبعض إن هذا الرجل يعني محمداﷺ قد كان من أمره ماكان وإنا والله لانأمن منه الوثوب علينا بمن اتبعه فأجمعوا فيه رأيًا فقال أبو البحتري بن هشام وفي رواية قال هشام بن عمرو رأيي أن تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غيركّوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من الشعراء من كان قبله كزهير والنابغة فصرخ عدوّ الله الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم والله لو حبستموه لخرج أمره من وراء الباب إلى أصحابه فوثبوا وانتزعوه من أيديكم قالوا صدق الشيخ وقال هشام وفي رواية أبو البحتري رأيي تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به فوالله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحمل على حيّ من العرب فيغلب عليهم من قوله وحديثه فيبايعوه ثم يسير بهم فيطأكم به فقالوا صدق والله الشيخ فقال أبو جهل والله إن لي فيه لرأيًا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم؟ فقال رأيي أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابًا جلدًا نسيبًا وسيطًا فينا ثم نعطي كل فتى سيفًا صارمًا ثم يعمدون إليه فيضربونه ضربة رجل واحد فيقتلونه فنستريح منه فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلا تقدر بنو عبد مناف علي حرب قومهم جميعًا فيرضون منا بالعقل قال الشيخ النجدي لعنه الله القول ما قال هذا الفتى وهو أجودكم رأيا ولا أرى لكم غيره فتفرقوا على رأي أبي جهل مجمعين على قتله فأخبر جبريل رسول الله ﷺ بذلك وقال له لاتبت على فراشك الذي تبيت عليه الليلة وأذن الله تعالى له عند ذلك بالخروج إلى المدينة فأمر رسول الله ﷺ عليًا رضي الله عنه أن ينام على فراشه فنام فى مضجعه وقال اتشح ببردتى فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه ثم خرج رسول الله ﷺ فأخذ قبضة من تراب وأخذ الله تعالى أبصارهم عنه وجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يقرأ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ

---

(١) سورة ايس آية ٨ . . .

أَغْلالاً - إلى قوله - فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾[1] قال ابن إسحاق إن رسول الله ﷺ فيما يلغنى أخبر عليًا بخروجه وأمره أن يتخلف بعده بمكة ليؤدي عنه الودائع التي كانت عنده وكانت الودائع تودع عنده ﷺ لصدقه وأمانته وبات المشركون يحرسون عليًا على فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فأتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا فقالوا محمدًا فقال قد خيبكم الله والله قد خرج عليكم ما ترك منكم أحدًا إلا وضع على رأسه التراب وفي رواية أبي حاتم وصححها الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلا منهم حصاة إلا قتل يوم بدر كافرًا وذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[2]. وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : « كان لا يخطئ أن يأتى رسول الله ﷺ بيت أبي بكر أحد طرفي النهار إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن الله تعالى فيه لرسوله في الهجرة أتانا رسول الله ﷺ بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها قالت فلما رآه أبو بكر قال ما جاء رسول الله ﷺ فى هذه الساعة إلا لأمر حدث قالت فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختى أسماء بنت أبي بكر فقال رسول الله ﷺ أخرج عنى من عندك فقال يا نبي الله هما ابنتاي وفي رواية البخاري إنما هم أهلك وما ذاك فداك أبي وأمي قال إن الله تعالى قد أذن لي في الخروج والهجرة قالت فقال أبو بكر الصحبة يارسول الله قال نعم وفي الجمل على الهمزية قال أبو بكر فخذ إحدى راحلتيّ وكان قد اشترى راحلتين أى ناقتين قبل ذلك بستة أشهر فعلفهما منتظرًا للخروج عليهما فقال النبى آخذها فأخذها منه بأربعمائة درهم كما أشتراها أبو بكر وقيل إنه أبرأه منها فيما بعد وبقيت هذه الناقة عند النبي مدة حياته حتى ماتت في خلافة أبي بكر وتزودا أى أخذا الزاد من بيت أبي بكر وخرجا منه ليلة الجمعة فوصلا إلى غار ثور ليلا فأقاما فيه بقية ليلتهما وليلة السبت وليلة الأحد وخرجا من ليلة الاثنين ودخلا المدينة يوم الاثنين فكانت مدة سفرهما ثمانية أيام ولما فقدته قريش

(١) سورة يس آية : ٨ .
(٢) سورة الأنفال آية ٣٠ . . .

طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا الـقافة أثره فى كل وجه فوجد الذي ذهب قبل ثور أثره هنالـك فلم يزل يتـبعه حـتى انقطع ذلـك الأثر عند ثور وشق علـيهم خـروجه وجزعـوا منه وجعلوا لمن رده مـائة ناقة ولما دخل الغـار أنبت الله على بابه شـجرة أم غيلان فحجبـت عن الغار أعين الناس وأرسل الله حمامتين وحشيتين فـوقفتا على فم الغار ، وروى أنهـما باضتا وأمـر الله العنكبوت فنسج فـى أعلاه وجاء فتيـان قريش بسلاحهم وجعل بعضهم ينظر في الغار فلم ير إلا حـمامتين فعرفوا أنه ليس فيه أحد وقال بعضهم ادخلوا الغار فقال أميـة بن خلف لعنه الله وما حاجتكم في الغار إن فيه عنكبـوتًا أقدم من مـيلاد محـمد اهـ . روى الشـيخـان عن أنس قال قـال أبو بكر: «نظرت إلى أقـدام المشركين من الغار علـى رءوسنا فقلت يارسـول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبـصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالـثهما ، وروى أن النبى ﷺ قال اللهم أعم أبـصارهم فعميت عـن دخولهم الغار، وقد أشـار لذلك صاحب البردة بقوله :

وما حوى الغار من خير ومن كـرم	**وكل طرف من الكفار عنه عمـــى**
فالصدق فى الغار والصديق لم يرما	**وهم يقولون ما الغار مـــــن أرم**
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت علـى	**خير البرية لم تنسج ولـــــم تحم**
وقاية الله أغنت عن مضاعفـــــة	**من الدروع وعن عال من الأطـــم**

وكان عبد الرحمن بن أبى بكر مع صغر سنه يأتـيهما ليلا بخبر قريش ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح كبائت بمكة وكـان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يأتيهما كل ليلة بما يغذيهما من لبن واستأجرا عـبد الله بن الأرقط ليدلهما على الطريق ولم يعرف له إسلام ودفعا راحلتيهما له ووعداه غـار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما وخرجا وساروا وسار معهم عامـر بن فهيرة وأخذوا طريق البحر وبينـما هم فى الطريق إذ عرض لهم سراقـة بن مالك فسـاخت قدما فـرسه إلى ركـبتيهـا والأرض صلبة فناداهـم بالأمان فخلصت فأتاهم وعرض عليهم الزاد والمتاع فأبوا وقالوا أخف عنا فرجع وصار لايلقى أحدًا إلا رده ويقـول سبـرت الطريق فلم أجـد أحدًا وإلى هذا أشـار البوصيـرى فى

الهمزية بقوله :

ونحا المصطفى المدينة واشتـــــا قت إليه من مكة الأنحــــــاء
وتغنت بمدحه الجن حتـــــى أطرب الإنس منه ذاك الغنــــاء
واقتفى أثره سراقه فاستهـــــــ وته فى الأرض صافن جــــرداء
ثم ناداه بعد ما سيمت الخســـــ ف وقد ينجد الغريق النــــداء

ووقع فى طريق الهجرة عـجائب منها أنهم مرورا بقديد على أم معـبد الخزاعية وكانت تطعم وتسقى من يمر بها وكانت السنة مجدبة فطلبوا منها لبنًا أو لحمًا يشترونه فلم يجدوا فنظـر ﷺ إلى شاة خلفها الجهـد والضعف عن أن تسرح مع صواحـباتها فسألها هل بهـا لبن؟ فقالت هى أجهد من ذاك فقال أتأذنين لى أن أحـلبها قالت نعم فدعا بها وبإناء فاعـتقلها ومسح ضرعها وسمى الله تعالى فـدرت فحلب وسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب ثانيًا وذهبوا فجاء زوجها فأخبرته الخبر فقال هذا والله صاحب قـريش ولو رأيته لاتـبعته. وفـي سيرة الحلبـي : أن أم معبـد هاجرت وأسلمت وكذا زوجهـا وأخوها وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول الـرجل المبارك وبقيت تلك الشاة يحلبونها ليلا ونهاراً إلى أن مـاتت في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ومنها ما رواه الزمخشري في ربيع الأبرار عن هند بنت الجون نزل رسول الله ﷺ خيمة خالتها أم معبد فقـام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج في عوسجة إلى جانب الخيمة فأصبحنا وهى كأعظم دوحة وجاءت بثمرة كأعظم ما يكون في لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهـد ما أكل منها جائع إلا شبع ولا ظمآن إلا روى ولا سقيـم إلا برئ ولا أكل من ورقها بعـير ولا شاة إلا در لبنهـا فكنا نسميـها المباركة ويأتيـنا من البوادي من يستشفي بـها ويتزود منها حتى أصـبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها وصغر ورقها ففزعنا فما راعنا إلا نعي رسول الله ﷺ ثم إنها بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك من أسـفلها إلى أعلاها وتساقط ثمرها وذهبت نضـرتها فما شعـرنا إلا بقتل أمـير المؤمنين علي رضي الله عـنه فما أثمـرت بعد ذلك وكنا نـنتفع بورقها ثم أصـبحنا وإذا بها قد نبـع من ساقها دم عبـيط وقد ذبل ورقها فبـينما نحن فزعون مهمـومون إذ أتانا خبر قتل الحسين بن علي رضي الله عنهـما ويبست على أثر ذلك وذهبت انتهى. ولما سمع المسلمون بالمديـنة بمقدمه ﷺ صاروا يخرجون كل يوم

إلى الحرة ينتظـرون إلى الظهيرة فانتظروا يـومًا وعادوا إلى بيوتهم وإذا بيـهودي ارتقى مكانًا عـاليًا فرآه مقـبلا فصاح وقـال هذا جدكم أى حظكم يا بنـي قيلة أى الأوس والخزرج فخـرجوا إليه سراعًـا بسلاحهم فنـزل بقباء وكان يوم الاثنـين قيل أول ربيع الأول وقيل ثانى عـشر وأدركه عليّ كرم الله وجهــه هو من معه من ضعـفاء المسلمين بقباء ولم يقم بعد خروج النبى ﷺ بمكة إلا ثلاثة أيام ثم أمر رسول الله ﷺ بالتاريخ فكتب من حين الهجـرة وكانوا قبل ذلك يؤرخون بعام الفيل وأقـام ﷺ بقباء فى بني عمرو بن عوف اثنين وعـشرين يومًا وقيل أربع عشرة ليلة وقـيل ثلاثًا وقيل أربعة أيام يوم الاثنين والثلاثاء والأربعـاء والخميس وأسس مسجده علـى التقوى من أول يوم ثم خرج رسول الله ﷺ من قـباء يوم الجمعة حين ارتفع الـنهار فأدركته الجمـعة فى بنى سالم بن عوف فـصلاها بمن كان معه من المسلمين وكـانوا مائة فى بطن وادى رانوناء براء مهـملة ونونين ممدودًا ثـم ركب ﷺ وسار فكان كلـما مر بدار مـن دور الأنصار سألوه الـنزول عندهم فيـقول خلوا سـبيلهـا أى ناقته فـإنها مـأمورة وأرخى زمامـها فاستـمرت إلى أن بركت بموضع باب المسجـد ثم ثارت وهو عليها حـتى بركت بباب أبي أيوب رئيس بني النجار أخوال عبد المـطلب ثم ثارت وبركت في مبركها الأول ثم صوّتت فنزل عـنها وقال هذا المنزل إن شـاء الله تعالى وفرح أهل المدينة بـقدومه ﷺ فرحًا شديدًا قال أنس بن مالك رضى الله عـنه لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء وصعدت الخدور على الأجاجين عند قدومه ويقلن :

طلع البدر علينـــــــــــا	من ثنيات الـــــــــــوداع
وجب الشكر علينـــــــــا	ما دعـــــــــــا لله داع
أيها المبعوث فينـــــــــا	جئت بالأمر المطـــــــاع

وروى البيهقى عن أنس قال : لما بـركت الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار من بنى النجار يقلن :

نحن جوار من بني النجـــــــار	ياحبذا محمد من جـــــــار

فقال ﷺ أتحبـبننى ؟ قلن نعم يارسول الله فقال عليـه الصلاة والسلام إن قلبي يحبكن وكان مـبرك ناقته ﷺ مربدا للتمـر بكسر الميم وفتح الموحدة أى محـلا لجمعه وتجفيـفه ليتـيمين فى حجر أسـعد بن زرارة فدعا بهـما وكان جالـسًا بدار أبى أيوب

وساومهما على المربد فقالا بل نهبه لك يارسول الله فأبى أن يقبله هبة وابتاعه منهما بعشرة دنانير أداهما من مال أبي بكر ثم بنى فيه مسجده وسقفه بالجريد وجعل عمده جذوعًا وجعل ارتفاعه قامة وجعل قبلته إلى بيت المقدس إلى أن حولت القبلة إلى الكعبة فحولها ثم زاد فيه النبي ﷺ بعد فتح خيبر لكثرة الناس، فلما استخلف أبو بكر لم يحدث فيه شيئًا ، فلما استخلف عمر رضي الله عنه وسعه بدار العباس بن عبد المطلب وكان عمر سأله يبيعها فوهبها العباس لله وللمسلمين، ثم لما استخلف عثمان بن عفان رضي الله عنه بناه بالحجارة وجعل أعمدته حجارة وسقفه بالساج وزاد فيه ونقل إليه الحصى من العقيق وبنى ﷺ فى ذلك المريد حجرتى زوجتيه سودة وعائشة وأما بقية حجر زوجاته فبناها بعد عند الحاجة إليها ومكث ﷺ في بيت أبي أيوب سبعة أشهر إلى أن أتم المسجد والحجرتين وفي شرح المقاصد قال وفي الصحيح في ذكر بناء المسجد كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبى ﷺ فجعل ينفض التراب عنه ويقول ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار ويقول عمار أعوذ بالله من الفتن اهـ. وكان النبي ﷺ ينقل معهم الصخر ويقول:

اللهم لا خير إلا خير الآخره فانصر الأنصار والمهاجره

وحصل لأبى بكر وبلال وبعض المهاجرين كعامر بن فهيرة وعك بالمدينة روى أن هواء المدينة كان عفنا وخما وكانت مشهورة بالوباء فى الجاهلية فإذا دخلها غريب يقال له إن أردت أن تسلم من الوعك والوباء فانهق مثل الحمار فإذا فعل سلم فاستوخم المهاجرون هواء المدينةولم يوافق مزاجهم فمرض كثير منهم وضعفوا حتى لم يقدروا على الصلاة قيامًا فكان المشركون والمنافقون يقولون أضناهم حمى يثرب نقله بعضهم . وفى البخاري عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وعك قال القسطلاني بضم الواو وكسر العين أى حم أبو بكر وبلال قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك؟ قالت فكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول :

كل امرئ مصبح فى أهله والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلــة بواد وحولي إذخر وجليـــل

وهل أردن يومًا مياه مجــنة وهل يبدون لى شامة وطفيــل

قالت عائشة فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال : اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا فى صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة قال القسطلاني وكانت إذ ذاك مسكن اليهود وهى الآن ميقات مصر وفيه جواز الدعاء على الكفار بالأمراض والهلاك والدعاء للمسلمين بالصحة وإظهار معجزته ﷺ فإن الجحفة من يومئذ لايشرب أحد من مائها إلا حم اهـ. وكان بلال يقول اللهم العن شيبة بن ربيعة وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباء وآخى ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد ثمانية أشهر من مقدمه كذا في أسد الغابة فعقدوا عقدها وقيل كتبوا بذلك كتابًا وكان ذلك في دار أنس بن مالك وفي رواية في المسجد على أن يتوارثوا بعد الممات دون ذوي الأرحام ثم نسخ قيل لم يقع به توارث بل نسخ الحكم قبل العمل به وخط ﷺ للمهاجرين فى أرض ليست لأحد وفيما وهبته له الأنصار .

فصل
فى ذكر شىء من خصائصه ودلائل نبوته ﷺ

الكلام على خصائصه ﷺ منحصر فى ثمانية أنواع :

(النوع الأول ما اختص به في ذاته فى الدنيا) اختص ﷺ بأنه أول النبيين خلقًا وبتقدم نبوته نبيًا وآدم منجدل فى طينته وتقدم أخذ الميثاق عليه وأنه أول من قال بلى يوم ألست بربكم وخلق آدم وجميع المخلوقات لأجله وكتابة اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما فى الملكوت وذكر الملائكة له فى كل ساعة وذكر اسمه فى الأذان والتبشير به في الكتب السابقة ونعته فيها ونعت أصحابه وأمته وحجب إبليس من السموات لمولده وشق صدره على قول وجعل خاتم النبوة بظهره بإزاء قلبه حيث يدخل الشيطان، وسائر الأنبياء كان الخاتم فى يمينهم وبأن له ألف اسم وبأنه سمى من أسماء الله بنحو سبعين اسمًا عدها مسلم وبأنه سمى أحمد ولم يسم أحد قبله وبأنه أرجح الناس عقلا وبأنه أوتي كل الحسن ولم يؤت يوسف إلا الشطر وبغطه ثلاثًا عند ابتداء الوحي عدها البيهقي وبرؤيته جبريل على صورته التى خلق عليها وبانقطاع الكهانة لمبعثه وحراسة السماء وبإحياء أبويه له حتى آمنا به وبوعده بالعصمة من الناس وبالإسراء وما تضمنه من اختراق السموات السبع والقرب إلى قاب قوسين وبوطئه مكانًا ما وطئه نبي مرسل ولا ملك مقرب وإحياء الأنبياء له وصلاته بهم والملائكة وباطلاعه على الجنة والنار ورؤيته للباري تعالى مرتين وقتال الملائكة معه وإيتائه الكتاب وهو أمي لايقرأ ولا يكتب وبأن كتابه محفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور ومشتمل على ما اشتمل عليه جميع الكتب وزيادة جامع لكل شيء مستغن عن غيره ميسر للحفظ وبأنه معجزة مستمرة إلى يوم الدين ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها.

(النوع الثانى ما اختص به وأمته فى شرعه ﷺ) اختص ﷺ بإحلال الغنائم

وجعل الأرض كلها مسجدًا ولم تكن الأمم تصلي إلا فى البيع والكنائس والتيمم والوضوء على قول وهو الأصح فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم وبمجموع الصلوات الخمس وبالعشاء ولم يصلها أحد وبالأذان والإقامة وافتتاح الصلوات بالتكبير وبالتأمين وبالركوع على ما ذكره جماعة من المفسرين وبقول الله ربنا ولك الحمد وباستقبال الكعبة وبالصف في الصلاة كصفوف الملائكة وبالجماعة فى الصلاة وبتحية السلام وبالجمعة وبساعة الإجابة وبعيد الأضحى وشهر رمضان وأن الشياطين تصفد فيه وأن الجنة تزين فيه وأن خلوف فم الصائم فيه أطيب عند الله من ريح المسك وباستغفار الملائكة لهم حتى يفطروا وبالغفران فى آخر ليلة منه وبالسحور وتعجيل الفطر وبإباحة الأكل والشرب والجماع ليلا إلى الفجر وكان محرمًا على من قبلنا بعد النوم وكذا كان فى صدر الإسلام وبليلة القدر كما قاله النووي في شرح المهذب وبجعل صوم عرفة كفارة سنتين لأنه سنته وصوم عاشوراء كفارة سنة لأنه سنة موسى وغسل اليدين بعد الطعام بحسنتين لأنه شرعه وقبله بحسنه لأنه شرع التوراة وبالاسترجاع عند المصيبة وبالحولقة وباللحد ولأهل الكتاب الشق وبالنحر ولهم الذبح قاله مجاهد وعكرمة وبالعذبة للعمامة وهى سيما الملائكة وبالاتزار فى الأوساط وأن أمته خير الأمم وآخر الأمم ففضحت الأمم عندهم ولم يفضحوا واشتق لهم اسمان من أسماء الله المسلمون والمؤمنون وسمى دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم ورفع الإصر عنهم الذى كان على الأمم قبلهم وإحلال كثير مما شدد على من قبلهم ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج ورفع المؤاخذة بالخطإ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس وأن من هم بسيئة ولم يفعلها لم تكتب سيئة فإن عملها كتبت سيئة واحدة ومن هم بحسنة ولم يعملها كتبت حسنة فإن عملها كتبت عشرًا ووضع عنهم قتل النفس فى التوبة وقرض موضع النجاسة وربع المال فى الزكاة وشرع لهم نكاح أربع ورخص لهم نكاح الكتابية ونكاح الأمة ومخالطة الحائض سوى الوطء وفى إتيان المرأة على أى شق شاء وشرع لهم التخيير بين القصاص والدية وحرم عليهم كشف العورة والتصوير وشرب المسكر وعصموا من الاجتماع على ضلالة وإجماعهم حجة واختلافهم رحمة وكان اختلاف من قبلهم عذابًا والطاعون لهم شهادة ورحمة وما

دعوا استجيب لـهم ويغفر ذنوبهم بالاستغفار ووعـدوا ألا يهلكوا بجوع ولا بعدوّ من غيرهم يستأصلهم ولا يعذبون بعذاب عـذب به من قبلهم وإذ شهد الاثنان منهم لعبد بخير وجبت له الجنة وكانت الأمم السالفـة إذا شهدت منهم مائة ردت شهادتهم وهم أقل الأمم عمـلا وأكثرهم أجـرًا وأقصرهم أعـمارًا واوتوا العلم الأول والعـلم الآخر وفتح عليهم خزائن كل شيء حتى العلم وأوتوا الاسناد والإنساب والإعراب وتصنيف الكتب ولاتزال طائفة منـهم على الحق حتى يأتى أمر الله وفيهـم أقطاب وأوتاد ونجباء وأبدال ومنهم من يصلى إمامًـا بعيسى بن مريم ومنهم من يجـرى مجرى الملائكة فى الاستغناء عن الطعام بالتسبيح ويقاتلـون الدجال وعلماؤهم كأنبياء بنى إسرائل وتسمع الملائكة فى السماء أذانهم وتلبيتهم وهم الحامدون لله على كل حال ويكبرون على كل شرف ويسبحـون عند كل هبوط ويقولون عند إرادة فعل الأمـر إن شاء الله تعالى وإذا غضـبوا هـللوا وإذا تنازعـوا سبـحوا ومـصاحـفهم فى صـدورهم وسـابقهم سـابق ومقتصدهم ناج وظالمهم مغفور له ويلبسون ألوان ثياب الجنة ويراعون الشمس للصلاة وهم أمة وسط عدول بتزكـية الله لهم وتحضرهم الملائكة إذا قاتلوا وافـترض عليهم ما افترض على الرسل والأنـبياء وهو الوضوء والغسل من الجنابـة والحج والجهاد وأعطوا من النوافل ما أعطى الأنبياء وقال الله فى غيرهم ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[1]. وفى حقهم. ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[2]. ونودوا فى القرآن بيا أيها الذين آمنوا ونوديت الأمم فى كتـبهم بيا أيها المساكين وشتان ما بين الخطابين.

(النوع الثالث ما اختص به فى ذاته فى الآخرة) اختص ﷺ بأنه أول من تنشق عنه الأرض وأول من يفيق من الصعقة وبأنه يحشر فى سبعين الف ملك ويحشر على البراق ويؤذن باسـمه فى الموقف ويكسى فى الموقف أعظم الحلل مـن الجنة وبأنه يقوم على يمين العرش وبالمقام المحمـود وأن بيده لواء الحمد وآدم ومن دونه تحت لوائه وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيـبهم وأول من يؤذن له بالسجود وأول من يرفع رأسه

---

(١) سورة الأعراف آية ١٥٩ . . .   (٢) سورة الأعراف آية ١٨١. . . .

وأول من ينظر إلى الله تعـالى وأول شافع وأول مشفـع وبالشفاعة العظـمى فى فصل القضاء وبالـشفاعة فى إدخال قوم الجـنة بغير حساب وبالـشفاعة فيمن اسـتحق النار الايدخلها وبالشفـاعة فى رفع درجات ناس فى الجنة جوز اختصـاصها النووي والتى قبلهـا به وبالشفاعة فـيمن خلد في النار من الكفـار أن يخفف عنهم وبالشـفاعة فى أطفال المشركين ألا يعذبوا وأنه أول من يجـوز على الصراط وأن له فى كل شعرة من رأسه ووجهه نورًا وليس للأنبياء إلا نوران وبـأمر أهل الجمع بغض أبصارهم حتى تمر بنته على الصراط وأنه أول من يقرع أبواب الجنة وأول من يدخلها وبعده أمته وبالكوثر والوسيلة وهي أعلى درجـة فى الجنة وقوائم منبره ذوائب الجنة ومنبـره على ترعة من ترع الجنة وما بين قبره ومنبرة روضه من رياض الجنة ولا يطلب منه شهيد على التبليغ ويطلب من سائر الأنبيـاء وكل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سبـبه قيل إن أمته ينسبون إليه يوم القيامة وأمم سائر الأنبياء لاينسبون إليهم وقيل ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب ، والله أعلم بالصواب.

(النوع الرابع ما اخـتص به فى أمته فى الآخرة) اختـص ﷺ بأن أمته أول من تنشق عنهم الأرض مـن بين الأمم ويأتون يوم القيامـة غرا محجلـين من آثار الوضوء ويكونون فى الموقف على كوم عال ولهم نوران كالأنـبياء وليس لغيرهم إلا نور واحد ولهم سيما فى وجوههم من أثر السجود ويؤتون كتبهم بأيمانهم وعجل الله عذابها فى الدنيا وفي البرزخ لتوافى القيامة ممحصـة الذنوب وتدخل قبورها بذنوبها وتخرج منها بلا ذنوب تمحص عنها باستغفار المؤمنين لهـا وما سعت وما سعى لها وليس لمن قبلهم إلا ما سعى، قـاله عكرمة ويقضى لهم قـبل الخلائق ويدخل منهم الجنة سبـعون ألفا بغير حساب .

(النوع الخامس ما اختص به من الواجبات لحكمة زيادة الزلفى والدرجات)

اختص ﷺ بوجـوب صلاة الضحى والوتر والتـهجد أى صلاة الـليل والسواك والأضحية والمشاورة على الأصح، وركعتي الفـجر لحديث فى المستدرك وغيره وغسل الجمـعة ، ورد فى حديث ضـعيف وقضـاء دين من مات من المـسلمين معسـرًا على

الصحيح وقيل كان يفعله تكرمًا وأن يقول إذا رأى ما يعجبه لبيك إن العيش عيش الآخرة فى وجه حكاه فى الروضة وأصلها وأن يؤدى فرض الصلاة كاملة كما ذكره الماوردي وغيره ولا يسقط عنه الصوم والصلاة وسائر الأحكام كما فى زوائد الروضة عن القفال وجزم به ابن سبع .

(النوع السادس ما اختص به من المحرمات) اختص ﷺ بتحريم الزكاة والصدقة عليه وفى صدقة التطوع قولان كذا نقل عن مغلطاي وتحريم الزكاة على آله قيل والصدقة أيضًا وعليه المالكية وعلى موالي آله فى الأصح وتحريم كون آله عمالا على الزكاة فى الأصح وصرف النذر والكفارة إليهم وأكل ثمن أحد من ولد إسمعيل ورد به حديث فى المسند والمنّ ليستكثر ومد العين إلى ما منع به الناس ونكاح الكتابية قيل والتسري بها ونكاح الأمة المسلمة ولو قدر نكاحه أمة كان ولده منها حرًا ولا يلزمه قيمته ولا يشترط في حقه حينئذ خوف العنت ولا فقد الطول وله الزيادة على واحدة قال إمام الحرمين ولو قدر نكاح الغرر فى حقه لايلزمه قيمة الولد قال ابن الرفعة وفى تصور ذلك فى حقه نظر.

(النوع السابع ما اختص به من المباحات) اختص ﷺ بإباحة المكث فى المسجد جنبًا وفيها خلاف وبأنه لاينتقض وضوؤه بالنوم مضطجعًا ولا باللمس أى بلمس المرأة والذكر فى أحد وجهين وبإباحة الصلاة بعد العصر وبإباحة النظر إلى الأجنبيات والخلوة بهن ونكاح أكثر من أربع نسوة وكذلك الأنبياء والنكاح بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبلا وليّ وبلا شهود وفي حال الإحرام وبغير رضا المرأة فلو رغب فى نكاح امرأة خلية لزمها الإجابة وحرم على غيره خطبتها أو مزوّجة وجب على زوجها طلاقها وكان له تزويج المرأة ممن شاء بغير إذنها وإذن وليها وله أن يتزوجها بغير إذنها وإذن وليها وله إجبار الصغير من غير بناته وزوّج ابنة عمه حمزة مع وجود عمها العباس وقدم الأقرب وقال لأم سلمة مري ابنك أن يزوجك فزوجها منه وهو يومئذ صغير وزوجه الله من زينب فدخل بها بتزويج الله بغير عقد ، وعبر فى الروضة عن هذه بقوله وكانت المرأة تحل له بتحليل الله وله نكاح المعتدة من غيره في وجه حكاه

الرافعي والجمع بين المرأة وأختها وعمتها وخالتها فى أحد وجهين وبين المرأة وبنتها فى وجه حكاه الرافعي وعتق أمته وجعل عتـقها صداقها وترك القسم بين أزواجه في أحد وجهين وهو المختار ولا يجب عليه نفقتهـن فى وجهه كالمهر وعلى الوجوب لا يقتدر ولا ينحـصر طلاقه فى الـثلاث فى أحد وجـهين وعلى الحصـر قيل تحل له من غـير محلل وقيل لا تحل له أبدًا وكان له أن يستثنى في كلامه بعد حين ولا يكره له الفتوى والقضـاء في حال الغضـب ذكره النووي في شرح مـسلم وكان له أن يدعـو لمن شاء بلفظ الصلاة وليس لنا أن نصلى إلا على نبى أو مـلك وضحى عن أمته وليس لأحد أن يضحى عن غيـره إلا بإذنه وكان يقطع الأراضي قبل فتـحها لأن الله ملكه الأرض كلها، وأفتى الغزالي بكفر من عارض أولاد تميم الداري فيما أقطعه لهم وقال إنه ﷺ كان يقطع أرض الجنة فأرض الدنيا أولى .

(النوع الثامن ما اختص به من الكرامات والفضائل) اختص ﷺ بأنه كان يرى من خلفه كـما يرى من أمامه فى الليل والظلـمة كما يرى بالنهار والـضوء وبأن ريقه يعذب الماء الملح ويغذي الرضيع وإبطه أبيض غير متغير اللون لا شعر عليه وما تثاءب قط ولا احتلم قط وكذلـك الأنبياء الثلاثة وعرقه أطيب مـن المسك وكان إذا مشى مع الطويل طالـه وإذا جلس تكون كتـفه أعلى مـن جميع الجـالسين ولم يقع ظـله على الأرض ولا رؤي له ظل في شـمس ولاقمـر ولايقع ذباب عـلى ثيابه ولا آذاه قـمل وكانت الأرض تطـوى له إذا مشى وأعطى قـوة أربعين في الجماع والـبطش عن أنس قال: « فضلت على الناس بأربـع بالسماحة والشجاعة وكثـرة الجماع وشدة البطش». كذا في سـيرة مغلطاي ولم ير لـه أثر قضاء حاجـة بل كانت الأرض تبتلعـه وكذلك الأنبياء وكان يبيت جـائعًا فيصبح طاعمًا يطعمه ربه ويسـقيه من الجنة ولم يضغط في قبره وكذلك الأنبـياء ولا يسلم منها الصالح ولا غيره ولاتأكل السـباع جسده وكذلك الأنبياء ولايجـوز للمضطر أكل ميتـة نبي، وهو حي فى قبره يصلى فيـه بأذان وإقامة وكذلك الأنبـياء، ولهذا قيـل لا عدة على أزواجه، وموكـل بقبره ملك يبلـغه صلاة المصلين وتعرض علـيه أعمال أمته ويـستغفر لهم والمصـيبة بموته عامـة لأمته إلى يوم

القيامة ومن رآه فى المنام فقد رآه حقًا فإن الشيطان لايتمثل بصورته ومن أمره بأمر فى المنام وجب عليه امتثاله في أحد وجهين واستحب فى الآخر وقراءة أحاديثه عبادة يثاب عليها وتثبت صحبته لمن اجتمع به ولو لحظة بخلاف التابعى مع الصحابة فلا تثبت إلا بطول الزمن عند أهل الأصول والفرق عظم منصب النبوة فكان ﷺ بمجرد ما يقع بصره على الأعرابي الجلف ينطق بالحكمة وأصحابه كلهم عدول فلا يبحث عن عدالة أحد منهم كما يبحث عن سائر الرواة ولايكره للنساء زيارة قبره كما يكره لهن زيارة سائر القبور بل يستحب كما قاله العراقي في نكته والمصلى بمسجده لايبصق عن يساره كما هو فى السنة فى سائر المساجد. ويحرم التقدم عليه ورفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول ونداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد ، وتجب محبة أهل بيته وأصحابه، ومن قذف أزواجه فلا توبه له البتة كما قال ابن عباس وغيره ولم تبغ امرأة نبي قط وأولاد بناته ينسبون إليه ولا يتزوج على بناته ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار. وفي هذا القدر كفاية لأولى الأبصار، وقد جمع بعض خصائصه ﷺ جلال الدين السيوطي في رسالة سماها «أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب» .

(وأما دلائل نبوته ﷺ) التى في الكتب السالفة كالتوراة والإنجيل فقدَ أخبر بها الثقات ممن أسلم من علماء اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام وكعب الأحبار وأسيد وهم ممن أسلم من علماء اليهود وبحيرا ونسطورا الحكيم وصاحب بصرى وضغاطر وأسقف الشام والجارود وسلمان النجاشي وأساقف نجران وغيرهم ممن أسلم من علماء النصارى، وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالم النصارى والمقوقس صاحب مصر، وروى عن كعب الأحبار أنه قال نجد مكتوبًا يعنى في التوراة : محمد رسول الله عبد مختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، أمته الحمادون يكبرون الله في كل نجد ويحمدونه في كل منزل رعاة للشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها يأتزرون على أنصافهم ويتوضئون على أطرافهم مناديهم ينادي فى السماء صفهم فى القتال وصفهم فى الصلاة سواء لهم دوى فى الليل كدوى النحل، مولده بمكة ومهاجرته بطابة وملكه بالشام ، نقله

بعضهم عن المصابيح ، وعند عبد الله بن سلام: إنا لنجد صفة رسول الله ﷺ يعني في التوراة: يا أيها النبى إنا أرسالناك شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا وحرزًا للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل لست بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ولا تدفع السيئة بالسيئة ولكن تعفو وتغفر ولن أقبضك حتى أقيم بك الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله وأفتح بك أعينًا عميًا وآذانا صمًا وقلوبًا غلفًا كذا ذكره البيهقي في دلائل النبوة وعن عبد الله بن سلام قال إن في الجزء الآخر الذي تتم به التوراة آية من جملتها بالعربية هكذا جاء الله ، وفى المواهب تجلى الله من طور سيناء وأشرف من ساعير واستعلن من جبال فاران وهم اسم عبراني وليست ألفه الأولى همزة وهى جبال بني هاشم التى كان رسول الله ﷺ يتحنث فى أحدها وفيه ابتداء الوحي وهي ثلاثة أجبل أحدها أبو قبيس والثانى فيقعان والثالث حراء وهو شرقي فاران ومنفتحه الذي يلي قيقعان إلى بطن الوادي وهو شعب بني هاشم وفيه مولده ﷺ فى أحد الأقوال قال ابن قتيبة وليس فى هذا غموض لأنه أراد مجيء كتابه ونوره كما قال الله عز وجل : ﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾[1] . أى أتاهم أمره قال العلماء وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف فى أن فاران هى مكة والمراد إنزاله القرآن على محمد ﷺ وظهور أمره وشريعته والله أعلم. ومن دلائل نبوته ﷺ خاتمة الذي بين كتفيه ، ومن البشائر ما روى عن أبى بن كعب لما قدم تبع المدينة ونزل بقباء إلى أحبار اليهود فقال إني مخرب هذا البلد حتى لايقوم به يهودية ويرجع الأمر إلى دين العرب فقال شامول اليهودي وهو يومئذ أعلمهم أيها الملك إن هذا البلد يكون إليه مهاجر نبي من ولد إسمعيل مولده مكة واسمه أحمد وهذه دار هجرته وإن منزلك الذى أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كثير فى أصحابه قال تبع فمن يقاتله وهو نبي كما تزعمون؟ قال يسير إليه قوم فيقتتلون هنا قال فأين يكون قبره؟ قال بهذا البلد قال فإن قوتل فلمن تكون الدائرة؟ قال تكون عليه مرة وله مرة وبهذا المكان الذي أنت به

---

(١) سورة الحشر آية ٢ . . .

غلبته فـيقتل به أصحابه مـقتلة ثم يقتلون فى مـواطن ثم تكون العاقبة له فـيظهر فلا ينازعه فى هذا الأمـر أحد قال وما صفتـه؟ قال رجل ليس بالقصـير ولا بالطويل فى عينيه حمرة يركب البعير ويلبيس الشملة سيفه على عاتقه لايبالي من لاقى له أخ وابن عم حتى يظهر أمره قـال تبع فما لي بهذا البلد من سبيل ومـا كان ليكون خرابه على يدي ، فخـرج تبع. وفي المحـاضرات والمسامـرات لسيدي مـحيي الديـن: أن كعب الأحبار رأى حبراً من الـيهود يبكى فقال ما يبكيك؟ قال ذكـرت بعض الأمر فقال له كعب أنشدك الله لئن أخبرتك ما أبكاك لتصدقنى قال نعم قال أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب إني أجد أمة في التوراة خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهـون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الأول والكتاب الآخر ويقـاتلون أهل الضلالة حـتى يقاتلوا الأعور الـدجال قال موسى رب اجـعلهم أمتى قال هم أمة أحـمد ياموسى؟ قال الحبر نعم قال كعـب فأنشدك بالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن مـوسى نظر فى التوراة فقال رب إني أجد أمـة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون إذا أرادوا أمـراً قالوا نفعله إن شاء الله فاجلعهـم أمتى قال هم أمة أحمد ياموسى؟ قـال الحبر نعم، قال كعب أنشدك بالله هـل تجـد في كتاب الله المنزل أن موسى نظر في التـوراة فقال يارب إنى أجد أمة إذا أشرف أحدهم عـلى شرف كبر الله وإذا هبط واديًا حمـد الله الصعيد لـهم طهور والأرض لهم مسـجد حيثمـا كانوا يطهـرون من الجنابة طهـورهم بالصـعيد كطـهورهم بالماء حـيث لا يجدون المـاء غر محجلون من أثر الوضوء فاجلعهم أمتي قـال هم أمة أحمد ياموسى؟ قال الحبر نعم، قال كعب أنشدك بالله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال رب إني أجد أمة مـرحومة ضعفـاء يرثون الكتاب فاصطفيـتهم فمنهم ظالم لنفـسه ومنهم مقتصد ومنهم سـابق بالخيرات فلا أجد واحدًا منهم إلا مرحومًا فـاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد يامـوسى؟ قال الحبر نعم، قال كعب أنشـدك الله هلا تجد في كتاب الله المنزل أن موسى عـليه السلام نظر في الـتوراة فقال رب إنى أجـد أمة مصاحـفهم فى صدورهم يلبسون ثـياب أهل الجنة يصطفون فى صلاتهم كصـفوف الملائكة أصواتهم

فى صلاتهم كـدوي النحل لايدخل النار منهم أحـد إلا من برئ من الحسنات مـثلما برئ الحجر من ورق الـشجر قال موسى فاجـعلهم أمتي قال هم أمة أحـمد ياموسى؟ قال الحبـر نعم، قال كعب أنشدك بـالله هل تجد في كتاب الله المنزل أن مـوسى عليه السلام لما نزلت عليه التوراة وقرأها فوجد فيها ذكر هذه الأمة قال يارب إني أجد فى الألواح أمة هم السابقون المشفوع لهم فاجـعلهم أمتي قال تلك أمة أحمد، قال يارب إني أجد في الألواح أمة هم المسبـحون المستجيبون والمستجاب لهـم فاجعلم أمتى قال تلك أمة أحمد، قال يارب إنى أجد فى الألواح أمـة يأكلون الفيء فاجعلهم أمتي فإن تلك أمة أحـمد؟ قال يارب إنـي أجد في الألواح أمة يجـعلون الصدقـة في بطونهم يؤجرون عليها فاجلعهم أمتى قال تلك أمة أحمد، قال يارب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنـة فلم يفعلها كتبت له حـسنة واحدة وإن عملها كتـبت له عشر حسنات فاجعلهم أمتى قال تلك أمـة أحمد قال يارب إنى أجد في الألواح أمة إذ هم أحدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملهـا كتبت سيئة واحدة فاجعلهم أمتي قال تلك أحـمد، قال يارب إنـي أجد فى الألواح أمـة يؤتون العلم الأول والعلـم الآخر فيقتلون قـرون الضلالة المسيح الدجال فاجلعـها أمتى قال تلك أمة أحـمـد، قال الحبر نعم . فلما عجب موسى عليه السلام من الخير الذي أعطاه الله محمداً ﷺ وأمته قال ياليتنى من أصحاب محمـد؛ وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال يارب اجعلني من أمة مـحمد قال الحبر نعم فأوحى الله تعالـى إليه ثلاث آيات يرضيه بهن : ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ- إلى قوله - دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾(١) ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾(٢). انتهى .

(وأما أسمـاؤه ﷺ فكثيرة) بعضـها ورد فى القرآن وبعضهـا ورد فى الأحاديث الصحيحـة وبعضها ورد فى الكتب السـالفة وقد قالوا كثرة الأسـماء تدل على شرف

---

(١) سورة الأعـراف آية ١٤٤ ، ١٤٥ . . .   (١) سورة الأعراف آية ١٥٩ . . .

المسمى واختلفوا فى أن الاسم هو عين المسمى أو غيره. أما فى القرآن فمحمد وأحمد والرسول والنبى والشاهد والبشير والنذير والمبشر والمنذر والداعي إلى الله والسراج المنير والرءوف الرحيم والمصدق والمذكر والمزمل والمدثر وعبد الله والكريم والحق المبين والنور وخاتم النبيين والرحمة والنعمة والهادي وطه ويس على قول. وأما ما فى الأحاديث فمنها الماحى والحاشر والعاقب والمقفى ونبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملاحم ورحمة مهداة والقتال والمتوكل والفاتح والخاتم والمصطفى والأمى. وأما ما فى كتب الأنبياء فمنها الضحوك وحمياطا أو حمطايا وأحمد وبارقليط وفارقليط وفى المواهب اللدنية وحمياطا بفتح الحاء المهملة وسكون الميم قال أبو عمرو سألت بعض من أسلم من اليهود عنه فقال معناه يحمى الحر من الحرام ويوطئ الحلال وأما أحيد بهمزة مضمومة ثم حاء مهملة مكسورة ثم مثناة تحتية ساكنة فدال قال القسطلانى كذا وجدته فى بعض نسخ الشفاء المعتمدة والمشهور ضبطه بفتح الهمزة وكسر الحاء وسكون المثناة التحتية فقال النووي فى تهذيب الأسماء واللغات عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ اسمى في القرآن محمد وفي الإنجيل أحمد وفى التوراة أحيد لأنى أحيد عن أمتى نار جهنم وأما حمطايا بفتح الحاء المهملة وسكون الميم فقال الهروي أى حامي الحرم وأما بارقليط وفارقليط بالموحدة وبالفاء وفتح الراء والقاف وسكون الراء مع فتح القاف وبكسر الراء وسكون القاف فقد وقع فى إنجيل يوحنا ومعناه روح الحق وقال ثعلب معناه الذي يفرق بين الحق والباطل ومعلوم أن كثر هذه الأسماء المذكورة صفات وإطلاق الاسم عليها مجاز.

(فائدة) ذكر الحسين بن محمد الدمغانى فى كتاب شوق العروس وأنس النفوس نقلا عن كعب الأحبار أنه قال اسم النبى ﷺ عند أهل الجنة عبد الكريم وعند أهل النار عبد الجبار وعند أهل العرش عبد الحميد وعند سائر الملائكة عبد المجيد وعند الأنبياء عبد الوهاب وعند الشيطان عبد القهار وعند الجن عبد الرحيم وفى الجبال عند الخالق وفى البر عبد القادر وفى البحر عبد المهيمن وعند الحيتان عبد القدوس وعند الهوام عبد الغياث وعند الوحوش عبد الرزاق وعند السباع عبد السلام وعند البهائم

عبد المؤمن وعند الطيور عبد الغفار وفى التوراة موذ موذ وفى الإنجيل طاب طاب وفى الصحف عاقب وفى الزبور فاروق وعند الله طه ويس وعند المؤمنين محمد ﷺ ذكر هذا كله القسطلانى في المواهب وذكر فيه من الأسماء والألقاب والكنى ما يزيد على أربعمائة قال ابن دحية أسماؤه ﷺ تقرب من الثلثمائة وأنهاها بعض الصوفية إلى ألف

(وأما ألقابه ﷺ) فكثيرة مثل صاحب البراق وصاحب التاج والمراد به العمامة لأن العمائم تيجان العرب كما جاء في الحديث وصاحب المعراج الهراوة والنعلين وصاحب الخاتم والعلامة وصاحب البرهان والحجة وصاحب الحوض المورود والمقام المحمود وصاحب الوسيلة وصاحب الفضيلة وصاحب الدرجة الرفيعة وصاحب الشفاعة وسيد أولاد آدم وسيد المرسلين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب ورسول رب العالمين والمصطفى والمجتبى والمزكى .

(وأما كنيته) ﷺ المشهورة فأبو القاسم لأن أكبر أولاده القاسم والعرب تكنى الشخص بأكبر أولاده فى الغالب .

فصل
فى ذكر بعض شمائله ومعجزاته ﷺ

فى أسد الغابة وغيره كان ﷺ فخمًا مفخمًا يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أطول من المربوع وأعظم من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر لايجاوز شعره شحمة أذنه أزهر اللون ليس بالأبيض الأمهق ولا بالآدم سهل الخدين ليس بالطويل الوجه ولا بالكلثم واسع الجبين أزج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب أقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج ضليع الفم أشنب مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة معتدل الخلقة بادنًا متماسكًا سواء البطن والصدر عريض بعيد مابين المنكبين جليل الكتدين بين منكبيه خاتم النبوة وهو شامة سوداء تضرب إلى الصفرة حولها شعرات متواليات كأنها من عرف فرس ضخم الكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كخط عارى الثديين والبطن أشعر الذراعيين والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينوب عنهما الماء إذا زال زال تقلعا يخطو تكفؤًا ويمشى هونا ذريع المشيه كأنما ينحط من صبب وإذا التفت التفت جميعًا من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبه خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه يبدأ من لقيه بالسلام متواصل الأحزان دائم الفكر ليس له راحة لاينطق فى غير الحاجة طويل السكوت يفتح الكلام ويختمه بباسم الله ويتكلم بجوامع الكلم فضلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثًا ليس بالجاحف ولا المهين يعظم النعم وإن دقت لايذم شيئا منها ولايذم مذاقًا ولا يمدحه بل إن أعجبه أكل منه وإلا تركه يأكل بأصابعه الثلاث وربما استعان بالرابع ويلعق إذا فرغ الوسطى فالتي تليها فالإبهام ويشرب فى ثلاثة أنفاس مصًا لا عباً قاعدًا وشرب قائما يأكل ما وجد ولايتكلف ما فقد وإذا لم يجد شيئا

حتى شد الحجر على بطنه وطوى الليالى المتتابعة لاتغضبه الدنيا ولا ماكان لها ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها وإذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها كلها وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام وكان أكثر طعامه التمر وما أكل خبزًا منخولا ولا على خوان بل كان يأكل على السفرة وربما وضع طعامه على الأرض ولايأكل متكئًا وكان يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد وماكان هذا لضيق بل باختياره وكان يعجبه من اللحم الذراع وكان يحب الدباء ويتتبعها من جوانب القصعة والبقلة الحمقاء والعسل والحلوى وأحب الفاكهة إليه العنب والبطيخ قال الغزالى كان يأكل البطيخ بخبز وبسكر ويستعين بيديه جميعًا اهـ. وكان يدفع ضرر الأطعمة بعضها ببعض فربما أكل تمرًا بزبد وبطيخًا أو قثاء برطب وكان لايأكل وحده ونهى عن أكل الخبز وحده والنوم عقب الأكل وكان يلبس ما يجد وكثيرًا ما يلبس ثوبًا واحدًا ولا يسبل القميص والإزرار بل يجعلهما فوق كعبيه أو إلى نصف ساقه ويجعل كم قميصه إلى الرسغ وكان أحب الثياب إليه القميص وليست عمامته كبيرة ولا صغيرة قال المناوي لم يتحرر فى طولها وعرضها شيء ولبس العمامة البيضاء والسوداء والصفراء والأكثر البيضاء وكان فى الغالب يرخى لعمامته عذبة بين كتفيه أقل ما ورد فى قدرها أربعة أصابع وأكثره ذراع ولبسها قلنسوة وبغيرها والقلنسوة بدون عمامة وكان يكثر التقنع واشترى السراويل وكان أحب الصبغ إليه الصفرة ولبس خاتمًا من فضة فصه منه وخاتمًا من فضه فصه عقيق فى اليمين تارة وفى اليسار أخرى ولكنه فى اليمين أكثر يجعل الفص جهة كفه وكان نقش خاتمه محمد رسول الله ثلاثة أسطر وكان فراشه من أدم حشوه ليف وربما نام على الحصير وعلى الأرض وكان يحب الطيب ويكتحل عند النوم بالإثمد ثلاثا فى كل عين ويدهن رأسه ويأخذ بالمقص أطراف شاربه ومن عرض لحيته وطولها ويسرحها بالمشط مع الماء وكان ﷺ لايجلس ولايقوم إلا بذكر الله تعالى ولايوطن الأماكن وينهي عن إيطانها وإذا جلس إلى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك يعطى كل من جالسه حقه لا يحسب جليسه أن أحدًا أكرم عليه منه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو ما يسره من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى

الحق سواء مجلسه حلم وحياء وصبر وأمانه لاترفع عنده الأصوات وكان ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لايشتهى ولا يؤيس ولا يخيب فيه مؤمله قد تطهر من ثلاث المراء والإكثار ومالا يعنيه وتزكي الناس نفسه من ثلاث كان لايذم أحدًا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولايتكلم إلا فيما يرتجى ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأن على رءوسهم الطير فإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده إن تكلم أنصتوا له حتى يفرغ وكان لايقطع على أحد حديثه خدمه أنس بن مالك رضي الله عنه عشر سنين إلى أن توفاه الله تعالى فما قال لشيء فعله لم فعلته ولا لشيء لم يفعله لم لم تفعله ما عاب طعامًا كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه كان يقول فى السراء الحمد لله المنعم المتفضل وكان يقول فى الضراء الحمد لله على كل حال وكان يذكر الله على كل أحيانه وكان يسلم على العبيد والإماء والصبيان وكان يمازح الصغير ويلاعب الوليد ويمازح العجوز ولا يقول إلا حقًا ، روي « أن امرأة جاءته فقالت يارسول الله احملنى على جمل فقال إنما أحملك على ولد الناقة قالت لايطيقنى قال لا أحملك إلا على ولد الناقة قالت لايطيقنى فقال لها الحاضرون وهل الجمل إلا ولد الناقة» . وجاءت له امرأة أخرى فقالت يارسول الله زوجى مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذي في عينيه بياض فرجعت وفتحت عين زوجها فقال لها ما لك فقالت أخبرنى رسول الله ﷺ أن فى عينيك بياضًا فقال وهل أحد إلا وفى عينيه بياض وقالت له امرأة أخرى يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال يا أم فلان : «إن الجنة لايدخلها عجوز» . فولت المرأة باكية فقال ﷺ : «إنها لاتدخلها وهى عجوز إن الله يقول : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ [1]. وكان ﷺ يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويقول : «لو دعيت إلى كراع لأجبت» وكان يخصف نعله ويحلب شاته ويركب الحمار ردفًا ويرقع الثوب ويطحن مع الخادم ويأكل معه ويحمل بضاعته من السوق ويصافح الغني والفقير ويخالط أصحابه ويحادثهم ويمازحهم ويلاعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره

---

(١) سورة الواقعة آية ٣٧.

وما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك وقال : « ولا تفضلوني على يونس بن متى ولا ترفعـوني فوق قدري فتقولون فيّ ما قـالت النصارى فى المسيح إن الله اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا». وكان يأخذ الخبيص ويقول : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد». وروى أنه ﷺ دخل عليه رجل فقام بين يديه وأخذته رعدة من هـيبته فقال له هوّن عليك فإنـى لست بملك ولا جبار وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد بمكة فنطق الرجل بحاجته . وعن البراء بن عازب قال رأيـت رسول الله ﷺ يوم الخندق ينـقل التراب حـتى وارى التراب صـدره وكان ينقل اللبن على عاتقـه مع أصحابه عند بناء مسجده ﷺ هذا ولسـان حاله يفصح عن قوله ﷺ : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر» .

(فائدة) قال أبو هريرة رضى الله عنه سادات الأنبياء خمسة نوح وإبراهيم الخليل وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسـلامه عليهم أجمعين. وتوفى ﷺ وليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء قال أبو بكر يارسول الله قد شبت فقال ﷺ «شيبتنى هود والواقـعة والمرسلات وعمّ يتساءلون وإذا الشـمس كوّرت». رواه التـرمذي وفى رواية « شيبتنى هود وأخواتها ». وبالجـملة فهو ﷺ أجل وأعظم من أن يحيط ناعت بوصفه ولكن ما وصفه إلا بقدر ما ظهر له منه ﷺ .

(وأما معجزاته ﷺ فكثيرة) : منها القرآن وهـو أعظمها وانشقاق القمر فرقتين حين طلبت منه قريش آية فـكانت فرقة على جبل أبى قبيس وفـرقة دونه وشاهد ذلك الداني والقاصى واستمر كذلك حتى غـرب وكانت ليلة أربعة عشر فازداد الذين آمنوا إيمانًا وقالت الكفار هذا سحـر مستمر وكان انشقاقه فى السنة التـاسعة من النبوّة وشق صدره وإخبـاره عن بيت المقدس صبح ليلة الإسـراء حين سأله المشركون عن صـفته وحبس الشمس له عن الغـروب حتى قدمت العير التي لقيته فـى منصرفه من المعراج وأخبرهم بأنها تقدم فى يوم كذا فلمـا كان ذلك اليوم دنت الشمس للغروب ولم تجئ العير وردها بعد غروبها على بن أبى طالب بدعوته ﷺ ليدرك عليّ صلاة العصر أداء وخروجه على المجتمعين بباب داره ليقـتلوه ووضعه التراب على رءوسهم ولم يشعروا ورميه يوم حنين قبـضة من تراب فى وجوه القوم فهزمهم الله تعـالى ونسج العنكبوت

على فم الغار ووقوف الحمامتين الوحشيتين على بابه ونبات الشجرة فى بابه وما جرى لسراقة وشاة أم معبد ودعوته لعمر بن الخطاب رضى الله عنه أن يعز الله به الإسلام فكان ذلك ودعوته لعلي رضي الله عنه أن يذهب الله عنه الحر والبرد فلم يشتك واحدًا منهما بعد فكان يلبس ثياب الشتاء فى الصيف وثياب الصيف فى الشتاء ولا يتأثر ولعبد الله بن عباس أن يعلمه الله التأويل ويفقهه فى الدين فكان ذلك ولأنس بن مالك بطول العمر وكثرة المال والولد فعاش فوق المائة وكان من أكثر الأنصار مالا ولم يمت حتى رأى مائة ذكر من صلبه وشهادة الضب له بالرسالة والذئب كذلك فقد ورد أنه أخذ شاة فانتزعها الراعي منه فقال ألا تتقى الله تنزع منى رزقًا رزقه الله إلىّ فتعجب الراعي من كلامه فقال له الذئب ألا أخبرك بأعجب من ذلك محمد بيثرب يخبر الناس بأخبار ما قد سبق وبما هو آت فأتى الراعى النبى ﷺ وأخبره بذلك فجاء الذئب فقال ﷺ هذا وافد الذئاب جاء يسألكم أن تجعلوا له شيئًا من أموالكم قالوا والله لانفعل وأخذ رجل من القوم حجرًا فرماه به فأدبر وله عواء وفى رواية أن الذئب قال للراعى أنت أعجب فقال له لم فقال لأن النبى بعث بيثرب وأنت مع غنمك تارك له وبينك وبينه هذا الجبل فقال للذئب إذا مضيت إليه فمن يحرس غنمي قال الذئب أنا أحرسها لك فذهب والذئب يحرسها إلى أن وصل إليه ﷺ فأسلم ورجع فوجدها بحالها والذئب يحرسها فذبح له شاة منها وأطعمها له وحديث الضب مشهور على الألسنة قال الجمل لكنه غريب ضعيف بل قال بعضهم لا يصحّ إسنادًا ولا متنًا وهو أن أعرابيًا اصطاد ضبًا فلما رأى النبي طرحه بين يديه وقال لا أومن بك حتى يؤمن بك هذا الضب فقال ياضب قال لبيك وسعديك قال من تعبد؟ قال الذى فى السماء عرشه وكلمات أخرى قال من أنا قال أنت رسول الله رب العالمين فأسلم الأعرابى وشهادة الظبية له بالرسالة وقد روى حديثها البيهقى وأبو نعيم والطبرانى قال الحافظ ابن كثير لا أصل له ومن نسبه إلى النبى فقد كذب وهو بينما رسول الله ﷺ فى صحراء إذ هتف هاتف وقال يارسول الله ثلاث مرات فالتفت فإذا ظبية مشدودة فى وثاق أعرابى نائم عندها فقال ما حاجتك فقالت صادنى هذا الأعرابى ولى فى هذا الجبل ولدان فأطلقنى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت عذبنى الله عذاب

العشار أى المكاس إن لم أفعل فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فانتبه الأعرابى فقال يارسول الله ألك حاجة؟ قال نعم تطلق هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو فى الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله . ومن معجزاته ﷺ حين الجذع الذى كان يخطب إليه لما فارقه للمنبر وكان عمودًا من عمدان المسجد إذ كانت عمدانه خشب نخل كسقفه فلما صنع له المنبر ثلاث درجات وضعه موضع المنبر الذي بمسجده الآن ثم جاء يوم الجمعة فوقف على المنبر فصاح الجذع حتى سمعه كل من فى المسجد حتى ارتج المسجد من صياحه وحتى تصدع أى الجذع وانشق فنزل ﷺ وضمه إليه حتى سكن وقال والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل يصوّت هكذا إلى يوم القيامة وخيره بين أن يعيده إلى مغرسه فيثمر كما كان وبين أن يغرسه فى الجنة يأكل أهلها من ثمره فقال أختار دار البقاء على دار الفناء وأمر به فدفن وقد احترق فى حريق المسجد الذى وقع فى القرن السادس انتهى. جمل على الهمزية. ومن معجزاته ﷺ شهادة الشجر له بالرسالة وإتيانه إليه فستره حتى قضى حاجته وسكون جبل أحد لما ضربه عليه الصلاة.والسلام برجله وشكوى بعير أعرابى له قلة العلف وكثرة العمل وشكوى بعض الطيور له أخذ بيضه فأمر من أمر برده وتسبيح الحصى فى كفه وتسبيح الطعام بين أصابعه ونبع الماء من بينها حتى روى الجيش العظيم وسقوا إبلهم وخيلهم وملئوا أسقيتهم وقد وقع ذلك مرارًا وإطعام ألف من صاع من شعير بالخندق وقد وقع منه تكثير الطعام القليل مرارًا ورد عين قتادة بن النعمان بعد أن سالت على خده فكانت أحسن عينيه وتفله فى عين علي بن أبى طالب رضى الله عنه وهو أرمد يوم حنين فعوفى من ساعته ولم ترمد بعد ذلك وعلى عينى رجل ابيضتا حتى لم يبصر بهما شيئًا فأبصر ومسحه على رأس الأقرع فذهب داؤه وعلى رجل عبد الله بن عتيك وقد كانت انكسرت فكأنها لم تنكسر قط وإحياء بنت دعا أباها إلى الإسلام فقال لا أؤمن بك حتى تحيي لى ابنتى فذهب معه إلى قبرها فناداها فقالت لبيك وسعديك فقال أتحبين أن ترجعي إلى الدنيا فقالت لا والله إنى وجدت الله خيرًا لى من أبويّ ووجدت الآخرة خيرًا من الدنيا وإحياء أبويه له حتى آمنا به على ما قيل وإعطاؤه عكاشة بن محصن يوم بدر جزلا من حطب فانقلب فى يده سيفًا وكذلك وقع

لعبد الله بن جحش يوم أحد وإخباره بالمغيبات كإخباره عن مصارع المشركين يوم بدر فلم يعد أحد منهم مصرعه وبموت النجاشي يوم موته وصلى عليه يوم موته مع أصحابه وقوله لثابت بن قيس: « تعيش حميداً وتقتل شهيداً» . فقتل يوم اليمامة وقوله للحسن بن علي رضي الله عنهما: « ان ابنى هذا سيد ولعل الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين» . فصالح معاوية وإخباره بأن عثمان بن عفان تصيبه بلوة شديدة فحوصر فى داره وقتل وبأن عمر يموت شهيداً وقوله للزبير فى حق عليّ تقاتله وأنت ظالم له وقوله لعمار تقتلك الفئة الباغية فقتل بصفين وقوله لعلي بن أبى طالب: « أشقى الناس رجلان الذى عقر الناقة والذى يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه حتى تبتل منه هذه وأشار إلى لحيته» . فكان كما قال وقوله لزوجاته ليت شعري أيتكن ينبحها كلاب الحوءب أيتكن صاحبة الجمل الأدبب بدال مهملة فموحدتين أى كثير الشعر يقتل حولها كثير فكانت عائشة رضي الله عنها ومعجزاته ﷺ لاتحصى وفضائله لا تستقصى ﷺ .

فصل
فى ذكر نبذة من أحاديثه الشريفة ﷺ

ينكشف لك بها وجه قوله ﷺ : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصاراً»وكلها صحيحة الأسانيد لم يقع فيها حديث ضعيف إلا نادراً سبق به القلم التقطتها من الجامع الصغير برمزها وهاهى هذه: ابن آدم عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك ابن آدم لا بقليل تقنع ولا بكثير تشبع. ابن آدم إذا أصبحت معافى فى جسدك آمنًا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفاء (عدهب) عن ابن عمر. أتانى جبريل فقال : يامحمد عش ما شئت فإنك ميت وأحبب من شئت فإنك مفارق واعمل ماشئت فإنك مجزى به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل وعزه استغناؤه عن الناس الشيرازي فى الألقاب (ك هب) عن سهل بن سعد (هب) عن جابر (حل) عن علي، أتانى جبريل فقال: بشر أمتك أنّ من مات لايشرك بالله شيئًا دخل الجنة قلت ياجبريل وإن سرق وإن زنى قال نعم قلت وإن سرق وإن زنى قال: نعم قلت وإن سرق وإن زنى قال: نعم وإن شرب الخمر (حم ت ن حب) عن أبى ذر. اتبعوا العلماء فإنهم سرج الدنيا مصابيح الآخرة (فر) عن أنس . أتركو الترك ماتركوكم فإن أول من يسلب أمتى ملكهم وما خولهم الله بنو قنطوراء (هب) عن ابن مسعود . اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن (حم ت ك هب) عن ابي ذر (حم ت هب) عن معاذ وابن عساكر عن أنس . اتق الله ولاتحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى وأن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط وإياك وإسبال الإزار فإن إسبال الإزرار من المخيلة ولايحبها الله وإن امرؤ شتمك وعيرك بأمر ليس هو فيك فلا تعيره بأمر هو فيه ودعه يكون وباله عليه وأجره لك ولا تسبنّ أحداً . الطيالسى (حب) عن جابر بن سليم . اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا وأحب

للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ولاتكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب (حم ت حب) عن أبى هريرة. اتق دعوة المظلوم فإنما يسأل الله تعالى حقه وإن الله تعالى لن يمنع ذا حق حقه (خط) عن علي . اتقوا الله في الصلاة اتقوا الله في الصلاة أتقوا الله فى الصلاة اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم اتقوا الله فى الضعيفين المرأة الأرملة والصبي اليتيم (هب) عن أنس . اتقوا الله فى الضعيفين المملوك والمرأة . ابن عساكر عن ابن عمر. اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم (حم خدم) عن جابر. اتقوا النار ولو بشق تمرة فإن لم تجدوا فبكلمة طيبة (حم ق) عند عدي . اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده أنها لأسحر من هاروت وماروت. الحكيم عن عبد الله بن بسر المازنى. اثنان لاينظر الله إليهما يوم القيامة قاطع الرحم وجار السوء (فر) عن أنس . اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر (ك هب) عن ابن عباس. اجتنبوا الوجوه لاتضربوها (عد) عن أبي سعيد. اجتنبوا التكبر فإن العبد لايزال يتكبر حتى يقول الله : اكتبوا عبدي هذا في الجبارين. أبو بكر ابن لال في مكارم الأخلاق وعبد الغني بن سعيد فى إيضاح الإشكال (عد) عن أبى أمامه. أحب الأعمال إلى الله أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله (حب) وابن السنى في عمل يوم وليلة (طب هب) عن معاذ . أحب الأعمال إلى الله من أطعم مسكينًا من جوع أو دفع عنه مغرمًا أو كشف كربًا (طب) عن الحكم بن عمير. أحب الأعمال إلى الله بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم (طب) عن ابن عباس. أحب الأعمال إلى الله حفظ اللسان (هب) عن أبى جحيفة . أحب الأعمال إلى الله الحب فى الله والبغض فى الله (حم) عن أبي ذر. أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقًا (طب) . عن أسامة بن شريك. أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي (ع حب هب) والضياء عن جابر. أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا (ت هب) عن أبى هريرة (طب)

عن ابن عمر عن ابن عمرو (قط) فى الإفراد (هد هب) عن علي (خد هب) عن علي موقوفًا أحب العرب لثلاث : لأنى عربي والقرآن عربى وكلام أهل الجنة فى الجنة عربى (عق طب ك هب) عن ابن عباس. أحبسوا صبيانكم حتى تذهب فوعة العشاء فإنها ساعة تخترق فيها الشياطين (ك) عن جابر. أحسنوا إقامة الصفوف فى الصلاة (حم حب) عن أبى هريرة. احفظ ود أبيك لا تقطعه فيطفئ الله نورك (خد طس هب) عن ابن عمر. أخبرنى جبريل أن حسينًا يقتل بشاطئ الفرات. ابن سعد عن علي . اختلاف أمتى رحمة. نصر المقدسي فى الحجة والبيهقي فى الرسالة الأشعرية بغير سند وأورده الحليمي والقاضي حسين وإمام الحرمين وغيرهم ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل إلينا. اخلعوا نعالكم عند الطعام فإنها سنة جميلة (ك) عن أبى عبس بن جبير. أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك ولاتخن من خانك (تخ دت ك) عن أبي هريرة (قط) والضياء عن أنس (طب) عن أبي أمامة (د) عن رجل من الصحابة (قط) عن أبى بن كعب . أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب أهل بيته وقراءة القرآن فإن حملة القرآن فى ظل الله يوم لاظل إلا ظله مع أنبيائه وأصفيائه. أبو نصر عبد الكريم الشيرازي في فوائده (فر) وابن النجار عن علي. أدخل الله الجنة رجلا سهلا مشتريًا وبائعًا قاضيًا ومقتضيًا (حم ن هـ ب) عن عثمان ابن عفان . ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فإن الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحى بجار السوء (حل) عن أبى هريرة. أدنى أهل الجنة منزلة الذى له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء (حم ت حب) والضياء عن أبي سعيد. أدنى جبذات الموت بمنزلة مائة ضربة بالسيف. ابن أبى الدنيا فى ذكر الموت عن الضحاك بن حمزة مرسلاً. إذا آتاك الله مالا فليُر عليك فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسنًا ولا يحب البؤس ولا التباؤس (تح طب) والضياء عن زهير بن أبى علقمة. إذا ابتغيتم المعروف فاطلبوه عند حسان الوجوه (عد هب) عن عبد الله بن جراد. إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علمًا

يقربني إلى الله تعـالى فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليـوم (طس عد حل) عن عائشة. إذا أتاكم الزائر فأكرموه (هـ) عن أنس . إذا أتاكمْ السائل فضعوا فى يده ولو ظلفًا محرقًـا (عد) عن جابر . إذا أحب الله عبدًا ابتلاه ليسـمع تضرعه (هب فر) عن أبى هريرة (هب) عن ابن مسعود وكردوس موقوفًـا عليهما. إذا أحب الله عبدًا حماه من الدنيا كما يـحمى أحدكم سقيمه الماء (ت ك هب) عن قـتادة. إذا أحب الله عبدًا قذف حبه فى قـلوب الملائكة وإذا أبغض الله عبدًا قذف بغضـه فى قلوب الملائكة ثم يقذفه فى قلوب الآدمـيين (حل) عن أنس. إذا أحب أحدكم صاحبه فـيلأته في منزله فليخبره أنه يحبه لله (حم) والضياء عن أبي ذر. إذا أراد الله بعبد خيرًا فقهه في الدين وألهمه رشده والبـزار عن ابن مسعود. إذا أراد الله بأهل بيت خيرًا فـقههم فى الدين ووقر صغـيرهم كبيرهم ورزقـهم الرفق فى معيشتـهم والقصد فى نفقـاتهم وبصرهم عيوبهم فيتوبوا منها وإذا أراد بهـم غير ذلك تركهم هملا (قط) فى الإفراد عن أنس. إذا أراد الله قبض عبـد بأرض جعل له فيها حاجـة (طب حم حل) عن أبى عزة. إذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقـولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره فإذا مضى أمـره رد إليهم عقولهم ووقعت الندامـة (فر) عن أنس وعلي. إذا أراد الله بقوم قحطًا نادى مناد في السـماء يا أمعاء اتسعي ويا عين لاتشبـعي ويا بركة ارتفعي. ابن النجار فى تـاريخه عن أنس وهو مما بيض له الديلمي. إذا أراد أحـدكم من امرأة حاجته فليأتها وإن كـانت على تنور (حم طب) عن طلق بن علي. إذا أردت أن تذكر عيـوب غيرك فـاذكر عيوب نـفسك. الرافعي فـي تاريخ قزوين عن ابن عـباس. إذ استـيقظ الرجل من اللـيل وأيقظ أهله وصليـا ركعتين كـتبا من الـذاكرين الله كثـيرًا والذاكرات (د ن هـ حب ك) عن أبي هريرة وأبى سعيد مـعًا. إذا اشترى أحدكم لحمًا فليكثر مرقته فإن لم يصب أحدكم لحـمًا أصاب مرقًا وهو أحد اللحمين (ت ك هب) عن عبد الله المزنـي. إذا أصاب أحدكم مصيـبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجـعون اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرنى فيها وأبدلنى بها خيرًا منها (دك) عن أم سلمة (ت هـ)

عن أبى سلمة . إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء كلها تبكر إلى اللسان فتقول اتق الله فينا فإنما نحن بك فإن استقمت استقمنا وإن اعوججت اعوججنا (ن) وابن خزيمة (هب) عن أبى سعيد. إذا أعطى الله أحدكم خيراً فليبدأ بنفسه وأهل بيته (حم م) عن جابر بن سمرة. إذا أكل أحدكم طعامًا فليلعق أصابعه فإنه لايدري في أى طعامه تكون البركة (حم م ت) عن أبي هريرة (طب) عن زيد بن ثابت . طس) عن أنس. إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله (حم م د) عن أبى عمر (ن) عن أبى هريرة. إذا التقى المسلمان فتصافحا وحمدا الله واستغفرا غفر لهما (د) عن البراء. إذا أم أحدكم الناس فليخفف فإن فيهم الصغير والكبير والضعيف والمريض وذا الحاجة وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء (حم ق ت) عن أبى هريرة. إذا أنفق الرجل على أهله نفقه وهو يحتسبها كانت له صدقة (حم ق ن) عن ابن مسعود. إذا أنفقت المرأة من بيت زوجها غير مفسدة كان لها أجرها بما أنفقت ولزوجها أجره بما كسب وللخازن مثل ذلك لاينقص بعضهم من أجر بعض شيئًا (ق ع) . عن عائشة رضي الله عنها. إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفضه بداخلة إزاره فإنه لايدرى ما خلفه عليه ثم ليضطجع على شقه الأيمن ثم ليقل باسمك ربى وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (ق د) عن ابي هريرة . إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح (خم ق) عن أبي هريرة. إذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال ها ضحك منه الشيطان (خ) عن أبى هريرة. إذا دعي أحدكم إلى وليمة فليجب وإن كان صائما ابن منيع عن أبى أيوب. إذا ذكر أصحابي فأمسكوا واذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا (طب) عن ابن مسعود (عد) عنه وعن ثوبان (عد) عن عمر. إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها وليخبر بها وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها ولايخبر بها (ت) عن أبى هريرة. إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها فيبصق عن يساره ثلاثًا وليستعذ بالله من الشيطان ثلاثا

وليتحول عـن جنبه الذي كان عليه (م د هـ) عن جابر. إذا رأى أحـدكم من نفسه أو ماله أو من أخيه ما يعجبه فليـدع له بالبركة فإن العين حق (ع طب ك). عن عامر بن ربيعة . إذا رأى أحدكم امرأة حسناء فأعجبته فليأت أهله فإن البضع واحد ومعها مثل الذى معها (خط) عـن عمر. إذا رأيت أمتى تهاب الظالم أن تقـول له أنت ظالم فقد تودع منهـم (حم طب ك هب) عن ابن عـمرو (طس) عـن جابر. إذا رأيت العـالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فأعلم أنه لص (فر) عن أبي هريرة. إذا رأيت الله تعالى يعطى العبد من الدنيـا ما يحب وهو مقيم على معاصيـه فإنما ذلك منه استدراج (حم طب هب) عن عقبة بن عامر. إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان (حم ت) وابن خزيمة (حب ك ن هق) عن أبى سـعيد. إذا رأيتم الحريق فكبـروا فإنه يطفئ النار (عد) عن ابن عـباس . إذا رأيتم العبد ألم الله به الفـقر والمرض فإن الله يريد أن يصافيـه (فر) عن علي . إذا سمعتـم أصوات الديكة فسلوا الله من فضـله فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانًا (حم ق د ت) عن أبى هريرة. إذا سمعتم بجبل زال عن مكانـه فصدقوا وإذا سمعتم برجل زال عن خلقه فلا تصدقوا فإنه يصير إلى ما جبل عليه (حم) عن أبى الدرداء. إذا سمعتم الحديث عنى تعرفـه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنـه منكم قريب فأنا أولاكم به وإذا سمـعتم الحديث عـنى تنكره قلوبكم وتنفـر عنه أشعاركـم وابشاركم وترون أنه بعيد منكـم فأنا أبعدكم منه (حم ع) عن أبى أسيد وابي حـميد إذا غضب أحدكم وهو قائم فـليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فلـيضطجع (حم د حب) عن أبي ذر. إذا وضع الطعـام فخذوا من حافتـه وذروا وسطه فإن البركـة تنزل فى وسطه (هـ) عن ابن عباس . إذا ولي أحدكم أخاه فليحسن كفنه (حم م د ن) عن جابر (ت هـ) عن أبى قتادة. اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم (د ت ك هق) عن ابن عمر. ارحم مـن فى الأرض يرحمك من في السماء (طـب) عن جرير (طب ك) عن ابن مسعود . ارفعوا ألسنتكم عن المسلمين وإذا مات أحد منهم فقولوا فيه خيرًا (طب)

عن سهل بن سعد. إذا كانوا ثلاثة فـلا يتناجى اثنان دون الثالث. مالك (ق) عن ابن عمر. إذا نظر أحـدكم إلى من فضل عليه فى المال والخلق فليـنظر إلى من هو أسفل منه (حم ق) عن أبى هريرة. إذا نمتم فأطفئوا المصباح فـإن الفأرة تأخذ الفتيلة فتحرق أهل البيت وأغلقوا الأبـواب وأوكئوا الأسقية وخمروا الـشراب (طب ك) عن عبد الله ابن سرجس إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة (خ) عن أبي هريرة. إذا وضع الطعام فاخـلعوا نعالكم فإنه أروح لاقدامـكم . الدارمى (ك) عن أنس. أربع من كنّ فيه كان منافقًا خـالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيـه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عـاهد غدر وإذا خاصم فجر (حم ق ٣) عن ابن عمر. أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن عل البلاء صـابر وزوجة لاتبغيه خـونًا فى نفسها ولا مـاله (طب هب) عن ابن عباس . أربع من سنن المرسلين الحيـاء والتعطر والنكاح والسواك (حم ت هب) عن أبى أيوب. أربعة يبـغضهم الله البياع الحـلاف والفقير المختال والشـيخ الزانى والإمام الجائر (ن هب) عن أبى هريـرة. استعد للموت قـبل نزول الموت (طب ك هب) عن طارق المحاربى. اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة (حم خ هـ) عن أنس. أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل (طب) عن أخت حذيفة. أشكر الناس لله أشكرهم للناس (حم طب هب) والضباء عن الأشعث ابن قيس (طب هب) عن أسامة بن زيد (عد) عن ابن مسعود . أشهد بالله وأشهد لله لقد قال لي جبريل يا محمد إن مدمـن الخمر كعابد وثن. الشيرازي في الألقاب وأبو نعيم فى مسلسلاته وقال صحيح ثابت عن علي: أشيدوا النكاح وأعلنوه . الحسن بن سفيان (طب) عن هبار بن الأسود. أصدق كلمـة قالها الشاعر لبيد* الا كل شيء ما خلا الله باطل* (ق هـ) عن ابي هريرة . اصـنعوا لآل جعفر طعامًا فـإنه قد أتاهم ما يشـغلهم (حم د ت هـ ك) عن عبـد الله بن جعـفر . اضـربوهن ولا يضـرب إلا شراركم . ابن سعد عن القاسم بن محمـد مرسلا . اضمنوا لي ست خصال أضمن

لكم الجنة لاتظالموا عـند قسمة مواريثكـم وأنصفوا الناس من أنفسـكم ولا تجبنوا عن قتال عدوكم ولا تغلوا غنائمكم وأنصفوا مظلومكم من ظالمكم (طب) عن أبي أمامة. أطفال المشركين خـدم أهل الجنة (طس) عن أنس (ص) عن سلمان موقـوفًا : أطفال المؤمنين فى جـبل فى الجنة يكـفلهم إبراهيم وسـارة حتى يردهم الله إلـى آبائهم يوم القيامة (حم ك) والبـيهقى فى البعث عن أبى هريرة. أطلبوا الخيـر عند حسان الوجوه (تخ) وابن أبى الدنـيا فى قضـاء الحوائج (ع طب) عـن عائشة (طـب هب) عن ابن عباس (عد) عن ابن عمر، ابن عساكر عن أنس (طس) عن جابر، تمام (خط) فى رواية مالك عن أبى هريرة تمام عن أبى بـكرة. اطلبوا المعروف فى رحماء أمتي تـعيشوا فى أكنافهم ولا تطلبوه مـن القاسية قلوبهم فإن اللعنة تنزل علـيهم، يا على إن الله تعالى خلق المعروف وخلق له أهلا فحـببه إليهم وحَبب إليهم فعاله ووجـه إليهم طلابه كما وجه الماء فى الأرض الجـدبة لتحيا به ويحـيا به أهلها إن أهل المعـروف فى الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة (ك) عن علي. اطلعت على الجنة فـرأيت أكثر أهلها الفقراء وأطلعت فى النار فـرأيت أكثر أهلهـا النساء (حم م ت) عن ابن عـباس (خ ت) عن عمران بن حـصين. أطوعكم لله الذى يبدأ صاحبـه بالسلام (طب) عن أبى الدرداء. أطول الناس أعناقًا يـوم القيامة المؤذنون (حم) عن أنس أطـيب الطيب المسك (حم م دن) عن أبي سعيد . أطيب الكسب عـمل الرجل بيده وكل بيع مبرور (حم طب ك) عن رافع بن خـديج (طب) عن ابن عمـر. اعبد الله لاتشـرك به شيئـا وأقم الصلاة المكتوبة وأدّ الزكاة المفروضة وحج واعتمر وصم رمضان وانظر ما تحب للناس أن يأتوه إليك فافعله بـهم وما تكره أن يأتوه إليك فذرهم منه (طب) عن أبى المنـتفق اعبد الله ولاتشرك به شيئًا واعمل لله كأنك تـراه واعدد نفسك فى الموتى واذكر الله تعالى عند كل حجـر وكل شجر وإذا عملت سـيئة فاعـمل بجنبها حـسنة السر بالسر والعـلانية بالعلانـية (طب هب) عن معـاذ بن جبل اعبـد الله كأنك تراه وعد نفـسك فى الموتى وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مجابات وعليك بصلاة الـغداة وصلاة العشاء فاشهدهما

فلو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا (طب) عن أبى الدرداء، اعبدوا الرحمن وأطعموا الطعام وأفشوا السلام تدخلوا الجنة بسلام (ت) عن أبى هريرة. اعدلوا بين أولادكم فى النحل كما تحبون أن يعدلوا بينكم فى البر واللطف (طب) عن النعمان بن بشير. أعزل الأذى عن طريق المسلمين (م هـ) عن أبى برزة. أعظم النساء أيسرهن مؤنة (حم ك هب) عن عائشة . أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة فى جماعة (حل هب) عن ابن عمر. اغتنم خمسًا قبل خمس حياتك قبل موتك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وشبابك قبل هرمك وغناك قبل فقرك (ك هب) عن ابن عباس (حم) فى الزهد (حل هب) عن عمرو بن ميمون مرسلا. اغد عالمًا أو متعلمًا أو مستمعًا أو محبًا ولاتكن الخامسة فتهلك. البزار (طس) عن أبى بكر. أفضل القرآن الحمد لله رب العالمين (ك هب) عن أنس. أفضل الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (حم) عن رجل. أفضل المؤمنين إسلامًا من سلم المسلمون من لسانه ويده وأفضل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا، أفضل المهاجرين من هجر ما نهى الله تعالى عنه وأفضل الجهاد من جاهد نفسه فى ذات الله عز وجل (طب) عن ابن عمر. أفضل المؤمنين أحسنهم خلقًا (هـ ك) عن ابن عمر. أفضل الصدقة ماكان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول (حم م ن) عن حكيم بن حزام. أفضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علمًا ثم يعلمه أخاه المسلم (هـ) عن أبى هريرة. افضل الأعمال الصلاة لوقتها وبر الوالدين(م) عن ابن مسعود. أفشوا السلام تسلموا (خد ع حب هب) عن البراء . أفشوا السلام بينكم تحابوا (ك) عن أبى موسى. أفشوا السلام كي تعلو (طب) عن أبى الدرداء . اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى الصلاة (طب) عن ابن عباس. اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لاصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أصحابهما، اقرءوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة (حم م) عن

أبى أمامـة. اقرءوا القرآن واعملوا به ولا تجـفوا عنه ولا تغلوا فيـه ولا تأكلوا به ولا تستـكثروا به [حم ع طب هـب) عن عبد الرحـمن بن شبـل. اقرءوا القرآن بـلحون العرب وأصواتـهم، وإياكم ولحون أهل الكتابين أهل الـفسق فإنه سيجـىء بعدي قوم يرجعون بالقـرآن ترجيع الغناء والرهبانية والـنوح مفتونة قلوبهم وقلوب من يعـجبهم شأنهـم (طس هب) عن حذيفـة . اقرءوا القـرآن فإن الله تعـالى لايعذب قلبًـا وعي القرآن. تمام عن أبى أمامة. اقرءوا علـى موتاكم يس (حم ده حب ك) عن معقل ابن يسار. اقيموا الصفوف فإنما تصفون بصفوف الملائكة وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخـوانكم ولا تذروا فرجات لـلشيطان ومن وصل صفًـا وصله الله ومن قطع صفًا قطعه الله عزّ وجلّ (حم د طب) عن ابن عـمر . أكبر الكبائر الإشراك بالله وقتل الـنفس وعقوق الـوالدين وشهادة الـزور (خ) عن أنس أكثر خـطايا ابن آدم فى لسانه (طـب هب) عن ابن مسعـود. أكثر من يموت من أمـتى بعد قضـاء الله تعالى وقدره بالعين. الطيالسى (تخ) والحكم والبزار والضياء عن جابر. اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعـجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلـبة الرجال(حم ق ٣) عن أنس .اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القـبر وأعوذ بك من عذاب النار وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال (خ ن) عن أبي هريرة . وأما أول أشراط الساعـة فنار تخرج من المشرق فتحشـر الناس إلي الغرب ، وأما أول ما يأكل أهل الجنة فزيادة كـبد الحوت، وأما شبه الولد أباه وأمه فـإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع إليه الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع إليها (حم خ ن) عن أنس. أما صلاة الرجل فى بيته فنور فنّوروا بـها بيوتكم (حم هـ) عن عمر. إن الله إذا زنزل عاهة من السماء على أهل الأرض صرفت عن عـمار المساجد. ابن عساكر عن أنس. إن الله تعـالى افتـرض صوم رمضـان وسننت لكم قـيامـه فمن صـامه وقامـــه إيمانًا واحتـسابًا ويقينًا كـان كفارة لما مضـى (ن هب) عن عبد الرحـمن بن عوف. إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحفظ ذلك أم ضيعه حتى يسأل الرجل عن أهل بيته

(ن حب) عن أنس . إن الله تعالى قال : من عادى لي وليًا آذنته بالحرب، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشي بها وإن سألنى لأعطيته وإن استعاذنى لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءلته (خ) عن أبى هريرة. إن الله تعالى كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته (حم ع) عن شداد بن أوس . إن الله تعالى يحب عبده المؤمن الفقير المتعفف أبا العيال (هـ) عن عمران. إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرافها ويكره سفاسفها (طب) عن الحسين بن علي . إن الله تعالى يحب الرجل له الجار السوء يؤذيه فيصبر عن أذاه ويحتسبه حتى يكفيه الله بحياة أو موت (خط) وابن عساكر عن أبى ذر . إن الله تعالى يحب أبناء السبعين ويستحيى من أبناء الثمانين (حل) عن علي . إن الله لايحب الذواقين ولا الذواقات (طب) عن عبادة بن الصامت. إن الله لايرضى لعبده المؤمن إذا ذهب بصفية من أهل الأرض فصبر واحتسب بثواب دون الجنة (ن) عن ابن عمر. إن الله لايستحيى من الحق لا تأتوا النساء فى أدبارهن (ن هـ) عن خزيمة بن ثابت . إن الله تعالى لايقبض العلم انتزاعًا ينزعة من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا (حم ق ت هـ) عن ابن عمر. إن الله تعالى يقول : إن الصوم لي وأنا أجزي به إن للصائم فرحتين إذا أفطر فرح وإذا لقى الله تعالى فجزاه فرح. والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك (حم م ن)عن أبى هريرة وأبى سعيد معًا. إن الله تعالى يقول: أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه فإذا خانه خرجت من بينهما (دك) عن أبي هريرة. إن الله تعالى يقول: يابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك [حم ت هـ ك) عن أبى هريرة. إن الله تعالى يقول: إذا أخذت كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء عندي إلا الجنة (ت) عن أنس . إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك

والخير في يديك فيقول: هل رضيتم فيقولون وما لنا لانرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدًا من خلقك فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون يارب وأى شيء أفضل من ذلك فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا (حم ق ت) عن أبي سعيد إن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدي بي إن خيرًا فخيرًا وإن شرًا فشر (طس حل) عن واثلة. إن العبد إذا لعن شيئًا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها ثم تأخذ يمينًا وشمالا فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذي لعن فإن كان لذلك أهلا وإلا رجعت إلى قائلها (د) عن أبى الدرداء . إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت فى قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن عاد زيد فيها حتى تعلو على قلبه وهو الران الذي ذكر الله تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[1] (حم ت ن هـ حب ك هب) عن أبى هريرة . إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول فى هذا الرجل لمحمد، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا ويفسح له فى قبره سبعون ذراعًا ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون، وأما الكافر أو المنافق فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول: لا أدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه (حم ق د ن) عن أنس. إن الغسل يوم الجمعة يسل الخطايا من أصول الشعر استلالا (طب) عن أبى أمامة. إن الغضب من الشيطان وإن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ (حم) عن عطية العوفي. إن أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصل عليّ. الحرث عن عوف بن مالك. إن أحب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة وأدناهم منه مجلسًا إمام عادل وأبغض الناس إلى الله تعالى وأبعدهم منه إمام جائر (حم ت) عن أبي سعيد. إن أعمال العباد تعرض يوم الاثنين والخميس (حم د) عن أسامة بن زيد. إن المتحابين فى الله فى ظل العرش

---

(١) سورة المطففين آية ١٤

(طب) عن معاذ. إن المجالس ثلاثة سالم وغانم وشاحب (حم ع حب) عن أبى سعيد. إن المرء كثير بأخيه وابن عمه. ابن سعد عن عبد الله بن جعفر إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها(م ت) عن أبى هريرة. إن المرأة خلقت من ضلع وإن ترد إقامة الضلع تكسرها فدارها تعش بها (حم حب ك) عن سمرة. إن المرأة تقبل فى صورة شيطان وتدبر فى صورة شيطان فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يردّ ما فى نفسه (حم م د) عن جابر . إن المرأة تنكح لدينها ومالها وجمالها فعليك بذات الدين تربت يداك (حم م ت ن) عن جابر. إن إناساً من امتى يأتون بعدي يودّ أحدهم لو اشترى رؤيتي بأهله وماله (ك) عن أبى هريرة . إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه. (ت هـ ك) عن عثمان بن عفان. إن الكافر ليعظم حتى إن ضرسه لأعظم من أحد وفضيلة جسده على ضرسه كفضيلة جسد أحدكم على ضرسه (هـ) عن أبى سعيد. إن المعونة تأتى من الله للعبد على قدر المؤنة وإن الصبر يأتى من الله على قدر المصيبة. الحكيم والبزار والحاكم فى الكنى (هب) عن أبى هريرة. إن الملائكة لاتدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة: رواه ابنُ ماجة عن علي. إن الملائكة لاتدخل بيتا فيه تماثيل أو صورة (حم ت حب) عن أبى سعيد . إن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي الأب (حم خد م د ت) عن ابن عمر . إن أحب أسمائكم إلى الله تعالى عبد الله وعبد الرحمن. (م) عن ابن عمر. إن أهل الجنة ليحتاجون إلى العلماء فى الجنة وذلك أنهم يزورون الله تعالى فى كل جمعة فيقول لهم تمنوا علي ماشئتم فيلتفتون إلى العلماء فيقولون ماذا نتمنى؟ فيقولون تمنوا عليه كذا وكذا فهم يحتاجون إليهم فى الجنة كما يحتاجون إليهم في الدنيا. ابن عساكر عن جابر. إن أهل النار ليبكون حتى لو أجريت السفن فى دموعهم جرت وإنهم ليبكون الدم. (ك) عن أبى موسى. إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة ، وإن أول أهل الجنة دخولا هم أهل المعروف (طب) عن أبى أمامة. إن أهل الشبع فى الدنيا هم أهل

الجوع غداً فى الآخرة. (طب) عن ابن عباس. إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة. (تخ ت حب) عن أبـى مسعود. إن أول الآيات خروجـًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة علـى الناس ضحى فأيتهما ماكانت قبل صاحـبتها فالأخرى على أثرها قريبا. (حم م د هـ) عن ابن عمر . إن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة من النعيم إن يقـال له ألم نصح لك جسمك ونروك مـن الماء البارد. (ت ك) عن أبى هريرة. أن لصاحب الحق مـقالا. (حم) عن عائشة (حل) عن أبى حمـيد الساعدي. إن لك من الأجر على قدر نصيبك ونفـقتك. (ك) عن عائشة، إن أردت اللحوق بي فليكفـك من الدنيا كزاد الـراكب وإياك ومجالسـة الأغنياء ولا تسـتخلفي ثوبًـا حتى ترقعيه. (ت ك) عن عائشة . إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة.وما هي أولها ملامة وثانيها ندامة وثالـثها عذاب يـوم القيامة إلا مـن عدل (طب) عن عوف بن مـالك . أنزلوا الناس منازلهم (م د) عـن عائشة . أنشد الله رجـال أمتى لايدخلون الحمـام إلا بمئزر وأنشد الله نساء أمتـى لايدخلن الحمام. ابن عساكر عن أبى هـريرة. انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا قيل كيف أنصره ظالمًا؟ قـال تحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره (حم خ ت) عن أنس . أهل الجنة عشرون ومائة ثمانون منها من هذه الأمة أربعون من سائر الأمم (حم ت هـ حب ك) عن بريدة. (طب) عـن ابن عباس وعن ابن مسـعود وعن أبى موسى. أهل الجور وأعوانهم فى النار(ك) عن حذيفة. أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة وأهل مكة وأهل الطائـف. (طب) عن عبد الله بن جعفر. أوصـيك بتقوى الله تعالى فى سر أمـرك أو علانيته وإذا سألت فـأحسن ولا تسألن أحدًا شيـئًا ولا تقبض أمانة ولا تـقض بين اثنين.(حم) عن أبى ذر. أوصـى الخليفـة من بعدي بتـقوى الله وأوصيـه بجـماعـة المسلمين أن يعـظم كبـيرهم ويـرحم صغـيرهم ويـوقر عـالمهم والايضربهم فيذلهم ولا يوحشهم فيكفرهم والايغلق بابه دونهم فيأكل قويهم ضعيفهم (هق) عن أبى أمامة. ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات إسباغ الوضوء علـى المكاره وكثرة الخطى إلـى المساجد وانتظار الـصلاة بعد الصـلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط. مالك (حم م ت ن) عن أبى هريرة. . ألا أرقيك برقية رقانى بها جبريل تقـول باسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء يأتيك من شر

النفاثات فى العقد ومن شر حاسد إذا حسد ترقى بها ثلاث مرات (هـ ك) عن أبى هريرة . ألا أعلمك كلمات تقولهن عند الكرب الله الله ربى لا اشرك به شيئا (حم د هـ) عن أسماء بنت عميس . ألا أعلمك كلمات لو كان عليك مثل جبل ثبير دينًا أداه الله عنك قل اللهم أكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عم سواك (حم ت ك) عن علي . ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر الله لك وإن كنت مغفورًا لك قل لا إله إلا الله العلي العظيم لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين (ت) عن على ورواه (خط) بلفظ: إذا أنت قلتهن وعليك مثل عدد الذر خطايا غفر الله لك، ألا يارب نفس طاعمة ناعمة فى الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ألا يا رب مكرم لنفسه وهولها مهين. ألا يارب مهين لنفسه وهو مكرم لها ، ألا يارب متخوض ومتنعم فيما أفاء الله على رسوله ما له عند الله من خلاق. ألا وإن عمل أهل الجنة حزن بربوة، ألا وإن عمل أهل النار سهل بسهوة. ألا يارب شهوة ساعة أورثت حزنًا طويلا. ابن سعد (هب) عن أبى البجير . اياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين (حب هب) عن معاد . أيما وال ولي أمر أمتى بعدي أقيم على الصراط ونشرت الملائكة صحيفته فإن كان عادلا نجاه الله بعدله وإن كان جائرًا انتفض به الصراط انتفاضة تزايل بين مفاصله حتى يكون بين عضوين من أعضائه مسيرة مائة عام ثم يتخرق به الصراط فأول ما يتقى به النار أنفه ووجهه. أبو القاسم بن بشران فى أماليه عن علي . أيما عبد جاءته موعظة من الله فى دينه فإنها نعمة من الله سبقت إليه فإن قبلها بشكرها وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثما ويزداد الله عليه بها سخطًا. ابن عساكر عن عطية بن قيس ، إيما مسلم كسا مسلمًا ثوبًا على عري كساه الله تعالى من حلل الجنة. أيما مسلم أطعم مسلمًا على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة. وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم (حم د ت) عن أبى سعيد. وفى هذا القدر كفاية والله ولي التوفيق والهداية.

فصل
فى غزواته ﷺ وما يذكر معها

واعلم أن النبى ﷺ أقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين وشهرين ثم توفي ﷺ. ففى السـنة الأولى فرض عليه الجـهاد وبعث حمـزة بن عبد المطلب فى الـثلاثين من المهاجرين يعترض عيرًا لقريش في رمضان وبعث عبيدة بن الحرث فى ستين رجلا من المهاجرين إلى بطن رابـغ، بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار بخاء مـعجمة وراءين عين قرب الجحفة فى ذي القعدة في عشرين من المهاجرين يعترض عيرا لقريش (وأول غزواته ﷺ غـزوة الأبواء على ما قـاله ابن إسحق وجـماعة) والأبواء قـرية بين مكة والمدينة تسمى غزوة ودان وكـانت على رأس اثنى عشر شهرًا من مـقدمه المدينة، وفى هذه السنة كان بدء الأذان لما استشار النبى ﷺ أصحـابه فيما يجمعهم للصلاة، ورأى عبد الله بن زيد بن عبد ربه فى منامه الأذان وفيها أعرس بعائشة رضي الله عنها وفيها جعلت صلاة الحضر أربع ركعات وكانت ركعتين بعـد مقدمه بشهر وفيها صلى صلاة الجمعة وأول خطبة خطبها فى الإسلام وفيـها آخى بين المهاجرين والأنصار بعد مقدمه بثمانية أشهر وفيها صلى النبى ﷺ صلاة الجنازة على البراء بن معرور بعد وفاته بشهر وعلى تبع اليماني وكان قد آمن بالنبي ﷺ قبل مبعثه بسبعمائه سنة وهو أول من كسا البيت نقـله ابن عبد البر وكـانت وفاته يوم قدومـه المدينة قاله ابن العمـاد، في السنة الثانية من الهجرة فـى نصف شعبان حولت القبلة إلى الكعبة وفـيها فرضت زكاة المال قبل فرض رمضان كما أشار إليه النووي فى باب السير من الروضة وفرض الصوم فى أواخر شعبان وفيها غزوة بدر الكبرى وكانت يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان وفى الثامن والعشرين منه فرضت زكاة الفطر وفـيها صلى النبي ﷺ صلاة عيد الفطر وصلاة عيد الأضحى وضحى بكبشين أملحين أقـرنين وفيها أعرس عليّ بفاطمة رضى

الله عنهما فيها غزوة بواط وذى العشيرة وبنى قينقاع والسويق وفى المواهب بواط بفتح الباء الموحدة وقد تضم وتخفيف الواو آخره طاء مهملة موضع من ناحية رضوى والعشيرة بضم العين ثم شين معجمة وهى أرض لبني مدلج بناحية الينبع كذا في القاموس وكانت بعد بواط بأيام قلائل وقينقاع بفتح القاف وضم النون (وغزوة السويق)كانت فى خامس ذى الحجة من السنة الثانية وذلك أنه لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان أن يغزو محمدا وأصحابه فخرج من مكة فى مائتى راكب حتى نزل قريبًا من المدينة بمحل بيته وبينها نحو ميل فقطع جانبًا من النخل ولقي رجلين من الأنصار فقتلهما فبلغ النبى ﷺ فخرج فى طلبه فهرب هو وأصحابه وصاروا يرمون السويق وهو دقيق الشعير المحمص ليخف عليهم السير فيأخذه الصحابة . وفى السنة الثالثة من الهجرة حرمت الخمرة فى شوال منها وقيل فى الرابعة وولد الحسن بن علي رضي الله عنهما وفيها غزوة أحد وحمراء الأسد وغطفان وسرية كعب بن الأشرف وأحد جبل على ثلاثة أميال من المدينة وسمي بذلك لتوحده وانقطاعه عن الجبال وهو الذى قال فى حقه ﷺ أحد جبل يحبنا ونحبه قيل فيه قبر هرون أخي موسى عليهما الصلاة والسلام وكانت وقعته يوم السبت فى شوال سنة ثلاث بالاتفاق كذا فى المواهب وحمراء الأسد مكان بينه وبين المدينة ثمانية أميال.
وفي السنة الرابعة كانت غزوة بني النضير وذات الرقاع وصلاة الخوف وقيل فى التي بعدها وفيها مولد الحسين بن علي رضي الله عنهما ونزلت آية التيمم كما قاله في الروضة وفيها كان رجم اليهوديين اللذين زنيا وفيها قصرت الصلاة فى السفر. وفي السنة الخامسة غزوة دومة الجندل وغزوة المريسيع وتسمى غزوة المصطلق وفيها كان حديث الإفك على ما رجحه الحاكم وغيره وقيل في سنة ست على ما قاله ابن إسحق وجزم به الطبري وغيره وقيل سنة أربع قاله موسى بن عقبة وفيها نزلت آية الحجاب وقيل فى التى قبلها وفيها سابق الخيل وفيها غزوة الخندق وهى الأحزاب على ما قاله ابن إسحق وقال موسى بن عقبة كانت سنة أربع وغزوة بنى قريظة. وفى السنة السادسة من الهجرة كانت غزوة الحديبية وهي قرب مكة وكانت مستهل القعدة منها

وكانوا ألفا فصالحوا النبى ﷺ وبايعوا النبى ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة وفيها قحط الناس فاستسقى لهم النبى ﷺ فسقوا في رمضان وفيها غزوة بنى لحيان وغزوة الغابة. وفى السنة السابعة من الهجرة كانت عمرة القضاء مستهل القعدة منها وكان ﷺ فى ألفين وساق من المدينة ستين بدنة فنحرها وأقام بمكة ثلاثًا ورجعوا وفيها غزوة خيبر وإسلام أبى هريرة وبعثه ﷺ الرسل إلى الملوك واتخاذ الخاتم لختم الكتب وتحريم الحمر الأهلية والنهي عن متعة النساء وفيها جاءته مارية القبطية وبغلته دلدل وفيها غير ذلك. وفي السنة الثامنة كانت غزوة الفتح فتح مكة وكانت فى رمضان منها لنقض قريش العهد وطاف النبي ﷺ بالبيت يوم الجمعة لعشرين من رمضان وحوله ثلثمائه وستون صنما وكلما مر بصنم أشار إليه بقضيب فى يده قائلا جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقًا فيقع الصنم لوجهه وفيها كان قدوم خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص وإسلامهم وفيها غزوة حنين وغزوة الطائف وفيها اتخاذ المنبر والخطبة عليه وقيل اتخاذه كان في سنة تسع قاله ابن الجوزي في مولده وفيها مولد إبراهيم ابنه ﷺ ووفاة زينب بنته ﷺ وفيها غير ذلك . وفي السنة التاسعة كانت غزوة تبوك وهدم مسجد الضرار وقدوم الوفود وتتابعها وحج فيها أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ومعه ثلثمائة رجل وعشرون بدنة بسورة براءة لينبذ إلى كل ذي عهد عهده وألا يحج بعد العام مشرك وألا يطوف بالبيت عريان وفيها مات النجاشي وأم كلثوم بنته ﷺ وفيها غير ذلك . وفى السنة العاشرة كانت حجة الوداع وتسمى حجة الإسلام فخرج النبى ﷺ من المدينة يوم الخميس من ذي القعدة ومعه أربعون ألفا وقيل سبعون ألفا وقيل مائة ألف وقيل غير ذلك فكانت وقفته بالجمعة ونزل عليه ﷺ فيها ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[1] . الآية . ولم يحج النبي ﷺ بعد الهجرة سواها وقد حج قبل النبوة وبعدها حجات لايعرف عددها. واعتمر بعد أن هاجر أربع عمر عمرة الحديبية وعمرة القضاء وتسمى عمرة القضية وعمرة من الجعرانة فى أثر وقعة حنين وعمرة مع حجته ففي الصحيحين من حديث أنس أنه ﷺ اعتمر أربع عمر. وقد اختلف فى السنة التى فرض الله عليها فيها الحج فقيل في سنة

(١) سورة المائدة آية ٣.

خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وقيل تسع وفى السنة العاشرة أيضًا أسلم جرير بن عبد الله البجلي ونزلت ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾[(١)] بمنى يوم النحر فى حجة الوداع وقيل قبل وفاته بثلاثة أيام ومات فيها إبراهيم ابنه ﷺ انتهى. من حاشية الشنوانى على المولد بتصرف وزيادات من غيرها وهذه أسماء الغزوات التى قاتل فيها ﷺ بنفسه (بدر وأحد والخندق والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف كذا قال ابن إسحق)ولم يقتل ﷺ بيده الشريفة إلا رجلا واحدًا وهو أبى بن خلف يوم أحد والسر فى قتله أنه كان له فرس يطعمه القديد من اللحم والبر وكان إذا لقى النبى ﷺ بمكة يقول له أنا أقتلك على فرسى هذا فيقول له ﷺ بل أنا أقتلك وأنت عليه فلما كان يوم أحد جاء ذلك اللعين وهو على فرسه وهو يقول أين محمد لانجوت إن نجا فأراد الصحابة أن يحولوا بينه وبينه فنهاهم ﷺ وقال أفرجوا له ثم تناول حربة من بعض أصحابه ثم نظر درعه ﷺ فرأى ترقوته من حلقه فضربه فخر ضريعًا فكبرت الصحابة إذ ذاك فلما رجع إلى قريش قال قلتنى والله محمد قالوا ذهب والله فؤادك والله ما بك بأس إنه قد كان قال لي بمكة أنا أقتلك وفى رواية قال له أبو سفيان ويلك ما بك إلا خدشة فقال مه أبا سفيان والله لو بصق على محمد لقتلنى وقد قال ﷺ: «اشتد غضب الله على من قتل نبيا أو قتله نبي» . أما من قتل فظاهر وأما من قتله نبى فلأن اعتناء النبى بقتله أدل دليل على عظم عتوّة وفساده كهذا اللعين ذكره البابلي فى سيرته .

(وهذه سراياه وبعوثه ﷺ) سرية عبيدة بن الحرث إلى أحياء من أسفل ثنية المرة وهى ماء بالحجاز وتقدمت أول الفصل ، وسرية حمزة إلى ساحل البحر من ناحية العيص وتقدمت كذلك وسرية سعد ابن أبي وقاص وبعث محمد بن مسلمة فيما بين أحد وبدر إلى كعب بن الأشرف وسرية عبد الله بن جحش إلى نخلة وسرية زيد بن حارثة وسرية مرثد بن أبي مرثد وسرية منذر بن عمرو وسرية أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وسرية عمر بن الخطاب وسرية علي بن أبى طالب وسرية أب العوجاء السلمي وسرية عكاشة بن محصن وسرية أبي سلمة بن عبد الأسد وسرية محمد بن

(١) سورة الفتح آية ١ .

مسلمة وسرية بشر بن سعد وسرية زيد بن حارثة وسرية زيد بن حارثة أيضًاوسرية عبد الله بن رواحة وسريته أيضا لبشير بن رزام اليهودي وسرية عبد الله بن عتيك وسرية زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة لمؤتة وفيها استشهد سيدنا جعفر وسرية كعب بن عمر والغفاري وسرية عيينة بن حصن بن حذيفة بن زيد ابن العنبر وسرية غالب بن عبد الله الكلبي وسرية عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بني عذرة وسرية أبي حدرد وأصحابه إلى بطن آضم قبل الفتح وسرية أبي عبيدة بن الجراح ذكره ابن إسحق وزاد ابن هشام بعث عمرو بن أمية الضمري بعثه ﷺ لقتل أبي سفيان بمكة وسرية زيد بن حارثة إلى المدينة وسرية سالم بن عمير أبي جعد قال الشيخ محيي الدين حدثني به عمرو بن عوف وسرية عمير بن عدي وبعث ﷺ علقمة بن محدر في طلب القوم الذين قتلوا وقاص بن محرز بوادي قرد وبعث كرز بن جابر في طلب الرعاء الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ وسرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى اليمن مرة أخرى وسرية أسامة بن زيد إلى الروم فمات رسول الله ﷺ قبل خروجه وولي أبو بكر رضي الله عنه فأمضاها وكل سرياه ﷺ كانت بعد الهجرة كالغزوات وفي سنة سبع من الهجرة جاءت رؤساء يهود المدينة إلى لبيد بن الأعصم وكان ساحرًا فقالوا له يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا فلم يصنع شيئًا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره سحرًا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير فسحره في مشط له ﷺ ومشاطة من شعر رأسه أعطاها له غلام يهودي كان يخدمه ﷺ أحيانًا وعقد في وتر إحدى عشرة عقدة فيها إبر مغروزة ودفن ذلك في بئر ذروان فمكث ﷺ متغير المزاج من ذلك سنة وقيل ستة أشهر وقيل أربعين يومًا فلما اشتد به الحال ونزل جبريل فأخبره فبعث عليا فاستخرج ذلك وصار كلما حل عقدة وجد خفة حتى قام عند انحلال العقدة الأخيرة كأنما نشط من عقال وقد مسخ الله ماء تلك البئر حتى صار كنقاعة الحناء ثم أحضر رسول الله ﷺ لبيدا فاعترف واعتذر بأن الحامل له على ذلك دنانير جعلها له اليهود في مقابلة سحره فعفا عنه ولم يؤثر السحر في عقله بل في بعض جوارحه وقد نافق جماعة من أهل المدينة كان رئيسهم عبد الله بن أبي

ابن سلول وفيهم أنزل الله سورة المنافقين (وفى السنة السابعة) أيضًا من الهجرة بعد . فتح خيبر سمته امرأة يهودية ففي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم قال القسطلاني بتثليث السين أهدتها له زينب بنت الحرث اليهودية امرأة سلام بن مشكم وكانت سألت أى عضو من الشاة أحب إليه فقيل الذراع فأكثرت فيها من السم فلما تناول الذراع لاك منها مضغة ولم يسغها وأكل منها معه بشر بن البراء فأساغ لقمته ومات منها وعند البيهقي أنه عليه السلام آكل وقال لأصحابه أمسكوا فإنها مسمومة وقال لها ما حملك على ذلك قالت أردت إن كنت نبيًا فيطعمك الله وإن كنت كاذبًا فأريح الناس منك قال فما عرض لها وزاد عبد الرزاق واحتجم على الكاهل قال . قال الزهري وأسلمت فتركها وعند ابن سعد أنه دفعها إلى أولياء بشر فقتلوها انتهى .

فصل
فى ذكر أعمامه ﷺ وعماته وأزواجه وخدمه وما يتصل بذلك

في ذخائر العقبي وكان له ﷺ اثنا عشر عمًا بنو عبد المطلب أبوه ثالث عشرهم: الحرث وأبو طالب واسمه عبد مناف والزبير ويكنى أبا الحرث وأبو لهب واسمه عبد العزى والغيداق والمقوم وضرار وقثم وعبد الكعبة وحجل ويسمى المغيرة وحمزة والعباس انتهى . ولم يعقب منهم إلا خمسة الحرث والعباس وأبو طالب وأبو لهب وعبد الله وكان أكبرهم الحرث وبه كان يكنى عبد المطلب وشهد معه حفر زمزم ولم يدرك الإسلام منهم إلا أربعة أبو طالب وأبو لهب وحمزة والعباس ولم يسم إلا حمزة والعباس قال ﷺ سيد الشهداء يوم القيامة حمزة وقال ﷺ عمى وصنو أبى العباس روى العباس خمسة وثلاثين حديثًا .

(وأما عماته) فست صفية وإسلامها معروف محقق وهي أم الزبير بن العوام وأورى وعاتكة وفى إسلامهما خلاف وأم حكيم وبرة وأميمة ولا خلاف فى عدم إسلامهن وكلهن شقيقات عبد الله والد النبي ﷺ إلا صفية.

(وأما زوجاته) اللاتى دخل بهن ولم يفارقهن فثنتا عشرة امرأة عن أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ ما تزوجت شيئا من نسائى ولا زوجت شيئًا من بناتى إلا بوحي جاءنى به جبريل عن ربي عز وجل (الأولى منهن) خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشية الأسدية وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأعصم وكان صداقها اثنتى عشرة أوقية ونصفا من الذهب ولم يتزوج عليها حتى ماتت وروت حديثًا واحدًا (الثانية) سودة بن زمعة تزوجها فى السنة العاشرة من النبوّة وكانت قبله تحت ابن عمها ولما كبرت أراد طلاقها ﷺ فسألته ألا يفعل وجعلت يومها لعائشة وعاشت إلى أن ماتت فى خلافة عمر رضي الله عنه. (الثالثة) عائشة بنت أبى بكر الصديق بن أبى قحافة القرشية تزوجها ﷺ بمكة

وهى بنت ست سنين وقيل سبع ودخل بها فى المدينة وهى بنت تسع سنين وقيل عشر وكان مولدها سنة أربع من النبوة كذا فى المواهب وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر وكان صداقها أربعمائة درهم وكانت أحب نسائه إليه وكنيتها أم عبد الله ابن أختها أسماء بنت أبي بكر وروت عائشة رضي الله عنها ألفي حديث ومائتي حديث وعشرة أحاديث وتوفيت سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين وصلى أبو هريرة عليها ودفنت بالبقيع ليلا. (الرابعة) حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل القرشية أمها زينب بنت مظعون بن حبيب تزوجها ﷺ فى شعبان على رأس ثلاثين شهرًا من الهجرة على الاشهر وكان مولدها قبل النبوة بخمس سنين وكان صداقها أربعمائة درهم روت ستين حديثًا وتوفيت فى شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم أمير المدينة يومئذ. (الخامسة) زينب بنت خزيمة بن الحرث العربية الهلالية تزوجها ﷺ سنة ثلاث من الهجرة وأصدقها أربعمائة درهم ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة ثم ماتت وصلى عليها رسول الله ﷺ ودفنها بالبقيع وكان عمرها إذ ذاك ثلاثين سنة ولم يمت من أزواجه فى حياته إلا هى وخديجة وريحانة على القول بأنها زوجة. (السادسة) أم سلمة هند بنت أبى أمية بن المغيرة تزوجها ﷺ فى آخر شوال سنة أربع وقيل سنة اثنتين قالت لولدها زوجنى من رسول الله ﷺ فزوجها واستدل به على أن الابن يلي عقد أمه وهو خلاف مذهبنا معاشر الشافعية روت ثلثمائة حديث وثمانية وعشرين حديثًا توفيت فى خلافة يزيد بن معاوية سنة ستين على الصحيح وعاشت أربعًا وثمانين سنة وصلى عليها أبو هريرة ودفنت بالبقيع. (السابعة) زينب بنت جحش بن رباب العربية أمة أميمة بنت عبد المطلب كان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة فلما فارقها زيد تزوجها رسول الله ﷺ سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وقيل أربع وأصدقها أربعمائة درهم وهي إذ ذاك بنت خمس وثلاثين سنة روت عشرة أحاديث وتوفيت سنة عشرين وقيل إحدى وعشرين وقد بلغت ثلاثًا وخمسين سنة وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودفنت بالبقيع. (والثامنة) جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار الخزاعية المصطلقية قال ابن هشام اشتراها ﷺ من ثابت بن قيس وأعتقها ثم تزوجها وأصدقها أربعمائة درهم ويقال أسلم أبوها وزوجه

إياها روت سبعة أحاديث وتوفيت بالمدينة فى ربيع الأول سنة ست وخمسين وكان عمرها سبعين سنة وصلى عليها مروان بن الحكم. (التاسعة) ريحانة بنت يزيد من بنى النضير كانت من سبي بنى قريظة فاصطفاها ﷺ لنفسه وكانت جميلة وسيمة وخيرها بين الإسلام ودينها فاختارت الإسلام فأعتقها وتزوجها وأعرس بها فى المحرم سنة ست وطلقها ﷺ لشدة غيرتها عليه فأكثرت البكاء فراجعها ولم تزل عنده حتى ماتت فى مرجعه من حجة الوداع ودفنت بالبقيع وقيل كانت موطوءة له بملك اليمين ولذا لم يعدها أكثر أهل السير من زوجاته (العاشرة) أم حبيبة رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس القرشية الأموية أمها صفية بنت أبى العاص عمة عثمان ابن مظعون زوجها إياه خالد بن سعيد بن العاص بالحبشة وكانت قد هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش فتنصر وتثبتت هى على الإسلام فبعث النبى ﷺ عمرو بن أمية إلى النجاشي فأمهرها النجاشي عنه أربعمائة دينار وتولى عقد نكاحها خالد لكونه ابن عم أبيها وأرسلها النجاشي للنبى ﷺ سنة سبع على خلاف فى جميع ذلك ماتت سنة أربع وأربعين. (الحادية عشرة) صفية بنت حيي بن أخطب غير العربية من بنى النضير من بنى إسرائيل من سبط هرون بن عمران أمها برة بنت شمول كان أبوها سيد بني النضير قتل مع بنى قريظة اصطفاها ﷺ لنفسه من سبي خيبر فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها وكانت جميلة لم تبلغ سبع عشرة سنة روت عشرة أحادث وتوفيت فى رمضان سنة خمسين أو اثنين وخمسين ودفنت بالبقيع. (الثانية عشرة) ميمونة بنت الحرث العربية الهلالية أمها هند بنت عوف بن زهير وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ ميمونة وهى خالة ابن عباس وخالد بن الوليد . روت ستة وسبعين حديثًا وماتت سنة إحدى وخمسين وعاشت ثمانين سنة وهى آخر زوجة تزوجها رسول الله ﷺ وآخر من توفين من أزواجه وتوفى رسول الله ﷺ عن تسع منهن جمعت أسماؤهن فى قول بعضهم :

توفى رسول الله عن تسع نسوة	إليهن تعزى المكرمات وتنسب
فعائشة ميمونة وصفية	وحفصة تتلوهن هند وزينب

جويرية مع رملة ثم ســــــــودة   ثلاث وست ذكرهن مهـــــذب

(تنبيه) قال شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فى بهجة الحاوي : وأفضلهن خديجة وعائشة وفى أفضليتهما خلاف صحـح ابن العماد تفضيل خديجة لما ثبت أنه ﷺ قال لعائشة حين قالـت له قد رزقك الله خيراً منها لا والله ما رزقنى خـيراً منها آمنت بى حين كذبنـى الناس وأعطتنى مالهـا حين حرمنى النـاس وفى شرح عبد الـسلام على الجوهرة ما نصه وأما الزوجـات الشريفات فأفضلهن خديجة وعائشة وفى أفـضليتهما خلاف صحح ابن العمـاد تفضيل خديجة وفاطمة فتكون أفـضل من عائشة ولما سئل السبكى عن ذلك فقال تختاره وندين الله به أن فـاطمة بنت محمد ﷺ أفضل ثم أمها خديجة ثم عائشة واختار السبكى أن مـريم أفضل من خديجة لقوله ﷺ : «خير نساء العالمين مريم بنت عمـران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة بنت مـحمد ﷺ ثم آسية بنت مزاحم امـرأة فرعون» . وللاختلاف فى نبـوتهما وقال شيـخ الإسلام فى شرح البخـارى الذى أختاره الآن فـى الأفضلية محمـولة علـى أحوال فـعائشة أفضلهن من حيث العلم وخديجـة من حيث تقدمها وإعانتها له ﷺ فى المـهمات وفاطمة من حيث القرابة ومريم من حيث الاختلاف فى نبوتها وذكرها فى القرآن مع الأنبياء وآسية امرأة فرعون من هذه الحيثية لكن لم تذكر مع الأنبياء وعلى ذلك تنزل الأخبار الواردة فى أفضليتهن وهذا جـيد إن قلنا إن التفضيل بالأحوال وكثرة الخـصال الجميلة . وأما إن قلنا إنه باعتبار كثرة الثواب فـالأقرب الوقف كما هو قول الأشعري رضي الله عنه

وفى كلام البـرهان الحلبي أن زينب بنت جحـش تلي عائشة رضي الله عنهـما ولم يقف أستاذنا على نص فى باقيهن ولا فى مفاضلة بعض أبنائه الذكور على بعض ولا فى المفاضلة بينهـم وبين البنات الشريفات سوى ما شـرف الله به الذكور على الإناث مطلقًا ولا بينهن سوى فاطمة فإنها أفضل بناته الكريمات ولا باقى البنات سوى فاطمة مع الزوجات الطاهرات وإن جرت علة فاطمة بالبـضعة فى الجميع فالوقف أسلم والله أعلم انتهى .

(أما سراريه) ﷺ فأربع مارية القبطية أهداها له المقوقس مع أختها سيرين بكسر

السين المهملة وسكون المثناة التحتية وألف مثقال ذهبًا وعشرين ثـوبًا من قباطى مصر وخصيّ له اسمه مأبور وبغلة شهباء وهـي دلدل وحمارًا أشهب ، وهو عفير ويقال له يعفور وعسلا من عسل بنها فأعجب العسل النبى ﷺ ودعا لعسل بنها بالبركة قال ابن الأثير بنها بكسر الباء وسكون النون قريـة من قرى مصر بارك النبي فى عسلها والناس اليوم يفتحون البـاء انتهى . قال ﷺ :« ستفتح عليكم مصر فاستـوصوا بأهلها خيرًا فإن لهـم رحما وصـهرا». والمراد بالرحـم أم إسمعـيل بن إبراهيم الخلـيل جده ﷺ وعليهما أفضل الصلاة والسلام فإنها كانت قبطية والمراد بالصهر أم ولده إبراهيم وهى مارية فإنها كانت أيـضًا قبطية ولما ولدت مارية إبراهيم قال النبى أعتـقها ولدها توفيت في خلافة سـيدنا عمر سنة عـشر وصلى عليهـا ودفنت بالبقيع وريحـانة على خلاف وجارية وهبتها له زينب بنت جحش وجارية أخرى قرظية.

(وأما أولاده) ﷺ فسـبعة على الأصح ثلاثة ذكور وأربـع بنات وأول مولود له القاسم وبه كان يكنى ثم زينب ثم رقية ثم فـاطمة ثم أم كلثوم ولم يعرف لها اسم ثم عبد الله وكان يسمى الطيب والطاهر وقيـل الطيب والطاهر غير عبد الله وكلهم ولدوا بمكة من خديجة إلا إبراهيم فولد بالمدينة وأمه مـارية (فأما القاسم) فمات بمكة وعمره سنتان وقيل أقل وقيل أكثر وهو أول ميـت مات من ولده (وأما عبد الله) فمات أيضًا بمكة صغـيرًا (وأما إبراهيم) فولد فى ذي الحـجة سنة ثمان من الهـجرة وعق عنه ﷺ يوم سابعـة بكبشين وسـماه وحلق رأسه وتصـدق بزنة شعره فـضة ومات سنة عـشر وعمره إذ ذاك سنة وعشرة أشهر وقيل سنة وستة أشهر ودفن بالبقيع (وأما زينب) فقال ابن إسحق سمعت عبد الله بن محـمد بن سليمان يقول ولدت زينب بنت رسول الله ﷺ فى سنة ثلاثين من مـولده ﷺ وأدركت الإسلام وأسلمت وهاجـرت وكان أبوها يحبهـا انتهى. رتزوجها ابن خالتِـها أبو العاص بن الربيع بن عبد الـعزى قال الحلبي الربيع بكسر الموحـدة وتشديد الياء المفتوحـة اهـ . قال بعضهم والذي عليـه غيره أنه كأمير ثم لما أسلم زوجها جمع ﷺ بينهما قال بعضهم ولم يفرق بينهما من أول البعثة لأن تحريم نكاح المشـرك للمسلمـة إنما كان بعد الهـجرة وعن عائشة رضـي الله عنها

قالت كان الإسلام فرق بين زينب وبين أبى العاص إلا أن رسول الله ﷺ لايقدر أن يفرق بينهما وكان مغلوبًا بمكة وولدت زينب لأبى العاص عليًا وأمامة فأما علي فمات مراهقًا وأما أمامة فتزوجها علي بن أبى طالب بعد خالتها فاطمة بوصية من فاطمة وتزوجها بعد موت عليّ رضي الله عنه المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب بوصية من علي وكان رسول الله ﷺ يحب أمامة وهى التى كان يحملها في الصلاة على عاتقه فإذا ركع وضعها وإذا رفع رأسه من السجود أعادها وتوفيت زينب سنة ثمان من الهجرة (وأما رقية) بنته ﷺ فولدت ولرسول الله ﷺ ثلاث وثلاثون سنة وكان تزوجها عتبة بن أبى لهب وتزوج أختها أم كلثوم عتيبة أخوه فلما نزلت تبت يدا أبى لهب قال أبو لهب لهما : رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتى محمد ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما. عن قتادة أن عتيبة لما فارق أم كلثوم جاء إلى النبى ﷺ فقال له : كفرت بدينك وفارقت ابنتك لاتحبني ولا أحبك ثم سطا عليه وشق قميصه وهو خارج نحو الشام تاجرًا فقال له ﷺ : أما إنى أسأل الله أن يسلط عليك كلبه فخرج في تجر من قريش حتى نزلوا مكانًا من الشام يقال له الزرقاء ليلا فجاء الأسد تلك الليلة فجعل عتبة يقول: ياويل أمي هو والله آكلي كما دعا علي محمد أقاتلي ابن أبي كبشة وهو بمكة وأنا بالشام فعدى عليه الأسد من بين القوم فأخذ برأسه ففدغه ، وقيل إن عتبة هو الذي أكله السبع لاعتيبة بالتصغير وأن الذي أسلم عتيبة وهو ما فى الشفاء .

(تنبيه) أبو كبشة جد من أجداده ﷺ من جهة أمه كذا فى تفسير الخطيب وإنما نسب إليه النبي ﷺ لأن أبا كبشة خالف قريشًا وعبد الشعرى فلما خالف رسول الله دين قريش قال مشركو قريش نزعه أبو كبشة وقيل إن إباه من الرضاع زوج حليمة السعدية كان يدعى بأبي كبشة كذا فى ذخائر العقبي. ثم تزوج عثمان بن عفان رضي الله عنه رقية بمكة وكان بوحى من الله تعالى فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «إن الله أوحى اليّ أن أزوج كريمتى عثمان بن عفان» . أخرجه الطبرانى فى معجمه وزاد عليه بعد قوله كريمتى يعني رقية وأم كلثوم وهاجر بها

الهجرتين إلى الحبشة ثم إلى المدينة وكانت ذات جمال. وفى حياة الحيوان لما هاجرت إلى الحبشة كان فتيان أهل الحبشة يتعرضون لها ويتعجبون من جمالها فآذاها ذلك فدعت عليهم جميعًا وولدت لعثمان بالحبشة ولدا سماه عبد الله وكان يكنى به قال مصعب وبلغ العلام ست سنين فنقر عينه ديك فتورم وجهه ومرض ومات وقال غيره وصلى عليه رسول الله ﷺ ونزل فى حفرته أبوه عثمان رضي الله عنه ، توفيت رقية بالمدينة وكان عثمان قد تخلف عن بدر لأجلها فجاء زيد بن حارثة بشيراً بفتح بدر وعثمان قائم على قبرها ولما عزى بها رسول الله ﷺ قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات خرجه الدولابي وكانت وفاتها لسنة وعشرة أشهر وعشرين يومًا من مقدمه ﷺ المدينة ذكره ابن قتيبة (وأما أم كلثوم) ابنته ﷺ فقد تقدم أن عتيبة بن أبى لهب كان تزوجها ثم فارقها قبل الدخول فلما ماتت رقية أختها تزوجها عثمان بن عفان رضي الله عنه بوحي من الله وأمر منه تعالى فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «لقى النبى ﷺ عثمان عند باب المسجد فقال يا عثمان هذا جبريل أخبرني أن الله تعالى قد أمرني أن أزوجك أم كلثوم بمثل صداق رقية وعلى مثل صحبتها» . خرجه ابن ماجة والحافظ أبو القاسم الدمشقي والإمام أبو الخير القزويني الحاكم وعنه قال عثمان : « لما ماتت امرأته بنت رسول الله بكيت بكاء شديداً فقال رسول الله ﷺ مايبكيك قلت أبكي على انقطاع صهري منك قال فهذا جبريل يأمرني بأمر الله أن أزوجك أختها وأن أجعل صداقها مثل صداق أختها». أخرجه الفضائلي وعن سعيد بن المسيب قال: «آم عثمان من رقية بنت رسول الله ﷺ وآمت حفصة بنت عمر من زوجها فمر بعثمان فقال له هل لك في حفصة وكان عثمان قد سمع رسول الله ﷺ يذكرها فلم يجبه فذكر عمر للنبي ﷺ فقال النبى ﷺ هل لك في خير من ذلك أتزوج أنا حفصة وأزوج عثمان خيراً منها أم كلثوم». خرجه أبو عمرو وقال حديث صحيح وعن ربعي ابن حراش عن عثمان: «أنه خطب إلى عمر ابنته فبلغ ذلك النبى ﷺ فلما راح إليه عمر قال ياعمر أدلك على خير لك من عثمان وأدل عثمان على خير له منك؟ قال نعم يانبى الله قال زوجنى ابنتك وأزوج عثمان ابنتى». خرجه الخجندى، وأم كلثوم

عرفت بكنيتها ولم يعرف لها اسم، واختلف فى أيهما أكبر هى أم رقية وهى أكبر سنًا من فاطمة ماتت أم كلثوم سنة تسع من الهجرة وصلى عليها أبوها ﷺ ونزل فى حفرتها عليّ والفضل وأسامة بن زيد وأبو طلحة الأنصارى وغسلتها أسماء بنت عميس وصفية بنت عبد المطلب عمتها وشهدت أم عطية غسلها ولم تلد رضى الله عنها (وأما فاطمة) بنته ﷺ فولدت وقريش تبنى الكعبة قبل النبوّة بخمس سنين وهى أصغر بناته وأمها خديجة بنت خويلد رضي الله عنهما، عن أبى جعفر قال دخل العباس على عليّ وفاطمة وأحدهما يقول للآخر أينا أكبر فقال العباس ولدت يا على قبل بناء قريش البيت بسنوات وولدت أنت وقريش تبنى البيت ورسول الله ﷺ ابن خمس وثلاثين سنة قبل النبوة بخمس سنين خرجه الدولابي وكان رسول الله ﷺ يحبها حبًا شديدًا فعن عائشة قالت قلت يارسول الله : «ما لك إذا أقبلت فاطمة جعلت لسانك فى فيها فكأنك تريد أن تلعقها عسلا فقال ﷺ إنه لما أسرى بي أدخلنى جبريل الجنة فناولنى تفاحة فأكلتها فصارت نطفة فى ظهري فلما نزلت من السماء واقعت خديجة ففاطمة من تلك النطفة فكلما اشتقت إلى تلك التفاحة قبلتها». أخرجه أبو سعد فى شرف النبوة وفى رواية قالت عائشة: « إنك تكثر تقبيل فاطمة فقال ﷺ إن جبريل ليلة أسري بي أدخلني الجنة فأطعمنى من جميع ثمارها فصار ماء فى صلبي فحملت خديجة بفاطمة فإذا اشتقت إلى تلك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التى أكلتها». خرجه الفضل بن خيرون كذا فى ذخائر العقبي قال بعضهم وهذه الروايات تقتضى كون ولادة فاطمة بعد البعثة لأن الإسراء كان بعد البعثة وصرح أبو عمرو بأن ولادة فاطمة كانت سنة إحدى وأربعين من مولده ﷺ انتهى .

وفى درر الأصداف رد ذلك وعبارته : وأما خبر أتانى جبريل بسفر جلة من الجنة فأكلتها ليلة أسري بي فأتت خديجة بفاطمة فكنت إذا اشتقت لرائحة الجنة شممت رقبة فاطمة فقال الأئمة ردًا على تصحيح الحاكم له إنه كذب موضوع جلي الوضع لأن فاطمة ولدت قبل النبوة فضلا عن ليلة الإسراء ذكر ذلك ابن حجر فى شرح الهمزية انتهى. روى البخاري ومسلم والترمذى عن النبى ﷺ أنه قال : « إنه

كمل من الرجـال كثير ولم يكمل من النســاء إلا مريم ابنة عمران وآسيـة بنت مزاحم امرأة فرعـون وخديجة بنت خويلد وفـاطمة بنت محمـد». وفى كتاب معالـم العترة النبوية مرفـوعًا إلى قتادة عن أنس رضي الله عنه قال : قـال رسول الله ﷺ :« خير نسائها فاطمة بنت محمد ﷺ وآسية امرأة فرعون». وعن عائشة رضي الله عنها قالت لفاطمة رضي الله عنـها ألا أبشرك إنى سمعت رسول الله ﷺ يقـول :« سيدات نساء أهل الجنة أربع مريم بنت عمران وفاطمة بنت محمد ﷺ وخديجة بنت خويلد وآسية بنت مزاحم امرأة فـرعون» . وعن النبى ﷺ قال : «إذا كان يوم القيـامة قيل يا أهل الجمـع غضـوا أبصاركم حـتى تمر فـاطمة بنـت محـمد ﷺ فتـمر وعـليهـا ريطان خضـروان». وفى بعض الروايات حـمروان وفى المسند للإمـام أحمد بـن حنبل عن حذيفة بن اليمان قال :« سألتنى أمي متـى عهدك بالنبى ﷺ فقلت لها منذ كذا وكذا وذكرت مدة طويلة فنـالت مني وسبتنى فقلت لها دعـينى آتى رسول الله ﷺ وأصلى معـه المغرب ثم لا أدعه حـتى يستغفـر لى ذلك قال فأتـيت النبى ﷺ فصليت مـعه المغرب والعـشاء ثم انتقل ﷺ من صـلاته فتبعـته فعرض له عارض فـناجاه ثم ذهب فتبعتـه فسمع مشيتى خلفه فقـال من هذا فقلت حذيفة فقال مالك؟ فـحدثته بحديث أمي فقال غـفر الله لك ولأمك ثم قال أما رأيت العارض الذى عـرض لي فقلت بلي يارسول الله قال هو ملك من الملائكة لم يهـبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربي في أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسـين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نسـاء العالمين». وفى المسند أيضًا عن عـائشة قالت: «أقبلت فاطـمة تمشى كأن مشيتها مـشية رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ مرحبًا بابـنتى ثم أجلسها عن يمينه وأسر لها حديثًا فبكت فقلت استـخصك رسول الله ﷺ بحديثه ثم تبكين ثم أسرّ لها حديثًا فضـحكت فقلت ما رأيت كاليوم فرحًـا أقرب من حزن فسألتها عـما قيل لها؟ فقالت ماكنت لأفـشي سر رسول الله ﷺ حتى قبض رسول الله ﷺ فسألـتها فقالت أسر إلىّ فقال إن جبريل كان يعارضنـى بالقرآن فى كل عام مرة وإنه عارضني به العام مرتين ولا أراه إلا قد حضر أجلي وإنك أول أهل بيـتى لحوقًا بي ونعم السلف أنا لك

فبكيت فقال ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء هذه الأمة أو نساء العالمين فضحكت لذلك». وأخرج تمام والبزار والطبراني وأبو نعيم أنه ﷺ قال: «إن فاطمة أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار». وفى رواية: «فحرمها الله وذريتها على النار» وأخرج الديلمي مرفوعًا «إنما سميت فاطمة فاطمة لأن الله قطمها ومحبيها عن النار». وأخرج الطبرانى بسند رجاله ثقات أنه ﷺ قال لها: « إن الله غير معذبك ولا أحد من ولدك». وروى عن مجاهد قال: « خرج النبى ﷺ وهو آخذ بيد فاطمة فقال من عرف هذه فقد عرفها ومن لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمد وهى بضعة مني وهى قلبي وهي روحي التى بين جنبي من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله». وروى الأصبغ بن نباتة عن أبي أيوب الأنصاري قال قال رسول الله ﷺ: « إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد من بطنان العرش إن الجليل جل جلاله يقول نكسوا رءوسكم وغضوا أبصاركم فإن هذه فاطمة بنت محمد ﷺ تريد أن تمر على الصراط». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه «أنه ﷺ مر فى السماء السابعة قال فرأيت فيها لمريم ولأم موسى ولآسية امرأة فرعون ولخديجة بنت خويلد قصوراً من ياقوت ولفاطمة بنت محمد سبعين قصرا من مرجان أحمر مكللا باللؤلؤ أبوابها من عود واحد». وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « أول شخص يدخل الجنة على وفاطمة بنت محمد ﷺ (تزوجها) علي بن أبي طالب رضي الله عنه شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة وبنى بها فى ذي الحجة من السنة المذكورة نقل الشيخ أبو على الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن سنان مرفوعًا إلى أنس رضي الله عنه قال: « كنت عند رسول الله ﷺ فغشيه الوحي فلما أفاق قال لي يا أنس أتدري ما جاءنى به جبريل عليه السلام من صاحب العرش عز وعلا قلت بأبي أنت وأمى ماجاءك به جبريل؟ قال قال لي إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تزوج فاطمة من على فانطلق وادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعدتهم من الأنصار قال فانطلقت فدعوتهم فلما أن أخذوا مجالسهم قال رسول الله ﷺ: الحمد لله المحمود بنعمته بقدرته المطاع سلطانه المهروب إليه من عذابه النافذ أمره فى أرضه وسمائه الذي خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بدينه

وأكرمهم بنبيه محمد ﷺ إن الله عز وجل جعل المصاهرة نسبًا لاحقًا وأمرا مفترضًا وحكمًا عادلا وخيرًا جامعًا وشج به الأرحام وألزمها الأنام فقال عز وجل: وهو الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا وكان ربك قديرًا. وأمر الله تعالى يجرى إلى قضائه وقضاؤه يجرى إلى قدره ولكل قضاء قدر ولكل قدر أجل ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، ثم إن الله تعالى أمرني أن أزوج فاطمة من علي وأشهدكم أني زوجت فاطمة من عليّ على أربعمائة مثقال فضة إن رضي بذلك على السنة القائمة والفريضة الواجبة فجمع الله شملهما وبارك لهما وأطاب نسلهما وجعل نسلهما مفاتيح الرحمة ومعادن الحكمة وأمن الأمة أقول قولي هذا وأستغفر الله لى ولكم قال وكان على رضي الله تعالى عنه غائبًا في حاجة لرسول الله ﷺ قد بعثه فيها ثم أمر لنا رسول الله ﷺ بطبق فيه تمر فوضع بين أيدينا فقال انتبهوا فبينما نحن كذلك إذ أقبل علي رضي الله عنه فتبسم إليه رسول الله ﷺ وقال يا علي إن الله أمرني أن أزوجك فاطمة وإنى قد زوجتها على أربعمائة مثقال فضة فقال علي رضيت يارسول الله ثم إن عليًا خر ساجدًا شكرًا لله فلما رفع رأسه قال له رسول الله ﷺ بارك الله لكما وعليكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب قال أنس والله أخرج منهما الكثير الطيب» . ولم تضحك فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها ﷺ قط. وعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال إن فاطمة بنت رسول الله ﷺ سارت إلى قبر أبيها بعد موته ﷺ ووقفت عليه وبكت ثم أخذت قبضة من تراب القبر فجعلتها على يمينها ووجهها ثم أنشأت تقول:

ماذا على من شم تربة أحمد ... ألا يشم مدى الزمان غواليا
صبت على مصائب لو أنها ... صبت على الأيام عدن لياليا

ولها رضى الله عنها ترثى أباها ﷺ :

أغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
والأرض من بعد النبى كئيبة ... أسفا عليه كثيرة الأحزان

فليبكه شرق البلاد وغربهـــا ولتبكه مضر وكل يمـــــان
وليبكه الطود الأشم وجـــوه والبيت ذو الأستار والأركـــان
يا خاتم الرسل المبارك صنــوه صلى عليك منزل القـــرآن

توفيت رضي الله عنهـا ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمـضان سنة إحدى عشرة وهى بنت ثمان وعشرين سنة ودفنت بالـبقيع ليلا وصلى عليها علي رضى الله تعالى عنه وقيل صلـى عليها العباس رضى الله تعالى عنه ونـزل فى قبرها هو وعلى والفضل بن العباس . وفى كتاب الذرية الطاهرة لـلدولابي قال لبثت فاطمة بعد وفاة النبي ﷺ ثلاثة أشهـر وقال عروة بن الزبير وعائشـة لبثت ستة أشهـر ومثله وعن ابن شهاب الزهري وهو الصحيح روى أن عليا رضي الله تعالى عنه لما ماتت فاطمة رضي الله عنها وفرغ من جهازها ودفنها رجع إلى البيت فـاستوحش فيه وجزع عليها جزعًا شديدًا ثم أنشأ يقول :

أرى علل الدنيا على كثيـــرة وصاحبها حتى الممات عليـــل
لكل اجتماع من خليلين فرقـــة وكل الذي دون الفراق قليـــل
وإن افتقادي فاطما بعد أحمـــد دليل على ألا يدوم خليـــل

وروى جعفر بن محمد رضى الله تعالى عنهما قال لما ماتت فاطمة رضي الله عنها كان علي رضي الله تعالى عنه يزور قبرها في كل يوم قال فأقبل ذات يوم فانكب على القبر وبكى وأنشأ يقول :

مالى مررت على القبور مسلمـــا قبر الحبيب فلم يرد جوابـــي
يا قبر مالك لاتجيب مناديـــا أمللت بعدي خلة الأحبـــاب

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول :

قال الحبيب وكيف لى بجوابكـــم وأنا رهين جنادل وتـــراب
أكل التراب محاسني فنسيتكـــم وحجبت عن أهلي وعن أترابـى
فعليكم منى السلام تقطعـــت منى ومنكم خلة الأحبـــاب

(وأما أولادها) رضي الله عنها فالحسن والحسين ومحسن وهذا مات صغيراً وأم كلثوم وزينب ، وزاد الليث بن سعد رقية وماتت وهي صغيرة لم تبلغ ولم يتزوج علي رضي الله عنه على فاطمة رضي الله عنها حتى ماتت وكانت أول أزواجه رضي الله عنهما .

(وأما خدمه ﷺ) فمنهم أنس بن مالك الأنصاري وكان من أخصهم، خدمه من حين قدومه إلى المدينة إلى أن توفي وعبد الله بن مسعود وكان صاحب سواكه ونعليه إذا قام ﷺ ألبسه إياهما وإذا جلس جعلهما في ذراعيه وكان يمشي أمامه بالعصا حتى يدخل الحجرة ومعيقيب الدوسي وكان صاحب خاتمه ﷺ وعقبة بن عامر الجهني وكان صاحب بغلته ﷺ يقودها في الأسفار وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته ﷺ كان يرحلها له وبلال وكان على نفقاته.

(وأما مواليه ﷺ الذين أعتقهم) فزيد بن حارثة وهبته له خديجة قبل النبوة فتبناه وكان حبه عليه الصلاة والسلام وابنه أسامة وأخو أسامة لأمه أيمن ابن أم أيمن بركة الحبشية وأبو رافع وكان قبطيًا أعتقه ﷺ لما بشره بإسلام العباس وشقران بضم الشين كما في المواهب والسيرة الحلبية واسمه صالح وكان حبشيًا وقيل فارسيًا وثوبان وأنجشه وكان أسود ورباح وكان أسود ويسار وكان نوبيًا وكان على لقاح رسول الله ﷺ وهو الذي قتله العرنيون وسفينة وكان أسود وهو الذي لقيه سبع حين ضل في بعض الأمكنة فقال له يا أبا الحرث أنا مولى رسول الله ﷺ ، فمشى أمامه حتى أقامه على الطريق وسلمان الفارسي لأنه ﷺ هو الذى أدى عنه نجوم الكتابة لكنه حر في الأصل واسترق ظلمًا. وخصي أهداه له المقوقس يقال له مأبور لم يسلم بل بقي نصرانيًا وآخر يقال له سندر. ومن النساء أم أيمن وأميمة وسيرين وقيسر اللتان أهداهما له المقوقس مع مارية وهما أختاها، وذكر بعضهم أنه وهب سيرين لحسان بن ثابت ووهب قيسر لجهم بن قيس (وروي) أنه ﷺ أعتق في مرض موته أربعين رقبة.

(وأما نقباؤه ﷺ فاثنا عشر نقيبًا) ، وفي المحاضرات ولم يكن لنبي قبله هذا القدر بل كان لكل نبي سبعة وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والزبير وجعفر بن أبي

طالب ومصعب بن عمير وبلال وعمار والمقداد وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود اهـ.

(وأما نجباؤه ﷺ فكلهم من الأنصار) وهم سعد بن خيثمة من بنى عمرو بن عوف وسعد بن الربيع من بنى النجار وسعد بن عبادة من بنى عبد الأشهل وعبد الله ابن رواحة وأبو الهيثم بن التيهان والبراء بن معرور ورافع بن مالك الأزرقي وعبد الله ابن عمرو بن حرام وهو أبو جابر وعبادة بن الصامت من بنى سلمة والمنذر بن عمرو من بنى ساعدة اهـ من المسامرات.

(وأما حواريوه ﷺ فكلهم من قريش) وهم اثنا عشر رجلا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وحمزة ابن عبد المطلب وجعفر بن أبى طالب وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون، فالذي جمع بين النجابة والحوارية أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وجعفر وعثمان بن مظعون فهؤلاء الستة جمعوا بين الشرفين رضي الله عنهم أجمعين اهـ. من المحاضرات للشيخ محيي الدين .

(وأما نوابه ﷺ الذين استعملهم على المدينة في وقت خروجه لغزو أو عمرة أو حج) فأبو لبابة وبشير بن عبد المنذر وعثمان بن عفان وعبد الله بن أم مكتوم الأعمى وأبو ذر الغفارى وعبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول الأنصاري وسباع بن عرفطة وغيلة بن عبد الله الليثي وعوف بن أضبط الديلمي وأبو رهم كلثوم ومحمد بن مسلمة وزيد بن حارثة والسائب بن عثمان بن مظعون وأبو سلمة ابن عبد الأسد وسعد بن عبادة وأبو دجانة الساعدي ، وما استعملهم فيه ﷺ مذكور فى المحاضرات.

(وأما أمراؤه ﷺ) فمنهم باذان بن سامان من ولد بهرام أمره على اليمن وهو أول أمير فى الإسلام على اليمن وأول من أسلم من ملوك العجم وخالد بن سعيد أمره على صنعاء وزياد بن لبيد الأنصارى البياضي أمره على حضرموت وأبو موسى الأشعري وأمره على زبيد وعدن ومعاذ بن جبل وأمره على الجند وأبو سفيان بن

حرب وأمره على نجران ويزيد ابنه وولاه تيما وعتاب بتشديد الفوقية بن أسيد بفتح الهمزة وكسر السين المهملة وولاه مكة.

(وأما كتابه ﷺ) فعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وأبى بن كعب وزيد بن ثابت ومعاوية وخالد بن سعيد بن العاص وأبان بن سعيد والعلاء بن الحضرمي وحنظلة بن الربيع وعبد الله بن سعد بن أبي سرح أخو عثمان من الرضاع فهؤلاء كتاب الوحى رضي الله عنهم أجمعين . وفي حياة الحيوان وكان المداوم على الكتابة زيدًا ومعاوية انتهى وكان الزبير بن العوام وجهم بن الصلت يكتبان أموال الصدقات وكان حذيفة بن اليمان يكتب حوض النخل وكان المغيرة بن شعبة والحصين بن نمير يكتبان المداينات والمعاملات وكان شرحبيل بن حسنة يكتب التوقيعات إلى الملوك وقد كتب له أبو بكر رضي الله عنه حين هاجر فى الطريق .

(وأما من جمع القرآن حفظا على عهده ﷺ) فأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وأبو زيد الأنصارى وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعثمان بن عفان وتميم الداري وعبادة ابن الصامت وأبو أيوب الأنصاري أورده العلامة الدميري في حياة الحيوان.

(وأما من كان يضرب الأعناق بين يديه ﷺ) فعلي والزبير ومحمد بن مسلمة والمقداد وعاصم بن أبي الأفلح .

(وأما من كان يحرسه ﷺ) فسعد بن أبي وقاص وسعد بن معاذ وعباد بن بشر وأبو أيوب الأنصارى ومحمد بن مسلمة الأنصاري فلما نزل قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾[1] ، ترك الحراسة انتهى . من حراسة الحيوان.

(وأما من كان يفتى على عهده ﷺ) فأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وعبد الرحمن بن عوف وأبى بن كعب وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان الفارسي وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعرى كذا فى حياة الحيوان.

(وأما مؤذنوه ﷺ) فبلال بن رباح وأمه حمامة وهو مولى أبي بكر الصديق

---

(١) سورة المائدة آية ٦٧ .

رضي الله تعالى عنهما وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ولم يؤذن بعده لأحد من الخلفاء إلا أن عمر لما فتح الشام أذن بلال فتذكر الناس النبي ﷺ فبكوا بكاء شديدًا قال أسلم مولى عمر رضي الله تعالى عنهما لم أر باكيًا أكثر من يومئذ توفي بلال سنة سبع عشرة أو ثماني عشرة من الهجرة بداريا بباب كيسان.وله بضع وستون سنة وقيل دفن بحلب وقيل بدمشق وابن أم مكتوم واسمه عمرو القرشي الأعمى وفي الكشاف أسمه عبد الله وأم مكتوم أم أبيه هاجر إلى المدينة قبل النبي ﷺ وفيه أنزل الله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ . أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴾[1] وسعد بن أبى عائذ أو ابن عبد الرحمن المعروف بسعد القرظي أذن بقباء لرسول الله ﷺ وأبو محذورة الجمحي المكى كان يؤذن لرسول الله ﷺ بمكة نقله بعضهم .

(فائدة) قال النيسابوري الحكمة فى كونه ﷺ كان يؤم ولا يؤذن أنه لو أذن لكان كل من تخلف عن الإجابة كافرًا وقال أيضًا ولأنه كان داعيًا فلم يجز أن يشهد لنفسه وقال غيره لو أذن وقال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لتوهم أن ثم نبيًا غيره وقيل لأن الأذان رآه غيره في المنام فوكله إلى غيره وأيضًا كان لا يتفرغ إليه من أشغاله وأيضًا قال عليه الصلاة والسلام :« الإمام ضامن والمؤذن أمين» فدفع الأمانة إلى غيره وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام إنما لم يؤذن لأنه كان إذا عمل عملا أثبته أى جعله دائمًا وكان لايتفرغ لذلك لانشغاله بتبليغ الرسالة وهذا كما قال عمر لولا الخلافة لأذنت قال : وأما من قال إنه امتنع لئلا يعتقد أن الرسول غيره فخطأ لأنه ﷺ كان يقول فى خطبته وأشهد أن محمدا رسول الله أورده شهاب الدين أحمد ابن العماد فى كتابه كشف الأسرار عما خفى عن الأفكار انتهى .

(وأما قضاته عليه الصلاة والسلام) فأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ومعاد بن جبل وأبو موسى الأشعري ولي كل منهم القضاء باليمن .

(وأما رسله ﷺ) فعمرو بن أمية الضمري ودحية بن خليفة الكلبي وعبد الله ابن حذافة السهمي وحاطب بن أبى بلتعة اللخمي وشجاع بن وهب الأسدي وسليط ابن عمرو العامري وعمرو بن العاص والعلاء بن الحضرمي.

---

(١) سورة عبس آية ١ ، ٢ .

(وأما شعـراؤه ﷺ) الذين كانوا يذبون عن الإسلام فكعب بن مـالك وعبد الله ابن رواحة الخزرجي الأنصارى وحسان بن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الأنصارى دعا له النبى ﷺ فقال اللهم أيده بروح القدس يقال أعانه جبريل بسبعين بيتًا.

(وأما أخوته ﷺ من الرضاع) فعمه حمزة أرضعتهما ثويبة مولاة أبى لهب على ولدها مسروح فـهو أخوهما وأخوه أيضا ﷺ عـبد الله وأنيسه وجذامة وهي الـشيماء وأمهم حليمة وأبوهم الحرث بن عبد العزى السعدي والشيماء هي التي كانت في سبي حنين وأرته ﷺ عضته فـى ظهرها فعرفها وبسط لها رداءه وزودهـا وردها إلى قومها حسبما سألت .

(وأما حيواناته ﷺ) فكان له من الخيل سبعة أفراس وقيل أكثر منها السكب شبه بسكب الماء وأنصابه لشدة عدوه وهو أول فرس ملكه ﷺ وكان سرجه ﷺ دفتين من ليف وكان له من البغال ست منها بغلة شهـباء يقال لها دلدل أهداها له مقوقس مصر وهى أول بغلة ركبت فى الإسلام وعاشت حتى ذهبت أسنـانها وكان يدق لها الشعير وعميت وقاتل عليـها علي رضي الله تعالى عنه الخوارج بعد أن ركبها عـثمان وركبها بعده الحسن ثم الحسين ثم محمد بن الحنفية وماتت بسهم رماها به رجل وكان له ﷺ حماران يقال لأحدهما يعفور وللآخر عـفير بضم العين المهملة على الصواب وكان له من الإبل ثلاث ناقة يقال لها الـقصوى وناقة يقال لها الجدعاء وناقة يقـال لها العضباء وهى التى كانت لاتُسبق فسبقت فشق ذلك على المسلمين فقال عليه الصلاة والسلام : « إنَّ حقًا علـى الله ألايرفعَ شيئًا من الدنيـــا إلا وضعه». ويقال إن العضـباء هذه لم تأكل ولم تـشرب بعد وفـاته ﷺ حتى مـاتت وقيـل إن التى لم تُسبـق فسُبـقت هي القصوى وقيل الأسماء الثلاثة لواحدة وقيل القصوى واحدة والجدعاء والعضباء واحدة وكان له من الغنم مائة وسبعة أعنز كـانت ترعاها أم أيمن وكان له شاة يختص بشرب لبنها وأما الـبقر فلم ينقل أنه اقتنى شـيئا منها واقتنى ﷺ الديك الأبـيض وكان يبيت معه فى الـبيت نقله بعضهـم وكان له ﷺ شاة تسمى غـوثة وقيل غيثـة وعنز تسمى اليمن كذا فى أسد الغابة.

(وأما سيوفه ﷺ) فالغصب والرسوب والبتار والحتف وذو الفقار وكان مكتوبًا على أحد سيوفه ﷺ هذا البيت :

في الجبن عار وفي الإقدام مكرمة والمرء بالجبن لاينجو من القدر

وهو الذي أعطاه رسول الله ﷺ لأبي دجانة يوم أحد وكان قد طلبه أبو بكر وعمر وعلي فلم يعطهم إياه وقال لا أعطيه إلا بحقه فقال أبو دجانة ما حقه يا رسول الله قال أن تضرب به في العدو حتى ينحني فقال أنا آخذه بحقه فأخذه وكان أبو دجانة رجلا شجاعًا يختال عند الحرب وذو الفقار كان في وسطه مثل فقرات الظهر وكان لايفارقه ﷺ في حرب من الحروب يقال إن أصله من حديدة وجدت مدفونة عند الكعبة ونقل غير واحد أن ذو الفقار كان لمنبه بن الحجاج السهمي كان مع ابنه العاص يوم بدر فقتله علي وجاء بالسيف إلى رسول الله ﷺ فأعطاه رسول الله ﷺ عليًا رضي الله عنه فقاتل به يوم أحد وفيه قال يوم أحد ابن أبي نجيح :

لاسيف إلا ذو الفقـــــار ولا فتـــى إلا علـــــى

(وفي الفصول المهمة) يروى أن بلقيس أهدت إلى سليمان عليه السلام سبعة أسياف كان ذو الفقار منها ، وقد جاء في بعض الروايات عن علي رضي الله تعالى عنه أنه قال جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال له إن صنمًا باليمن معفرًا بالحديد فابعث إليه فادققه وخذ الحديد قال علي رضي الله تعالى عنه فدعاني رسول الله ﷺ وبعثني إليه فذهبت ودفنت الصنم وأخذت الحديد وجئت به إلى رسول الله ﷺ فاستضرب منه سيفين فسمى أحدهما ذا الفقار والآخر مخذما فتقلد رسول الله ﷺ ذا الفقار وأعطاني مخذما ثم أعطاني ذا الفقار بعد ذلك فرآني وأنا أقاتل به يوم أحد فقال :

لاسيف إلا ذو الفقـــــار ولا فتـــى إلا علـــــى

قال ابن إسحق وفي هذا اليوم هاجت ريح فسُمع هاتف يقول :

لاسيف إلا ذو الفقـــــــــار ولا فتـــى إلا علـــــــــى

فإذا نديتـــــــــم هـــالكًا فابكوا الولي بن الولـــــــي

وأنشد الخـطيب ضياء الـدين أخطب خوارزم الموفـق أحمد الخـوارزمي المالكي رحمه الله تعالى :

أسد الإله وسيفه وقناتــــــه كالظفر يوم صياله والنـــــاب

جاء النداء من الإله وسيفـــــه بدم الكماة يسح فى تسكـــاب

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي هازم الأحـــــــزاب

(وأما دروعه ﷺ فسبعة) السعدية وفضة وذات الـفضول وذات الوشاح وذات الحواشي والبتراء والخرنق. (وأما قسيه ﷺ) فـثلاثة الروحاء والصفراء والبيضاء وقيل ستة . (وأما رماحه ﷺ) فـثلاثة وقيل خمسة قال الشيخ محـيى الدين لم يسمها لنا أحد ممن روينا عنهم (وكـان) له ثلاثة أتراس وكان له ثلاث حباب وكان اسم عـمامته السحاب واسم رايته العقاب واسم لوائه الحمد واسم قصعته الغراء وكان يحملها أربعة رجال فيـها أربع حلق حديد (وكـان له من الحراب) خمس منهـا حربة صغيرة تـشبه العكاز يقال لها العنزة بفتح العين المهملة والنون والزاي كانت تحمل بين يديه يوم العيد وتركز بين يديه ويصلي إليها في أسفاره ، وفى أسـد الغابة كانت تحمل معه فى العيد تجعل بين يديه يصلى إليها وله حربة كبيرة اسمها البيضاء (وكان له مجن) قدر ذراع أو أكثر بيسـير ذو رأس يمشى به ويعلق بين يديه على بعيره وكان لـه قضيب من شوحط قيل هو الذي كان تداوله الخلـفاء وكان له مخصرة بكسر الميم وسكون الخـاء المعجمة وفتح الصاد المهملة وهي ما يمسكه بيده من عصا أو مقرعة وكان له خوذتان والخوذة ما يجعل على الرأس من الزرد مـثل القلنسوة وكان له ﷺ قدحـان اسم أحدهما الريان والآخر المضبب وله تور من حجارة يقال له المخضب يتوضأ منه وله مخضب من شبه والشبه النـحاس الأصفر وله ركوة تسـمى الصادر وله فسطاط يسـمى الركي وله مرآة تسمى المدلة ومقراض يسمى الجامع ونعل يسميها الصفراء .

(تتمة في مرضه ﷺ الذي مات فـيه وما يتصل به) لما رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع إلى المدينة أقـام بها بقية ذي الحجة تمام سنة عـشر ثم دخلت سنة إحدى عشرة فأقام المحـرم وصفر وفي يوم الأربعاء من آخر صفر بدأ بالـنبى ﷺ وجعه فحم وصدع وأشار فـيه إشارة ظاهرة بخلافة أبى بكـر بثنائه على المنبر عليه كـما فهم دون بقية الصحابة قوله فى آخر خطبته : « إن عبدًا خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا وبين ما عنده فـاختار ما عنده» أنـه ﷺ يعنى نفسه فـبكى وقال فديناك يارسـول الله بآبائنا وأمهاتنا فقـابله ﷺ بقوله: «إن أمنّ الناس علي فى صحبتـه وماله أبو بكر ولو كنت متخـذًا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبـا بكر خليلا ولكن أخوّة الإسـلام ثم قال لايبقى فى المـسجد خوخـة إلا سدت إلا خوخة أبى بكـر» ثم أكد أمر الخلافـة بأمره صريحًا أن يصـلى بالناس فصلى أبو بكر بالناس سـبع عشرة صلاة وبقـية الصلاة فى مدة مرضـه صلاها بهم وقد ورد أنه ﷺ وجد خـفة فى اليوم الذى توفي فيـه فخرج ﷺ وأبو بكر يصلى بالناس الصبح فصلـى النبى ﷺ خلفه مؤتمًا به وأذن له نساؤه أن يمرض فى بيت عـائشة لما رأين من حـرصه على ذلك فـدخل بيتهـا يوم الأثنين وفى البخارى أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفى فى بيـتي وفى يومي وبين سحـري ونحري وأن الله جمع بين ريقى وريـقه عند موته دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه وعرفت أنه يحـب السواك فقلت آخذ لـك فأشار برأسه أن نعم فـتناوله فاشتـد عليه وقلت ألينه لك فأشـار برأسه أن نعم فلينته وبين يديـه ركوة أو علبة فيها مـاء فجعل يدخل يديه فى المـاء فيمسـح بهما وجهـه يقول لا إله إلا الله إن للمـوت سكرات ثم نصب يده فجعل يقول فى الرفيق الأعلى حتى قبض ومالتْ يده اهـ. ولما مات رسول الله ﷺ طاشت عقول الصـحابة فخبل عمر رضي الله عنه وأخـرس عثمان رضي الله عنه وأقعد عليّ رضي الله عنه ، وعـن أنس رضي الله عنه قال : لما توفى النبى ﷺ قام عمر بن الخطاب فى المسـجد خطيبًا فقال لا أسمعن من أحد يـقول إن محمدًا قد مات ولكنه أرسل إليه كما أرسل موسى بـن عمران فلبث عن قومه أربعين ليلة. وفى

تتمة المختصر لما قبض الله نبيه ﷺ قال عمر من قال إن محمداً رسول الله ﷺ مات علوت رأسه بسيفي هذا وإنما ارتفع إلى السماء انتهى . وفى البخاري عن أبى سلمة أن عائشة أخبرته أن أبا بكر رضي الله عنه أقبل على فرسه من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال بأبى أنت وأمى والله لايجمع الله عليك موتتين أما الموتة التى كتب عليك فقدمتها قال الزهري وحدثنى أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أنا أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال اجلس ياعمر فأبى عمر أن يجلس فأقبل الناس إليه وتركوا عمر فقال أبو بكر. أما بعد من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لايموت قال الله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[1] وقال والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها .

(فائدة) روى « أن جبريل عليه السلام نزل على النبى ﷺ فى مرض موته فقال ياجبريل هل تنزل من بعدي؟ فقال نعم يارسول الله أنزل عشر مرات أرفع العشر جواهر من الأرض قال ياجبريل وما ترفع منها قال الأول أرفع البركة من الأرض الثانى أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الأقارب الرابع أرفع العدل من الأمراء الخامس ارفع الحياء من النساء السادس أرفع الصبر من الفقراء السابع أرفع الورع والزهد من العلماء الثامن أرفع السخاء من الأغنياء التاسع أرفع القرآن العاشر أرفع الإيمان» .

(وغسله ﷺ) على بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس وقثم بن العباس وأسامة بن زيد وشقران مولى رسول الله ﷺ وأحضروا أوس بن خولى جد بنى عوف فكان علي يسنده ويغسله وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه

(١) سورة آل عمران آية ١٤٤ .

وكان أسامة بن زيد وشـقران يصبان الماء عليه وأعينهم مـعصوبة روى عن علي رضى الله تعالى عنه أنه قـال أوصانى رسول الله لايغسله غيري فـإنه لايرى أحد عورتى إلا طميت عيناه (وكـفن ﷺ) فى ثلاثة أثواب بيض سحولية أى من عمـل سحولة قرية باليمن ليس فيهـا قميص ولا عمامة قال ابن إسحق ثوبان سـحريان وبرد وأدرج فيها إدراجًا انتـهى. ثم بخر بالعود وصـار الناس يدخلون للصلاة عـليه طائفة بعـد طائفة أفذاذًا أفذاذًا لم يؤمهم أحد وقيل لم يصل علـيه أحد وإنما كان الناس يدخلون ليدعوا ويتضرعوا (واختلفت الصحابة فى الموضع الذى يدفن فـيه) فقال بعضهم يدفن بالبقيع وبعضهم ينقل ويدفن عند إبراهيم الخليـل فقال أبو بكر ادفنوه فى الموضع الذي قبض فيه فإني سـمعت رسول الله ﷺ يقول : « لايدفن نبي إلا حيث قبض» فـاتفقوا على ذلك فحفر قـبره وصنع له لحد ووضع فيه (وأنزله فى قـبره ﷺ) علي بن أبى طالب والعبـاس والفضل وقـثم ابنا العـباس وأوس بن خولـى وكان دفنه ﷺ ليلـة الأربعاء فيكون مكث بعد موته بقية يوم الاثنين ولـيلة الثلاثاء ويومها وبعض ليلة الأربعاء لأنه توفى ﷺ يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول سنة إحـدى عشرة من الهجرة ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما ولد النبى ﷺ يوم الاثنـين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرًا من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ودخل مكة يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين وقبض يوم الاثنين وسبب تأخير دفنـه اشتغالهم ببيعة أبى بكر حتى تمت وقـيل لعدم اتفاقهم على موته ﷺ وكانـت مدة مرضه ثلاثة عشر يومًـا وقيل أربعة عشر وقـيل اثنا عشر وقيل غـير ذلك وتوفى ﷺ وهو ابن ثلاث وستـين سنة على الصحيـح وكذا أبو بكر وعمر وعائشة.

فصل
فى ذكر مناقب سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه

يقال كان اسمه فـي الجاهلية عبد الكعبة فسـماه رسول الله ﷺ عبد الله، وهو رضي الله تعالى عنه ابن أبى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن أسد بن تيم ابن مـرة يلتـقى هو ورسـول الله فى مرة بـن كعب بين كـل منهـما وبين مـرة ستـة أشخاص، وأمه أم الخيـر سلمى بنت صخر بن عامر وهى بنت عم أبى قـحافة وقيل اسمهـا ليلى بنت صخر بن عـامر أسلمت قديمًا حين كان المـسلمون فى دار الأرقم، وسمي عتيـقًا لأن النبى ﷺ نظر إليه فقال هذا عـتيق من النار وفى رواية من أراد أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر وقـيل غير ذلك وسماه النبى ﷺ صديقًا فقال يكون بعدي اثـنا عشر خليفة أبو بكر لايلبث إلا قليـلا وكان علي بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه يحلف بالله تعالى أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق لتصديقه خبر الإسراء وكان مولد أبي بكر الصديـق رضى الله تعالى عنه بمكة بعد الفيل بسنتين وأربعة أشهر وأيام فيكون أصغر مـن النبى ﷺ بسنتين وأربعة أشهر وأيام وأسلم وهو ابن سبع وثلاثين وقيل ثمان وعاش في الإسـلام ستا وعشرين سنة وهو أول من أسلم من الرجال قال فى عـمدة التحقيق رأيت في بعض الكـتب أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما كان تاجرًا في زمن الجاهلية كـان سبب إسلامه أنه رأى يومًا فى منامه وهو بالشام أن الشمس والقمر نزلا فى حجره ثم أخذهما بيده وضمهما إلى صدره وأسبل عليهما رداءه وذهب إلى راهب النصارى يسـأله عن الرؤيا فحضر عند الراهب وسأله عن الرؤيا وطلب منه التعبير فـقال له الراهب من أين أنت؟ قال من مكة قال ومن أى قبيلة؟ قال من بنـى تميم قال وما شأنك؟ قال التجارة فقـال له يخرج فى زمانك رجل يقال له محمد الأمين تتبعه ويكون مـن قبيلة بنى هاشم وهو نبى آخر الزمان لولاه ما

خلق الله السموات والأرضين وما يكون فيها وما خلق آدم وما خلق الأنبياء والمرسلين وأنت تدخل فى دينه وتكون وزيره وخليفته من بعده وقد وجدت نعته وصفته فى الإنجيل والزبور وإنى أسلمت وآمنت به وكتمت إسلامى خوفًا من النصارى قال فلما سمع أبو بكر صفة النبى ﷺ رق قلبه واشتاق إلى رؤيته وقدم مكة فوجده فكان يحبه ولايصبر ساعة عن رؤيته. فلما طال الأمر قال له رسول الله ﷺ يومًا يا أبا بكر كل يوم تجيء إليّ وتجلس معي ولا تسلم فقال أبو بكر إن كنت نبيًا فلا بد لك من معجزة

فقال النبي ﷺ أما يكفيك المعجزة التى رأيتها بالشام وعبرها لك الراهب فلما سمع ذلك أبو بكر قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله انتهى. وأسلم على يده من العشرة سيدنا عثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنهم (بويع له) فى السقيفة يوم وفاة رسول الله ﷺ حيث ذهب هو وعمر بن الخطاب إلى سقيفة بنى ساعدة من الأنصار يتشاورن فى أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الأنصار منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الأصوات فقال عمر لأبى بكر أبسط يدك فبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الأنصار ثم كانت بيعة العامة من الغد وتخلف عن بيعته علي ابن أبي طالب وبنو هاشم والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عبادة الأنصارى ثم بايعوا بعد موت فاطمة بنت رسول الله ﷺ إلا سعد بن عبادة فإنه لم يبايع أحدًا إلى أن مات وكانت بيعتهم بعد ستة أشهر من موت فاطمة على الصحيح ولما ولي خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس قد وليت آمركم ولست بخير منكم وإن اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه ، أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن أحسنت فأعينوني وإن زغت فقوّموني» .

(صفة أبي بكر) كان نحيفًا خفيف اللحم أبيض خفيف العارضين معروق الوجه ناتى الجبهة غائر العينين يخضب بالحناء والكتم وقوله معروق الوجه أى قليل اللحم

ولم يشرب الخمر لا جاهلية ولا إسلامًا ولم يسجد لصنم قط شهد المشاهد كلها (وقد ورد فى فضله آيات وأحاديث كثيرة) ففي الكشاف وغيره أن قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾(١) الآية. نزلت فى أبى بكر وأبيه أبى قحافة عثمان وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو قال علي بن أبي طالب الآية نزلت فى أبى بكر الصديق أسلم أبواه جميعًا ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره قال البغوي فى تفسيره اجتمع لأبى بكر إسلام أبويه وأولاده جميعًا فأدرك أبو قحافة النبى ﷺ وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبى ﷺ ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة انتهى . ومن الآيات قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ (٢) أجمع المسلمون على أن الصاحب أبو بكر ومنها: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ - إلى قوله - إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾(٣) . قال بعض المفسرين نزلت فى أبى بكر وأبى سفيان بن حرب ومنها قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨)﴾(٤) إلى آخر السورة قال البغوى فى حق أبى بكر عند الجميع وعن ابن عباس فى رواية عطاء فى قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾(٥) . إنها نزلت فى أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه كذا فى تفسير البغوي وعن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر لم يكن يحنث فى يمين حتى أنزل الله آية كفارة اليمن وعن علي بن أبى طالب رضي الله تعالى عنه فى قوله تعالى: والذي جاء بالحق محمد وصدق به أبو بكر قال ابن عساكر هكذا الرواية ولعلها قراءة لعلى وعن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(٦). قال نزلت فى أبى بكر وعمر وعن ابن أبى حاتم عن شوذب فى قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾(٧). قال نزلت فى أبى بكر وعن ابن عمر وابن عباس فى قوله تعالى « وصالحوا المؤمنين» أنها أنزلت فى أبى بكر

---

(١) سوة الأحقاف ١٥
(٢) سورة التوبة ٤٠ .
(٣) سورة الليل ١
(٤) سورة الليل ١٧ - ١٨
(٥) سورة الزمر ٩ .
(٦) سورة آل عمران ١٥٩.
(٧) سورة الرحمن ٤٦ .

وعمر وعن الحسن البصرى فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(١) . قال هو والله أبو بكر وأصحابه لما ارتد العرب جاهدهم أبو بكر وأصحابه حتى ردّهم إلى الإسلام .

(من الأحاديث) ما أخرجه الشيخان عن جبير بن مطعم قال أتت أمرأة إلى النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك كأنها تقول الموت قال إن لم تجديني فائتى أبا بكر وعن أنس قال بعثنى بنو المصطلق إلى رسول الله ﷺ أن أسأله إلى من ندفع له صداقاتنا فأتيته فسألته فقال إلى أبى بكر وعن ابن عباس قال جاءت امرأة إلى النبى ﷺ تسأله شيئا فقال لها تعودين فقالت يارسول الله إن عدت فلم أجدك تعرض بالموت فقال إن جئت ولم تجديني فائتى أبا بكر فإنه الخليفة من بعدي وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ في مرضه ادعى أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابًا فإنى أخاف أن يتمنى متمنّ ويقول قائل أنا أولى ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبى بكر فبكى أبو بكر وقال هل أنا ومالي إلا لك يارسول الله وعن أبى بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال جئت بأبى قحافة إلى النبي ﷺ فقال له هلا تركت الشيخ حتى آتيه قال بل هو أحق أن يأتيك قال إنا نحفظه لأيادى ابنه عندنا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ ما أجد عندي أعظم من أبى بكر واساني بنفسه وماله وأنكحنى ابنته وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتى وعن ابي سعيد قال قال رسول الله ﷺ إن من أمنّ الناس عليّ فى صحبته وماله أبا بكر ولو كنت متخذًا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن أخوة الإسلام وعن أبي الدرداء قال رآني النبي ﷺ أمشى أمام أبي بكر فقال يا أبا الدرداء أتمشى أمام من هو خير منك فى الدنيا والآخرة ما طلعت شمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر رضى الله تعالى عنه وعن علي بن أبى طالب قال : ما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن أفضلنا بعد رسول الله ﷺ أبو بكر وما مات رسول الله ﷺ حتى عرفنا أن

(١) سورة المائدة آية ٥٤ .

أفضلنا بعد أبى بكر عمر رضى الله تعالى عنهما وعن علي رضي الله تعالى عنه قال كنت عند رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر وعمر فقال يا علي هذان سيدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا النبيين والمرسلين ولاتخبرهما يا علي قال فما أخبرتهما حتى ماتا . وستأتى أحاديث أخر عامة فيهما رضى الله تعالى عنهما وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله ﷺ أبو بكر صاحبي ومؤنسي فى الغار وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي فى الغار وعن عامر بن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت «ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم» . قال أبو بكر يارسول الله لو أمرنى أن أقتل نفسي لفعلت قال صدقت وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله ﷺ حب أبى بكر وشكره واجب على . أمتى وعن عائشة مرفوعًا كلهم يحاسبون إلا أبا بكر وقال رسول الله ﷺ أبو بكر عتيق فى السماء عتيق فى الأرض رواه الديلمى وقال رسول الله ﷺ أبو بكر وعمر بمنزلة السمع والبصر رواه الترمذي وقال رسول الله ﷺ أبو بكر أفضل هذه الأمة إلا أن يكون نبي وقال رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق لذهب الإسلام وقال رسول الله ﷺ مثل أبى بكر مثل اللبن في الصفاء وقال رسول الله ﷺ مثل أبى بكر كالغيث أينما وقع نفع .

(ومن الأحاديث الواردة فى فضل أبي بكر وعمر معًا) ما روى أبو سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ ما من نبى إلا وله وزيران من أهل السماء ووزيران من أهل الأرض فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل وأما وزيراى من أهل الأرض فأبو بكر وعمر وعنه قال قال رسول الله ﷺ إن أهل الدرجات العلا ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع فى أفق السماء وإن أبا بكر وعمر فيها وعن سعيد ابن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول أبو بكر فى الجنة وعمر في الجنة وعثمان فى الجنة وعلى فى الجنة وذكر تمام العشرة وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس فيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع أحد منهم بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه ويتبسمان إليه ويبتسم

إليهما وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج ذات يوم فدخل المسجد، وأبو بكر وعمر أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله وهو آخذ بأيديهما وقال هكذا نبعث يوم القيامة وعنه قال قال رسول الله ﷺ أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم أبو بكر وعمر وعن أبى أروى الدوسي قال كنت عند النبى ﷺ وأقبل أبو بكر وعمر فقال الحمد لله الذى أيدنى بكما وعن عمار بن ياسر قال قال رسول الله ﷺ أتانى جبريل آنفا فقلت ياجبريل حدثنى بفضائل عمر بن الخطاب فقال لو حدثتك بفضائل عمر بن الخطاب منذ مالبث نوح فى قومه ما نفدت فضائل عمر وإن عمر حسنة من حسنات أبي بكر وعن عبد الرحمن بن غنم أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر وعمر لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه حب أبى بكر وعمر ومعرفتهما من السنة وعن بسطام بن مسلم قال قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر لا يتأمر عليكما أحد من بعدي وعن أنس مرفوعًا حب أبي بكر وعمر إيمان وبغضهما كفر وعن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال إن لكل نبى خاصة من أمته وأنا خاصتى من أصحابي أبو بكر وعمر.

(تنبيه) خص الله أبا بكر بأربع خصال سماه الصديق ولم يُسم أحد الصديق غيره وهو صاحب الغار مع رسول الله ﷺ ورفيقه فى الهجرة وأمره رسول الله ﷺ بالصلاة والمسلمون شهود وعن أبى جعفر قال كان أبو بكر من النبى ﷺ مكان الوزير فكان يشاوره فى جميع أموره وكان ثانيه فى الإسلام وثانيه فى الغار وثانيه فى العريش يوم بدر وثانيه فى القبر ولم يكن رسول الله ﷺ يقدم عليه أحدًا (روى) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما خرج مع رسول الله ﷺ متوجها إلى الغار جعل طورًا يمشي خلفه وطورًا عن يمينًا وطورًا عن شماله فقال عليه الصلاة والسلام ما هذا يا أبا بكر فقال رسول الله أذكر الرصيد فأحب أن أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك وأحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر الله معنا (وكان) رسول الله ﷺ حافيًا فحفى فحمله أبو بكر رضي الله تعالى عنه على كاهله حتى انتهى إلى الغار فلما أراد النبى ﷺ أن يدخل الغار قال أبو بكر والذي بعثك بالحق نبيا

لاتدخله حتى أدخل فأسبره قبلك فدخل أبو بكر رضي الله تعالى عنه فجعل يلتمس بيده الغار فى ظلمة الليل مخافة أن يكون فيه شيء يؤذى رسول الله ﷺ فلما لم ير فيه شيئا دخل رسول الله ﷺ الغار (وروي) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه رأى فى الغار أحجاراً متعددة فصار يقطع ثوبه ويسد به الأحجار فبقى جحر حجر لم يفضل له شيء من الثوب فجلس قريبًا منه ووضع عقبه عليه وسده به فجعلت الحيات والأفاعي تضربه وتلسعه فصارت دموعه تنحدر وكان النبى قد نام وجعل رأسه فى حجره فصار يتجلد ولا يوقظه فسقطت دموعه على وجه النبي ﷺ فتنبه فقال مالك قال لدغت فتفل عليه فذهب ما يجده فلما أصبح سأله النبى عن ثوبه فأخبره الخبر فتوجه ودعا له وقال اللهم اجعل أبا بكر معي فى درجتي فى الجنة فنودي إنه قد استجيب لك (وروي) أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه لما رأى القافة وفتيان قريش بسهامهم وسيوفهم وقوفًا على فم الغار اشتد حزنه وقال إن قتلت فإنما أنا رجل واحد وإن قتلت يارسول الله هلكت الأمة فقال لا تحزن إن الله معنا وأنزل الله سكينته عليه أى على أبى بكر لأنه هو الذي انزعج وهى أمنة تسكن لها القلوب ، وفضائل أبى بكر رضي الله تعالى عنه لاتحصى ومناقبه لا تستقصى (كان رضي الله تعالى عنه) أشجع الصحابة وأثبتهم فى دين الله ، ففى معالم التنزيل لما قبض رسول الله ﷺ وانتشر خبر وفاته ارتد عامة العرب إلا أهل مكة والمدينة والبحرين ومنع بعضهم الزكاة فهم أبو بكر بقتالهم فكره ذلك أصحاب رسول الله ﷺ وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم فقال له أبو بكر أليس قد قال إلا بحقها ومن حقها إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والله لو منعونى عقالا وفى رواية عناقًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلتهم على منعه ولو خذلنى الناس كلهم لجاهدتهم بنفسى فقال عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت أن الله قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق قال عمر بن الخطاب والله لقد رجح إيمان أبى بكر بإيمان هذه الأمة جميعًا فى قتال أهل الردة انتهى.

وفى مدة خلافته اليسيرة فتح فتوحات كثيرة فأول ما بدأ به بعد خلافته أنه أنفذ جيش أسامة وكان قد استصغر قوم من الصحابة أسامة وقالوا لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قل لأبي بكر يرجع بالمسلمين فإن أبى ألايفعل فليول علينا رجلا أقدم سنًا من أسامة فجاء عمر بن الخطاب إلي أبى بكر وذكر له ذلك فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لو خطفتنى الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ فرجع عمر إلى الأنصار وذكر لهم مقالة أبي بكر رضي الله تعالى عنه فقالوا له لابد وأن تراجع أبا بكر فى ذلك فراجعه عمر رضى الله تعالى عنه فقام أبو بكر وأخذ بلحية عمر وقال ثكلتك أمك يا ابن الخطاب استعمل رسول الله ﷺ أسامة وأمّره وتأمرني أن أنزعه فعند ذلك رجع عمر رضي الله تعالى عنه إلى الناس وأخبرهم فتجهزوا وخرجوا وخرج أبو بكر فشيعهم وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبى بكر فقال أسامة لأبى بكر ياخليفة رسول الله والله لتركب أو لأنزلن فقال أبو بكر والله لا أركب ولا تنزل وما ضرنى أن أُغبِّر قدمى ساعة فى سبيل الله وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش إلى الروم فلما وصل أسامة إلى بنى كحبلى شن عليهم الغارة وسبى حريمهم وحرق منازلهم وأصاب الغنائم وكان أسامة على فرس أبيه وقتل قاتل أبيه لأن أباه كان قد استشهد فى سرية مؤتة وكانت كذلك بالروم (وفتح) أبو بكر اليمامة وقتل مسيلمة الكذاب وقاتل جموع أهل الردة إلى أن رجعوا إلى دين الله وفتح أطراف العراق وبعض الشام .

فصل
فى ذكر بعض كلامــه

فى المحاضرات كان رضى الله تعالى عنه يقول فــى خطبته : أين القضاة الحسنة وجوههم المعجــبون بشأنهم أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصــنوا بالحيطان أين الذين كان يعطون الـغلبة فى مواطن الحــرب قد تضعضع بهم الـدهر فأصبحــوا فى ظلمات القبور الوحا الوحا النجاء. وفى المحاضرات أيضًا قال : لما مرض رسول الله ﷺ عاده أبو بكر الصديق . رضي الله عنه فشفى رســول الله ﷺ ومرض أبو بكر فعاده رسول الله فشــفى حين عاده كمــا مرض حين عاده فقــال الصديق رضي الله تعــالى عنه فى ذلك :

مرض الحبيب فعدتـــــــــه   فمرضت من حذرى عليـــــه

شفى الحبيب فعادنـــــــــي   فشفيت من نظري إليـــــه

ومن كلامــه رضى الله تعالى عنه كـما فى طبقـات الشعراني : أكـيس الكيس التقوى ، وأحمق الحـمق الفجور، وأصدق الصدق الأمانة، وأكـذب الكذب الخيانة. وكان يقــول رضى الله تعالى عنه: إن هــذا الأمر لايصلح آخره إلا بمــا صلح به أوله ولايحتمله إلا أفضــلكم مقدرة وأملككم لنفسه، وكان رضــى الله تعالى عنه يقول لمن يعظه: يا أخى إن أنــت حفظت وصيــتى فلا يكن غائب أحــب إليك من الموت وهو آتيك، وكان يقول : إن العــبد إذا دخله العجب بشىء من زينة الدنيا مــقته الله تعالى حتى يفارق تــلك الزينة ، وكان يقول : يا معــشر المسلمين استحـيوا من الله فوالذى نفسى بيده إني لأظل حين أذهب إلــى الغائط فى القضاء متقنعًا استــحياء من ربي عز وجل ، وكان يقول رضي الله تعــالى عنه : ليتنى كنت شجرة تعــضد ثم تؤكل وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول : هذا الذي أوردنى الموارد وكان إذا سقط خطام ناقته ينيخها

ويأخذه فيقال له هلا أمرتنا فيقول : إن رسول الله ﷺ أمرني ألا أسأل الناس شيئًا ، وكان إذا أكل رضي الله تعالى عنه طعامًا فيه شبهة ثم علم به استقاءه من بطنه ويقول: اللهم لاتؤاخذني بما شربته العروق وخالط الأمعاء انتهى. ولما ولي الخلافة قال : إني وليتكم ولست بخيركم فلما بلغ كلامه الحسن البصري قال بلى ولكن المؤمن يهضم نفسه وكان رضي الله تعالى عنه إذا مدح قال : اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي مالايعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون.

(لطيفة) سئل بعض التابعين هل رأيت أبا بكر قال نعم رأيت ملكا في زي مسكين. وفي المحاضرات والمسامرات لما حضرته رضي الله تعالى عنه الوفاة أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقال : أوصيك بوصية إن أنت قبلتها عني إن لله عزّ وجل حقًا بالليل لايقبله بالنهار، وإن لله حقًا بالنهار لايقبله بالليل وإنه عز وجل لايقبل النافلة حتى تؤدى الفريضة . اعلم أن الله عز وجل ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم فيقول القائل : أين يقع عملي في عمل هؤلاء وذلك أن الله عز وجل تجاوز عن سيئ أعمالهم ولم يشربه . واعلم أن الله عز وجل ذكر أهل النار بأسوا أعمالهم ويقول قائل : أنا خير من هؤلاء عملا وذلك أن الله عز وجل رد عليهم أحسن أعمالهم فلم يقبله ألم تر إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه في الآخرة باتباعهم الحق في الدنيا وثقل ذلك عليهم وحق لميزان لايوضع فيه إلا حق أن يثقل ألم تر إنما خفت موازين من خفت موازينه في الآخرة باتباعهم الباطل في الدنيا وخف ذلك عليهم وحق لميزان لايوضع فيه إلا باطل أن يخف. ألم تر أن الله عز وجل أنزل آية الرخاء عند آية الشدة وآية الشدة عند آية الرخاء لكي يكون العبد راغبًا راهبًا لايلقي بيده إلى التهلكه ولا يتمنى على الله غير الحق فإن أنت حفظت وصيتي فلا يكونن غائب أحب إليك من الموت ولا بد لك منه وإن أنت ضيعت وصيتي هذه فلا يكونن غائب أبغض إليك من الموت ولن تعجزه . عن عائشة رضي الله عنها قالت : كتب أبو بكر رضي الله تعالى عنه وصية بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما

أوصى به أبو بكر بن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فإن يعدل فذلك ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدل.فلا أعلم الغيب وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون. قال أبو سليمان: الذى كتب وصية أبى بكر عثمان بن عفان رضي الله عنهما. وكان قاضيه عمر بن الخطاب وكاتبه عثمان بن عفان زيد بن ثابت وحاجبه شديدا مولاه وصاحب شرطته أبا عبيده بن الجراح وهو أول من اتخذ الحاجب وصاحب الشرطة فى الإسلام وكان خاتمه خاتم رسول الله ﷺ كان من ورق نقشه محمد رسول الله وكان بعده فى يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع فى بئر أريس من معيقيب ، ومروياته من الأحاديث مائة حديث واثنان وأربعون حديثا وفى المحاضرات مائة واثنان وثلاثون، والله أعلم.

(تتمة فى مرضه وموته وغسله وما يتصل بذلك وأولاده رضى الله تعالى عنه)

عن ابن شهاب أن أبا بكر رضى الله تعالى عنه والحرث بن كلدة كانا يأكلان حريرة أهديت لأبى بكر فقال الحرث لأبى بكر ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله إن فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد فرفع أبو بكر يده فلم يريا إلا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل إنه اغتسل فى يوم بارد فحم ومرض خمسة عشر يومًا لا يخرج للصلاة وكان عمر يصلى بالناس وقيل سبب موته تحرك سم الحية التى لدغته فى الغار ذكره ابن الأثير ، وقيل غير ذلك. ومات ليلة الثلاثاء وقيل يوم الجمعة لسبع بقين من جمادي الآخرة سنه ثلاث عشرة وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح وفى الاكتفاء آخر ما تكلم به أبو بكر: رب توفنى مسلمًا وألحقنى بالصالحين. ولما توفى أبو بكر رضى الله تعالى عنه ارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم موت رسول الله ﷺ ، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس فغسلته فهى أول امرأة غسلت زوجها فى الإسلام. وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وقال إذا أنا مت فجيئوا بي على الباب يعنى باب البيت الذي فيه قبر رسول الله فادفعوه فإن فتح لكم فادفنونى ، قال جابر فانطلقنا فدفعنا الباب وقلنا هذا أبو بكر

الصديق قد اشتهى أن يدفن عند النبى ﷺ ففتح الباب ولاندرى من فتح لنا وقال ادخلوا ادفنوه كرامة ولانرى شخصًا ولا شيئا كذا فى الصفوة. وفى رواية سمعوا صوتًا يقول : ضموا الحبيب إلى الحبيب . وصلى عليه عمر بن الخطاب فى مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ وهو سرير عائشة رضي الله تعالى عنها وكان من خشبتين ساجا منسوجًا بالليف وبيع فى ميراث عائشة رضى الله تعالى عنها بأربعة آلاف درهم فاشتراه مولى لمعاوية وجعله للمسلمين ويقال إنه بالمدينة. ونزل فى قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر ودفن ليلا فى بيت عائشة مع النبى ﷺ وجعل رأسه عند كتفى رسول الله ﷺ .

(وأما أولاده) فستة ثلاثة بنين وثلاث بنات . أما الذكور (فعبد الله) وهو أكبر أولاده الذكور وأمه قتيلة ويقال قتلة بدون تصغير من بنى عامر بن لؤي شهد عبد الله فتح مكة وحنينًا والطائف مع النبى ﷺ جرح بالطائف رماه أبو محجن الثقفى بسهم فاندمل جرحه إلى خلافة أبيه ومات فى خلافته فى شوال سنة إحدى عشرة دفن بعد الظهر وصلى عليه أبوه ونزل فى قبره أخوه عبد الرحمن وعمر وطلحة بن عبيد الله أخرجه أبو نعيم ابن مندة وأبو عمر كذا فى أسد الغابة (وعبد الرحمن) ويكنى أبا عبد الله وقيل أبا محمد وقيل غير ذلك أمه أم رومان بنت الحرث من بني فراس بن غنم ابن كنانة أسلمت وهاجرت وكان عبد الرحمن شقيق عائشة رضي الله تعالى عنها شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين وكان من الشجعان وكان راميًا حسن الرمى له مواقف فى الجاهلية والإسلام مشهورة دعا إلى البراز يوم بدر فقام إليه أبو بكر رضي الله تعالى عنه ليبارزه فقال له رسول الله ﷺ متعنى بنفسك ثم من الله عليه فأسلم فى هدنة الحديبية وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد فقتل سبعة من أكابرهم وشهد وقعة الجمل مع أخته عائشة ومات بمكة قبل أن تتم البيعة ليزيد فجأة سنة ثلاث وخمسين ومروياته فى كتب الأحاديث ثمانية وله عقب نقله بعضهم (ومحمد) يكنى أبا القاسم أمه أسماء بنت عميس الخثعمية

وهى من المهاجرات الأول كانت تحت جعفر بـن أبى طالب وهاجرت معه إلى الحبشة ولما استشهد جعفر بمؤتة من أرض الشام تـزوجها بعده أبو بكر فولدت له محمدا بذي الحليفة لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنـة عشر من الهجرة وهى شاخصة إلى الحج فى حجة الوداع مع النبى ﷺ وأبى بكر فأمـرها النبى ﷺ أن تغتسل وترحل ثم تهل بالحج تصنع مـا يصنع الحاج إلا أنها لاتطوف بالبـيت فكانت سببـا لحكم شرعى إلى قيام الساعـة رضى الله عنها ولما توفى أبو بكر رضي الله تعالى عنـه تزوجها على بن أبى طالب فنشأ مـحمد ولدها فى حجر عـلى رضي الله تعالى عنهما وكـان معه يوم الجمل وشـهد معـه صفين وولاه سيـدنا عثـمان مصـر وكتب له العهـد فكان سبـبًا لاستـشهاده وولاه أيضـا على رضي الله تعالى عـنه مصر مكان قـيس بن سعـد بعد رجوعه من صفين وفى تاريخ ابن خلكان وغيره أن علي بن أبى طالب ولي محمد ابن أبى بكر الصديق مـصر فدخلها سنة سـبع وثلاثين من الهجرة فأقـام بها إلى أن بعث معاوية بن أبى سفيان عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام ومعهم معاوية بن حديج بحاء مهـملة مضمومة ودال مـهملة مفتوحـة وبالجيم فى آخره هكذا ضبطـه بعضهم فاقتتلوا وانهزم مـحمد بن أبى بكر واختفى فى بيت مجنونة فمـر أصحاب معاوية بن حديج ببيت المجنونة وهى قاعدة على الطـريق وكان لها أخ فى الجيش فقالت تريدون قتل أخى قـالوا لا قالت هذا مـحمد بن أبى بكـر داخل بيتى فأمـر معاوية أصـحابه فدخلوا اليـه وربطوه بالجبال وجروه على الأرض أتوا بـه إلى معاوية فقال له مـحمد أحفظنى لأبـى بكر فقال له قـتلت من قومى فى قصـة عثمـان ثمـانين رجلا أتركك وأنت صاحبـه لا والله فقتله فى صفـر سنة ثمان وثلاثين وأمر به معـاوية أن يجر فى الطريق ويمر به علـى دار عمرو بن العاص لما يـعلم من كراهته لذلك وأمـر أن يحرق بالنار في جيفة حمار وقيل وضعه حيًا فى جـيفة حمار ميت وأحرقه هذا وسببه دعوة أخته عائشة لما أدخل يده فى هودجها يوم الجمل وهى لاتعرفه فظنته أجنبيًا فقالت من هذا الذى يتعرض لحريم رسول الله أحرقه الله بالنار قال يا أختاه قولي بنار الدنيا قالت بنار الدنيا (ودفـن) فى الموضع الذي قتل فيه فلـما كان بعد سنة من دفنـه أتى غلامه

وحفر قـبره فلم يجد فيه إلا الرأس فـأخرجه ودفنه في المسجـد تحت المنارة وقيل فى القبلة (وأما البـنات) فعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهـا شقيقة عبد الرحـمن تزوجها رسول الله ﷺ وكانت أحـب الناس إليه وورد «وقيل من أحب النـاس إليك يارسول الله؟ قال عائشة فقيل ومن الرجال؟ قال أبـوها» . وقد تقدم الكلام على ما يتعلق بها في الكلام عن أزواجه ﷺ (وأسـماء) بنت أبى بكر شقـيقة عبد الله وهى أكـبر بناته وتدعى ذات النطاقين لأنـها قطعت نطاقهـا وربطت به على فم الجراب الـذى فيه زاد الهجـرة وكان فى بيت أبى بكر. قالت عـائشة فى حديث الهـجرة فجهـزناها أحسن الجهاز ووضـعنا لها سفرة فـم جراب فقطعت أسمـاء بنت أبى بكر قطعة من نطـاقها فربطت به على فم الجراب ذكر أهل السير أن أسماء بنت أبى بكر قالت لما خفي علينا أمر رسول الله ﷺ أتانا نفر من قريش فيـهم أبو جهل فقال أين أبوك؟ فقالت والله لا أدرى فلطم خدي لطمة حتى خر منها قرطي ولما لم ندر أين توجه سمعنا صوت جني ولم نر شخصه ينشد أبياتا فقال:

جزى الله رب الناس خير جزائــه   رفيقين حملا خيمتى أم معبــــد

إلى آخر الأبيات، فلمـا سمعنا قوله علمنا أين توجـه النبى ﷺ، تزوج أسماء سيدنا الزبيـر بن العوام بمكة وولدت له عدة أولاد ذكور وإناث (فأمـا الذكور) فالمنذر وعبد الله وعروة وهو أحد الفقهاء السبـعة (وأما الإناث) فخديجة الكبرى وأم الحسن وعائشة فجملتهن ستة ثلاثة ذكور وثلاث إناث ثم طلقها فكانت مع ولدها عبد الله بن الزبير بمكة حتى قتله الحجاج وغسلته بماء زمزم بمحضر من الصحابة وغيرهم ولم ينكر عليها أحـد منهم واستدل به الفقهـاء على جواز إزالة النجاسة بماء زمزم فكـانت سببًا لإظهار حكم إلى يوم الـقيامة رضى الله عنها وعـاشت بعده قليلا وعمـرت مائة سنة ولـم يسـقط لها سن ومـاتت بمكة (وأم كلثـوم) وهى أصغر بنـات أبى بكر رضي الله تعالـى عنه أمها حـبيبـة بنت خارجة بـن زيد كان أبو بكر قـد نزل عليه فى الهـجرة فتزوجـها وتوفى عنها وتركـها حبلى فولدت بعـده أم كلثوم هذه وتزوجهـا طلحة بن عبيد الله ذكره ابن قتيبة وغيره ولم أقف لها على وفاة .

فصل

في ذكر مناقب سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدي بن عبد العزى بن رباح ابن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب، يلتقي هو ورسول الله في كعب وأمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان مولده في السنة الثالثة عشرة من مولده ﷺ وقيل غير ذلك ولم يزل اسمه في الجاهلية والإسلام عمر وكناه رسول الله ﷺ بأبي حفص وهو ولد الأسد وكان يوم بدر ذكره ابن إسحق وسماه رسول الله ﷺ بالفاروق يوم أسلم في دار الأرقم وبه تمّ المسلمون أربعين فخرجوا وأظهروا الإسلام ففرق الله بعمر الحق من الباطل ولما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر. وهو أول من دعي أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار على أبي بكر بجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في قيام شهر رمضان وأول من حمل الدرة لتأديب الناس وتعزيرهم ووضع الخراج ومصّر الأمصار واستقضى القضاة وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظًا يا عمر وكان يختم بخاتم رسول الله ﷺ. وفي سبب إسلامه رضي الله عنه أقوال أشهرها ما روي أن قريشًا اجتمعت فتشاورت في أمر النبي ﷺ فقالوا أي رجل يقتله؟ فقال عمر بن الخطاب أنا لها فقالوا أنت لها يا عمر فخرج متقلدًا سيفه طالبًا للنبي ﷺ وكان النبي ﷺ مع أصحابه في منزل حمزة في الدار التي في أصل الصفا فلما خرج عمر إلى الصفا لقيه سعد بن أبي وقاص الزهري فقال أين تريد يا عمر؟ فقال أريد أن أقتل محمدًا قال أنت أحقر وأصغر من ذلك فكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدًا فقال عمر ما أراك إلا قد صبأت وتركت الدين الذي أنت عليه وفي رواية لعلك قد صبأت إلى محمد فأبدأ بك فأقتلك فعند ذلك قال سعد اعلم أني آمنت

بمحمد وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فسل عمر سيفه وكشف سعد عن سيفه وشد كل واحد منهما على الآخر حتى كادا أن يختلطا فقال سعد ما لك يا عمر لا تصنع هذا بأختك آمنة بنت الخطاب وفي المواهب فاطمة بنت الخطاب وزوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال أأسلما؟ قال نعم فتركه عمر وسار إلى منزل آمنة مسرعًا حتى أتاهما وعندهما رجل من الأنصار يقال له خباب بن الأرتّ وهم يقرءون سورة طه فلما سمع خباب صوت عمر توارى في البيت فدخل عمر عليهما فقال ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ فقالا ما عدا حديثًا حدثناه بيننا قال فلعلكما قد صبأتما فقال له ختنه أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك فوثب عمر على ختنه سعيد وبطش بلحيته فتواثبا وكان عمر رجلا شديدًا قويًا فضرب بسعيد الأرض وجلس على صدره فجاءت أخته فدفعته عن زوجها فلطمها عمر لطمة شج بها وجهها فلما نظرت إلى الدم على وجهها غضبت وقالت يا عدو الله أتضربني على أن أوحد الله؟ قال نعم وفي رواية قالت يا عمر إن كان الحق في غير دينك أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله لقد أسلمنا على رغم أنفك فاصنع ما أنت صانع فلما سمعها عمر ندم وقام عن صدر زوجها فقصد ناحية ثم قال اعرضوا عليّ الصحيفة التي كنتم تدرسونها وكان عمر يقرأ الكتب فقالت أخته لا أفعل قال ويحك قد وقع في قلبي ما قلت فأعطنيها أنظر إليها وأعطيك من المواثيق الا أخونك حتى تحرزيها حيث شئت قالت له أخته إنك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فإنه كتاب لا يمسه إلا المطهرون فخرج عمر ليغتسل وخرج إليهما خباب بن الأرت فقال أتدفعين كتاب الله إلى عمر وهو كافر؟ قالت نعم إني أرجو أن يهدي الله أخي فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعت إليه الصحيفة فإذا بها بسم الله الرحمن الرحيم طه ما أنزلنا عليك القرآن إلى قوله إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري فقال عمر عند هذه ينبغي لمن يقول هذا الا يعبد معه غيره فقال عمر دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت وقال أبشر يا عمر فإني أرجو أن تكون سبقت فيك دعوة رسول الله ﷺ البارحة قال اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بأبي جهل بن هشام

وذكر الدارقطني أن عائشة قالت إنما قال رسول الله ﷺ اللهم أعز عمر بالإسلام لأن الإسلام يعز ولا يعز فقال عمر يا خباب انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فقام خباب وسعيد معه حتى أتوا منزل حمزة دار الأرقم التي بأصل الصفا فدقوا الباب فخرج بعض الأصحاب فنظر في شق الباب فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله هذا عمر نعوذ بالله من شره فقال افتحوا له الباب فإن جاء بخير قبلناه وإن جاء بشرّ قتلناه ففتح لعمر الباب فدخل فاستقبله رسول الله ﷺ في صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وفي رواية أخذ ساعده وهزه فارتعد عمر هيبة لرسول الله ﷺ وأجلس فقال أما أنت بمنته حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة يعني الخزي والنكال اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب فقال عمر أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل المسجد وفي رواية سمعت بطرف مكة فقال رسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا قال بلى والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم فقال ففيم الإخفاء وفي رواية قال يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر إنا قليل وقد رأيت ما لقينا فقال عمر والذي بعثك لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان ثم خرج في صفين حمزة في أحدهما وعمر في الآخر له كديد ككديد الطحين حتى دخلوا المسجد فنظر قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماه رسول الله ﷺ يومئذ الفاروق وكان إسلامه رضي الله تعالى عنه بعد إسلام سيدنا حمزة بن عبد المطلب بثلاثة أيام سنة ست على الراجح.

(صفته) كان أبيض اللون يعلوه حمرة أصلع شديد حمرة العينين في عارضيه خفة أضبط وهو الذي يعمل بكلتا يديه على السواء وصفته في التوراة قال وهب قرن من حديد أمين شديد والقرن الجبل الصغير وقد ورد في فضله رضي الله تعالى عنه آيات وأحاديث كثيرة منها ما هو خاص به ومنها ما هو مشترك بينه وبين أبي بكر وقد مر بعضها في ترجمة أبي بكر.

(وهذه نبذة من الأحاديث الخاصة به) عن أم سلمة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ قد كان في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي منهم فهو عمر قال بعضهم المحدث بالكسر على صيغة اسم الفاعل راوي الحديث وبالفتح على صيغة اسم المفعول الملهم صاحب الكشف والمكاشفة ولعله المراد اهـ. وقال رسول الله ﷺ قال لي جبريل ليبكينّ الإسلام على موت عمر رواه الطبراني وقال رسول الله ﷺ لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر رواه الديلمي وقال رسول الله ﷺ لو كان نبي بعدي لكان عمر بن الخطاب رواه الإمام أحمد وقال رسول الله ﷺ لو نزل عذاب ما أفلت إلا ابن الخطاب رواه ابن مردويه وقال رسول الله ﷺ عمر معي وأنا مع عمر والحق مع عمر حيث كان رواه الطبراني وقال رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة رواه البزار وقال رسول الله ﷺ ما لقي الشيطان عمر إلا خرّ لوجهه وما سمع حسه إلا فر رواه الحكيم الترمذي في النوادر وقال ﷺ ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر رواه الترمذي وقال رسول الله ﷺ يا أخي يا عمر لا تنسنا من دعائك رواه الإمام أحمد وقال رسول الله ﷺ كاد أن يصيبنا في خلافك شر يا عمر رواه الديلمي في مسند الفردوس وقال رسول الله ﷺ رضا الرب رضا عمر رواه الحاكم وقال رسول الله ﷺ لو لم أبعث لبعث بعدي عمر رواه الديلمي وقال رسول الله ﷺ يا عمر إنك لذو رأي رشيد في الإسلام رواه أبو داود.

(ومن الأحاديث المشتركة زيادة على ما مر) صالحو المؤمنين أبو بكر وعمر رواه الطبراني. أبو بكر وعمر مني بمنزلة السمع والبصر رواه الترمذي. أبو بكر وعمر سراجا أهل الجنة رواه الديلمي أبو بكر وعمر مني بمنزلة هرون من موسى رواه الخطيب (بويع له بعد موت أبي بكر رضي الله عنه) لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة. ولما دفن أبو بكر رضي الله عنه صعد المنبر فجلس دون مجلس أبي بكر ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله ﷺ ثم قال: أيها الناس إني داع فأمنوا اللهم إني غليظ فألني إلى أهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم مني ولا اعتداء عليهم اللهم

إني شحيح فسخني في نوائب المؤن قصد من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة أبتغي بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فإني كثير الغفلة والنسيان وألهمني ذكرك على كل حال ثم قال ألا ورب الكعبة لأحملنهم على الطريق ثم نزل رضي الله عنه. عن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال استأذن عمر رضي الله تعالى عنه على النبي ﷺ وعنده نسوة من قريش يسألنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته فلما أذن له النبي ﷺ تبادرن الحجاب فدخل ورسول الله ﷺ يضحك فقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك تبادرن الحجاب فقال عمر فأنت يا رسول الله بأبي وأمي كنت أحق أن يهبنك ثم أقبل عليهن فقال أي عدوات أنفسهن أتهبنني ولا تهبن رسول الله ﷺ قلن نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ أيها يا ابن الخطاب فوالذي نفس محمد بيده ما لقيك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك وكان في أيامه فتوح الأمصار منها دمشق من أيدي الروم وطبرية وقيسارية وفلسطين وعسقلان وسار بنفسه ففتح بيت المقدس صلحًا وفتحت أيضًا بعلبك وحمص وحلب وقنسرين وأنطاكية وجلولاء والرقة وحران والموصل والجزيرة ونصيبين وآمد والرها والقادسية والمدائن وزال ملك الفرس وانهزم يزدجرد ملك الفرس ولجأ إلى فرغانة والترك وفتحت أيضًا كور دجلة والأبلة وفتحت كور الأهواز والجابية وفتحت نهاوند وأصطخر وأصفهان وبلاد فارس وتستر وسوس وهمذان والنوبة والبربر وأذربيجان وبعض أعمال خراسان نقله بعضهم عن الرياض النضرة وفتحت مصر على يد عمرو بن العاص غرة المحرم سنة عشرين وفتح أيضًا الإسكندرية وطرابلس الغرب وما يليها من الساحل. وفي حياة الحيوان عد مما فتح في أيامه رأس العين وخابور وبيسان ويرموك والري وما يليها.

(كرامتان): الأولى لما فتح عمرو بن العاص مصر أتاه أهلها وقالوا إن النيل يحتاج في كل سنة إلى جارية بكر من أحسن الجواري فنلقيها فيه وإلا فلا يجري وتخرب البلاد وتقحط فبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى أمير المؤمنين عمر

ابن الخطاب رضي الله عنه يخبره بالخبر فبعث إليه عمر: الإسلام يجب ما قبله وبعث إليه بطاقة وأمره أن يلقيها في النيل فأخذها عمرو بن العاص فقرأها فإذا فيها «بسم الله الرحمن الرحيم» من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك» فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعًا في ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة السيئة عن أهل مصر ذكرها غير واحد (الثانية) عن عمرو بن الحرث قال بينما عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة ونادى يا سارية الجبل مرتين أو ثلاثًا ثم أقبل على خطبته فقال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ إنه لمجنون ترك الخطبة ونادى يا سارية الجبل فدخل عبد الرحمن بن عوف وكان ينبسط إليه فقال يا أمير المؤمنين تجعل للناس عليك مقالا بينما أنت في خطبتك إذ ناديت يا سارية الجبل أي شيء هذا فقال والله ما ملكت ذلك حين رأيت سارية وأصحابه يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل فلم يمض إلا أيام حتى جاء رسول سارية بكتابه أن القوم لاقونا يوم الجمعة فقاتلناهم من حين صلاة الصبح إلى أن حضرت الجمعة فسمعنا صوت مناد ينادي يا سارية الجبل مرتين فلحقنا بالجبل فلم نزل قاهرين لعدونا حتى هزمهم الله اهـ من الرياض النضرة، قال بعضهم يقال في جبل نهاوند غار سمع منه سارية نداء عمر وإلى الآن يعظم ذلك الغار ويتبرك به.

(نوادر): الأولى رفع إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أن الحطيئة آذى الناس بهجائه فاستحضره وأنبهه وأهمه أنه يقطع لسانه فقال الحطيئة بالله يا أمير المؤمنين إلا ما قتلتني فقد هجوت والله أمي وأبي وامرأتي ونفسي فقال له عمر ما الذي قلت في أمك وأبيك؟ قال قلت فيهما:

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني ... وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت فيها أيضًا:

تنحي فاجلسي مني بعيدًا أراح الله منك العالمينا

أغربالا إذا استودعت سرًا وكانونا على المتحدثينا

ثم قلت في امرأتي:

أطوّف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع

ثم نظرت في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته فقلت:

أبت شفتاي اليوم إلا تكلما بشر فما أدري لمن أنا قائله

أرى لي وجهًا قبح الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

فأمر به فسجن، فكتب إليه بعد أيام يقول:

ماذا تقول لأفراخ بذي مرخ ضمر الحواصل لا ماء ولا شجر

ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة فاغفر عليك سلام الله يا عمر

أنت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقت إليك مقاليد النهى البشر

ما آثروك بها إذ قدموك لها لا بل لأنفسهم قد كانت الأثر

فأمر به فأحضر فاستتابه وخلى سبيله كذا في المحاضرات (الثانية) مر سيدنا عمر رضي الله عنه في بعض سكك المدينة فسمع امرأة تقول:

ألا طال هذا الليل وازورّ جانبه وليس إلى جنبي خليل ألاعبه

فوالله لولا الله تخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحياء يعفني وأكرم بعلي أن تنال مراتبه

فسأل عمر رضي الله عنه عنها فقيل له إنها امرأة فلان وله في الغزاة ثمانية أشهر فأمر عمر رضي الله عنه ألا يغيب الرجل عن امرأته أكثر من أربعة أشهر (الثالثة) ذكر ابن الجوزي في كتابه تلقيح فهوم الأثر عن محمد بن عثمان بن أبي خيثمة السلمي عن أبيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك

المدينة إذ سمع امرأة تقول:

هل من سبيل إلى خمر فأشربها ... أم من سبيل إلى نصر بن حجاج
إلى فتى ماجد الأعراق مقتبل ... سهل المحيا كريم غير ملجاج
تنميه أعراق صدق حين تنسبه ... أخا وفاء عن المكروب فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا أرى معي بالمدينة رجلا تهتف العواتق به في خدورهن عليّ بنصر بن حجاج فلما أصبح أتي بنصر بن حجاج فإذا هو من أحسن الناس وجهًا وأحسنهم شعرًا فقال عمر عزيمة من أمير المؤمنين لتأخذنّ من شعرك فأخذ من شعره فخرج من عنده وله وجنتان كأنهما شقتا قمر فقال له اعتمّ فاعتمّ فافتتن الناس بعينيه فقال له عمر والله لا تساكنني في بلدة أنا فيها فقال يا أمير المؤمنين ما ذنبي؟ قال هو ما أقول لك ثم سيره إلى البصرة وخشيت المرأة التي سمع عمر منها ما سمع أن يبدو من عمر إليها شيء فدست إليه المرأة أبياتًا وهي:

قل للإمام الذي تخشى بوادره ... ما لي وللخمر أو نصر بن حجاج
لا تجعل الظن حقًا أن تبينه ... إن السبيل سبيل الخائف الراجي
إن الهوى زم بالتقوى فتحبسه ... حتى يقر بإلجام وإسراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت أمه يوما بين الأذان والإقامة متعرضة لعمر فإذا هو قد خرج في إزار ورداء وبيده الدرة فقالت له يا أمير المؤمنين والله لأقفن أنا وأنت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله أيبيتن عبد الله وعاصم إلى جنبيك وبيني وبين ابني الفيافي والأودية فقال لها إن ابنيّ لم تهتف بهما العواتق في خدورهن ثم أرسل عمر إلى البصرة بريدًا إلى عتبة بن غزوان فأقام أيامًا ثم نادي عتبة من أراد أن يكتب إلى أمير المؤمنين فليكتب فإن بريدًا خارج فكتب نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك يا أمير المؤمنين أما بعد فاسمع الأبيات مني هذه :

لعمري لئن سيرتني أو حرمتني ... وما نلت من عرضي عليك حرام

فأصبحت منفيا على غير ريبة ... وقد كان لي بالمكتين مقام

لئن غنت الذلفاء يوما بمنية ... وبعض أماني النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده ... بقاء وما لي جرمة فألام

فيمنعني مما تقول تكرمي ... وآباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تقول صلاتها ... وحال لها في قومها وصيام

فهاتان حالانا فهل أنت راجعي ... فقد جب مني كاهل وسنام

قال فلما قرأ عمر هذه الأبيات قال أما ولي السلطان فلا وأقطعه داراً بالبصرة، فلما مات عمر ركب راحلته وتوجه نحو المدينة اهـ من المستطرف.

(فوائد): الأولى جاء رجل إلى عمر رضي الله عنه يشكو إليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قائلا إذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فكيف حالي فخرج عمر فرآه موليا فناداه ما حاجتك يا أخي؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك خلق زوجتي واستطالتها عليّ فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت إذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال له عمر تحملتها لحقوق لها عليّ فإنها طباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك بواجب عليها وسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أتحملها لذلك فقال الرجل يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال فتحملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة اهـ عبد البر من حاشية البجيرمي على المنهج. (الثانية) وقف أعرابي على عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال:

يا عمر الخير جزيت الجنه ... اكس بنياتي وأمهنه

أقسم بالله لتفعلنه

فقال عمر رضي الله عنه فإن لم أفعل يكون ماذا؟ قال:

تكـون عن حـــالي لتـــســــألـنه   يـوم تكـون الأعـطيــــــات منـه

والواقـف المســـــئـــول بيـنهـنه   إمـــــا إلى نـار وإمــــا جنـه

فبكى عمر رضي الله عنه حتى اخضلت لحيته وقال لغلامه يا غلام أعطه قمصي هذا لذلك اليوم لا لشعره وقال أما والله لا أملـك غيره وكان عمر رضي الله عنه يدني يده من النار ثم يقول يا ابن الخطاب هل لك عـلى هذا صبر ويبكي حتى كـان بوجهه خطان أسوادان من البكاء؟ وكان يقـول ألا من يأخذها بما فيها يعني الخـلافة ليتني لم أخلق ليت أمي لم تلدني ليتـني لم أكن شيئًا ليتني كنت نسـيا منسيًا. (الثالـثة) خرج عمر رضي الله عنه من المسجد والجارود العبدي معه فبينما هما خارجان إذا بامرأة على ظهر الطريق فـسلم عليها عـمر فردت السـلام ثم قالت رويدك يا عمـر حتى أكلمك كلمات قليلة قـال لها قولي قالـت يا عمر عهـدي بك وأنت تسمى عميـرًا في سوق عكاظ تصارع الصـبيان فلم تذهب الأيام حـتى سميت عمـر ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله في الرعـية واعلم أنه من خاف الموت خشى الفوت فبكى عمر رضي الله عنه فقال الجـارود هيه قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيتـه فقال عمر دعها أما تعرف هذه يا جارود هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سبع سموات فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها أراد بذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التَي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللهِ﴾[1] . (الرابعة) روي من حديث أسلم وهو عبد من عبيد سيدنا عـمر بن الخطاب قال خرجنا مع عمر بن الخطاب إلى حمرة واف كما في رواية وهي منزلة بظاهر المدينة فـرأى نارًا فقال يا أسلم انظر إلى تلك النار هل هو ركب أضرّ بهم الليل والبرد فقلت لا أعلم يا أمـير المؤمنين قال انطلق بنا إليهم قال فخرجنا نهرول فإذا امرأة معها صغـار ولها قدر منصوب على نار وصبيانها يبكون قال عمر رضي الله عنه السلام عليكم يا أهـل هذا الضوء وكره أن يقول يا أهل هذه النار، فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخـير أو فدع فقال لها ما بال هذه الصبيـة يتضاغون؟ قـالت من الجوع قال فمـا هذا القدر؟ قالت ماء أسكتـهم به حتى يناموا والله بيننا وبين عمر قال إي يرحمك الله وما يدريّ عمر بكم؟ قالت يتولى أمرنا

---

(١) سورة المجادلة آية ١.

ثم يتغافل عنا قال فأقبل عليّ فقال انطلق بنا فخرجنا حتى أتينا دار الدقيق فأخرجنا عدلا من دقيق وكبة من شحم فقال احمله عليّ فقلت أنا أحمله عنك فقال أنت تحمل وزري لا أم لك فحملته عليه فانطلق وانطلقت معه إليها وهو يهرول حتى أتينا إليها فألقى ذلك العدل عندها فأخرج قطعة من دهن وألقاها في القدر وجعل يقول للمرأة ذري وأنا أحرك لك كذا في المحاضرات؛ وفي رواية قال أسلم والله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو ينفخ في النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى طبخ القدر ثم أنزله بيده وقال لها أعطيني شيئًا فأتته بقصعة أو قال بصحفة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض كما يربض السبع وأنا أقول يا أمير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت إليّ حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى ثم جعل يده على يدي ثم قصدنا المدينة وقال لي يا أسلم إن الجوع عدو وقد رأيتهم وهم يبكون فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون. (الخامسة) قال الأعمش كنت جالسًا عنده يومًا فأتي باثنين وعشرين ألف درهم فلم يقم من مجلسه حتى فرقها وكان إذا أعجبه شيء من ماله تصدق به وكان كثيرًا ما يتصدق بالسكر فقيل له في ذلك فقال إني أحبه وقد قال الله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[1]. (السادسة) أعتق رضي الله عنه ألف عبد كان إذا رأى عبدًا من عبيده ملازمًا للصلاة أعتقه فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له. (السابعة) قيل لما رجع عمر رضي الله عنه من الشام إلى المدينة انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته فمر بعجوز في خباء لها فقصدها فقالت ما فعل عمر رضي الله عنه قال قد أقبل من الشام سالمًا فقالت يا هذا لاجزاه الله خيرًا عني قال ولم؟ قالت لأنه ما أنالني من عطاياه منذ ولي أمر المسلمين دينارًا ولا درهمًا فقال وما يدري عمر بحالك وأنت في هذا الموضع؟ قالت سبحان الله والله ما ظننت أن أحدًا يلي على الناس ولا يدري ما بين مشرقها ومغربها فبكى عمر رضي الله عنه وقال واعمراه كل واحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر ثم قال يا أمة الله بكم تبيعينى ظلامتك من عمر فإني أرحمه من النار؟ فقالت لا تهزأ بنا يرحمك الله فقال عمر لست أهزأ بك ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارًا فبينما هو كذلك إذ أقبل علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما فقالا السلام عليك يا أمير المؤمنين

---

(١) سورة آل عمران آية ٩٢.

فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت واسوأتاه شتمت أمير المؤمنين في وجهه فقال لها عمر رضي الله عنه لا بأس عليك يرحمك الله ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولي الخلافة إلى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين ديناراً مما تدّعي عليه عند وقوفه في المحشر بين يدي الله تعالى فعمر بريء منه شهد على ذلك علي وابن مسعود ثم دفعها إلى ولده وقال إذا أنا مت فاجعلها في كفني ألقى بها ربي اهـ من إعلام الناس.

(لطيفة) لما استخلف عمر رضي الله عنه حمل إليه مال يفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فالتفت إليه ولده عبد الله وقال يا أبت أنا أحق أن تقدمني بالعطية لمكانك في الخلافة فقال له هات لك أبا كأبيهما أو جداً كجدهما حتى أقدمك بالعطية فأعادا مقالة عمر على أبيهما رضي الله عنه فالتفت إليهما وقال سيرا له وفرحاه بأني سمعت رسول الله ﷺ يقول عن جبريل عن الله عز وجل: «إن عمر سراج أهل الجنة فجاءا وبشراه بذلك ففرح فرحًا شديدًا وقال خذا بهذا الذي ذكرتما خط علي رضي الله عنه فجاءا إليه وأخذا خطه بذلك فلما دنا قبض عمر رضي الله عنه قال لولده إذا مت فادفنوا معي خط الإمام علي رضي الله عنه ففعل ذلك نقله الإسحاقي.

عن الأوزاعي أن عمر بن الخطاب خرج في سواد الليل فرآه طلحة فذهب عمر فدخل بيتا آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا عجوز عمياء مقعد فقال لها ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة لعثرات عمر تتبع ومناقبه الحسنة وسيرته المستحسنة وزهده وشجاعته وهيبته مشهورة وحسبك أنه كان وزير رسول الله ﷺ.

(وكان كتّابه) عبد الرحمن بن خلف الخزاعي وزيد بن ثابت وزيد بن أرقم **(وأما قضاته)** فزيد بن أبي النمر بالمدينة وأبو أمية شريح بن الحرث الكندي بالكوفة وكان القاضي بمصر قيس بن العاص السهمي ثم كعب بن يسار وحاجبه مولاه يرفأ وقيل اسمه بشر. **(وأما أمراؤه)** فكان بمصر عمرو بن العاص السهمي ثم صرفه عن الصعيد

ورد أمره إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري وكان أمير الشام معاوية بن أبي سفيان نقله بعض المؤرخين واستعمل أول سنة. وولى على الحج عبد الرحمن بن عوف فحج بالناس ثم لم يزل عمر يحج بالناس في خلافته كلها فحج بها عشر سنين وحج بأزواج النبي ﷺ في آخر حجة حجها قال ابن عباس حججت مع عمر إحدى عشرة حجة واعتمر في خلافته ثلاث مرات وقالت عائشة رضي الله عنها لما كانت آخر حجة حجها عمر بأمهات المؤمنين مررت بالمحصب فسمعت رجلا على راحلته يقول أين كان عمر أمير المؤمنين وسمعت رجلا آخر يقول ههنا قد كان أناخ راحلته ورفع عقيرته وقال:

عليك سلام من إمام وباركت ... يد الله في ذلك الأديم المخرق

فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق

قضيت أمورًا ثم غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتق

قالت عائشة فلم ندر ذلك الراكب من هو فكنا نحدث أنه من الجن قالت فقدم عمر من تلك الحجة فطعن فمات كذا في المحاضرات وغيره. وعن سعيد بن المسيب قال حج عمر رضي الله عنه فلما كان بصجنان قال لا إله إلا الله العظيم المعطي لمن شاء كنت أرعى إبل الخطاب بهذا الوادي في مدرعة صوف وكان فظًا يتعبني إذا عملت ويضربني إذا قصرت وقد أصبحت وأمسيت ليس بيني وبين الله أحد ثم تمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويودي المال والولد

لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها ترد

أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفد

حوض هناك مورود بلا كذب ... لا بد من ورد يوما كما وردوا

وعن سعيد بن المسيب أيضًا لما صدر عمر بن الخطاب من منى أناخ بالأبطح ثم كوّم كومة بطحاء ثم طرح عليها رداء فاستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال اللهم كبر سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي اقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط ثم قدم المدينة فخطب الناس فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل.

فصل
في ذكر نبذة من كلامه رضي الله عنه

كان رضي الله عنه يقول: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسول الله وكان رضي الله عنه يقول لولا خوف الحساب لأمرت بكبش يشوى لنا في التنور وكان رضي الله عنه يقول من خاف من الله تعالى لم يشف غيظه ومن يتق الله لم يضيع ما يريد وصعد يومًا إلى المنبر فقال الحمد لله الذي صيرني ليس فوقي أحد فقيل له ما حملك على ما تقول؟ فقال إظهار الشكر ثم نزل وكان يقول ليتني كنت كبشا أهلي سمنوني ما بدا لهم ثم ذبحوني فأكلوني وأخرجوني عذرة ولم أكن بشرا. ولما مرض كانت رأسه في حجر ولده عبد الله فقال له يا ولدي ضع رأسي على الأرض فقال له عبد الله وما عليك أن كانت على فخذي أم على الأرض؟ فقال ضعها على الأرض فوضع عبد الله رأسه على الأرض فقال ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي ثم قال وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر لي ولا وزر عليّ. وكان رضي الله عنه إذا وقع بالمسلمين أمر يكاد يهلك اهتمامًا بأمرهم وكان يأتي المجزرة ومعه الدرة فكل من رآه يشتري لحمًا يومين متتابعين يضربه بالدرة ويقول له هلا طويت بطنك لجارك وابن عمك وأبطأ يوما عن الخروج لصلاة الجمعة ثم خرج فاعتذر إلى الناس وقال إنما حبسني عنكم ثوبي هذا كان يغسل وليس عندي غيره وحج رضي الله عنه من المدينة إلى مكة فلم يضرب فسطاطا ولا خباء حتى رجع وكان إذا نزل يلقى له كساء أو نطع على شجرة فيستظل بذلك وكان رضي الله عنه لا يجمع في سماطه بين أدمين وقدمت إليه حفصة مرقا باردًا وصبت عليه زيتًا فقال أدمان في إناء واحد لا آكله حتى ألقى الله عز وجل وكان في قميصه أربع رقاع بين كتفيه وكان إزاره مرقوعًا بقطعة من جراب وعدّوا مرة في قميصه أربع عشرة رقعة إحداها من أدم أحمر. وكان رضي الله عنه أبيض يعلوه حمرة وإنما صار في لونه سمرة في عام الرمادة حين أكثر من أكل

الزيت توسعة على الناس أيام الغلاء فترك لهم اللحم والسمن واللبن وكان قد حلف أنه لا يأكل إداما غير الزيت حتى يوسع الله على المسلمين ومكث الغلاء تسعة أشهر وكانت الأرض صارت سوداء مثل الرماد وكان يخرج يطوف على البيوت ويقول من كان محتاجًا فليأتنا وكان يقول اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد ﷺ على يدي؛ أورد ذلك كله الشعراني في طبقاته. ومن كلامه أيضًا حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم من الحساب غدًا، ومن كلامه أيضًا من اتقى الله لم يشف غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون.

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه) روي أن عمر كان لا يأذن لمشرك قد احتلم أن يدخل المدينة حتى كتب إليه المغيرة بن شعبة وهو على الكوفة يستأذنه في غلام صنع اسمه فيروز أبو لؤلؤة فقال إن لديه أعمالا كثيرة حداد ونقاش ونجار ومنافع للناس فأذن له فأرسل به المغيرة وضرب عليه المغيرة مائة درهم في كل شهر فجاء الغلام إلى عمر واشتكى فقال له عمر ما تحسن من الأعمال؟ فذكرها فقال له عمر ما خراجك بكثير وعن أبي رافع قال كان أبو لؤلؤة عبدًا للمغيرة بن شعبة وكان يصنع الأرحاء وكان المغيرة كل يوم يستغله أربعة دراهم فلقى أبو لؤلؤة عمر فقال يا أمير المؤمنين إن المغيرة أثقل عليّ غلتي فكلمه لي يخفف عني فقال له عمر اتق الله وأحسن إلى مولاك فغضب العبد وقال وسع الناس كلهم عدله غيري فأضمر على قتله فاصطنع خنجراً له رأسان وسمه ثم أتى به الهرمزان فقال كيف ترى هذا فقال إنك لا تضرب بهذا أحدًا إلا قتله انتهى من الرياض النضرة. حكى الطبري قال جاء كعب الأحبار إليه رضي الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما يدريك؟ قال أجد صفتك وحليتك في التوراة وإنه قد اقترب أجلك وكان عمر رضي الله عنه حينئذ لا يجد وجعًا ولا ألمًا فلما كان الغد جاء كعب الأحبار وقال يا أمير المؤمنين ذهب يومان وبقي يوم وليلة قال فلما كان الصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجلا فإذا استوت الصفوف جاء هو ينظر في الناس

فدخل أبو لؤلؤة في الناس وفي يده الخنجر الذي له الرأسان نصابه في وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات وفي رواية ستا إحداهن تحت سرته وهي التي قتلته وقتل معه كليب ابن النضر الليثي فلما وجد رضي الله عنه حر الحديد سقط في الأرض وقال أفي الناس عبد الرحمن بن عوف؟ قالوا نعم يا أمير المؤمنين قال فليتقدم يصلي بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الأرض ثم حمل إلى داره ثم قال لولده وقيل لعبد الله بن عباس اخرج فانظر من قتلني فقال له يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذي لم يجعل قتلى إلا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب إلى عائشة فاسألها هل تأذن لي أن أدفن مع النبي ﷺ وأبي بكر يا عبد الله إن اختلف القوم فكن مع الأكثر ولو ثلاثة يا عبد الله ائذن للناس أن يدخلوا قال فجعل الناس يدخلون من المهاجرين والأنصار فيسلمون عليه ويقول لهم أعن ملإ منكم كان هذا فيقولون معاذ الله ودخل في الناس كعب فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

وواعدني كعب ثلاثة أعدها ... ولا شك أن القول ما قاله كعب

وما بي حذار الموت إني لميت ... ولكن حذار الذنب يتبعه ذنب

وفي رواية قتل أبو لؤلؤة لعنه الله سبعة في مسجد رسول الله ﷺ وجرح جماعة فأخذ عبد الرحمن بن عوف بساطًا ورماه عليه وقبضه ولما رأى الكلب أنه قد أخذ قتل نفسه وكان طعن عمر رضي الله عنه يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وبقي ثلاثة أيام وتوفي لأربع بقين من ذي الحجة وقيل توفي يوم الاثنين وعاش ثلاثًا وستين سنة وقيل خمسًا وقيل غير ذلك وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر إلا يومًا وصلى عليه صهيب بن سنان الرومي ودفن في حجرة عائشة رضي الله عنها. ومروياته في كتب الأحاديث خمسمائة حديث واثنان وثلاثون حديثًا كذا في المسامرات.

(وأما أولاده رضي الله عنه) فثلاثة عشر ولداً تسعة بنين وأربع بنات. أما الذكور فعبد الله ويكنى أبا عبد الرحن آمن بمكة في صغـره مع أبيه وهاجر معه وهو ابن عشر سنين وشهد المشاهد كلها بعد بدر وأحد وكان يوم أحد ابن أربع عشرة سنة ومات بمكة ودفن بفخ بالفاء والخاء المعـجمة المشددة موضع قـريب من مكة وهو ابن أربع وثمانين سنة وله عقب ومـروياته ألف وستمـائة وثلاثون حديثًا وعبـد الرحمن الأكبـر شقيـقه وأمهما زينب بنت مظعون الجمحي أدرك النبي ﷺ ولم يحفظ عنه وزيد الأكبر وأمه أم كلثوم بنت الإمام علي كرم الله وجهـه بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ ويقال إنه رمي بحجر بين حيين في حرب فمات ولا عقب له ويقال إنه مات هو وأمه في ساعة واحدة فلم يرث أحدهما من الآخر وصلى عليهما عبد الله بن عمر وقدم زيدًا على أمه فصار سنة وكان بـسببـهمـا حكمان، وعاصـم وأمه أم كلثوم جـميلة بنت عـاصم بن ثابت وعاصم هذا هو الذي تزوج بابنـة المرأة التي كانت تغش اللبن. فعن أبي وائل قـال مر عمر رضي الله عنه بعجـوز تبيع لبنًا معها في سوق الليل فقال لهـا يا عجوز لا تغشي المسلمين وزوار بيت الله ولا تشوبي اللبن بالماء فـقالت نعم يا أمير المؤمنـين ثم مر بعد ذلك فقال لـها يا عجوز ألم أتقـدم إليك ألا تشوبي لبنك بالماء فقالت والله مـا فعلت فتكلمت ابنة لها من داخل الخباء فقالت يا أمه أغشًا وكذبًا جمعت على نفسك فسمعها عمر فهم بمعاقـبة العجوز فتركها لكلام ابنتها ثم التـفت إلى بنيه فقال أيكم يتزوج هذه فلعل الله عز وجل أن يخرج منها نسمة طيبة مـثلها فقال عاصـم بن عمر أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين فزوجـها إياه فولدت له أم عاصم فتزوج أم عاصم عـبد العزيز بن مروان فولدت له عمـر بن عبد العزيز ثم تزوج بعـدها حفصة ففـيها قيل ليست حـفصة من رجال أم عاصم وتوفى عاصم سنة سبعين وله عقب وعياض وأمه عاتكة بنت زيد وزيد الأصغر وعبيـد الله أمهما مليكة بنت جرول الخزاعية، وكـان عبيد الله شديد البطش لما قتل عمر والده رضي الله عنه جرد سيفه وقتل الهرمزان وجفينة وهو رجل نصراني من أهل الحيرة وقـتل بنتًا صغيرة لأبـي لؤلؤة قاتل عمر والده فـأخذ عبيد الله ليـقتص منه فاعتذر بأن عبد الرحمن بن أبي بكر أخبره أنه رأى أبا لؤلؤة والهرمزان وجفينة يدخلون

في مكان يتشاورون وبينهم خنجر له رأسان مقبضه في وسطه فقتل عمر صبيحة تلك الليلة فاستدعى عثمان رضي الله عنه عبد الرحمن فسأله في ذلك فقال انظروا إلى السكين فإن كانت ذات طرفين فلا أرى القوم إلا وقد اجتمعوا على قتله فنظروا إليها فوجدوها كما وصف عبد الرحمن فقال عمرو بن العاص قتل أمير المؤمنين بالأمس ويقتل ابنه اليوم لا والله لا يكون هذا أبدًا فترك عثمان قتل عبيد الله ثم لحق عبيد الله بمعاوية وقتل في صفين معه وله عقب وأخو زيد الأصغر وعبيد الله لأمهما عبد الله بن أبي جهم بن حذيفة وحارثة بن وهب الخزاعي وعبد الرحمن الأوسط أمه لهية أم ولد وعبد الرحمن الأصغر أمه أم ولد ويكنى أحد الثلاثة أبا شحمة ويلقب آخر مجبرًا، فأما أبو شحمة فهو الذي ضربه عمر في الحد حتى مات ولا عقب له، وأما مجبر فكان له عقب فبادوا ولم يبق منهم أحد ذكره ابن قتيبة. وفي أسد الغابة عبد الرحمن الأصغر هو أبو المجبر والمجبر أيضًا اسمه عبد الرحمن وإنما قيل له المجبر لأنه وقع وهو غلام فتكسر فأتى به إلى عمته حفصة أم المؤمنين فقيل لها انظري إلى ابن أخيك انكسر فقالت ليس بالمنكسر ولكنه المجبر قاله أبو عمر وقال الدارقطني عبد الرحمن الأوسط هو أبو شحمة المجلود في الحد؛ وقطع به عن عمرو بن العاص قال: بينا أنا بمنزلي بمصر إذ قيل لي هذا عبد الرحمن بن عمر وأبو سروعة يستأذنان عليك وفي رواية غيره عبد الرحمن ورجل يعرف بعقبة بن الحارث فقلت يدخلان فدخلا وهما منكسران فقالا أقم علينا حد الله فإنا أصبنا البارحة شرابًا وسكرنا قال فزبرتهما وطردتهما فقال عبد الرحمن إن لم تفعله أخبرت والدي إذا قدمت عليه فعلمت أني إن لم أقم عليهما الحد غضب علي عمر وعزلني فأخرجتهما إلى صحن الدار فضربتهما الحد ودخل عبد الرحمن ناحية إلى بيت في الدار فحلق رأسه وكانوا يحلقون مع الحدود والله ما كتبت إلى عمر بحرف مما كان حتى إذا كتابه جاءني فيه: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر إلى عمرو بن العاص عجبت لك وجراءتك عليّ وخلافك عهدي فما أراني إلا عازلك تضرب عبد الرحمن في بيتك وتحلق رأسه في بيتك وقد عرفت أن هذا يخالفني إنما عبد الرحمن رجل من رعيتك تصنع به ما تصنع بغيره من المسلمين ولكن

قلت هو ابن أمير المؤمنين وعرفت أن لا هوادة لأحد من الناس عندي في حق فإذا جاءك كتابي هذا فابعث به في عباءة على قتب حتى يعرف سوء ما صنع فبعث به كما قال أبوه وكتب عمرو إلى عمر يعتذر إليه إني ضربته في صحن داري وبالله الذي لا يحلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري على المسلم والذمي ويبعث بالكتاب مع عبد الرحمن بن عمر فقدم به عبد الرحمن على أبيه فدخل وعليه عباءة ولا يستطيع المشي من سوء مركبه فقال يا عبد الرحمن فعلت وفعلت فكلمه عبد الرحمن بن عوف وقال يا أمير المؤمنين قد أقيم عليه الحد فلم يلتفت إليه فجعل عبد الرحمن يصيح ويقول إني مريض وأنت قاتلي قال فضربه الحد ثانية وحبسه فمرض ثم مات. وعن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لقد رأيت عمر وقد أقام الحد على ولده فقتله فيه فقيل له يا ابن عم رسول الله حدثنا كيف أقام الحد على ولده فقتله فيه؟ فقال كنت ذات يوم في المسجد وعمر جالس والناس حوله إذ أقبلت جارية فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال عمر وعليك السلام ورحمة الله ألك حاجة؟ قالت نعم خذ ولدك هذا مني فقال عمر إني لا أعرفه فبكت الجارية وقالت يا أمير المؤمنين إن لم يكن من ظهرك فهو ولد ولدك فقال أيّ أولادي؟ قالت أبو شحمة فقال أبحلال أم بحرام؟ فقالت من قبلي بحلال ومن جهته بحرام قال عمر وكيف ذلك اتقي الله ولا تقولي إلا حقًا قالت يا أمير المؤمنين كنت مارة في بعض الأيام إذ مررت بحائط بني النجار إذ أتاني ولدك أبو شحمة يتمايل سكرًا وكان شرب عند نسيكة اليهودي قالت ثم راودني عن نفسي وجرني إلى الحائط ونال مني ما ينال الرجل من المرأة وقد أغمي عليّ فكتمت أمري عن عمي وجيراني حتى أحسست بالولادة فخرجت إلى موضع كذا وكذا فوضعت هذا الغلام وهممت بقتله ثم ندمت على ذلك فاحكم بحكم الله بيني وبينه فأمر عمر مناديًا فنادى فأقبل الناس يهرعون إلى المسجد ثم قام عمر فقال لا تفرقوا حتى آتيكم ثم خرج فقال يا ابن عباس أسرع معي فلم يزل حتى أتى منزله فقرع الباب وقال ههنا ولدي أبو شحمة فقيل له إنه على الطعام فدخل عليه وقال كل يا بنيّ فيوشك أن يكون آخر زادك من الدنيا قال ابن عباس فلقد رأيت الغلام وقد تغير لونه

وارتعد وسقطت اللقمة من يده فقال عـمر يا بنيّ من أنا؟ فقال أنت أبي وأمير المؤمنين فقال فلي حق طاعة أم لا؟ قال لك طاعتان مـفترضتان لأنك والدي وأمير المؤمنين قال عمـر بحق نبيك وبحق أبيك هل كنت ضـيفًا لنسيكة اليهودي فـشربت الخـمر عنده فسكرت؟ قال قـد كان ذلك وقد تبت فإن رأس مال المؤمنين التـوبة قال يا بنيّ أنشدك بالله هل دخلت حائط بني النجـار فرأيت امرأة فواقعـتها؟ فسكت وبكى قـال عمر لا بأس اصدق يا بني فإن الله يحب الصادقين قال قـد كان ذلك وأنا تائب نادم فلما سمع ذلك عمر منه قبض على يـده ولببه وجره إلى المسجد فقـال يا أبت لا تفضحني وخذ السيف واقـطعني إربًا إربًا قال أما سـمعت قـوله تعالى وليـشهد عـذابهما طـائفة من المؤمنين؟ ثم جـره إلى بين يدي أصحـاب رسـول الله ﷺ في المســجد وقـال صدقت المرأة وأقر أبو شحمة بما قالت وكـان له مملوك يقال له أفلح فقال يا أفلح خذ ابني هذا إليك واضربه مـائة سوط ولا تقصـر في ضربه فقـال لا أفعل وبكى فقـال يا غلام إن طاعتي طاعـة لله ورسوله ﷺ فـافعل ما آمـرك به قال فنزع ثيـابه وضج الناس بالبكاء والنحيب وجـعل الغلام يشيـر إلى أبيه يا أبتي ارحـمني فقال له عـمر وهو يبكي وإنما أفعل هذا كي يرحمك الله ويرحمني ثم قال يا أفلح اضرب فضربه وهو يستغيث وعمر يقول اضربه حتى بلغ سبعين فقال يا أبت اسقني شربة من ماء فقال يا بني إن كان ربك يطهرك فيسقـيك محمد ﷺ شربة لا تظمأ بعدها أبدًا يا غلام اضـربه فضربه حتى بلغ ثمانين فـقال يا أبت السـلام عليك فقـال وعليك السلام إن رأيت مـحمدًا أقـرئه مني السلام وقل له خلفت عـمر يقرأ القرآن ويقـيم الحدود يا غلام اضربه فلمـا بلغ تسعين انقطـع كـلامه وضـعف فرأيت أصحـاب رسـول الله ﷺ قالوا يا عـمر انظر كم بقي فأخره إلى وقت آخر فقـال كما لم تؤخر المعصية لا تؤخر العـقوبة وجاء الصريخ إلى أمه فجـاءت باكية صارخـة وقالت أحج بكل سوط حجـة ماشية وأتصـدق بكذا وكذا درهمًا فقـال إن الحج والصدقة لا ينوبان عن الحـد فضربه فلمـا كان آخر سـوط سقط الغلام ميتًا فصاح وقال يا بني محص الله عنك الخطايا ثم جعل رأسه في حجره وجعل يبكي ويقول بأبي من قتله الحق بأبي من مات عند انقضاء الحد بأبي من لم يرحمه أبوه

وأقاربه فنظر الناس إليه فإذا هو قد فارق الدنيا فلم نر يومًا أعظم منه وضج الناس بالبكاء والنحيب فلما كان بعد أربعين يومًا أقبل حذيفة بن اليمان صبيحة يوم الجمعة فقال إني رأيت رسول الله ﷺ في المنام وإذا الفتى معه وعليه حلتان خضراوان وقال رسول الله ﷺ أقرئ عمر مني السلام وقل هكذا أمرك الله أن تقرأ القرآن وتقيم الحدود وقال الغلام يا حذيفة أقرئ أبي مني السلام وقل له طهرك الله كما طهرتني أخرجه الديلمي في كتاب المنتقى اهـ من الرياض النضرة وخرجه غير الديلمي مختصرًا بتغيير اللفظ. (**وأما البنات الأربع**) فحفصة زوج النبي ﷺ وهي شقيقة عبد الله وعبد الرحمن الأكبر، ورقية وهي شقيقة زيد الأكبر تزوجها إبراهيم بن نعيم بن عبد الله فماتت عنده ولم تلد له، وفاطمة أمها أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة تزوجها ابن عمها عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب فولدت له عبد الله ذكره الدارقطني وزينب أمها فكيهة تزوجها عبد الله بن سراقة العدوي وروت عن أختها حفصة ذكره ابن قتيبة وغيره.

فصل

في ذكر مناقب سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه

هو أبو عبد الله عثـمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبـد شمس بن عبد مناف يلتقي هو ورسول الله ﷺ في عبد مناف فبين عـثمان وعبد مناف أربعة آباء وبين النبي وعبد مناف ثلاثة فهو أقرب الأربعة إلى رسول الله ﷺ بعد علي رضي الله عنه. وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عـبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبـد المطلب وأسلمت رضي الله عنها قـديمًا وهاجرت الهـجرتين. وولد عثـمان رضي الله عنه بالطائف في السنة السادسة من عام الفيل وكان إسلامه على يد أبي بكر رضي الله عنهـما قبل دخـول النبي دار الأرقم وهو ابن تسع وثلاثين سنة وقـيل ثلاث وثلاثين سنة قال ابن إسحق هو أول الناس إسـلامًا بعد أبي بكر وعليّ وزيد بن حارثة وهو ثالث الخلفاء وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا قيل خلفه النبي لأجل ابنته رقية يمرضها وضرب لـه بسهـمه وأجـره ولذا يعـدّ من أهل بدر فكـــان كـمن شهـدها وبايع عنه رسول الله ﷺ بيده في بـيعة الرضوان ودعا له بالخـصوصية غـير مرة فعن أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه قـال رمقت رسـول الله ﷺ من أول الليل إلى طلـوع الفجـر يقول: «اللهم إني رضـيت عن عثمــان فارض عنه». وقال رسول الله ﷺ: «غـفر الله لك يا عثـمان مـا قدمت وما أخـرت وما أسـررت وما أعلنت وما هو كـائن إلى يوم القيامـة». وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في فضله قال رسـول الله ﷺ: «أشدّ أمتي حياء عثـمان بن عفان». رواه الطبراني وقال رسـول الله ﷺ: «عثمان في الجنة». رواه ابن عساكـر وقال رسول الله ﷺ: «عثمان أحـيا أمتي وأكرمهـا». رواه أبو نعيم وقال رسول الله ﷺ: «عثمان حيي تستحيى منه الملائكة». رواه ابن عساكر وقال رسول الله ﷺ: «عثمـان رفيقي معي في الجنة». وقـال رسول الله ﷺ: «عثمـان وليي في الدنيا

والآخرة». وقال رسول الله ﷺ: «رحمك الله يا عثمان ما أصبت من الدنيا ولا أصابت منك». وقال رسول الله ﷺ: «يا عثمان إنك ستبلى بعدي فلا تقاتلن». وقال رسول الله ﷺ: «يوم يموت عثمان يصلّي عليه ملائكة السماء». وقال رسول الله ﷺ: «يشفع عثمان في سبعين ألفًا عند الميزان ممن استوجبوا النار». وأخرج ابن عدي عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما زوّج النبي ﷺ بنته أم كلثوم لعثمان رضي الله عنه قال لها: «إن بعلك أشبه الناس بجدك إبراهيم عليه السلام وأبيك محمد». وروي عن عليّ رضي الله عنه أنه قال: دخل عثمان رضي الله عنه على النبي ﷺ وركبته بادية فغطى رسول الله ﷺ ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلي فلم تغطها؟ فقال رسول الله ﷺ: «إني لأستحيي ممن استحيت منه الملائكة». وعن جابر رضي الله عنه أُتي رسول الله ﷺ بجنازة رجل فلم يصلِّ عليها فقيل له يا رسول الله ما نراك تركت الصلاة على أحد قبل هذا؟ قال: إنه كان يبغض عثمان فأبغضه الله عزّ وجل.

(نادرة) عن أبي قلابة قال كنت بالشام مع رفقة فسمعت رجلا يقول: واويلاه من النار فقمت إليه وإذا رجل مقطوع اليدين والرجلين أعمى العينين منكبّ على وجهه فسألته عن حاله فقال إني كنت ممن دخل على عثمان يوم الدار فلما دنوت منه صرخت زوجته فلطمتها فقال عثمان ما لك قطع الله يديك ورجليك وأعمى عينيك وأدخلك النار. قال فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هاربًا ولم يبق من دعائه إلا النار.

(موعظة من مواعظ سيدنا عثمان رضي الله عنه) عن يزيد بن عثمان قال آخر خطبة خطبها عثمان: أيها الناس إن الله إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة فلم يعطكموها لتركنوا إليها إن الدنيا تفنى والآخرة تبقى لا تبطرنّكم الفانية ولا تشغلنّكم عن الباقية آثروا ما يبقى على ما يفنى فإن الدنيا منقطعة وإن المصير إلى الله، اتقوا الله فإن تقواه جُنة من بأسه ووسيلة عنده، واحذروا من الله الغيرة، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابًا، واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانًا.

(صفة عـثمان رضي الله عنه) كان أبيض اللون، وقيل أسـمر رقيق البشرة كـثير شعر الرأس عظيم اللحـية، وكان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصيـر حسن الوجه ضخم الكراديس بعيد ما بين المنكبين وكان يصفر لحيته ويشد أسنانه بالذهب، عن عبد الله بن حزام المازني قـال: رأيت عثمان بن عـفان رضي الله عنه فمـا رأيت قط ذكرًا ولا أنثى أحسن وجهًا منه وبويع له بعد وفـاة عمر رضي الله عنه يوم الاثنين لليلة بقيت من ذي الحجـة سنة ثلاث وعشرين واستـقبل بخلافـته المحرم سنة أربع وعشـرين، وقيل يوم السبت غرة المحرم سنة أربع وعشرين بعد دفن عـمر بثلاثة أيام. قال في المختصر: ولما كان في اليـوم الثالث من وفاة عمـر خرج عبد الرحمن بـن عوف وعليه عمامـته التي عممه بها رسول الله ﷺ متقلدًا سيفه وصعد المنبر ثم قال: أيها الناس إني سألتكم سرًا وجهرًا عن إمامكم فلم أجدكم تعدلون بأحـد هذين الرجلين إما عليّ وإما عثمان وقال قم يا علي فقام علي فـوقف تحت المنبر وأخذ عبد الرحمن بيـده وقال هل أنت مبايعي على كتاب الله وسنة نبيه وفعل أبي بكر وعمر فقـال اللهم لا ولكن على جهدي من ذلك وطاقتي فأرسل يده ثم نادى قم يا عـثمان فقام فأخذ بيـده وقال أبايعك فهل أنت مبايعي على كتـاب الله وسنة رسوله وفعل أبي بكر وعمر فقـال اللهم نعم فرفع رأسه إلى سقف المسجد وقال: اللهم اسمع قد خلعت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان فازدحم الناس يبايعون عثمان وقعد عبد الرحمن مقعد النبي ﷺ من المنبر وقعد عثمان في الدرجة الثانية تحته فجعل الناس يبايعونه، ويقال لسيدنا عثمان ذو النورين لأن النبي ﷺ زوجه ابنتـه رقية فلما مـاتت زوجه أم كلثوم فلمـا ماتت قال لو كـان عندي ثالثة لزوجتكها، وفي أسـد الغابة لو كان لنا ثالثة لزوجناك. وفي أسـد الغابة أيضًا عن أبي محبوب عـقبة بن علقمة قـال: سـمعت علي بن أبي طالب يـقـول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن لي أربعين بنتًا لزوجت عثمان واحـدة بعد واحدة حتى لا تبقى منهن واحدة».

(نكتة) قيل للمهلب بن أبي صفرة لم قـيل لعثمان ذو النورين قال لأنه لم نعلم

أحدًا أرسل سترًا على ابنتي نبي غيره وكان عثمان رضي الله عنه شديد الحياء حتى إنه ليكون في البيت والباب مغلق عليه فما يضع الثوب عنه عند الغسل ليفيض الماء ويمنعه الحياء أن يقيم صلبه. وفي طبقات الشعراني وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله وكان يختم القرآن في كل ركعة كثيرًا وكان يخطب الناس وعليه إزار عدني غليظ ثمنه أربعة دراهم أو خمسة وكان يطعم الناس طعام الإمارة ويدخل بيته يأكل الخل والزيت وكان يردف غلامه خلفه في أيام خلافته ولا يستعيب ذلك وكان إذا مرّ على المقبرة بكى حتى تبتلّ لحيته رضي الله عنه اهـ واشترى بئر رومة بأربعين ألف درهم ووقفها على المسلمين وأصاب الناس قحط في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر وقالوا يا خليفة رسول الله إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع؟ فقال لهم انصرفوا واصبروا فإني أرجو الله ألا تمسوا حتى يفرج الله عنكم فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرًا لعثمان جاءت من الشام وتصبح المدينة فلما جاءت خرج الناس يتلقونها فإذا هي ألف بعير موسوقة برًا وزيتًا وزبيبًا فأناخت بباب عثمان رضي الله عنه فلما جعلها في داره جاء التجار فقال لهم ما تريدون قالوا إنك لتعلم ما نريد بعنا من هذا الذي وصل إليك فإنك تعلم ضرورة الناس قال حبًّا وكرامة كم تربحونني على شرائي قالوا الدرهم درهمين قال أعطيت زيادة على هذا قالوا أربعة قال أعطيت زيادة على هذا قالوا خمسة قال أعطيت أكثر من هذا قالوا يا أبا عمرو ما بقي في المدينة تجار غيرنا وما سبقنا إليك أحد فمن ذا الذي أعطاك قال إن الله أعطاني بكل درهم عشرة أعندكم زيادة قالوا لا قال فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين وفقراء المسلمين اهـ من الغرر والعرر، وجهز رضي الله عنه جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيرًا بأحلاسها وأقتابها وأتم الألف بخمسين فرسًا وعن قتادة حمل عثمان على ألف بعير وسبعين فرسًا فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا. وأصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك فاشترى طعامًا يسع العسكر.

(فائدة) اختصم عثمان هو وأبو عبيدة عامر بن الجراح فقال أبو عبيدة: يا عثمان تخرج عليّ في الكلام وأنا أفضل منك بثلاث فقال عثمان: وما هن؟ قال: الأولى إني كنت يوم البيعة حاضرًا وأنت غائب والثانية شهدت بدرًا ولم تشهده والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد ولم تثبت أنت فقال عثمان صدقت، أما يوم البيعة فإن رسول الله ﷺ بعثني في حاجة ومد يده عني وقال: هذه يد عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيرًا من يدي وأما يوم بدر فإن رسول الله ﷺ استخلفني على المدينة ولم يمكني مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها. وأما انهزامي يوم أحد فإن الله عفا عني وأضاف فعلي إلى الشيطان فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[1]. فخصمه عثمان وغلبه. ومناقبه رضي الله عنه مشهورة وفتح في أيام خلافته سابور وأفريقية وسواحل الأردن وسواحل الروم وأصطخر الأخيرة وفارس الأولى وطبرستان وسجستان والأساورة. ومروياته مائة وستة وأربعون حديثًا **(وكاتبه)** مروان بن الحكم. **(وقاضيه)** كعب بن سور وعثمان بن قيس بن أبي العاص **(وأميره بمصر)** أخوه من الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح **(وحاجبه)** حمران مولاه **(وصاحب شرطته)** عبد الله بن معبد التيمي وفي المحاضرات ابن قنفذ التيمي. ونقش خاتمه آمنت بالله مخلصًا وقيل آمنت بالذي خلق فسوّى وكان في يده خاتم رسول الله ﷺ يطبع به إلى أن وقع في بئر أريس.

(تتمة في ذكر أولاده واستشهاده) أما أولاده رضي الله عنه فستة عشر تسعة ذكور وسبع بنات أما الذكور (فعبد الله) ويعرف بالأصغر وأمه رقية بنت رسول الله ﷺ وقيل فاختة بنت غزوان ومات صغيرًا وقيل بلغ ست سنين ونقره ديك في عينه فمرض ومات (وعبد الله الأكبر) وكان أسنهم وأشرفهم عقبًا وولدًا ومات بمنى (وأبان) ويكنى أبا سعيد وهو من رواة الحديث وشهد حرب الجمل مع عائشة قيل وكان أول من انهزم وكان أبرص أحول أصم، ولي المدينة في أيام عبد الملك بن

---

(١) سورة آل عمران ١٥٥.

مروان، ومات في خلافة يزيد بن عبد الملك وعقبه كثير وله ولد في الأندلس (وخالد) وكان في يد أولاده المصحف الذي قطر عليه دم عثمان يوم قتل؛ توفي في خلافة أبيه بركض دابة وله عقب وهو الذي يقال له الكسير (وعمرو) وله عقب أيضًا وأمهم بنت جندب من الأزد (وسعيد والوليد) أمهما فاطمة بنت الوليد وكان سعيد يكنى أبا عثمان ولاه معاوية خراسان وكان حاكمًا بها من قبل معاوية وقتل هناك (وعبد الملك) مات غلامًا وأمه مليكة وهي أم البنين بنت عيينة ابن حصن الفزاري. (وأما البنات) فمريم الكبرى أخت عمرو لأمه وأم سعيد أخت سعيد لأمه وتزوّجها عبد الله وعائشة وتزوجها الحرث بن الحكم بن أبي العاص ثم خلف عليها بعده عبد الله بن الزبير، وأم أبان تزوجها مروان بن الحكم بن أبي العاص، وأم عمرو أمها رملة بنت شيبة بن ربيعة ابن عبد شمس، ومريم الصغرى أمها نائلة بنت الفرافصة الكلبية وتزوجها عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط، وأم البنين أمها أم ولد نقله بعض المؤرخين.

(وأما سبب قتله) فروي عن ابن شهاب قال قلت لسعيد بن المسيب هل أنت مخبري كيف كان قتل عثمان وما كان شأن الناس وشأنه ولم خذله أصحاب محمد ﷺ قال قتل عثمان مظلومًا ومن قتله كان ظالمًا ومن خذله كان معذورًا فقلت وكيف كان ذلك؟ قال لما ولي كره ولايته نفر من أصحاب رسول الله ﷺ لأن عثمان كان يحب قومه فولي اثنتي عشرة سنة وكان كثيرًا ما يولي بني أمية ممن لم يكن له مع رسول الله ﷺ صحبة وكان يجيء من أمرائه ما يكره أصحاب رسول الله وكان يستغاث عليهم فلا يغيثهم فلما كان في الستة الحجج الأواخر استأثر بني عمه فولاهم وأمَّرهم وولى عبد الله بن أبي سرح مصر فشكا أهل مصر وكان من قبل ذلك من عثمان هنات إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر وكانت هذيل وبنو زهرة في قلوبهم ما فيها لأجل عبد الله بن مسعود وكانت بنو غفار وأحلافها ومن غضب لأبي ذر في قلوبهم ما فيها وكانت بنو مخزوم حنقت على عثمان لأجل عمار بن ياسر وجاء أهل مصر يشكون ابن أبي سرح فكتب إليه يهدده فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه وضرب بعض من أتاه من قبل عثمان ومن أهل مصر ممن كان أتى عثمان

فقتله فخـرج جيش أهل مصر في سبعمـائة رجل إلى المدينة فنزلوا المسجد وشكوا إلى أصحاب رسـول الله ﷺ فدخل عليه عليّ بن أبي طالب وكان متكلم القـوم وقال قد سـألوك رجـلا مكان رجل وقـد ادعوا قـبله دمًا فـاعـزله عنهم وإن وجب عليـه حق فأنصفـهم من عاملك فقال لهم اختـاروا رجلا فأشاروا إلى محـمد بن أبي بكر فكتب عهده وولاه وخرج معهم مدد من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وبين ابن أبي سرح فخرج محمد ومن معه فلما كانوا على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم بغلام أسود على بعير يخبط الأرض خبطًا حتى كأنه يَطلب أو يُطلب فقال له أصحاب محمد مـا قصتك وما شأنك كأنك هارب أو طالب فقـال لهم: أنا غلام أمير المؤمنين وجهني إلـى عامل مصـر فقـال رجل هذا عامل مـصر معنا قـال ليس هذا الذي أريد فأخبروا بـأمره محمد بن أبي بكر فبـعث في طلبه رجلا فأخذوه وجاءوا به إلـيه فقال غلام من أنت؟ فاعتل مرة يقول أنا غلام أميـر المؤمنين ومرة يقول أنا غلام مروان فقال له محمد إلى من أرسلت قال إلى عامل مصر قال بماذا قال برسالة قال معك كتاب قال لا ففتشوه فلم يجـدوا معه كتابًا وكان معه إداوة قد يبست وفـيها شيء يتقلقل فراودوه ليخرجه فلم يخرج فـشقوا الإداوة فإذا فيها كتاب من عثـمان إلى ابن أبي سرح فجمع محمد من كان معه من المهاجـرين والأنصار وغيرهـم ثم فك الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه إذا أتاك مـحمد وفلان فاحـتل لقتلهم وأبطل كتابه وقف على عـملك حتى يأتيك أمري إن شـاء الله تعالى فلما قرءوا الكتـاب فزعوا ورجـعوا إلى المدينة وختم محـمد الكتاب بخـواتيم نفر كانوا مـعه من أصحاب رسـول الله ﷺ ودفع الكتاب إلى رجل منهم وقدموا المدينة فجمعوا طلحة والزبيـر وعليًا وسعدًا ومن كان من أصحاب محمد ﷺ ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم فإذا فيه إذا أتاك مـحمد وفلان وفلان فاحتل لقتلهم فقرءوا الكتاب عليهم وأخبروهم بقصة العبد فلم يبق أحد من أهل المدينة إلا حنق على عثمان وزاد ذلك من غضب ابن مسعـود وأبي ذر وعمار وقام أصحاب رسول الله ﷺ إلى منازلهم وما منهم من أحد إلا مـغتم وحاصر الناس عثـمان، فلما رأى ذلك عليّ بعث إلى طلحة والزبير وسعد وعـمار ونفر من أصحاب رسول الله ﷺ ثم دخل على

عثمان ومعـه الكتاب والغلام والبعير فقـال له علي هذا الغلام غلامك؟ قال نعم وهذا البعير بعيـرك؟ قال نعم قال فأنت كتبت الكتاب قال لا وحلف بـالله ما كتبت الكتاب ولا أمرت به ولا علمت به ولا وجهت هذا الغلام إلى مصر وأما الخط فعرفوا أنه خط مروان وسـألوه أن يدفعه إليـهم وكان معـه في الدار فأبى وخـشي عليه القتل فـخرج أصحاب رسول الله ﷺ من عنـده غضابًا وعلموا أن عثمان لا يحلـف باطلا فحاصره الناس ومنعوه الماء وأشـرف على الناس وقال أفيكم علي قـالوا لا قال: أفيكم سـعد؟ قالوا لا فقال: ألا أحد يسقينا من ماء؟ فبلغ ذلك عليًا فبعث إليه ثلاث قرب مملوءة ماء فما كـادت تصل حتى جرح بسبـبها عدة من موالي بني هاشم وبني أمـية ثم بلغ عليًا أنهم يريدون قتل عثمان فـقال: إنما أردنا منه مروان فأما قتل عثمـان فلا فقال للحسن والحسين: اذهبا بسيفيكما حتى تقومـا على باب عثمان فلا تدعا أحدًا يصل إليه وبعث الزبيـر ابنه وبعث عـدة من الصحـابة أبناءهم يمنعـون الناس أن يدخلوا على عـثمـان ويسألونه إخـراج مروان فلما رأى الناس ذلك رموا باب عـثمان بالسهـام حتى خضب الحسن بن علي بدمـائه وأصاب مروان سهم وهـو في الدار وكذلك محمـد بن طلحة وشج قنبر مـولى عليّ، ثم إن بعض من حضـر عثـمان خشي أن تغـضب بنو هاشم لأجل الحسن والحسـين فتنتشر الفتـنة فأخذ بيده رجلان وقـالا إن جاء بنو هاشم ورأوا الدم على وجه الحسن كشف الناس عن عثمان وبطل ما تريدون ولكن اذهبوا بنا نتسور الدار فنقتله من غير أن يعلم أحد فـتسوروا من دار رجل من الأنصار حتى دخلوا على عثمان وما يـعلم أحد ممن كان معه لأن كل من كان معه فـوق البيت ولم يكن معه إلا امرأته فقتلوه وخرجوا هاربين من حيث دخلوا وصرخت امرأته فلم يسمع صراخها من الجلبة فصعدت إلى الناس فقالت إن أمير المؤمنين قتل فدخل عليه الحسن والحسين ومن كان معهما فـوجدوه مذبوحًا فانكبوا عليه يبكون ودخل الناس فوجدوا عـثمان مقتولا فبلغ عليًا وطلحـة والزبير وسعدًا ومن كان بالمدينة فـخرجوا وقد ذهبت عـقولهم حتى دخلوا على عثـمان فوجدوه مـقتولا فاسـترجعوا وقـال علي لابنيه : كيف قتل أمـير المؤمنين وأنتما على البـاب ورفع يده فلطم الحسن وضرب صدر الحسين وشـتم محمد

ابن طلحة ولعن عبد الله بن الزبير وخرج علي وهو غضبان فلقيه طلحة فقال ما لك يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين وكان يرى أنه أعان على قتل عثمان فقال: عليك كذا وكذا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بدري لم تقم عليه بينة ولا حجة فقال طلحة: لو دفع مروان لم يقتل فقال علي: لو أخرج مروان لقتل قبل أن تثبت عليه حكومة وخرج علي فأتى منزله. وفي الاستيعاب روى سعيد المقبري عن أبي هريرة وكان محصورًا مع عثمان في الدار قال رمي رجل منا فقلت يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب قتلوا منا رجلا قال عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت بسيفك فإنما يراد نفسي وسأقي المؤمنين بنفسي قال أبو هريرة: فرميت سيفي لا أدري أين هو حتى الساعة وما أحسن قول كعب بن مالك فيه:

وكفّ يديه ثم أغلق بابه وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن كل امرئ لم يقاتل

وكان أول من دخل عليه الدار محمد بن أبي بكر الصديق فأخذ بلحيته فقال له: دعها يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها فاستحيا وخرج، وفي رواية فلما دخل أخذ بلحيته وهزها وقال: ما أغنى عنك معاوية وما أغنى عنك ابن أبي سرح وما أغنى عنك عبد الله بن عامر فقال: يا ابن أخي أرسل لحيتي فوالله لتجبذ لحية كانت تعز على أبيك وما كان أبوك يرضى مجلسك هذا مني فيقال إنه حينئذ تركه وخرج عنه ويقال حينئذ أشار إلى من معه فطعنه واحد منهم فقتلوه انتهى. روي أنه ضربه يسار بن علياص أو يسار بن عياض الأسلمي وسودان بن حمران بسيفيهما فنضح الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1]. وفي رواية وجلس عمرو بن الحمق على صدره وضربه حتى مات ووطئ عمير بن ضابئ على بطنه فكسر له ضلعين من أضلاعه، وفي رواية لما خرج محمد دخل رومان بن سرحان رجل أزرق محدود عداده في مراد وهو من ذي أصبح معه خنجر فاستقبله به وقال على أي دين أنت يا نعثل؟ فقال لست بنعثل ولكني عثمان بن عفان وأنا على ملة إبراهيم حنيفًا مسلمًا وما أنا من

(١) سورة البقرة آية ١٣٧.

المشركين قال: كذبت وضربه على صدغه الأيمن. وفي رواية على صدغه الأيسر فقتله فخر فأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها وكانت امرأة جسيمة ودخل رجل من أهل مصر ومعه السيف صلتًا فقال: والله لأقطعنَّ أنفه فعالج المرأة فكشف عن ذراعيها. وفي رواية فعالجت امرأته وقبضت على السيف فقطع يدها فقالت لغلام لعثمان يقال له رباح ومعه سيف عثمان أعني على هذا وأخرجه عني فضربه الغلام بالسيف فقتله. وفي أسد الغابة اختلف فيمن باشر قتله بنفسه فقيل محمد بن أبي بكر ضربه بمشقص وقيل بل حبسه محمد بن أبي بكر وأشفره غيره وكان الذي قتله سودان بن حمران وقيل بل قتله رومان اليمامي وقيل بل رومان رجل من بني أسد بن خزيمة وقيل بل أسود النجيبي من أهل مصر ويقال جبلة بن الأيهم رجل من أهل مصر وقيل سودان ابن رومان المرادي ويقال ضربه النجيبي ومحمد بن أبي حذيفة وهو يقرأ في المصحف سورة البقرة وقطرت قطرة من دمه على فسيكفيكهم الله وكان يومئذ صائمًا. عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه الصلاة والسلام قال: تقبل وأنت مظلوم وتسقط قطرة من دمك على فسيكفيكهم الله قال إنها إلى الساعة لفي المصحف والله أعلم وقال له رسول الله ﷺ: يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصًا فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني يوم القيامة. قتل عثمان رضي الله عنه بالمدينة في ذي الحجة يوم الجمعة لثمان أو سبع خلت منه يوم التروية سنة خمس وثلاثين من الهجرة ذكره المدائني عن ابن معشر عن نافع. وقال ابن إسحق قتل عثمان على رأس إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهرًا واثنين وعشرين يومًا من مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى رأس خمس وعشرين سنة من متوفى رسول الله ﷺ يوم الأربعاء بعد العصر دفن يوم السبت بعد الظهر وكان مدة حصاره أربعين يومًا وقيل خمسين وعاش سبعًا وثمانين سنة وقيل ثمانين على ما قاله ابن إسحق وقيل قتل وهو ابن ثمان وثمانين سنة وقيل تسعين سنة وقيل غير ذلك وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة إلا يومًا وقيل غير ذلك. قال أبو عمرو: ولما قتل عثمان أقام مطروحًا يومه ذلك إلى الليل فحمله رجال على باب ليدفنوه فعرض لهم ناس ليمنعوهم من دفنه فوجدوا قبرًا كان حفر لغيره

فدفنوه فيه وصلى عليه جبير بن مطعم . وعن عروة أنه قال أرادوا أن يصلوا على عثمان فمنعوا فقال رجل من قريش وهو أبو جهم بن حذيفة دعوه فقد صلى عليه رسول الله ﷺ قال الواقدي دفن ليلا ليلة السبت في موضع أو قال في أرض يقال له حش كوكب وأخفي قبره وكوكب رجل من الأنصار والحش البستان كان عثمان رضي الله عنه قد اشتراه وزاده في البقيع فكان أول من قبر فيه. (وروى) محمد بن عبد الله ابن الحكم وعبد الملك بن الماجشون عن مالك قال: لما قتل عثمان ألقي على المزبلة ثلاثة أيام فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلا منهم حويطب بن عبد العزى وحكيم ابن حزام وعبد الله بن الزبير وجدي فاحتملوه فلما صاروا به إلى المقبرة ليدفنوه فإذا هم بقوم من بني مازن قالوا والله لئن دفنتموه ههنا لنخبرنّ الناس غدًا فاحتملوه وكان على باب وإن رأسه على الباب يقول طق طق حتى صاروا به إلى حش كوكب فاحتفروا له وكانت عائشة ابنة عثمان معها مصباح في حق فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت فقال لها ابن الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربنّ الذي فيه عيناك فسكتت فدفنوه أخرجه القلعي. وعن الحسن قال: شهدت عثمان بن عفان دفن في ثيابه بدمائه خرجه ابن الجوزي ورواه عبد الله بن الإمام أحمد في زيادات المسند وزاد فيه ولم يغسل، وشهدت الملائكة عثمان رضي الله عنه. فعن سهل بن خنيس وكان ممن شهد قتل عثمان قال: لما أمسينا قلت لئن تركتم صاحبكم حتى يصبح مثلوا به فانطلقنا به إلى بقيع الغرقد فأمكنا له من جوف الليل ثم حملناه فغشينا سواد من خلفنا فهبناهم حتى كدنا أن نتفرق فإذا مناد ينادي لا روع عليكم اثبتوا فإنا جئنا لنشهد معكم وكان ابن خنيس يقول : هم الملائكة رواه الضحاك . عن عبد الله بن سلام قال: أتيت عثمان يوم الدار فدخلت لأسلم عليه وهو محصور فقال : مرحبًا بأخي فقلت يسرني لو كنت فداءك يا أمير المؤمنين فقال: الليلة رأيت رسول الله ﷺ وقد مثل لي في هذه الخوخة وأشار عثمان بيده إلى خوخة في أعلى داره فقال: يا عثمان حصروك قلت نعم قال: عطشوك قلت نعم قال: فدلى دلوًا شربت منه فهأنا أجد برودة ذلك الدلو بين ثديي وبين كتفي فقال: إن شئت أفطرت عندنا وإن شئت نصرت عليهم فاخترت الفطر

نقله الإسحاقي. وفي أسد الغابة عن أبي سعيد مولى عـثمان بن عفان أن عثمان أعتق عشرين مملوكًا وهو محصور ودعا بسراويل فـشدها عليه ولم يلبسها لا في جاهلية ولا في إسلام وقـال : إني رأيت رسول الله ﷺ . البارحة في المنام ورأيت أبا بكـر وعمر فقالوا لي : اصبر فإنك تفطر عندنا القابلة رضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، ولما قتل عثمان رضي الله عنه فتشوا خزائنه فوجدوا فيها صندوقًا مقفلا ففتحوه فوجدوا فيه حـقة فيها ورقة مكـتوب فيها هذه وصيـة عثمان بن عفـان يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شـريك له وأن محـمدًا عـبده ورسـوله وأن الجنة حق وأن النار حق وأن الله يبعث من في القبور ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميـعاد عليها نحيا وعليها نموت وعليها نبعث إن شاء الله من الآمنين برحمة الله اهـ. من المحاضرات.

فصل
في ذكر مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وسيف الله المسلول

ولد رضي الله عنه بمكة داخل البيت الحرام على قول يوم الجمعة ثالث عشر رجب الحرام سنة ثلاثين من عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة وقيل بخمس وعشرين وقبل المبعث باثنتي عشرة سنة وقيل بعشر سنين ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه قاله ابن الصباغ (وأمه) فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف تجتمع مع أبي طالب في هاشم جد النبي ﷺ أسلمت وهاجرت مع النبي ﷺ نقل عنها أنها كانت إذا أرادت أن تسجد لصنم وعلي رضي الله عنه في بطنها لم يمكنها يضع رجله على بطنها ويلصق ظهره بظهرها ويمنعها من ذلك ولذلك يقال عند ذكره كرم الله وجهه أي عن أن يسجد لصنم وهي أول هاشمية ولدت هاشميًا ولما ماتت كفنها ﷺ بقميصه لأنها كانت عنده بمنزلة أمه وأمر ﷺ أسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وعمر ابن الخطاب وغلامًا أسود فحفروا قبرها بالبقيع فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله ﷺ بيده وأخرج ترابه فلما فرغ اضطجع فيه وقال اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد والأنبياء الذين من قبلي فإنك أرحم الراحمين فقيل يا رسول الله رأيناك صنعت شيئًا لم تكن صنعته بأحد قبلها فقال ﷺ ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة واضطجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر لأنها كانت من أحسن خلق الله تعالى صنعًا إليّ بعد أبي طالب (وتربى علي) رضي الله عنه عند النبي ﷺ وذلك أنه لما أصاب أهل مكة جدب وقحط أجحف بذي المروءة وأضر بذي العيال قال رسول الله ﷺ لعمه العباس رضي الله عنه وكان من أيسر بني هاشم يا عم إن أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا

إلى بيته لنخـفف من عياله عنه فتأخـذ أنت رجلا وأنا آخذ رجلا فنكفلهمـا عنه فقال العباس: افـعل فانطلقا حتى أتيـا أبا طالب فقالا إنا نريد أن نخفف عـنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس مـا هم فيه فقال لهـما أبو طالب إذا تركتما لي عـقيلا وطالبًا فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ عليًا فضـمه إليه وأخذ العباس جعفرًا فضمه إليه فلم يزل علي رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ حتى بعث النبي ﷺ فاتبعه علي رضي الله عنه وآمن به وصدقه وكـان عمره إذ ذاك ثلاث عشرة سـنة. وقال ابن إسحق أسلم علي بن أبي طالب وهو ابن عشر وقيل غير ذلك. وشهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فـإن رسول الله ﷺ خلفه في أهله فـقال: يا رسول الله أتخلـفني في النساء والصبيـان قال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى غـير أنه لا نبي بعدي أخرجه الشيخان.

(صفته) كان آدم شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما أقرب إلى القصر من الطول ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية أصلع أبيض الرأس واللحية. وفي ذخائر العقبي كان ربعة من الرجال أدعج العينين عظيمهما حسن الوجه كأنه قمر بدري عظيم البطن وكان رضي الله عنه عريض مـا بين المنكبين لمنكبه مـشاش كمـشاش السـبع الضاري لا تبين عضـده من ساعده أدمج إدمـاجًا شثن الكفين عظيم الكراديس أغـيد كـأن عنقه إبريق فضة. وفي أسد الغابة عن رازم بن سعد الضبي قال: سمعت أبي ينعت عليًا قال كان رجلا فوق الربعة ضخم المنكبين طويل الـلحية وإن شئت قلت إذا نظرت إليه قلت آدم وإن تبينته من قرب قلت أن يكون أسمر أدنى من أن يكون آدم.

(لطيفة) عن أبي سـعيد التـيمي أنه قـال: كنا نبيع الثـياب على عـواتقنا ونحن غلمان في السوق فإذا رأينا عليًا قد أقـبل علينا قلنا بزرك أشكم قال: على ما يقولون؟ قالوا: يقولون عظيم البطن قال: أجل أعلاه علم وأسفله طعام وأشكم بالعجمية البطن وبزرك بضم البـاء والزاء وسـكون الراء عظيم. **(وقـد ورد في فضله آيات وأحـاديث جمة)** نقل الواحدي في كـتابه المسـمى بأسباب النزول أن الحـسن والشعـبي والقرطبي قالوا إن عليًا رضي الله عنه والعباس وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب

البيت مفتاحه بيدي ولو شئت كنت فيه وقال العباس رضي الله عنه: وأنا صاحب السقاية والقائم عليها فقال علي رضي الله عنه: لا أدري لقد صليت ستة أشهر قبل الناس وأنا صاحب الجهاد في سبيل الله فأنزل الله تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ - إلى أن قال - الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(١). وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: «صليت مع رسول الله ﷺ يومًا من الأيام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئًا فرفع السائل يديه إلى السماء وقال اللهم إني سألت في مسجد نبيك محمد ﷺ فلم يعطني أحد شيئًا وكان علي رضي الله عنه في الصلاة راكعًا فأومأ إليه بخنصره اليمنى وفيها خاتم فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره وذلك بمرأى من النبي ﷺ وهو في المسجد فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السماء وقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال ربي اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرًا من أهلي هرون أخي اشدد به أزري وأشركه في أمري فأنزلت عليه قرآنًا سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانًا فلا يصلون إليكما اللهم وإني محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيرًا من أهلي عليًا اشدد به ظهري قال أبو ذر رضي الله عنه فما استتم دعاءه حتى نزل جبريل عليه السلام من عند الله عز وجلّ وقال يا محمد اقرأ «إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون». نقله أبو إسحق أحمد الثعلبي في تفسيره. ونقل الواحدي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان مع علي رضي الله عنه أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارًا وبدرهم سرًا وبدرهم علانية فأنزل الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢). وعن ابن عباس رضي الله

---

(١) سورة التوبة آيه ١٩ ـ ٢٠.

(٢) سورة البقرة آية ٢٧٤.

عنهما قال: «لما نزلت هذه الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1] قال النبي ﷺ لعلي: أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضابًا مقمحين». وعن مكحول عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾[2] . قال: قال رسول الله ﷺ سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ففعل فكان علي رضي الله عنه يقول : ما سمعت من رسول الله ﷺ كلامًا إلا وعيته وحفظته ولم أنسه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3] قال رسول الله ﷺ: أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون». قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس آية من كتاب الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[4] إلا وعلي أولها وأميرها وشريفها. ونقل الإمام أبو إسحق الثعلبي رحمه الله في تفسيره: «أن سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى سئل عن قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[5]. فيمن نزلت فقال للسائل لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك حدثني أبي عن جعفر بن محمد عن آبائه رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي رضي الله عنه وقال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله ﷺ على ناقة له فأناخ راحلته ونزل عنها وقال يا محمد أمرتنا عن الله عزّ وجلّ أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا أن نصلي خمسًا فقبلنا منك وأمرتنا بالزكاة فقبلنا وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله عزّ وجلّ فقال النبي ﷺ والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله عزّ وجلّ فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم إن كان ما يقول محمد حقًا فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله عزّ وجلّ بحجر

(١) سورة البينة آية ٧.

(٢) سورة الحاقة آية ١٢.

(٣) سورة الرعد آية ٧.

(٤) أكثر من مائة آية تشتمل على هذا القول الكريم.

(٥) سورة المعارج آية ١.

سقط على هامته فخـرج من دبره فقتله فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾[١].

(تنبيه) قال العلماء لفظ المولى يستعمل بإزاء مـعان متعددة ورد بها القرآن العظيم فتارة يكون بمعنى أولى قال الله تعالى في حق المنافقين: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلاكُمْ﴾[٢]. أي أولى بكم وتارة بمعنى الناصـر قال الله تعـالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾[٣]. وبمعنى الوارث قال الله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾[٤]. أي ورثة وبمعنى العصبـة قال تعالى: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي﴾[٥]. أي عصـبتي وبمعنى الصديق قـال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا﴾[٦]. أي صديق عن صديق وبمعـنى السيد المعتق وهو ظاهر فيـكون معنى الحديث من كنت ناصره أو حميمه أو صديقه فإن عليًا كذلك.

(ومن الأحاديث) ما أخـرجه الترمـذي والحاكم وصـححه عن بريدة قـال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أمـرني بحب أربعـة وأخبـرني أنه يحبـهم قيل يا رسـول الله سمهم لنا قـال: علي منهم يقول ذلك ثلاثًا وأبو ذر والمقداد وسلمان». وأخـرج أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة عن حـبشي بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا علي». وأخرج الترمذي عن ابن عمر قال: «آخى النبي ﷺ بين أصحابه فـجاء علي تدمع عيناه فقال: يا رسول الله آخـيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد فقال ﷺ: أنت أخي في الدنيا والآخرة». وأخرج مسلم عن علي قـال: «والذي فلق الحبـة وبرأ النسمـة إنه لعـهد النبي الأمي به أنه لا يحـبني إلا مؤمن ولا يبـغضني إلا منافـق». وأخرج الترمـذي عن أبي سعـيد الخـدري قال: «كنا نعرف المنافقين ببغـضهم عليًا». وأخرج الحاكم وصححـه عن علي قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليـمن فقلت يا رسـول الله بعثـتني وأنا شـاب أقضي بينهم ولا أدري مـا

---

(١) سورة المعارج آية ١ ـ ٣.

(٢) سورة الحديد آية ١٥.

(٣) سورة محمد آية ١١.

(٤) سورة النساء آية ٣٣.

(٥) سورة مريم آية ٥.

(٦) سورة الدخان آية ٤١.

القضاء فضرب صدري ثم قال: اللهم اهد قلبه وثبت لسانه فوالذي فلق الحبة ما شككت في قضاء بين اثنين». وسبب قوله ﷺ «أقضاكم علي» ما روي أن النبي ﷺ كان جالساً مع جماعة من الصحابة فجاء خصمان فقال أحدهما: يا رسول الله إن لي حماراً وإن لهذا بقرة وإن بقرته قتلت حماري فبدأ رجل من الحاضرين فقال: لا ضمان على البهائم فقال ﷺ: اقض بينهما يا علي فقال علي لهما: كانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلا فقالا: كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها فقال: على صاحب البقرة ضمان الحمار فأقر ﷺ حكمه وأمضى قضاءه. عن أبي عثمان النهدي عن علي كرّم الله وجهه قال: «بينما رسول الله ﷺ آخذ بيدي ونحن نمشي في بعض سكك المدينة إذ أتينا على حديقة قال: فقلت يا رسول الله ما أحسنها من حديقة فقال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها ثم مررنا بأخرى فقلت يا رسول الله ما أحسنها من حديقة فقال: ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها حتى مررنا بسبع حدائق وكل ذلك أقول له ما أحسنها ويقول لك في الجنة أحسن منها فلما خلا له الطريق اعتنقني ثم أجهش باكياً فقلت يا رسول الله ما يبكيك قال ضغائن لك في صدور أقوام لا يبدونها لك إلا من بعد موتي قال: قلت يا رسول الله في سلامة من ديني قال: في سلامة من دينك».

(لطيفة) روي أن رجلا أتي به إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان صدر منه أنه قال لجماعة من الناس وقد سألوه كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق وأصدق اليهود والنصارى وأومن بما لم أره وأقر بما لم يخلق فأرسل عمر إلى علي رضي الله عنهما فلما جاء أخبره بمقالة الرجل فقال: صدق يحب الفتنة قال الله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة ويكره الحق يعني الموت قال الله تعالى وجاءت سكرة الموت بالحق ويصدق اليهود والنصارى قال الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ويؤمن بما لم يره يؤمن بالله عزّ وجلّ ويقرّ بما لم يخلق يعني الساعة فقال عمر رضي الله عنه: أعوذ بالله من معضلة لا علي بها. قال سعيد بن المسيب كان عمر يقول: اللهم لا تبقني لمعضلة ليس لها أبو الحسن.

(نادرة) وهي أن رجلا تزوج بخنثى لهـا فرج كفـرج النساء وفرج كفـرج الرجال وأصـدقهـا جارية كـانت له ودخل بالخنثى وأصـابها فـحملت منه وجـاءت بولد ثم إن الخنثى وطئت الجارية التي أصدقها لها الرجل فحملت منه الجارية بولد فاشتهرت قصتها ورفع أمرها إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسـأل عن حال الخنثى فأخـبر أنهـا تحيض وتطأ وتوطأ وتمني من الجـانبين وقد حـبلت وأحبلت فـصار الناس متحيري الأفـهام في جوابها وكيف الطريق إلى حكم قضائها وفـصل خطابها فاستدعى علي رضي الله عنه غـلاميـه وأمرهمـا أن يذهبـا إلى هذه الخنثى ويعدا أضـلاعهـا من الجانبين إن كانت متساوية فهي امرأة وإن كان الجـانب الأيسر أنقص من الجانب الأيمن بضلع واحد فهو رجل فذهبا إلى الخنثى كما أمـرهما وعدا أضلاعها من الجانبين فوجدا أضلاع الجـانب الأيسـر أنقص من أضلاع الجـانب الأيمن بضلع فجـاءا وأخبـراه بذلك وشهدا عنده فحكم على الخنثى بأنها رجل وفرق بينها وبين زوجها. ودليل ذلك أن الله تعالى لما خلـق آدم عليه السلام وحـيداً أراد الله سبـحانه وتعالـى لإحسانه إليـه ولخفي حكمته فـيه أن يجعل له زوجًا من جنسه ليسـكن كل واحد منهما إلى صاحـبه فلما نام آدم عليه السلام خلـق الله عزّ وجلّ من ضلعه القصرى من جـانبه الأيسر حواء فـانتبه فوجدها جـالسة إلى جانبه كـأحسن ما يكون من الصور فلذلك صـار الرجل ناقصًا من جنبـه الأيسر عن المرأة بالضلع والمـرأة كاملة الأضـلاع من الجانبين والأضـلاع الكاملة أربعة وعـشرون ظلعًا هذا فـي المرأة وأما الرجل فـثلاثة وعشـرون ضلعًا اثنا عـشر في الأيمن واحد عـشر في الأيسر وباعتـبار هذه الحالة ضلع المرأة أعوج ا هـ من الـفصول المهمة ولنرجع إلى مـا نحن بصدده. وأخرج الطبراني والحاكم وصحـحه عن أم سلمة قالت: «كـان رسول الله ﷺ إذا غضب لم يجـترئ أحد أن يكلمـه إلا علي». وأخرج الطبـراني والحاكم بإسناد حـسن عن ابن مسـعود أن النبي ﷺ قـال: «النظر إلى عليّ عبادة». وأخـرج أبو يعلى والبزار عن سعد بن أبي وقاص قـال: قال رسول الله ﷺ: «من آذى عليًا فـقد آذاني». وأخرج الطبـراني بسند عن أم سلمـة عن رسول الله ﷺ قـال: «من أحبّ عليًا فقـد أحـبني ومن أحبني فـقـد أحب الله ومن أبغض عليًا فقـد

أبغضني ومن أبغضني فقد أبغض الله». وأخرج الإمام أحمد والحاكم وصححه عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سبّ عليًا فقد سبّني». وأخرج الطبراني بسند ضعيف أن عليًا قال: «إن خليلي ﷺ قال: يا علي إنك ستقدم على الله أنت وشيعتك راضين مرضيين ويقدم أعداؤك غضابًا مقمحين». ثم جمع علي رضي الله عنه يده إلى عنقه يريهم الإقماح. وشيعته هم أهل السنة لأنهم هم الذين أحبوه كما أمر الله ورسوله لا الروافض وأعداؤه الخوارج. وأخرج البزار وأبو يعلى والحاكم عن علي قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال: «إن فيك مثلا من عيسى أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه وأحبته النصارى حتى نزلوه بالمنزل الذي ليس به». ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان محب مفرط يطريني بما ليس فيَّ ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني. وأخرج الطبراني في الأوسط عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض». وأخرج الحاكم عن جابر أن النبي ﷺ قال: «على إمام البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله». وأخرج الديلمي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني». وأخرج البيهقي والديلمي عن أنس أن النبي ﷺ قال: «علي يزهو في الجنة ككوكب الصبح لأهل الدنيا». وأخرج الترمذي والحاكم أن النبي ﷺ قال: «إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة عليّ وعمار وسلمان». وأخرج الشيخان عن سهل: «أن النبي ﷺ وجد عليًا مضطجعًا في المسجد وقد سقط رداؤه عن شقه فأصابه تراب فجعل النبي ﷺ يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب». وكانت هذه الكنية أحبّ الكنى إليه رضي الله عنه. ففي صحيح البخاري عن أبي حازم أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو عليًا عند المنبر قال فيقول ماذا ؟ قال يقول له أبو تراب فضحك قال والله ما سماه إلا النبي ﷺ وما كان له اسم أحب إليه منه فاستطعمت الحديث سهلا وقلت : يا أبا عباس كيف ؟ قال: دخل علي على فاطمة رضي الله عنهما ثم خرج فاضطجع في المسجد فقال النبي ﷺ : أين ابن عمك قالت: في المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره فجعل

يمسح التراب عن ظهره فيقول اجلس يا أبا تراب مرتين قال الفقهاء وفيه جواز النوم في المسجد واستحباب ملاطفة الغضبان وممازحته والمشي إليه لاسترضائه ومن كتاب الآل لابن خالويه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه: «حبك إيمان وبغضك نفاق وأول من يدخل الجنة محبك وأول من يدخل النار مبغضك». وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ قال لعلي: طوبى لمن أحبك وصدق فيك وويل لمن أبغضك وكذب فيك». وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن النبي ﷺ نظر إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال أنت سيد في الدنيا وسيد في الآخرة من أحبك فقد أحبني ومن أبغضك فقد أبغضني ويغيضك بغيض الله فالويل كل الويل لمن أبغضك». وأخرج البخارى عن علي رضي الله عنه أنه قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. وأخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال: كان عمر بن الخطاب يتعوّذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن يعني عليًا وقد تقدم. وأخرج ابن عساكر عن ابن مسعود قال: أفرض أهل المدينة وأقضاها علي. وأخرج الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: ما أنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعلي أميرها وشريفها ولقد عاتب الله أصحاب محمد في غير مكان وما ذكر عليًا إلا بخير وقد تقدم صدره أيضًا . وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في علي رضي الله عنه. وأخرج عنه أيضًا قال: نزلت في علي ثلثمائة آية وفضائله رضي الله عنه كثيرة مشهورة؛ وحسبك أنه أخو رسول الله ﷺ بالمؤاخاة وصهره على فاطمة وأحد العلماء الربانيين والشجعان المشهورين والخطباء المعروفين وأحد من جمع القرآن وعرضه على رسول الله ﷺ أخرج الشيخان عن سهل ابن سعد وغيرهما عن غيره أن النبي ﷺ قال: «لأعطينَّ الراية غدًا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فبات الناس يخوضون ليلتهم أيهم يعطاها فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلّ منهم يرجو أن يعطاها فقال ﷺ: أين علي بن أبي طالب فقيل يا رسول الله أرمد قال: فأرسلوا إليه فأتي به فبصق

في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية فقال علي رضي الله عنه أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا قال فانفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم قال فمضى ففتح الله على يديه.

(فائدتان) : الأولى اشترى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه تمراً بدرهم فحمله في ردائه فسأل بعض أصحابه حمله عنه فقال أبو العيال أحق بحمله. (الثانية) قال علي كرّم الله وجهه: «من سعادة المرء أن تكون زوجته موافقة وإخوانه صالحين وأولاده أبراراً ورزقه في بلده الذي هو فيه. وبالجملة فتعداد فضائله ومناقبه ومكانته في العلم والفهم والاستقامة والشجاعة والشهامة والفراسة الصادقة والكرامات الخارقة وشدته في نصر الإسلام ورسوخ قدمه في الإيمان وسخائه وصدقته مع ضيق الحال وشفقته على المسلمين وزهده وتواضعه وتحمّله وتفاصيل ذلك باب واسع يحتمل مجلدات. ولذلك قال الإمام أحمد بن حنبل والقاضي إسمعيل بن إسحق وأبو علي النيسابوري والنسائي لم نرو في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضل علي بن أبي طالب قال السيد السمهودي في جواهر العقدين والسبب في ذلك والله أعلم أن الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يكون بعده مما ابتلي به علي رضي الله عنه وما وقع من الاختلاف لما آل إليه أمر الخلافة فاقتضى ذلك نصح الأمة بإشهاره لتلك الفضائل لتحصل النجاة لمن تمسك به ممن بلغته ثم لما وقع ذلك الاختلاف والخروج عليه نشر من سمع من الصحابة تلك الفضائل وبينها نصحًا للأمة ثم أيضًا لما اشتد الخطب واشتغلت طائفة من بني أمية بتنقيصه وسبه على المنابر ووافقهم الخوارج بل قالوا بكفره اشتغل جهابذة الحفاظ من أهل السنة ببث الفضائل حتى كثرت نصحًا للأمة ونصرة للحق اهـ من بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب.

فصل

في ذكر بعض من كلامه رضي الله عنه

فمن كلامه كما نقله غير واحد: الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس أشبه بزمانهم منهم بآبائهم. قيمة كل امرئ ما يحسنه. من عرف نفسه فقد عرف ربه. المرء مخبوء تحت لسانه. من عذب لسانه كثر إخوانه. بالبر يستعبد الحر. بشر مال البخيل بحادث أو وارث . لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع البغي. لا ثناء مع الكبر. لا برّ مع الشح. لا صحة مع الهمّ. لا شرف مع سوء الأدب. لا اجتناب لمحرم مع الحرص. لا راحة مع الحسد. لا سؤدد مع الانتقام. لا محبة مع المراء. لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة لكذوب. لا زيارة مع زعارة. لا وفاء لملول. لا كرم أعز من التقى. لا شرف أعلى من الإسلام. لا معقل أحصن من العقل. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من العافية. لا داء أعيا من الجهل. لا مرض أضنى من قلة العقل. لسانك يقضيك ما عودته. المرء عدوّ ما جهله. رحم الله امرأ عرف نفسه ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكير للذنب. النصح بين الملا تقريع. إذا تم العقل نقص الكلام. الشفيع جناح الطالب. نفاق المؤمن ذلة. نعمة الجاهل كروضة على مزبلة. الجزع أتعب من الصبر. المسئول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة. من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه. السامع للغيبة أحد المغتابين. الذل مع الطمع. العز مع اليأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه حقد عليه واستخف به. عبد الشهوة أذل من عبد الرق. الحاسد يغتاظ على من لا ذنب له. منع الجود سوء ظن بالمعبود. كفى بالظفر شفيعًا للمذنب. رب ساع فيما يضره. لا تتكل على المنى فإنها بضائع النوكى. اليأس حر والرجاء عبد. ظن العاقل كهانة. من نظر اعتبر. العداوة شغل القلب. القلب إذا أكره عمي. الأدب صورة العقل. من

لانت أسافله صلبت أعـاليه. من أتى مجانة قل حـياؤه وبذؤ لسانه، السعـيد من وعظ بغيره. البخل جامع لمساوي العيوب. كثرة الوفاق نفاق. كثرة الخلاف شقاق. رب رجاء يؤدي إلى الحرمـان. رب ربح يؤدي إلى خسـران. رب طمع كاذب. البـغي سائق إلى الحين. في كل جـرعة شـرقة. ومـع كل أكلة غصـة. من كثـر فكره في العـواقب لم يشجع. إذا حلت المقـادير بطلت التدابير. إذا حل القدر بطل الحـذر. الإحسان يقطع اللسـان. الشرف بالعـقل والأدب بالأصل. أكرم النسب حـسن الأدب. أفقـر الفـقراء الحـمق. أوحش وحـشة العـجب. أغنى الغنـى العقل. الطـامع في وثاق الذل. ليس العجب ممن هلك كيف هلك إنما العجب ممن نجا كيف نجا. احذروا كفران النعم فما كل شارد بمردود. أكـثر مـصارع العقـول تحت بروق الأطماع. من أبدى صـفحتـه للخلق هلك. إذا أملقتم فبادروا بالصدقة. من لان عوده كثرت أغصانه. قلب الأحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه. من جرى في ميدان أمله عثر في عنان أجله. إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. إذا قـدرت على عدوك فاجعل العفو شكر القدرة عليـه. ما أضمـر أحد شيئًا في قلبـه إلا ظهر عليه في فلـتات لسانه وصفـحات وجهـه. البخيل يسـتعجل الفـقر يعيش في الدنيـا عيشـة الفقراء ويحـاسب في الآخرة حساب الأغنياء. لسان العاقل وراء قلبه وقلب الأحمق وراء لسانه.

(وعنه أيضًا رضي الله عنـه في العلم) العلم يرفع الوضيع والجـهل يضع الرفيع. العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحـرس المال. العلم حاكم والمال محكوم عليه (وعنه رضي الله عنه) قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك هذا ينفر الناس بتهتكه وهذا يضل الناس بتنسكه (وعنه) أقل الناس قيـمة أقلهم علمًا إذ قيمة كل امرئ ما يحسنه؛ وكفى بالعلم شرفًا أن يدعيه من لا يحسنه، ويفرح به إذا نسب إليه؛ وكفى بالجهـل ذمًا أن يتبرأ منه مـن هو فيه ويغـضب إذا نسب إليـه؛ والناس عالم أو متـعلم وسائرهم همج رعاع.

(وعنه في العقل) الإنسان عقل وصورة فمن أخطأ العقل لزمته الصورة ولم يكن

كاملا وكأن بمنزلة جسد بلا روح (وعنه في صفة الدنيا) كأن ما هو كـائن من الدنيا لم يكن وكأن ما هو كائن من الآخرة لم يزل، وكل ما هو آت قريب، فكم من مؤمل أمر لا يدركه ، وكم جامع مال لا يأكله وداخرما عساه أن يتركه ولعله من باطل جمعه ومن حرام رفـعه أصـابه حرامًا وورثه عدوانًا واحـتمل وزره وباء منه مما يضـره خسـر الدنيا والآخرة وذلك هو الخـسران المبين (وعنه) لا تكون غنيًا حتى تكون عفـيفًا، ولا تكون زاهدًا حتى تكون مـتواضعًا، ولا تكون مـتواضعًا حتى تكون حـليمًا، ولا يسلم قلبك حتى تحب لـلمسلمين ما تحـب لنفسك ، وكفى بالمـرء جهلا أن يرتكب مـا عنه نهى ، وكفى به عقلا أن يسلم الناس من شره ، وأعرض عن الجهل وأهله؛ اكفف عن الناس ما تحب أن يـكف الناس عنك، وأكرم من صـافاك وأحـسن مجـاورة من جاورك وإن جانبك، واكـفف الأذى واصفح عن سوء الأخلاق، ولتكن يدك العليـا إن استطعت، ووطن نفسك على الصبر على ما أصابك، وألهم نفسك القناعة وأكثر الدعاء تسلم من سورة الشيطان، ولا تنافس على الدنيا، ولا تتبع الهـوى ، وعليك بالشيم العالية تقهر من يناويك (وعنه) قل عند كل شـدة: لا حول ولا قـوة إلا بالله العلي العظيم تكفـ، وقل عند كل نعمة: الحمد لله تزد منها ، وإذا أبطأت عليك الأرزاق فاستغفر الله يوسع عليك، مفتاح الجنة الصبر، مفتـاح الشرف التواضع ، مفتاح الكرم التقوى ، من أراد أن يكون شريفًافليلزم التـواضع، عجب المرء بنفسـه أحد حساد عـقله (وقال رضي الله عنه) لا شرف لبخـيل ، ولا همة لمهين ، ولا سلامة لمن أكثـر من مخالطة الناس، ولا كنز أغنى من القناعة ، ولا مال أذهب للفاقـة من الرضا بالقوت (وقال رضي الله عنه) من كثرت عوارفه كثرت معارفه؛ من أجمل في الطلب أتاه رزقه من حيث لا يحتسب، من كثر دينـه لم تقر عينه، من فعل مـا شاء لقي ما ساء ، من استـعان بالرأي ملك ، ومن كـابد الأمور هلك ، من أمـسك عن الفـضول عـد من أرباب العقـول ، من لم يكتسب بالأدب مالا اكتسب به جمالا ، من كساه الغنى ثوبًا حجبت عن العيون عيوبه، من حسنت سياسته دامت رياسـته، من ركب العجلة لم يأمن الكبوة، من تقدم بحسن

النية نصره التوفيق (وقال كرم الله وجـه) الوحدة راحة، والعزلة عبادة، والقناعة غنى، والاقتـصاد بلغـة، والعزيز بغيـر الله ذليل، والغني الشره فـقيـر، ولا تعرف الناس إلا بالاختبار ، فاخـتبر أهلك وولدك في غيبتك، وصديقك في مصـيبتك، وذا القرابة عند فاقتـك، والتودد والملق عند عطلتك لتعلم بذلك منزلتك. وقـال رضي الله عنه ما ذب عن الأعراض كالصفح والإعراض. وقـال رضي الله عنه خير الكلام ما دل وقل وجل ولم يمل. وقال كرم الله وجهه في إغضـائك راحة أعضائك. أجل النوال ما وصل قبل السؤال. الحكيم لا يعجب بقضاء محتوم حـل بمخلوق. عفة اللسان صمته. من الفراغ تكون الصبوة. وقال رضي الله عنه لا تحدث عن غير ثقة تكن كذابًا، وقارن أهل الخير تكن منهم وأبن أهل الشـر تبن عنهم ، واعلم أن من الحزم العـزم، وساعـد أخاك إن جفاك، وإن قطعته فاستبق له بقـية من نفسك ولا ترغب فيمن زهد فيك، وليس جزاء من سرك أن تسـوءه، واعلم أن عاقبة الكذب الذم وعـاقبة الصدق النجـاء. (وقال كرم الله وجهه) خـير أهلك من كفاك، ترك الخطيـئة أهون من التوبة. عدو عـاقل خير من صديق جاهل. التوفيق من السعـادة. من تجنب عيوب الناس بنفسه بدأ . من سلم من ألسنة الناس فـهو السعـيد. من تحفظ من سـقط الكلام أفلح. كم من غريب خـير من قريب. خـير إخوانك من واسـاك، وخير منه مـن كفاك. خـير مالك مـا أعانك على حاجـتك . من أحب الدنيا جمع لغـيره. المعروف فرص، والدنيـا دول . من كان في النعمة جـهل قدر البلية. من قل سروره كان في الموت راحتـه. السؤال مذلة. والعطاء محبة والمنـع مبغضة. وصحبـة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار. الحـر حر ولو مسه الضر. ما ضل من استـرشد، ولا خاب من اسـتشار. الحازم لا يستـبدل به . آمن من نفـسك عندك من وثقتـه على سرك. المودة بـين الآباء صلة بين الأبناء. من رضي عن نفسه كثر السـاخطون عليه. من كرمت عليه نفسه هانت عليه شـهوته. من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها. رب مفتـون بحسن القول فيه . الدهر يومان يوم لك ويوم عليك، فإن كـان لك فلا تبطر، وإن كان عليك فـلا تضجر. الراكن إلى الدنيـا مع ما يعاين فيها جـاهل. الطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختبار له عجـز. البخل جامع لمساوي

الأخلاق. نعم الله على العبد جالبة حوائج الناس إليه، فمن قام فيها بما يجب عرضها للدوام، ومن لم يقم بها عرضها للزوال والفناء، والعفاف زينة الفقراء. الناس أبناء الدنيا فلا لوم عليهم في حبهم أمهم. الدنيا جيفة فمن أرادها فليصبر على مخالطة الكلاب. الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب إن قربت من أحدهما بعدت عن الآخر. الطمع ضامن غير وفي. الأماني تعمي أعين البصائر، ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب، ومن أطال الأمل أساء العمل.

(عن ابن عباس رضي الله عنهما قال): ما انتفعت بكلام بعد رسول الله ﷺ كانتفاعي بكتاب كتبه إليّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه فإنه كتب إلي: أما بعد فإن المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه ويسره إدراك ما لم يكن ليفوته؛ فليكن سرورك بما نلت من آخرتك وليكن أسفك على ما فات منها، وما نلت من دنياك فلا تكن به فرحًا، وما فاتك منها فلا تأس عليه. وليكن همك لما بعد الموت والسلام. وقال رضي الله عنه يخاطب سيدنا عمر رضي الله عنه إن أردت أن تلحق بصاحبيك فاقصر الأمل وكل دون الشبع وارقع القميص والبس الإزار واخصف النعل تلحق بهما. وقال رضي الله عنه الشيء شيئان شيء قصر عني لم أرزقه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقي وشيء لا أناله دون وقته ولو استعنت عليه بقوة أهل السموات والأرض؛ فما أعجب الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، ولو أنه فكر لأبصر ولعلم أنه مدبر واقتصر على ما تيسر ولم يتعرض لما تعسر واستراح قلبه مما استوعر فكونوا أقل ما تكونوا فى الباطن آملا وأحسن ما تكونوا في الظاهر أعمالا فإن الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدبًا حسنًا فقال عزّ من قائل: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾[1]. ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلبًا لما عند الله تعالى، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله. (ومن كلامه رضي الله عنه) يوم العدل على الظالم شر من يوم الجور على المظلوم. خير ما ساس الإنسان به نفسه ضبط اللسان. خصلتان لا تجتمعان الكذب والمروءة. خير

---

(١) سورة البقرة ٢٧٣.

المعروف ما لم يتقدمه المطل ويقارنه التعبيس ويتبعه المن. خف الله خوفًا لا تيأس فيه من رحمته، وارجه رجاء لا تأمن فيه عقابه. رب حيلة أهلكت المحتال . إذا نزل القضا كان العطب في الحيلة. خفاء عيب الإنسان عليه أشد عيوبه مضرة عليه. أول الحرب شكوى وأوسطها نجوى وآخرها بلوى. الحيوان جسم نام حساس. إذا ارتفع الوضيع وضع الرفيع. علة الفرار في الحرب المعصية دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾[1] الآية. ومن كلامه رضي الله عنه لابنه الحسن رضي الله عنه: يا بني ابذل لصديقك كل المودة ولا تطمئن إليه كل الطمأنينة وأعطه كل المواساة ولا تفش له كل الأسرار. ومن كلامه المنظوم رضي الله عنه ما نقله صاحب الكنز المدفون:

ألا لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبيك عن مجموعها ببيان

ذكاء وحرص واصطبار وبلغة ... وإرشاد أستاذ وطول زمان

ومن كلامه رضي الله عنه كما في الفصول المهمة:

وكن معدنا للحلم واصفح عن الأذى ... فإنك لاق ما عملت وسامع

وأحبب إذا أحببت حبًا مقاربًا ... فإنك لا تدري متى الحب راجع

وأبغض إذا أبغضت بغضًا مقاربًا ... فإنك لا تدري متى البغض رافع

ومن كلامه رضي الله عنه من الديوان المنسوب له:

وما طلب المعيشة بالتمني ... ولكن ألق دلوك في الدلاء

تجئك بملئها يومًا ويومًا ... تجئك بحمأة وقليل ماء

لنعم اليوم يوم السبت حقًا ... لصيد إن أردت بلا امتراء

وفي الأحد البناء لأن فيه ... تبدى الله في خلق السماء

وفي الاثنين إن سافرت فيه ... ستظفر بالنجاح وبالثراء

ومن يرد الحجامة فالثلاثا ... ففي ساعته سفك الدماء

وإن شرب امرؤ يومًا دواء ... فنعم اليوم يوم الأربعاء

وفي يوم الخميس قضاء حاج ... ففيه الله يأذن بالدعاء

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٥.

وفي الجمعات تزويج وعرس ... ولذات الرجال مع النساء
وهذا العلم لم يعلمه إلا ... نبي أو وصي الأنبياء

ومنه أيضًا:

شيئان لو بكت الدماء عليهما ... عيناي حتى تؤذنا بذهاب
لم تبلغا المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الأحباب

ومنه أيضًا:

إذا ما المرء لم يحفظ ثلاثًا ... فبعه ولو بكف من رماد
وفاء للصديق وبذل مال ... وكتمان السرائر في الفؤاد

ومنه أيضًا:

الناس من جهة التمثيل أكفاء ... أبوهم آدم والأم حواء
فإن يكن لهم في أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
وإن أتيت بجود من ذوي نسب ... فإن نسبتنا جود وعلياء
فقم بعلم ولا تبغي به بدلا ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

ومن كلامه رضي الله عنه ما أورده صاحب الفصول المهمة أيضًا:

فارق تجد عوضًا عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
فالأسد لولا فراق الغاب ما اقتنصت ... والسهم لولا فراق القوس لم تصب

ومنه أيضًا:

وإن تعط نفسك آمالها ... فعند مناها يحل الندم
فكم آمن عاش من نعمة ... فما حس بالفقر حتى هجم
إذا كنت في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله ... فإن الإله سريع النقم

ومنه أيضاً:

أحـــمـــد ربي على خـــصـــال   خص بـهـــا ســـادة الرجـــال
لزوم صـــبـــر وخلع كـــبـــر   وصـــون عـــرض وبذل مـــال

عن جابر رضي الله عنه قـال: دخلت على علي كرم الله وجهـه في بعض علاته وقد تغيـر فلما نظر إلي قال لي: يا جابـر من كثرت نعم الله عليه كثـرت حوائج الناس إليه فإن قام فيها بما أمر الله تعالى عرضـها للدوام والبقاء، وإن لم يعمل فيها بما أمر الله تعالى عرضها للزوال والفناء ثم أنشأ يقول:

من لـم يواس الـناس من فـــضـله   عـــرض لـلإدبار إقـــبـــالـهـــا
فـــاحـــذر زوال الفـــضل يا جـــابر   وأعط مـــن الدنيـــا لمن ســـالـهـــا
فـــإن ذا العـــرش جـــزيل العـطا   يضـــعـــف بالحـــبـــة أمـــثـــالـهـــا

قال جـابر رضي الله عنه: ثم هز بضبـعي هزة خيل لي أن عضـدي خرجت من كاهلـي وقال: يا جابر حـوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فـلا تملوا النعم فـتحل بكم النقم، واعلموا أن خير المال ما أكسب حمداً وأعقب أجراً ثم أنشأ يقول:

لا تخـــضـــعـــن لمخلوق علـى طمع   فـــإن ذلك وهن مـــنك في الـــدين
واســـأل المـــلك مما فـي خـــزائـنه   فـــإنمـــا هي بـين الكـــاف والنـــون
إنا نــرى كل مـــن نرجـــــو ونأمـــله   في البـــرية مـــسكـــين ابن مـــسكين
ما أحسن الجـود في الدنيا وفي الدين   وأقـــبح الـبـخل ممن صـــيغ من طين

قال جـابر رضي الله عنه: فهـممت أن أقوم قـال وأنا معك يا جابر فلـبس نعليه وألقى إزاره عن منكبـيه وخـرجنا نساير فـذهب بنا إلى جبـانة الكوفة فـسلم على أهل القبور فـسمعت ضجة وهدة فـقلت ما هذه يا أمير المؤمنين؟ فـقال هؤلاء بالأمس كانوا معنا واليوم فـارقونا لا تسل عن أحوالهم فهم إخوان لا يتـزاورون وأوداء لا يتعاودون ثم خلع نعليـه وحسر عن ذراعـيه وقـال: يا جابر أعطوا من دنيـاكم الفانيـة لآخرتكم

الباقية ومن حياتكم لموتكم ومن صحتكم لسقمكم ومن غناكم لفقركم اليوم أنتم في الدور وغداً في القبور وإلى الله تصير الأمور ثم أنشأ يقول:

سلام على أهل القبور الدوارس — كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شربة — ولم يأكلوا ما بين رطب ويابس
ألا فاخبروا في أي قبر ذليلكم — وقبر العزيز الباذخ المتشاوس
إذا عقد القضاء عليك أمراً — فليس يحله غير القضاء
فما لك قد أقمت بدار ذل — وأرض الله واسعة الفضاء

ومن كلامه رضي الله عنه كما في الفصول:

صن النفس واحملها على ما يزينها — تعش سالمًا والقول فيك جميل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد — عسى نكبات الدهر عنك تزول
وما أكثر الإخوان حين تعدهم — ولكنهم في النائبات قليل

ومن كلامه أيضاً رضي الله عنه:

وعش موسراً شئت أو معسراً — فلا بد تلقى بدنياك غم
ودنياك بالغم مقرونة — فلا يقطع العمر إلا بهم
حلاوة دنياك مسمومة — فلا تأكل الشهد إلا بسم
محامدك اليوم مذمومة — فلا تكسب الحمد إلا بذم
إذا تم أمر بدا نقصه — توقع زوالا إذا قيل تم

فصل
في ذكر شيء من شجاعته رضي الله عنه

فمن شجاعته نومه على فراش رسول الله ﷺ لما أمره بذلك وقد اجتمعت قريش على قتل النبي ﷺ ولم يكترث علي رضي الله عنه بهم. قال بعض أصحاب الحديث أوحى الله إلى جبريل وميكائيل عليهما السلام أن انزلا إلى علي واحرساه في هذه الليله إلى الصباح فنزلا إليه وهم يقولون بخ بخ من مثلك يا علي قد باهى الله بك ملائكته (وأورد) الإمام الغزالي في كتابه إحياء العلوم : أن ليلة بات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إلى جبريل وميكائيل إني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كلاهما الحياة وأحباها فأوحى الله إليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الأرض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي ويقول بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة فأنزل الله عز وجل : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.[1] وفي تلك الليلة أنشأ علي رضي الله عنه :

وقيت بنفسي خير من وطئ الحصي وأكرم خلق طاف بالبيت والحجر
وبت أرعى منهم ما يسوؤني وقد صبرت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمنا وما زال في حفظ الإله وفي الستر

(ومن شجاعته رضي الله عنه) ما وقع على يديه في غزوة بدر وكان عمره إذ ذاك سبعًا وعشرين سنة. قال بعضهم إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة من قتل من المشركين يوم بدر سبعون رجلا قال قتل علي رضي الله عنه منهم أحدًا وعشرين تسعة باتفاق الناقلين

(١) سورة البقرة ٢٠٧

وأربعة شاركه فيهم غيره وثمانية مختلف فيهم. روي عن رافع مولى رسول الله ﷺ قال لما أصبح الناس يوم بدر اصطفت قـريش أمامها عتبة بن ربيعة وأخوه شيـبة وابنه الوليد فنادى عتبة رسول الله ﷺ يا محمد أخرج لنا أكفاءنا من قريش فبرز إليهم ثلاثة من شبان الأنصار فقال لهم عتـبة من أنتم فانتسبوا فقال لا حـاجة لنا في مبارزتكم إنما طلبنا بـني عمنا فقال رسول الله ﷺ للأنصار ارجعوا مواقفكم ثم قال قم يـا علي قم يا حمزة قم يا عبيدة قاتلوا على حقكم الذي بعث الله به نبيكم فقاموا فصفوا في وجوههم وكان على رءوسهم البيض فلم يعرفوهـم فقال عتبة من أنتم يا هؤلاء؟ تكلمـوا فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم فقال حمزة بن عبد المطلب أنا حمزة بن عبد المطلب أنا أسـد الله وأسد رسوله فقال عتبة كفء كريم وقال علي أنا علي بن أبى طالب وقال عبيدة أنا عبيـدة بن الحرث بن عبد المطلب فقال عتبة لابنه الوليد قم يا وليد ابرز لعلي وكان أصغر الجماعـة سنًا فاختلفا بضربتين أخطأت ضربة الوليد ووقعت ضربة علي رضي الله عنه على اليد اليسرى مـن الوليد فأبانتها ثم ثنى عليه بأخرى فخر قتيلا. روي عن علي رضي الله عنه : أنه كان إذا ذكر بدرًا وقتله الوليد قال في حديثه كأني أنظر إلى وميض خاتمه في شماله عندما أبنت يده وبها أثر من خلوق فعلمت أنه قريب عهد بعروس. وبارز عـتبة حمزة وبارز عبيدة شـيبة وكان من أسن القوم فاختـلفا بضربتين فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيدة فقطعها فاستنقذه علي وحمزة رضي الله عنهما وقتلا شيـبة وحمل عبيـدة فمات بالصفراء (ومن شـجاعته) رضى الله عنه قـتاله يوم أحد. ومحصـل القول في هذه الغزوة أن أشـراف قريش لما كسـروا يوم بدر وقتل بعضـهم وأسر بعض آخر دخـل الحزن على أهل مكة بقـتل رؤسائهم وأشرافهـم فتجمعـوا. وبذلوا أموالا واستمالوا جـمعًا من كنانة وغيرهم ليقـصدوا النبي ﷺ بالمدينة لاستئصـال المسلمين وتولى ذلك أبو سفيان بن حرب فحشد وحث وقصد المدينة فخرج النبي ﷺ بالمسلمين فنفق النفاق بين جماعة من المسلمين من الذين خرجـوا مع رسول الله ﷺ فرجع قريب من ثلثهم وبقي مع النبي ﷺ سـبعمائـة من المسلمين فالتـقى الجمعان واشـتد الحرب واضطرب المـسلمون واستشهد حمزة وجماعة من المسلمين وقتل من مقاتلة المشركين اثنان وعشرون رجلا. نقل أصحاب المغازي أن عليًا رضي الله عنه : قتل منهم سـبعة طلحة بن أبي طلحة وعبد الله بن جميل وأبا الحكم بن الأخنس وسباع بن عبد العزى وأبا أمية بن المغيرة وهؤلاء

الخمسة متفق على أنه رضي الله عنه قتلهم والاثنان مختلف فيهما. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خرج طلحة بن أبي طلحة يوم أحد فكان صاحب لواء المشركين فقال يا أصحاب محمد تزعمون أن الله يعجلنا بأسيافكم إلي النار ويعجلكم بأسيافنا إلى الجنة فأيكم يبرز إليّ فبرز إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال والله لا أفارقك حتى أعجلك بسيفي إلى النار فاختلفا بضربتين فضربه علي رضي الله عنه على رجله فقطعها وسقط إلى الأرض فأراد أن يجهز عليه فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فانصرف عنه إلى موقفه فقال المسلمون هلا أجهزت عليه فقال ناشدني الله ولن يعيش فمات من ساعته وبشر النبي ﷺ بذلك فسر وسر المسلمون قال ابن إسحاق كان الفتح يوم أحد بصبر علي رضي الله عنه. روى الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنابذي في كتابه معالم العترة النبوية مرفوعا إلى قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع عليًا رضي الله عنه يقول: أصابتني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهن فجاء رجل حسن الوجه طيب الريح وأخذ بضبعي فأقامني ثم قال أقبل عليهم فإنك في طاعة الله ورسوله وهما عنك راضيان قال علي فأتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال يا علي أقر الله عينيك ذاك جبريل عليه السلام ا هـ ثم رجع أبو سفيان ومن معه إلى مكة والنبي ﷺ إلى المدينة وهذه الغزوة ذكرها الله في سورة آل عمران في قوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. (ومن شجاعته) رضي الله عنه في غزوة الخندق وذلك أنه لما بلغ رسول الله ﷺ أن قريشًا تجمعت وقائدهم أبو سفيان بن حرب وأن غطفان تجمعت وقائدهم عيينه بن حصن بن حذيفة بن بدر واتفقوا مع بني النضير من اليهود على قصد رسول الله ﷺ وحصار المدينه أخذ النبي ﷺ في حراسة المدينة بحفر الخندق عليها وعمل النبي ﷺ فيه بنفسه الشريفة وأحكمه في أيام فلما فرغ رسول الله ﷺ من حفره أقبلت قريش بجموعها وجيوشها ومن تبعها من كنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف

(١) سورة آل عمران ١٢١

وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد فنزلوا من فوق المسلمين ومن أسفلهم كما قال تعالى : ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾[1] فخرج النبي ﷺ ومن معه من المسلمين وكانوا ثلاثة آلاف وجعلوا الخندق بينهم واتفق اليهود مع المشركين على قتال رسول الله ﷺ فلما رأى المسلمون ذلك اشتد الأمر عليهم وكان مع المشركين من قريش عمرو بن عبدود وكان من مشاهيرهم الصناديد وعكرمة بن أبي جهل وجاءوا حتى وقفوا على الخندق وبين المسلمين فلما رأى ذلك علي رضي الله عنه : خرج ومعه نفر من المسلمين وبادروا الثغرة التي دخلوا منها وأخذوا عليهم المضيق الذي اقتحمته خيولهم فرجع عمرو بن عبدود من بينهم ومعه ولده حنبل وقال هل من مبارز فأراد علي أن يبرز إليه فأرسل النبي ﷺ لعلي ألا يبرز إليه فجعل عمرو ينادي هل من مبارز وجعل يقول أين حميتكم أين جنتكم التي تزعمون أن من قتل دخلها أفلا يبرز إلى رجل منكم فجاء علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فقال : أنا له يا رسول الله فقال ﷺ إنه عمرو قال وإن كان عمرًا. فأذن له في مبارزته ونزع عمامته ﷺ عن رأسه وعمم عليًا رضي الله عنه بها وقال امض لشأنك فخرج علي رضي الله عنه وعمرو يقول :

ولقد بححت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ وقف الشجاع مواقف القرن المناجز
وكذاك إني لم أزل متبرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فجابه علي رضي الله عنه :

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجي كل فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

---

(١) سورة الأحزاب ١٠

ثم قال يا عمرو إنك كنت أخذت على نفسك عهدًا ألا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلا أجبته إلى واحدة منهـما قال أجل فقال علي رضي اللّه عنه إني أدعوك إلى اللّه تـعالى ورسوله ﷺ وإلى الإسـلام فقال أما هذه فـلا حاجة لي فـيها فقال له علي رضي اللّه عنه : فإذا كرهت هذه فإني أدعوك إلى النزال قال ولم يا ابن أخي؟ فما أحـب أن أقتلك ولقد كان أبوك خـلا لي فقال علي رضي الـلّه عنه أما أنا واللّه فأحب أن أقتلك فحمي عمرو وغضب من كلامه واقتحم عن فرسه إلى الأرض وضرب وجـهها ونزل علـي رضي الله عنه عن فـرسه وأقبل كـل منهما عـلى الآخر فتصاولا وتجاولا سـاعة ثم ضربه علي رضي اللّه عنه على عاتقه بـالسيف رمى جنبه الأرض وتركه قـتيلا ثم ركب علي رضـي اللّه عنه فرسه وكـر على ابنه حنبل فـقتله أيضًا فخرجت خيول قريش منهزمة ورمى عكرمة بن أبي جهل رمحه وفر وأرسل اللّه عليهم ريحًا وجنودًا ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾(١)

(١) سورة الأحزاب ٢٥

فصل
في الكلام على وقعة الجمل وقتال صفين

في ذخائر العقبى عن محمد بن الحنفية قال أتى رجل عليا وعثمان محصور فقال إن أمير المؤمنين مقتول ثم جاء آخر فقال إن أمير المؤمنين مقتول الساعة فقام علي قال محمد أخذت بوسطه تخوفًا عليه فقال خل لا أم لك فأتى على الدار وقد قتل الرجل فأتى داره فدخلها وأغلق عليه بابه وأتاه الناس فضربوا عليه الباب فدخلوا عليه فقالوا إن هذا الرجل قد قتل ولابد للناس من خليفة ولا نعلم أحدًا أحق بها منك فقال لهم علي رضي الله عنه لا تريدوني فإني لكم وزير خيرًا لكم مني أمير فقالوا والله لا نعلم أحدًا أحق بها منك قال فإن أبيتم عليّ فإن بيعتي لا تكون سرًا ولكن ائتوا المسجد فمن شاء أن يبايعني بايعني قال فخرج إلى المسجد فبايعه الناس أخرجه الإمام أحمد في المناقب. قال ابن إسحاق إن عثمان لما قتل بويع علي بن أبي طالب بيعة العامة في مسجد رسول الله ﷺ وبايع له أهل البصرة وبايع له بالمدينة طلحة والزبير. وفي الفصول المهمة أول من بايعه طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه فنظر إليه رجل يقتات يقال حبيب ابن ذؤيب فقال إنا لله وإنا إليه راجعون أول يد بايعت يد شلاء لا يتم هذا الأمر ثم بايعه الزبير رضي الله عنه ثم بقية الناس من المهاجرين والأنصار غير نفر يسير لأنهم كانوا عثمانية منهم محمد بن مسلمة والنعمان ابن بشير وكانت البيعة يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فما كان من النعمان بن بشير إلا أن أخذ قميص عثمان رضي الله عنه الذي قتل فيه ملطخًا بالدم وأخذ أصابع زوجته نائلة وهرب إلى الشام عند معاوية. وأما طلحة والزبير رضي الله عنهما فهربا إلى مكة بعد المبايعة بأربعة أشهر، ثم إن عليا رضي الله عنه فرق إلى البلدان عماله وكتب إلى بعض عمال عثمان رضي الله عنه يستقدمهم عليه وكتب إلى معاوية أيضًا يستقدمه فعند فراغه من كتابة الكتاب جاء

المغيرة بن شعبة فقال ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال كتاب كتبته إلى معاوية وأريد أن أبعث الرسول فقال يا أمير المؤمنين عندي لك نصيحة فاقبلها مني قال إنه ليس أحد يتشغب عليك غير معاوية وفي يده بلاد الشام وهو ابن عم عثمان وعامله فابعث إليه بعهده تلزمه طاعتك فإذا استقرت قدماك رأيت فيه رأيك فقال علي لا واللّه لا يراني اللّه مستعينًا بمعاوية أبدًا ولكن إلى ما نحن فيه فإن أجاب وإلا حاكمته إلى اللّه فخرج عنه المغيرة فلما كان الغد جاء المغيرة وقال يا أمير المؤمنين إني قد جئتك بالأمس وأشرت عليك بما أشرت وخالفتني ثم إني رأيت ليلتي هذه أن الرأي ما رأيت فأرسل إلى معاوية الكتاب الذي كتبت فإن قدم وإلا فاعزله فقال أفعل إن شاء اللّه تعالى فخرج المغيرة بن شعبة وفر إلى مكة وكان يقول نصحت عليًا فلما لم يقبل غششته.

عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال أتيت عليًا رضي اللّه عنه بعد مبايعة الناس له فوجدت المغيرة بن شعبة مستخليًا به فقلت له بعد أن خرج ما كان يقول لك هذا؟ فقال قال لي مرة قبل مرته هذه إن النصيحة أن تقر معاوية على عهده وابن عامر وعمال عثمان حتى يأتيك بيعتهم ويسكن الناس ثم اعزل من شئت منهم وأبق من شئت منهم فأبيت عليه ذلك ثم عاد إلى الآن فقال إني رأيت أن تصنع الذي رأيت أن تعزل من تختار وتقر من تثق به قال ابن عباس فقلت لعلي أما المرة الأولى فقد نصحك وأما المرة الثانية فقد غشك قال وكيف نصحه لي؟ قلت لأن معاوية وأصحابه أهل دنيا فمتى أثبتهم على عملهم سكنوا ومتى عزلتهم يقولون أخذ الأمر بغير حق وهو قتل صاحبنا عثمان مع أني لا آمن عليك من طلحة والزبير وأنا أشير عليك أن تبقي معاوية فإن بايع فلك علي أن أقلعه من منزله فقال علي رضي اللّه عنه لا أعطيه إلا السيف فقلت له افعل فإن أيسر ما لك عندي الطاعة وإني باذلها لك فقال علي رضي اللّه عنه أريد منك أن تسير إلى الشام فقد وليتكها فقال ابن عباس ما هذا برأي إن معاوية رجل من بني أمية وهو ابن عم عثمان ولست آمن أن يضرب عنقي بعثمان وإن أدنى ما هو صانع بي إن أحسن إلي إن يحبسني ويتحكم في لقرابتي منك وكل ما

حمل عليك حمل علي ولكن أرسل إليه الكتاب الذي كتبته تستقدمه فيه وانظر بماذا يجيب قال فأرسل علي الكتاب الذي كتبه بيد الجهني فلما قدم على معاوية بالكتاب أخذه منه ووقف على ما فيه ولم يجب عنه بشيء حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان وذلك في أواخر صفر دعا معاوية رجلا من بني عبس فدفع إليه طوماراً مختوماً من غير كتابة ليس في باطنه شيء عنوانه من معاوية بن أبي سفيان إلى علي ابن أبي طالب وقال للعبسي إذا دخلت المدينة فادخلها نهاراً واعط علياً الطومار على رءوس الناس فإذا قبضه وفتحه إلى آخره ولم يجد فيه شيئاً يقول لك ما الخبر؟ فقل له كيت وكيت بكلام أسره للرسول ثم دعا معاوية الجهني رسول علي فجهزه مع رسوله فخرجا معاً فقدما المدينة في اليوم العاشر من ربيع الأول فرفع رسول معاوية الطومار على يده عند دخوله المدينة وتبعه الناس ينظرون ما أجاب به معاوية ودخل الرسول على علي وأعطاه الطومار ففض خاتمه وفتحه إلى آخره فلم يجد فيه كتابة فقال للرسول ما وراءك قال آمن أنا؟ قال نعم إن الرسول لا يقتل قال إني تركت ورائي أقواما يقولون لا نرضى بالقود قال ممن؟ قال يقولون من خيط رقبة علي وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه فقال علي رضي الله عنه أمني يطالبون دم عثمان اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان اخرج قال وأنا آمن قال وأنت آمن فخرج العبسي وأراد الناس أن يقتلوه ولولا أمان علي لقتلوه ثم أحب أهل المدينة بعد ذلك أن يعلموا رأي علي رضي الله عنه في معاوية رضي الله عنه هل يقاتله أو يتركه؟ وقد بلغهم أن الحسن ابنه دعاه إلى العقود فدسوا إليه زياد ابن حنظلة التيمي وكان يتردد إلى علي رضي الله عنه فجلس إليه ساعة فقال له علي رضي الله عنه يا زياد نسير فقال لأي شيء يا أمير المؤمنين فقال لحرب الشام فقال زياد الأناة والرفق أمثل يا أمير المؤمنين فقال لا إلا السيف فخرج زياد من عنده والناس ينتظرونه فقالوا ما وراءك؟ قال السيف فعرفوا ما هو فاعل، ثم إن علياً رضي الله عنه تجهز يريد الشام لقتال معاوية رضي الله عنه ودعا بمحمد بن الحنفية فأعطاه اللواء وجعل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ميمنته وعمرو بن مسلمة ميسرته وجعل أبا ليلى عمرو بن الجراح ابن أخي

عبيدة رضي اللّه عنه على مقدمته واستخلف على المدينة قثم بن العباس رضي الله عنهما وكتب إلى العراق إلى قيس بن سعد وإلى سعد وإلى الشام وإلى أبي موسي الأشعري أن يندبوا الناس إلى الخروج إليه إلى أهل الشام فبينما هم كذلك على قصد التوجه إلى الشام إذ أتاهم الخبر عن طلحة والزبير وعائشة رضي اللّه عنهم أنهم على الخلاف وأنهم قد سخطوا إمارته وهم يريدون الخروج إلى البصرة. وكان سبب ذلك أن طلحة والزبير لم قدما من المدينة إلى مكة وجدا عائشة رضي اللّه عنها بها فقالت لهما ما وراءكما؟ فقالا إنا تحملنا هربًا من المدينة من غوغاء وأعراب وفارقنا قومًا حيارى لا يعرفون حقًا ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم فقالت ننهض إلى هذه الغوغاء فقالا كيف يكون؟ فقالت نأتي الشام فقال ابن عامر وكان قد أتى من البصرة إلى مكة بعد مقتل عثمان لا حاجة لكم في الشام فقال ابن عامر وكان قد أتى من البصرة إلى مكة بعد مقتل عثمان لا حاجة لكم في الشام فقد كفاكم معاوية ولكن نأتي البصرة فإن لي بها صنائع ولي بها المال ولأهل البصرة في طلحة هوى وهو الأوفق بنا والأليق فاستقل رأيهم على التوجه إلى البصرة وأجابتهم عائشة رضي اللّه عنها إلى ذلك ودعوا عبد اللّه بن عمر رضي اللّه عنهما يسير معهم فأبى وقال أنا من أهل المدينة أفعل ما يفعلون فتركوه وأرادت حفصة أخته زوج النبي ﷺ أن تسير معهم فمنعها (ثم) إن يعلى بن منبه جهزهم بستمائة ألف درهم وستمائة بعير وكان من عمال عثمان رضي اللّه عنه على اليمن قدم مكة بعد مقتل عثمان ونادى منادي عائشة رضي اللّه عنها إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة فمن أراد إعزاز الدين والطلب بثأر عثمان وليس له مركب وجهاز فليأت فحملوا على ستمائة بعير وساروا في ألف من أهل مكة ولحقهم أناس آخرون فكانوا ثلاثة آلاف رجل وأعطى يعلى بن منبة جملا لعائشة اسمه عسكر اشتراه بمائة درهم قالوا وخرجت عائشة ومن معها من مكة وخرج معها أمهات المؤمنين رضي اللّه عنهن مودعات لها إلى ذات عرق وبكوا على الإسلام بكاء شديدًا في هذا اليوم وكان يسمى يوم النحيب ثم إنهم ساروا متوجهين نحو البصرة ونقل غير واحد أنهم مروا بمكان اسمه الحوءب فنبحهم كلابه

فقالـت عائشة أي ماء هذا؟ قـيل هذا ماء الحوءب فـصرخت وقالت إنا لـلّه وإنا إليه راجعون سـمعت رسول اللّه ﷺ يقـول وعنده نساؤه : "ليت شـعري أيتكن تنبـحها كلاب الحوءب" . ثم ضربت عضـد بعيرها فأناخته وقالت ردوني فـأناخوا يوما وليلة وقال لها عبـد اللّه بن الزبير إنه كذب يعني ليس هذا مـاء الحوءب ولم يزل بها وهي تمتنع فقال النجاء النجاء فقد أدرككـم علي بن أبي طالب فارتحلوا ونزلوا على البصرة واستولوا عليها بعد قتال شديد مع عثـمان بن حنيف عاملها وقتل من أصحابه أربعون رجلا وأمسك فنتفت لحيته ورأسه وأشفار عـينيه وحاجباه وسجن، هذا وقد سار علي رضي اللّه عنه من المدينة في عسكره على قـصد الشام وكان ذلك في آخر ربيع الآخر سنة ست وثلاثـين، فبينما هو فـي مسيرة إذ أتاه رسـول أم الفضل يخبره عـن طلحة والزبير وعائشة بما كان منهم فلما بلغه ذلك دعا وجوه أهل المدينة فخطبهم فحمد اللّه وأثنى عـليه وقال إن هـذا الأمر لا يصلح إلا بمـا صلح أوله فانـصروا اللّه ينصـركم ويصلح أمركم، ثم إنه أعرض عن المسير إلى الشام وحث عليه إلى جهة البصرة وجاء أن يدرك طلحة والزبير عائشة فلما انتهى إلى الربذة أتاه الخبر بأنهم سبقوا إلى البصرة وقد نزلوا بفنائها، ثم إنه كتب وهو بالربذة إلـى طلحة والزبير : أما بعد يا طلحة ويا زبير فقـد علمتما أني لم أرد الناسَ حـتى أرادوني ولم أبايعهم حتى أكرهـوني وأنتما أوّل من بادر إلى بيـعتي ولم تدخلا في هذا الأمـر لسلطان غالب ولا لغـرض حاضر وأنت يا زبير فـارس قريش وأنت يا طلحة فارس المـهاجرين ودفعكما هـذا الأمر قبل دخولكمـا فيه كان أوسع لـكما من خروجكمـا عنه الآن وهؤلاء هم بنو عم عـثمان وأولياؤه المطالبون به وأنتـما رجلان من المهاجرين وقد أخرجتما أمكـما من بيتها الذي أمرها اللّه أن تقر فيه واللّه حسبكما والـسلام. وكتب إلى عائشة رضي اللّه عنها، أما بعد : فـإنك لم تريدي إلا الإصـلاح بين الناس فخبـريني ما للـنساء وقود العـسكر زعمت أنك مطالبة بدم عثمان وعثـمان رجل من بنى أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة لعمري إن الذي أخرجك لهذا الأمر وحـملك عليه لأعظم ذنبًا إليك من كل أحد

فاتقي اللّه يا عائشة وارجعي إلى منزلك واسبلي عليك سترك والسلام. وكتب عليّ رضي اللّه عنه إلى أهل الكوفة كتابًا يحثهم على الخروج معه وأرسله مع محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر فقدموا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بذي قار وكانوا اثني عشر ألفًا فلقيهم في ناس من وجوه أصحابه منهم عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما. ثم إن عليًا رضي اللّه عنه دعا بالقعقاع فأرسله إلى أهل البصرة وقال له ألف هذين الرجلين يعني طلحة والزبير فذهب إليهم واستمالهم للصلح فمالوا فرجع القعقاع إلى علي رضي اللّه عنه وأخبره بذلك فسر به وأعجبه وأشرف القوم على الصلح فكره ذلك من كرهه ورضيه من رضيه ثم قال علي رضي اللّه عنه ألا وإني راحل غدًا فارتحلوا فشق ذلك على الذين خرجوا على عثمان وباتوا بأسوأ ليلة وهم يتشاورون فقال رئيسهم عبد اللّه بن بشار وهو الشهير بابن السوداء يا قوم إن عزكم في مخالطة الناس فلا تتركوا عليًا والزموه فإذا كان الغد والتقى بالناس فانشبوا القتال فمن كنتم معه لا يجد بدًا من أن يمتنع فإذا اشتغل الناس تنظروا ماذا يكون فتفرقوا على رأيه وأصبح علي رضي اللّه عنه وأخذ في المسير إلى البصرة مع الجيش فقام إليه الأعور بن بيان المنقرى فقال يا أمير المؤمنين ما تريد بإقدامك على البصرة قال مع الإصلاح وإطفاء الثائرة لعل اللّه يجمع شمل هذه الأمة قال فإن لم يجيبوا قال تركناهم ما تركونا قال فإن لم يتركوا قال دفعناهم عن أنفسنا، وسار طلحة والزبير وعائشة رضي اللّه عنهم فالتقوا عند قصر عبد اللّه بن زياد فنزل الجيشان هناك ثلاثة أيام وكان نزولهم في النصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وثلاثين وكان أصحاب علّي رضي اللّه عنه عشرين ألفًا وأصحاب طلحة والزبير وعائشة ثلاثين ألفًا وأرسل علي رضي اللّه عنه عشية اليوم الثالث من نزولهم عبد اللّه بن عباس إلى طلحة والزبير بالسلام فأرسل طلحة والزبير إلى علي رضي اللّه عنه بالسلام وترددت الرسل بينهم في الصلح فتداعوا إليه وشاع ذلك في الفئتين فسر الناس بذلك وباتوا تلك الليلة في غاية السرور والفرح وبات الذين أثاروا أمر عثمان رضي اللّه عنه بأسوأ ليلة لما رأوه من تراسل القوم وتصافيهم فباتوا يتشاورون ليلتهم فاجتمع رأيهم على إنشاب

الحرب مع الفجر فلما كان غلس الصبح ثاروا على أصحاب طلحة ووضعوا فيهم السلاح فثارت كل قبيلة إلى أختها وقام الحرب بينهم ولم يدر الناس كيف الأمر فقام في ميمنة أصحاب طلحة عبد الله بن الحرث وفي الميسرة عبد الرحمن بن عتاب وفي وسطهم طلحة والزبير وقالا لأصحابهما كيف كان هذا الأمر قالوا لا ندري إلا وقد طرقونا واضعين فينا السيوف وكانت عائشة رضي الله عنها إذ ذاك راكبة في هودجها على الجمل، هذا وعلّي رضي الله عنه راكب على بغلة رسول الله ﷺ وعليه قميص ورداء وعمامة فلما أسفر النهار خرج رضي الله عنه ومشى بين الصفين ونادى بأعلى صوته أين الزبير بن العوام فليخرج إليّ فخرج إليه الزبير ودنا كل منهما إلى الآخر فقال له علي رضي الله عنه ما حملك على ما صنعت يا زبير قال حملني على ذلك الطلب بدم عثمان فقال علّي إن أنصفت من نفسك فأنت وأصحابك قتلتموه ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر يوم قال لك رسول الله ﷺ يا زبير : تحب عليًا فقلت وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي فقال لك أما إنك ستخرج عليه وأنت ظالم له فقال اللهم بلى قد كان ذلك وقال أنشدك الله ثانيًا أما تذكر يوم جاء رسول الله ﷺ من بني عوف وأنت معه وهو آخذ بيدك فاستقبلته فسلمت عليه فضحك في وجهي وضحكت إليه فقلت أنت لا يدع ابن أبي طالب زهوه فقال لك ﷺ مهلا يا زبير ليس بعلي زهو ولتخرجن عليه وأنت ظالم له فقال الزبير اللهم بلى ولكني نسيت ذلك وبعد أن أذكرتني لأمضين ولو ذكرت هذا قبلما خرجت عليك ما خرجت ولكن هذا تصديق لقوله ﷺ ثم كر راجعًا فقالت له عائشة رضي الله عنها ما وراءك يا زبير فقال والله ما وقفت موقفًا ولا شهدت مشهدًا في شرك ولا في إسلام إلا ولي فيه بصيرة وأنا اليوم على شك من أمري وما أكاد أبصر موضع قدمي وشق الصفوف وخرج من بينهم آخذًا طريق مكة فنزل على قوم فقام إليه عمرو بن جرموز فضيفه وخرج معه إلى وادي السباع وأراه أنه يريد مسايرته ومؤانسته فقتله غيلة وهو ساجد وقيل وهو نائم وأخذ سيفه وخاتمه ومضى يؤم عليًا رضي الله عنه فلما وصل إليه سلم عليه وأخبره بقتله الزبير فقال علي رضي الله عنه أبشر بالنار فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «بشروا قاتل الزبير بالنار» فقال ابن جرموز إنا لله وإنا إليه راجعون إن

قاتلناكم فنحن في النار وإن قتلنا لكم فنحن في النار فقال علي رضي الله عنه هذا شيء سبق لابن صفية وفي ذلك قال عمرو بن جرموز :

أتيت عليا برأس الزبير وقد كنت أحسبها زلفه
فبشر بالنار قبل العيان فبئس البشارة والتحفه
وسيان عندي قتل الزبير وضرطة عير بذي الجحفه

(وأما طلحة) فأصابه سهم من مروان بن الحكم وهو من مقاتلة عائشة فمات به وقيل من غيره. ثم إن جماعة طلحة والزبير وعائشة انهزمت وقد أحاطت الخيل بالجمل واختلط القوم بعضهم ببعض ووقعت مقتله عظيمة وكان الآخذ بزمام الجمل نحو سبعين رجلا من قريش لم ينج منهم واحد وكان من جملتهم محمد بن طلحة وكان معروفًا عندهم بالسجاد لكثرة صلاته وكان على جانب عظيم من العبادة والزهد واعتزال الناس وإنما خرج براً بأبيه وقتل محمد بن الزبير وجرح عبد الله أخوه سبعًا وثلاثين جراحة، وفي الغرر والعرر وأطاف بنو ضبة والأزد بالجمل وأقبلوا يرتجزون :

نحن بنو ضبة أصحاب الجمل ننزل بالموت إذا الموت نزل
فالموت أحلى عندنا من العسل نبتغي ابن عفان بأطراف الأسل

وفيه وقطع على خطام الجمل سبعون يداً من بني ضبة اهـ وكان لا يأخذ بخطام الجمل إلا من ينتسب ويقول أنا فلان بن فلان وقتل في هذه الوقعة خلق كثير. قال أصحاب السير عدة من قتل من أصحاب الجمل ستة عشر ألفًا وسبعمائة وتسعون رجلا وكانت عدتهم ثلاثين ألفًا فكانت القتلى أكثر من الأحياء وقتل من أصحاب علي منهم ألفًا رجل وسبعون رجلا وكانت جماعته عشرين ألفًا وقيل غير ذلك، ولما كثر القتل على خطام الجمل قال علي رضي الله عنه اعقروا الجمل فضربه رجل فسقط نقل صاحب الغرر أنه لما سمع صارخ يقول راقبوا الله في حرمة رسول الله ﷺ وقال علي رضي الله عنه لابنه الحسن هلكت قال نهيتك عن مسيرك قال لم

أكن أرى أن الأمر يصير إلى هذا انتهى وبقيت عائشة رضي الله عنها في هودجها إلى الليل وأدخلها أخوهـا محمد بن أبي بكر الصديق البصـرة إلى دار عبد الله بن خلف الخزاعي وتسـللت الجرحى ليـلا من بين القتلى وأمـر علي رضي الله عنه بـالنداء في الناس ألا يتبعـوا مدبراً ولا يجهزوا على جريح ولا يدخـلوا داراً وأقام رضي الله عنه بظاهر البصرة ثلاثة أيام وطاف على القتلـى فصلى عليهم وأمر بدفنهم ودفن الأطراف ولما رأى طلحة قال إنا لله وإنا إليه راجعون لقد كنت أكره أن أرى قريشًا صرعى أنت والله يا أبا محمد كما قال الشاعر :

فتى كان يدنـيه الغنى عن صديقه　　　إذا مـا هو استغنى ويبعـده الفقر

(تنبيه) سيدنا طلحة هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عبيد الله بن عمرو بن كعب ابن سعيد بن تيم الله، وهو ابن عم أبي بكر الصـديق رضي الله عنهما وأحد العشرة المبشرين بالجنـة وكنيته أبو محمد وأمه الصـعبة بنت أبي سفيان صـخر بن حرب قتل وهو ابن أربع وستين سنـة ودفن بالبصرة وقبره ومسـجده بها. وأما قبر سـيدنا الزبير رضي الله عنـه فبوادي السـباع وهو مشـهور أيضًا يزار وإضـافة هذا الوادي للسـباع لكثرتها فيه وفيه قال سحيم :

مررت على وادي السباع ولا أورى　　　كوادي السباع حين يظلم واديا

وأمر علي رضي الله عنه بجمع ما كـان في العسكر من سلاح وثياب وقال من عرف شيئًا فيـأخذه إلا سلاحًا كان في الخزائن عليه سمـة السلطان ودخل يوم الاثنين البصرة فبايـعة أهلها ثم أمر عـائشة رضي الله عنهـا بالرجوع إلى مكة وجـهزها بما احتاجت إليه وسيـر معها أولاده مسيرة يوم فأقامت للحـج تلك السنة ثم رجعت إلى المدينة واستعمل عـلى البصرة عبد الله بن عباس ثم نزل علـى الكوفة وانتظم له الأمر بالعراق ومـصر واليمن والحرمين وفارس وخـراسان هذا ومعاوية بالشـام وأهل الشام مطيعون له فـأرسل إليه علي رضي الله عنه جرير بـن عبد الله البجلي ليأخـذ البيعة عليه فماطله معاوية حتى قدم عمرو بن العاص من فلسطين فوجد أهل الشام يحضون

على الطلب بدم عثمان فقال لهم عمرو أنتم على الحق واتفق مع معاوية إذا ظفر أن يوليه مصر كذا في تتمة المختصر (وقعة صفين) على وزن سجين. موضع قريب من الرقة بشاطئ الفرات وهو من الصف أو من الصفون فعلى الأول النون زائدة وعلى الثاني أصلية كذا في المصباح. ولما اتفق معاوية وعمرو على حرب علي قدم جرير بن عبد الله البجلى على عليّ رضي الله عنه فأعلمه بذلك. قال صاحب الفصول المهمة فخرج وعسكر بالنخيلة واستنفر الناس للمسير إلى الشام لقتال معاوية رضي الله عنه فبلغه فخرج هو أيضًا وعمرو بن العاص رضي الله عنه وعن أصحاب رسول الله أجمعين وهيأ الجيوش معاوية وأعطى لواء لعمرو بن العاص ولواءين لابنيه عبد الله ومحمد ولواء لغلامه وردان ثم سار كل منهما للقاء الآخر فاجتمعوا على الفرات فدعا علي رضي الله عنه أبا عمرو بشير بن عمرو بن محصن الأنصارى بن قيس الهمدانى وشبيب بن ربعى التميمى وقال لهم اذهبوا إلى هذا يعنى معاوية رضي الله عنه وادعوه إلى الله وإلى الطاعة والجماعة فلعل الله أن يهديه ويلم شمل هذه الأمة وكان ذلك في أوّل يوم السبت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين فأتوه ودخلوا عليه فابتدأ بشير فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا معاوية إن الدنيا عنك زائلة وإنك راجع إلى الآخرة وإن الله محاسبك على ذلك ومجازيك عليه وإني أنشدك بالله تعالى ألا تفرق جماعة هذه الأمة وألا تسفك دماءها فيما بينها فقطع معاوية رضي الله عنه كلامه وقال هلا أوصيت صاحبك؟ فقال إن صاحبي ليس أحد مثله وهو صاحب السابقة في الإسلام والفضل من قرابة رسول الله ﷺ فقال فما عندك يا ابن عمرو وما الذي تأمرنى به؟ قال الذي عندى والذي آمرك به تقوى الله تعالى وإجابة ابن عمك إلى ما يدعوك إليه من الحق فإنه أسلم لك في دينك ودنياك قال معاوية وأترك دم عثمان؟ لا والله لا أفعل ذلك أبدًا، ثم تكلم سعد بن قيس وشبيب فلم يلتفت معاوية إلى كلامهما وقال انصرفوا عني فيلس عندي إلا السيف فقال له شبيب أتهول علينا بالسيف والله لنعجلها إليك فأتوا عليًا رضي الله عنه فأخبروه بذلك فجعل علي رضي الله عنه بعد إتيان كلام معاوية يأمر الرجل ذا الشرف من أصحابه أن يخرج في خيل فيخرج إليه جماعة من أصحاب معاوية في خيل مثلها فيقتتلان ثم تنصرف كل من خيل إلى

أصحابها وذلك خوفًا من استئصال العسكرين وذهاب الفئتين وهلاك المسلمين فاقتتلوا أيام ذي الحجة كلها وربما اقتتلوا في اليوم الواحد مرتين ثم دخلت سنة سبع وثلاثين فحصل في شهر المحرم منها بين علي ومعاوية موادعة على الحرب طمعًا في الصلح فاختلفت الرسل بينهما فلم يتفق صلح فلما انسلخ المحرم أمر علي رضي الله عنه مناديًا فنادى في أهل الشام يقول لكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إني قد استقدمتكم لتراجعوا الحق وتنيبوا إليه فلم تفعلوا ولم تنتهوا عن طغيان ولم تجيبوا إلى طاعة وإني قد نبذت إليكم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ثم أصبح علي رضي الله عنه فجعل على خيل الكوفة الأشتر وعلى خيل البصرة سهل بن حنيف وعلى رجالة الكوفة عمار بن ياسر وعلى رجالة البصرة قيس بن سعد وجعل مسعر بن مذكي على قراء أهل الكوفة وقراء أهل البصرة وأعطى الراية هاشم بن عتبة وخرج إلى مصافهم وذلك في أول يوم من صفر فخرج إليهم معاوية وقد جعل على ميمنته ابن ذي الكلاع الحميري وعلى ميسرته حبيب بن مسلمة الفهري وعلى مقدمته أبا أربعة وهو يقول : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[1] ثم صاح علي كرم الله وجهه يا معاوية هلم إلى مبارزتي لئلا تفنى العرب بيننا فقال معاوية لا حاجة لي في مبارزتك بعد أربعة أبطال من العرب فحسبك فصاح فارس من أصحاب معاوية يقال له عروة يا ابن أبي طالب إن كان معاوية قد كره مبارزتك فأنا لها وجرد السيف وخرج للإمام فتجاولا ثم إنه سبق الإمام بضربة فتلقاها الإمام في سيفه ثم إن عليًا رضي الله عنه ضربه ضربة على رأسه ألقاه إلى الأعور السلمي وعلى خيل دمشق عمرو بن العاص وعلى رجالة دمشق أسلم بن عيينه المزني وعلى بقية أصحابه الضحاك بن قيس وبايع رجالا من أهل الشام على الموت فعقلوا أنفسهم بعمائمهم وكانوا خمسة صفوف فلما تواقفت الأبطال وتصافت الخيل للمبارزة والنزال خرج من عسكر معاوية فارس من أهل الشام معروف بشدة البأس وقوة الرأس يقال له المخراق بن عبد الرحمن فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج إليه فارس من أهل

---

(١) سورة البقرة ١٩٤

العراق يقال له عبيد المرادي فتطاعنا بالرماح ثم تضاربا بالصفاح فظفر به الشامي وقتله ثم نزل عن فرسه وحز رأسه وحك بوجهه الأرض وتركه مكبوبًا على وجهه ثم ركب فرسه وسأل المبارزة فخرج إليه فتى من الأزد يقال له مسلم بن عبد ربه فقتله الشامي أيضًا وفعل به كما فعل بالأول ثم ركب فرسه وسأل المبارزة فخرج إليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه متنكرًا فتجاولا ساعة ثم ضربه الإمام البطل الهمام علي رضي الله عنه ضربة بالسيف على عاتقه رمت بشقه إلى الأرض وسقط فنزل علي رضي الله عنه وحز رأسه وجعل وجهه إلى السماء ثم ركب ونادى هل من مبارز فخرج إليه فارس آخر من فرسان أهل الشام فقتله وفعل به كما فعل بصاحبه الأول وهكذا إلى أن قتل منهم سبعة فأحجم الناس عنه ولم يقدر على مبارزته أحد بعد أولئك فجال بين الصفين جولة ورجع إلى أصحابه ولم يعرفه أهل الشام فإنه كان متنكرًا رضي الله عنه (وخرج) في بعض أيامها وقد تقابل الجيشان فارس من أبطال عسكر الشام يقال له كريب بن الصباح فوقف بين الصفين وسأل المبارزة فخرج الحارث الحكمي فقتله الشامي أيضًا فنظر الناس إلى مقام فارس صنديد فخرج إليه علي رضي الله عنه بنفسه الكريمة فوقف بإزائه وقال من أنت أيها الفارس؟ قال له أنا كريب بن الصباح الحميري فقال له علي رضي الله عنه ويحك إني أحذرك الله في نفسك وأدعوك إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ فقال له كريب من أنت؟ فقال أنا علي بن أبي طالب يا كريب الله الله في نفسك فإني أراك فارسًا بطلا فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا ولا يغررك معاوية فقال ادن مني يا علي وجعل يلوح بسيفه فجعل الإمام علي رضي الله عنه بسيفه ودنا منه فتجاولا ساعة ثم اختلفا بضربتين فسبقه الإمام بالضربة فقتله وسقط كريب إلى الأرض ثم نادى هل من مبارز فخرج إليه الحارث الحميري فقتله هكذا فلم يزل يخرج إليه فارس بعد فارس حتى عروه فقتله إلى أن قتل منهم كثيرين فعظم على أهل الشام قتل عروة لأنه كان من أعظم شجعانهم ومشاهيرهم ثم حجز الليل بينهم (واتفق) في بعض الأيام وقد تقابل الجيشان أن خرج علي رضي الله تعالى عنه متنكرًا فدعا

بالمبارزة فقال معاوية لعمرو بن العاص عزمت عليك إلا ما خرجت لمبارزة هذا الفارس فخرج إليه عمــرو وهو لا يعرف أنه علي فلما رآه علي عرفه فانهــزم بين يديه ليبعده من أصحابه فتبعه عمرو وهو يقول :

يــا قــادة الـكـوفـة يـا أهـل الـفـتن أضــربـكـم ولا أرى أبـــا الحـســن

فكر عليه علي رضي الله عنه وهو يقول :

أبـو الحـسـن فــاعـلـمن والحـسـن قـد جــاك يقـتــاد العـنـان والرسـن

فعرفه عمرو فولى عنه راكضًا وهو يقول مكره أخاك لا بطل فلحقه علي رضي الله عنه فطعنه طعــنة جاءت في فصول درعه فألقتــه إلى الأرض وظن أن عليًا قاتله فرفع رجليه فبدت سوأته فصرف عــلي رضي الله عنه وجهه راجعًا إلى عسكره وهو يقول : عورة المؤمن حمى، فقام عمرو وركب فرسه وأقبل على معاوية فجعل معاوية يضحك فقال عــمرو مم تضحك والله لو تكون أنت وبدا له من صفــحتك ما بدا من صفحتي لضرب قذالك وما أقالك فقــال له معاوية لو كنت أعلم أنك ما تحمل مزاحًا ما مازحتــك فقال عمرو ما أحمــلنى للمزاح ولكن أرأريت إن لقي رجــل رجلا فصد أحدهما الآخر أتقطر السماء دمًا قال لا ولكنهــا سوأة تعقب فضيحة الأبد أما والله لو عرفته ما أقدمت عليه وفي ذلك يقول أبو الفراس :

ولا خــيــر فــي رد الـردى بمـذلـة كـمــا ردها يـومًا بســوأته عـــمـرو

ثم إن فارسًا من فرسان مــعاوية كان مشهورًا بالشجاعــة يقال له بشر بن أرطأة حدثته نفسه بالخروج إلى علي كرم الله وجهــه ومبارزته وكان له غلام شجيع يقال له لاحق فشــاوره في ذلك فقال مــا أشير علــيك إلا أن تكون واثقًا من نفــسك أنك من أقرانه ومن فرسان ميدانه فابرز له فإنه الأسد الخادر والشجاع المطرق وأنشد العبد :

فــأنت لــه بـشـر إن كـنـت مـثـلـه وإلا فــإن الـلـيـث للـضـبـع آكـل

مـتى تـلقـه فـالموت في رأس رمـحـه وفي سـيـفـه شغـل لنـفسـك شـاغل

فقـال له ويحك هل هو إلا المـوت؟ والله لابد لي من مـبارزته على كـل حال فخرج بشر بن أرطاة لمبارزة علّي كرم الله وجهه فلما رآه علي حمل عليه ودقه بالرمح فسقط إلـى الأرض على قفاه فرفع رجله فـبدت سوأته فصرف عـلي رضي الله عنه وجهه فـوثب بشر قائمًا فسـقط المغفر عن رأسه فـعرفه أصحاب عـلي رضي الله عنه فصاحوا يا أمير المؤمنين إنه لبـشر بن أرطاة لا يذهب فقال ذروه فركب جواده ورجع إلى معاوية يضحك مـنه ويقول لا عليك ولا بأس لا تستحيي فقد نزل بـعمرو مثلها فصاح فـتى من أهل الكوفة ويلـكم يا أهل الشام أما تسـتحيون من كـشف السوءات وأنشد :

أفـي كـل يوم فــارس بـعـد فــارس	لـه عـورة تحت العــجاجـة باديـه
يـكـف عــلا عـنـه عـلـي سـنـانـه	ويضـحك مـنهـا في الخـلاء مـعـاويه
فـقـولا لـعـمــرو وابن أرطـاة انظـرا	سـبـيلكـمـا لا تلقـيـا الـليث ثـانيـه
ولا تحـمـد إلا الحـيـا وخـصـاكـمـا	فـإنـهـمـا والـلّه لـلنـفـس واقـيــه
فـلولاهـمـا لم تـنجـيـا من سـنانـه	وتلـك مـا فيـهـا عن الـعـود كافـيـه
مـتى تلـقيـا الخـيل المـغيـرة صـبحـة	وفـيـها عـليّ فـاتركـا الخـيل ناحـيـه

فجعل بشر بـن أرطاة يضحك من عمرو وصار عمرو يـضحك منه وخاف أهل الشام من علي رضي الله عنه خوفًا شديدًا ولم يجـسر واحد منهم على مبارزته وصار لا يخرج إلى مبارزتهم إلا متنكرًا ثم إن مولـى من مولي عثمان رضي الله عنه يقال له الأحمر وكان شجاعًا خرج يبغي المبارزة فخرج إليه مولى لعلي رضي الله عنه يقال له كيسان فحمل كل واحد منهما على صاحبه فـسبقه الأحمر بالضربة فقتله فقال علي كرم الله وجهه قتـلني الله ان لم أقتلك به فكر علي رضي الله عنه عـلى العبد فرجع العبد عليه بالسيف فضربه فتلقاه علي رضي الله عنه في سيفه فنشب بالسيف فدنا منه علي ومد يديه إلى عنقه فقبض عليها ورفعه عن فرسه ثم جلد به الأرض فكسر ظهره وأضلاعه ثم رجع عنه (وكـان) لمعاوية عبد يقال له حريث وكـان فارسًا بطلا شجاعًا ومعاوية يحذره من التعرض لعلي بن أبي طالب فخرج علي متنكرًا بطلب المبارزة وقد عرفه عـمرو بن العاص فقـال لحريث عليك بهذا الـفارس لا يفوتك اقتلـه وتشيع به

فخرج له حريث وهــو لا يعرفه أنه علي بن أبي طالب فما كــان بأسرع من أن ضربه الإمام بالسيف علــى أم رأسه ضربة سقط منها إلى الأرض قتيــلا وتبين لمعاوية ولأهل الشام أن قاتلـه علي بن أبي طالب فشق ذلك علــى معاوية وقال لعمــرو أنت قتلت عبدي وغــررته ولم يقتله أحد غــيرك (واتفق) في أيامهــا أن خرج العباس بن ربــيعة الهاشمي من أصحاب علي رضي الله عنه وخرج إليه فارس مشهور يقال له عرار من أصحاب معاوية رضــي الله عنه فقال له يا عباس هل لك في المبــارزة فقال له عباس هل لك في المنــازلة قال نعم فنزل كــل واحد منهمــا عن فرسه وتلاقــيا وكف أهل الجيشين عنهما لينظرا ما يكون من أمرهما فتجــاولا ساعة بسيفيهما فلم يقدر أحدهما على الآخــر ثم إنهما تجــاولا ثانية فتــبين للعبــاس وهن في درع الشامي وكــان سيف العباس قاطعًا فضربــه بالسيف على وسط الدرع فقسمها نصفين فــكبر الناس وعجبوا لذلك وعطف العباس على فرسه فركبهــا وجال بين الصفين فقال معاوية لأصحابه من خرج منكم لهذا الفارس فقتله فله عندي ديتان فخرج فارسان من لخم وقال كل واحد منهما أنا له فقال اخرجا فأيكما قتله كــان له عندى ما قلت وللآخر مثل نصفه فخرجا معا ووقفا فى مــقر المبارزة ثم صاحا يا عباس هل لك في المبــارزة فابرز لأينا اخترت فقال أستأذن أميــري ثم أرجع إليكما فجاء إلى علي رضي الله عنه فــاستأذنه فقال له علي رضي الله عنه أنا لهما ادن مني يا عباس وهات لبسك وفرسك وجميع ما عليك وخذ لبسي وفرسي ثم إن عليًا رضي الله عنه خرج إليهما فجال بين الصفين وكل من رآه يظنه العــباس فقال له اللخــميان استأذنت أمــيرك فتحرر علــي رضي الله عنه من الكذب وقال : ﴿أُذِنَ لِلَّذِيـنَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ الـلَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيـرٌ﴾[1].

فتقدم إليه أحدهما فاختلفا بضربتين وسبقه أمير المؤمنين بضربة فجاءت على مراق بطنه فقطعته نصفين فتقدم إليه الآخر فما كان بأسرع من أن ألحقه بالآخر وجال بين الصفين جولة ورجع إلى مكانه فتبين لمعاوية ولأهــل الشام أنه علي رضي الله عنه ولكنه تنكر فقال معاوية قبح الله اللجاج إنه لقعود ما ركبه أحد إلا خذل قال فقال عمرو المخذول والله اللخميان (ومما وقع) في أيامها ليلة الهرير قال بعضهم

---

(١) سورة الحج ٣٩

شبهت بليلة القادسية التي كلما أردى علي رضي اللّه عنه قتيلا أعلن عليه بالتكبير فأحصيت تكبيراته تلك الليلة خمسائة تكبيرة وثلاثًا وعشرين تكبيرة بخمسمائة قتيل وثلاثة وعشرين قتيلا وكان الناس يتلاطمون في هذه الليلة تلاطم الأمواج ويتصادمون تصادم الفحول عند الهياج. ولما أسفر صبح هذه الليلة عن ضيائه وحسر الليل عن ظلمائه كانت عدة القتلى من الفريقين ستة وثلاثين ألفًا وكانت هذه الليلة ليلة الجمعة وأصبح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والمعركة كلها خلف ظهره وهو في قلب عسكره والأشتر في الميمنة وابن عباس في الميسرة والناس يقتلون من كل جانب ولوائح النصر لائحة لأمير المومنين علي رضي اللّه عنه والأشتر بالميمنة يقاتل ويقول لأصحابه ارجعوا قيد رمح ويزحف بهم ويقول قيد هذا القوس وكلما فعلوا يزحف بهم نحو أهل الشام ولما رأى علي رضي اللّه عنه الظفر من ناحية الأشتر أمده بالرجال فلما رأى عمرو بن العاص وهن أهل الشام وتخيل منهم الهزيمة والفرار قال لمعاوية هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعًا ولا يزيدهم إلا فرقة؟ قال نعم قال نرفع المصاحف على رءوس الرماح ثم نقول لهم ندعوكم إلى كتاب اللّه وهذا حكم بيننا فإن أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول ينبغي أن نقبل كتاب اللّه تعالى فتكون فرقة وإن قبلوا أخرنا القتال عنا إلى أجل فرفعوا المصاحف فوق الرماح وقالوا هذا كتاب اللّه يحكم بيننا وبينكم فلما رآها الناس قالوا نجيب إلى كتاب اللّه تعالى فقال علي رضي اللّه عنه عباد اللّه امضوا على حقكم وصدقكم في قتال عدوّكم فإن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي سرح والضحاك أنا أعرف بهم منكم ليسوا بأصحاب قرآن وقد صحبتهم أطفالا ورجالا ويلكم واللّه ما رفعوها إلا مكيدة وخديعة وقد وهنوا فقال أصحاب علي رضي اللّه عنه القراء منهم لا يسعنا أن ندعى إلى كتاب اللّه عز وجل ونأبى أن نقبله فقال لهم علي رضي اللّه عنه إني إنما أقاتلهم ليدينوا لحكم الكتاب فقال له مسعود بن فدك التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد يا علي أجب إلى كتاب اللّه إذا دعيت إليه وإلا دفعناك برمتك إلى القوم وكان الأشتر في الميمنة وعليٌّ بالوسط وابن عباس بالميسرة كما علمت فكف علي وابن عباس عن القتال ولم يكف الأشتر وذلك لما رأى

من علامات النصر والظفر فقالوا ابعث إلى الأشتر فيأتيك ويكف عن القتال فبعث إليه علي رضي الله عنه يزيد بن هانئ يستدعيه فقال الأشتر قل لأمير المؤمنين ليست هذه الساعة بالساعة التي ينبغى أن يزيلني بها عن مكاني فإني وجدت ريح الظفر فأتى عليًا رضي الله عنه فأخبره بمقالة الأشتر فرده إليه ثانيًا وهو يقول لـه أقبل إليّ فإن الفتنة تريد أن تقع فجاء الأشتر وقال والله لقد ظننت أنها سترجع اختلافًا وفرقة وإنها لمشورة عمرو بن العاص فأقبل الأشتر على القوم من أصحابة وقال يا أهل العراق يا أهل الذل والوهن أحين علوتم القوم وعرفوا أنكم قاهرون لهم رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها ويلكم أمهلوني فواقًا فإن الفتح قد حصل والنصر قد أقبل قالوا لا يكون ذلك أبدًا قال أمهلوني عدو الفرس قالوا إذا تدخل معه في خطته قال خبروني عنكم متى كنتم محقين أحين تقاتلون وخياركم يقتلون أم الآن حين أمسكتم عن القتال فقالوا دعنا عنك يا أشتر قاتلناهم لله وندع قتالهم لله قال خدعتم فانخدعتم وعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم يا أصحاب الجباه السود كنا نظن صلاتكم زهادة في الدنيا وشوقًا إلى الله تعالى فلا أرى مرادكم إلا الدنيا يا أشباه البقر الجلالة ما أنتم برائين بعدها عزًا أبدًا فابعدوا كما بعد القوم الظالمون فسبوه وسبهم وضربوا وجه دابته فصاح به وبهم علي رضي الله عنه (فاتفق) الناس على أن يجعلوا القرآن حكمًا ورضوا بذلك فقام الأشعث بن قيس إلى علي رضي الله عنه فقال أرى الناس قد رضوا بما دعوا إليه من حكم القرآن بينهم فإن شئت أتيت معاوية فسألته ما يريد قال ائته فأتاه فقال يا معاوية لأي شيء رفعتم المصاحف قال لنرجع نحن وأنتم إلى ما أمر الله تعالى في كتابه تبعثون رجلا ترضونه ونبعث رجلا نرضاه ونأخذ عليهما أن يعملا بما في كتاب الله تعالى لا يتعديانه ثم نتبع ما اتفقا عليه فقال الأشعث هذا الحق وعاد إلى علي رضي الله عنه وأخبره بما قال معاوية فقال الناس قد رضينا ذلك وقبلناه فقال أهل الشام نرضى عَمرًا وقال الأشعث وأولئك القوم الذين صاروا خوارج فيما بعد نرضى بأبي موسى الأشعري فقال لهم علي كرم الله وجهه قد عصيتموني أوّل الأمر فلا تعصوني الآن لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه يضعف عن عمرو

ومكايده فقال الأشعث ومن معه لا نرضى إلا به فإنه حذرنا مما وقعنا فيه فلم نسمع وكان أبو موسى ممن اعتزل القتال فقال علي إن أبا موسى لا يكمل في هذا الأمر ولكن هذا ابن عباس دعوني أوله ذلك فإنه أدرى منه بهذا الأمر فقالوا والله لا نريد إلا رجلا هو منك ومن معاوية سواء فقال دعوني أجعل الأشتر قالوا وهل سعر الأرض نارًا إلا الأشتر فقال قد أبيتم إلا أبا موسى؟ قالوا نعم قال اصنعوا ما أردتم فبعثوا إلى أبي موسى وجاءوا به وكان معتزل القتال عن الفئتين كما تقدم وحضر عمرو بن العاص رضي الله عنه عند علي رضي الله عنه ليكتب القصة بحضوره فكتب الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما تقاضيا عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعاوية بن أبي سفيان ومن معهما فقال عمرو بن العاص هو أميركم وأما أميرنا فلا أمح اسم الإمرة فقال الأحنف بن قيس يا أمير المؤمنين لا تمحها ولو قتل الناس بعضهم بعضًا فإني أتخوف إلا ترجع إليك أبدًا فأبى علي ذلك مليًا من النهار وإن الأشعث بن قيس كلمه في ذلك فمحاه وقال علي رضي الله عنه الله أكبر سنة لسنة والله إني لكاتب رسول الله ﷺ يوم الحديبية وكتبت محمدًا رسول الله فقالوا لست برسول الله ولكن اكتب اسمك واسم أبيك فأمرني رسول الله ﷺ بمحوه فقلت لا أستطيع فقال أرنيه فأريته اياه فمحاه فقال إنك ستدعى لمثلها فتجيب فقال عمرو سبحان الله أنشبه بالكفار ونحن مؤمنون؟ فقال اكتبوا فكتبوا هذا ما تقاضيا عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان قاضى علي على أهل الكوفة ومن معهم وقاضى معاوية على أهل الشام ومن معهم أنا ننزل عند حكم الله تعالى وكتابه وألا يكون بيننا غيره وأن كتاب الله تعالى بيننا من فاتحته إلى خاتمته نحيي ما أحيا ونميت ما أمات فما وجد الحكمان في كتاب الله تعالى وهما أبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عملا به وما لم يجدا في كتاب الله تعالى فالسنة العادلة الجامعة غير المفرقة وأخذ الحكمان من علي ومعاوية عهودًا ومواثيق ومن جنديهما أنهما آمنان على أنفسهما وأهلهما والأمة لهما أنصار على ما تقاضيا عليه وعلى أبي موسى عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص عهد الله وميثاقه أن يحكما بين هذه الأمة بحكم القرآن ولا يرداها ولا فرقة حتى يتقاضيا وأجلا القضاء إلى رمضان

وإن أحبا أن يؤخرا وإن أحبا، ذلك أخراه وأن يقضيا مكان قضيتهما مكان عدل بين الناس من أهل الكوفة وأهل الشام وكتب في الصحيفة الأشعث بن قيس وعدي بن حجر وسعد بن قيس الهمداني وورقاء بن شمس وعبد الله بن عكل العجلي وحجر بن عدي الكندي وعقبة بن زياد الحضرمي ويزيد بن حجرة التميمي ومالك بن كعب الهمداني هؤلاء كلهم من أصحاب علي رضي الله عنه وكتب من أصحاب معاوية أبو الأعور السلمى وحبيب بن سلمة ورميل بن عمرو العدوي وحمزة بن مالك الهمداني وعبد الرحمن بن خالد المخزومي وسبيع بن يزيد الأنصاري وعتبه بن أبي سفيان ويزيد ابن الحر العبسي وخرج الأشعث بن قيس فقرأه على الناس وكتابته كانت يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع وثلاثين واتفقوا على أن يكون اجتماع الحكمين بدومة الجندل وهو موضع كثير النخل والزرع وبه حصن اسمه مارد. وكانت عدة من قتل من أصحاب عليّ رضي الله عنه خمسة وعشرين ألفًا منهم عمار بن ياسر وخمسة وعشرين من البدريين وكانت عدة عسكره تسعين ألفًا وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفًا وكانت عدتهم مائة ألف وعشرين وأقاما بصفين مائة يوم وعشرة أيام وكان بينهم سبعون وقعة وقيل تسعون ذكر ذلك كله صاحب الفصول المهمة وغيره. وفي عقائد الشيخ أبي إسحق الفيروزابادي أن عمرو بن العاص كان وزير معاوية فلما قتل عمار بن ياسر أمسك عن القتال وتابعه على ذلك خلق كثير فقال له معاوية لم لا تقاتل؟ قال قتلنا هذا الرجل وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول تقتله الفئة الباغية فدل على أنا نحن بغاة قال له معاوية اسكت فوالله لا تزال تدحض في بولك أنحن قتلناه إنما قتله علي وأصحابه جاءوا به حتى ألقوه بيننا، وفي رواية قال قتله من أرسله إلينا يقاتلنا وإنما دفعنا عن أنفسنا فقتل فبلغ ذلك عليا فقال إن قتلته من أرسله إلينا يقاتلنا وإنما دفعنا عن أنفسنا فقتل فبلغ ذلك عليا فقال إن كنت قتلته أنا فالنبى ﷺ قتل حمزة حين أرسله إلى قتال الكفار (وقتل) مع علي رضي الله عنه خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين وأويس القربي زاهد التابعين (ولما رجع) علي رضي الله عنه ودخل الكوفة خالفت الحرورية وخرجت وأنكرت التحكيم وقالت لا

حكم إلا لله ولا طاعة لمن عصى الله وكان ذلك أول ما ظهر من أمرهم ورجعوا على غير الطريق الذي كانوا عليه وأتوا حروراء فنزلوا بها وبذلك سموا بها وكانوا اثني عشر ألفًا. وفي الفصول المهمة ونادى مناديهم إن أمير القتال شبيب بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن الكواء اليشكري والأمر شورى بعد الفتح والبيعة لله عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وزعموا أن عليًا رضي الله عنه كان إمامًا إلى أن حكم الحكمين فشك في دينه وحار في أمره وأنه الحيران الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله تعالى: ﴿حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾[1]. وأنهم أصحابه الداعون له إلى الهدى ولكن كذبوا فيما زعموا قاتلهم الله تعالى وإنما ضرب الله تعالى بالآية المذكورة مثلا لغيره كما هو معلوم في كتب التفسير وليس علي رضي الله عنه بحيران بل به يهتدي الحيارى (ولما) سمع علي رضي الله عنه هو وأصحابه بذلك بعث إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقال لا تعجل إلى جوابهم وخصومتهم حتى آتيك فإني في أثرك فلما أتاهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أكرموه ورحبوا به وقالوا له ما جاء يا ابن عباس قال قد جئتكم من عند صهر رسول الله ﷺ وابن عمه وأعلمنا بربه وسنة نبيه ﷺ فقالوا يا ابن عباس إنا أذنبنا ذنبًا عظيمًا حين حكمنا الرجال في دين الله تعالى وإن تاب كما تبنا ونهض لمجاهدة عدوّنا رجعنا إليه فلم يصبر ابن عباس عن مجاوبتهم وقال أنشدكم الله إلا ما صدقتم أما قال الله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾[2] في أمر المرأة وزوجها قالوا اللهم نعم قال فكيف بأمة محمد ﷺ؟ فقالت الخوارج أما ما جعل الله تعالى حكمه إلى الناس وأمرهم بالنظر فيه فهو إليهم وأما ما حكم به وأمضاه فليس للعباد أن ينظروا في هذا قال ابن عباس رضي الله عنهما وقال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم هديًا بالغ الكعبة في أرنب تساوي ربع درهم تصاد في الحرم فقالوا يجعل الحكم في الصيد وشقاق الرجل وزوجته كالحكم في دماء المسلمين ثم قالوا له أعدل عندك عمرو بن العاص وهو بالأمس يقاتلنا وإن كان عدلا فلسنا بعدول وقد حكمتم في أمر الله الرجال وقد أمضى الله تعالى حكمه في معاوية

(1) سورة الأنعام ٧١.

(2) سورة النساء ٣٥.

وأصحابة أن يقتلوا أو يرجعوا وقد كتبتم كتابًا وجعلتم بينكم الموادعة وقد قطع اللّه الموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت براءة إلا من أقر بالجزية ثم خرج علي رضي اللّه عنه في أثر عبد اللّه بن عباس رضي اللّه عنهما فانتهى إليهم وهم يخاصمونه فقال له علي رضي اللّه عنه ألم أنهك عن كلامهم ثم قال لهم علي رضي اللّه عنه من زعيمكم قالوا عبد اللّه بن الكواء فقال عليّ به فلما حضر قال له علي رضي اللّه عنه أنشدكم اللّه تعالى ألم أقل لكم حين رفع المصاحف أنا أعلم بالقوم منكم إنهم استحر بهم القتل وإنما رفعوها خديعة ومكيدة لكم ليفتنوكم ويثبطوكم عنهم ويقطعوا الحرب ويتربصوا بكم الدوائر وذكرهم جميع ما قاله لهم في ذلك اليوم فلم تسمعوا مني واشترطت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن وأن يميتا ما أماته فإن حكموا بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف وإن أبيا فنحن من حكمهما برآء، فقالوا فأخبرنا عن عمرو بن العاص أتراه عدلا حتى تحكمه في الدماء؟ قال إنما حكمت القرآن وهذا القرآن إنما هو خط مسطور بين دفتين لا ينطق وإنما يتكلم به الرجال قالوا فأخبرنا عن الأجل لم جعلته بينكم؟ قال ليعلم الجاهل ويثبت العالم ولعل اللّه عز وجل أن يصلح الأمة في مدة هذه الهدنة ويلهمها ويرشدها قالوا فأخبرنا عن يوم كتبت الصحيفة إذ كتب الكاتب هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فأبى عمرو أن يقبل منك أنك أمير المؤمنين فمحوت اسمك من إمرة المؤمنين وقلت للكاتب اكتب ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فإن لم تكن أنت أمير المؤمنين ونحن المؤمنين فلست بأميرنا فقال علي رضي اللّه عنه يا هؤلاء أنا كنت كاتب رسول اللّه ﷺ يوم الحديبية فقال النبي ﷺ اكتب هذا ما اصطلح عليه محمد رسول اللّه ﷺ وسهيل بن عمرو فقال سهيل لو علمنا أنك رسول اللّه ما صددناك ولا قاتلناك فأمرني رسول اللّه ﷺ فمحوت اسمه من الكتاب وكتب هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد اللّه وإنما محوت اسمي من إمرة المؤمنين كما محا رسول اللّه ﷺ اسمه من الرسالة وكان لي به أسوة فهل عندكم شيء غير هذا تحتجون به عليّ؟ فسكتوا فقال لهم علي رضي اللّه عنه قوموا فادخلوا

مصركم يرحمكم الله فقالوا نـدخل ولكن نريد أن نمكث مدة الأجل الذي بينك وبين القوم هنـا ليحيا المال ويـسمن الكراع ثم ندخـل فانصرف عنهم رضـي الله عنه وهم كاذبون فيما زعموا قاتلهـم الله تعالى (ولما جاء) وقت الحكمين أرسل علي رضي الله عنه مع أبي موسى الأشعـري أربعمائة راكب وعليهم شريح بن هـانئ الحارثي ومعهم عبد الله بن عبـاس رضي الله عنهما يصلي بهم وأرسل معاويـة مع عمرو بن العاص أربعمائة رجل من أهل الشـام وتوافقوا بدومة الجندل وحضر معهـم عبد الله بن عمر وعبد الرحمـن بن أبي بكر الصديق وعبد الرحـمن بن الزبير وعبد الرحـمن بن عبد يغوث الزهـري وأبو الجهم بن حذيفـة العدوي والمغيرة بـن شعبة وكان سـعد بن أبي وقاص على ماء لبني سليم بالبادية فأتاه ابـنه عمر فقال له إن أبا مـوسى وعمرو بن العاص قد حضرا للحـكومة وقد شهدهم نفر من قريش فاحضـر معهم فإنك صاحب رسول الله ﷺ وأحد الستة الذين كانت الشورى بينهم ولم تدخل في أمر تكرهه هذه الأمة وأنت أحق الـناس بالخلافة فلـم يفعل، وقيل بـل حضر ثم ندم علـى حضوره فأحرم بـعمرة من بيت المقـدس وتوجه إلى مكة محـرمًا وكان عمرو بن العـاص بعد تحكيم علي ومعاوية له ولأبي موسى يقـدم أبا موسى في كل شيء ويظهر له الاحترام والإعظام ويقول له لا أتقدم عليك في أمر من الأمور ولا في شيء من الأشياء لا في كلام ولا في غيـره لأنك أسن مني وأنت صاحب رسول الله ﷺ وقد دعـا لك فقال اللهم اغفر لعبـد الله بن قيس ذنبه وأدخله يوم القيامة مدخلا كـريمًا حتى استقر ذلك في نفس أبي موسى وسكن في خاطره وظن أنه يقدمه على نفسه تعظيمًا وتكريمًا وإنما هو دهاء وخديـعة منه له، ولما اجتـمعا للحكومـة وتفاوضا في الكلام كـان من كلام عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري ألم تعلم أن عثمان قتل مظلومًا قال أشهد قال تعلم أن معاوية وآل معاوية أولياؤه قال أعلم قال فما يمنعك من توليته وبيته في قريش كما علمت وأن خفت أن يـقول الناس ليس له سابقة فقد وجدته ولي عـثمان الخليفة المقتول ظلمًا وهو المطالب بدمه مع ماله من حسن السياسة والتدبير وهو أخو أم حبيبة زوج النبي ﷺ وكـاتب وحي رسول الـله ﷺ وعرض له بسلـطان فقال أبـو موسى

الأشعري يا عمرو اتق الله أما ذكرت من شرف معاوية فالشرف لأهل الدين والفضل مع أني لو كنت معطيه أفضل قريش شرفًا لأعطيته علي بن أبي طالب وأما قولك إن معاوية ولي دم عثمان فوله هذا الأمر فلم أكن أوليه وأدع المهاجرين الأولين وأما تعريضك لي بالسلطان فوالله لو خرج معاوية عن سلطانه ما وليته فقال له عمرو فما تقول في ابني عبد الله وأنت تعلم فضله وصلاحه فقال قد غمست ابنك في هذه الفتنه لا يكون ذلك فقال عمرو إن هذا الأمر لا يصلح إلا رجل يأكل ويطعم فسمع ابن الزبير كلامه فقال يا أبا موسى تفطن وتنبه لكلام عمرو وقال يا ابن العاص إن العرب أسندت أمرها إليك بعد ما تنازعوا بالسيوف وأشرفوا على الحتوف فلا تردنهم في فتنة واتق الله ولما راود عمرو بن العاص أبا موسى على معاوية وعلى ابنه عبد الله فأبى أبو موسى راوده على توليته عبد الله بن عمر فأبى عمرو ثم قال هات رأيا غير هذا فقال أبو موسى أرى أن تخلع هذين الرجلين يعني عليًا ومعاوية ونجعل الأمر شورى بينهم فيختار المسلمون لأنفسهم من أحبوا فقال الرأي ما رأيت فأقبلا على الناس بوجوههم وهم مجتمعون ينظرون ما يتفقان عليه فقال عمرو تكلم يا أبا موسى وأخبرهم أن رأينا اتفق فقال أبو موسى أيها الناس إن رأينا قد اتفق على أمر نرجو أن يصلح الله تعالى به أمر هذه الأمة ويلم شعثها ويجمع كلمتها فقال عمرو صدق أبو موسى وبر فيما قال تقدم يا أبا موسى فتكلم فقام إليه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وقال له يا أبا موسى إن كنت وافقته على أمر فقدمه يتكلم به قبلك فإني أخشى من خديعته لك وإني لا آمن أن يكون قد أعطاك الرضا فما بينك وبينه فإذا قمت في الناس خالفك فقال أبو موسى قد توافقنا وتراضينا وما ثم مخالفة أبدا وكان أبو موسى سليم القلب فتقدم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس إنا قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أسلم لأمرها ولا ألم لشملها من أمر قد اجتمع عليه رأيي ورأي عمرو وهو أن نخلع عليًا ومعاوية ويستقبل الناس هذا الأمر بأنفسهم فيولوا عليه من أحبوا واختاروا وإني قد خلعت عليًا ومعاوية فاستقبلوا أمركم فولوا عليكم من رأيتموه أهلا لذلك ثم تنحى وأقبل عمرو بن العاص فقام مقامه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها

الناس إن أبا موسى قد خلع صاحبه وقد قال ما سمعتم وأنا أيضًا قد خلعت صاحبه وأبقيت صاحبي معاوية على الخلافة فإنه ولي عثمان بن عفان رضي الله عنه والمطالب بدمه وأحق الناس بمقامه ثم تنحى فقال له أبو موسى ما لك لا وفقك الله غدرت وفجرت وإنما مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فقال عمرو لأبي موسى وأنت إنما مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً قال سعد لأبي موسى ما أضعفك يا أبا موسى عن عمرو ومكايده فقال أبو موسى ما أصنع وافقني على أمر وغدر وقال ابن عباس لا ذنب لك يا أبا موسى وإنما الذنب لمن قدمك وأقامك في هذا المقام وقال عبد الرحمن بن أبي بكر لو غاب الأشعري قبل هذا اليوم لكان خيراً له وحمل شريح بن هانئ على عمرو فضربه بالسوط وحمل ابن عمرو على شريح فضربه بعصا وحجز الناس بينهم وكان شريح يقول بعد ذلك ما ندمت على شيء ندامتي إلا من أن أكون ضربت عمراً بالسيف عوضًا عن السوط والتمس الناس أبا موسى رضي الله عنه فوجدوه قد ركب راحلته وهرب إلى مكة وكان أبو موسى يقول حذرني ابن عباس غدر عمرو ولكني اطمأننت إليه لما يظهر لي وانصرف عمرو بن العاص وأهل الشام إلى معاوية وسلموا عليه بالخلافة. قيل إن معاوية قام في الناس فقال أما بعد فمن كان متكلمًا في هذا الأمر بعد ذلك فليطلع لنا قرنه وخرج شريح ابن هانئ مع ابن عباس إلى علي رضي الله عنه فأخبراه الخبر فقام في أهل الكوفة فخطبهم فقال : الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح والحدثان الجليل وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ﷺ أما بعد فإن المعصية تورث الحسرة وتعقب الندامة وكنت أمرتكم في هذين الرجلين وفي هذه الحكومة أمري فأبيتم ونحلتكم رأيي فما لويتم فكنت وأنتم كما قال أخو هوازن :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

أما إن هذين الرجلين اللذين اخترتموهما حكمين فقد نبذا حكم القرآن وراء ظهريهما وأحييا ما أمات القرآن واتبع كل واحد منهما هواه بغير هدى من الله فحكما

بغير حـجة بينة ولا سنة مضيئـة واختلفا في حكمهـما وكلامهما لم يرشـدا استعدوا وتأهبوا لـلمسير إلى الـشام وأصبحـوا في معسكركم يـوم الاثنين ثم نزل وكتب إلى الخوارج بالنهروان بسم الله الرحمن الرحيـم من علي أمير المؤمنين إلى زيد بن حصين وعبد الـله بن وهب وعبد الله بـن الكواء ومن معهـم من الناس أما بعـد فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيا حكمين قد خالفا كـتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله ولم يعمـلا بالسنة ولم ينفذا حكـم القرآن فإذا وصلكم كـتابي هذا فأقبلوا إلـينا فإنا سائرون إلى عدونا وعـدوكم ونحن على الأمر الأول الذي كنا عليه، فكتـبوا إليه أما بعد فإنك لم تغضب لـله تعالى وإنما غضبت لنفسك فإن شهدت عـلى نفسك بالكفر واستقبلت التوبة نظرنا فيما بـيننا وبينك وإلا فقد نابذناك على سواء إن الله لا يحب الخائنين، فلما قـرأ كتابهم أيس منهم ورأى أن يدعهم ويمضـي بالناس إلى أهل الشام فيناجزهم فـقام في أهل الكوفة فحمـد الله وأثنى عليه ثم قال أما بـعد فإنه من ترك الجهاد في الله وداهن في أمره كـان على شفا هلكة إلا أن يتداركه الله بنعـمته فاتقوا الله وقاتلوا من حـاد الله وحاول أن يطفئ نوره وقاتلـوا الخائنين الضالين فبـينما علي رضي الله عنه معهم في الكلام أتاه الخبـر أن الخوراج خرجوا على الناس وأنهم قتلوا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ وبقروا بطن امرأته وهي حامل وقتلوا ثلاث نسوة مـن طيئ وقتلوا أم سنان فلما بلغ علـي رضي الله عنه ذلك بعث إليهم الحرث بن مرة العبدي ليأتيهم وينظر صحـة الخبر فيما بلغه عنهم ويكتب به إليه ولا يكتمه شيئًا من أمرهم فلما دنا منهم وسألهم قتلوه وأتى عليا رضي الله عنه الخبر بذلك وهو بمعسكره فـقال الناس يا أمير المؤمنين علام ندع هؤلاء وراءنـا يخلفوننا في أموالنا وعيالنا سـر بنا إليهم فإذا فرغنا منهم سرنا إلى أعـدائنا من أهل الشام وجاءهم منجم يقال له مسافر بن عدي الأزدي فـقال يا أمير المؤمنين إذا أردت المسير إلى هؤلاء القوم فسر إليهم فـي الساعة الفلانية فإنك إن سرت في غيرهـا لقيت أنت وأصحابك ضررًا شديدًا ومشقة عظيمة فخالف علي رضي الله عنه قوله ولما قرب علي رضي الله عنه منهـم بحيث يرونه ويراهم نـزل وأرسل إليهم أن ادفعوا إلـينا قتلة إخوانـنا منكم نقتلهم بهم وأتارككم وأكف عـنكم حتى ألقى أهل الشام فلعل الله أن يأخذ بقلوبكم

ويردكم إلى خير مما أنتم عليه من أموركم فقالوا كلنا قتلناهم وكلنا مستحلون لدمائكم وأموالكم ودمائهم، فخرج إليهم قيس بن عبادة رضي الله عنه فقال لهم عباد الله أخرجوا إلينا قتلة إخواننا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه وعودوا إلى قتال عدونا وعدوكم فإنكم قد ركبتم عظيماً من الأمر تشهدون علينا بالشرك وتسفكون دماء المسلمين، فقال عبد الرحمن بن صخر السلمي إن الحق قد أضاء لنا فلسنا بتابعيكم، ثم إن علياً رضي الله عنه خرج إليه بنفسه فقال لهم أيتها العصابة التي أخرجها عداوة المراء والحجاج وصدها عن الحق اتباع الهوى واللجاج إن أنفسكم الأمارة سولت لكم فراقي لهذه الحكومة التي أنتم ابتدأتموها وسألتموها وأنا لها كاره وأنبأتكم أن القوم إنما فعلوها مكيدة فأبيتم على إباء المخالفين وعندتم على عناد العاصين حتى صرفت رأيي إلى رأيكم وإن معاشركم والله صغار الهام سفهاء الأحلام وأجمع رأي رؤسائكم وكبرائكم أن اختاروا رجلين وأخذنا عليهما أن يحكما بالقرآن ولا يتعديانه فتاها وتركا الحق وهما يبصرانه فبينوا لنا بم تستحلون دماءنا والخروج عن جماعتنا ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم إن هذا لهو الخسران المبين فتنادوا لا تخاطبوهم ولا تكلموهم وتهيئوا للقتال الرواح الرواح إلى الجنة فرجع علي رضي الله عنه إلى أصحابه فهيأهم للقتال فجعل ميمنته حجر بن عدي وميسرته شبيب بن ربعي وقيل معقل بن قيس الرياحي وعلى الخيل أبا أيوب الأنصاري وعلى الرجالة أبا قتادة الأنصاري وفي مقدمتهم قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهم وأعطى علي رضي الله عنه لأبي أيوب الأنصاري راية أمان فناداهم أبو أيوب رضي الله عنه فقال من جاء إلى هذه الراية فهو آمن ممن لم يكن قتل ولا تعرض لأحد من المسلمين بسوء ومن انصرف منكم إلى الكوفة فهو آمن ومن انصرف إلى المدائن فهو آمن لا حاجة لنا بعد أن نصيب قتلة إخواننا في سفك دمائكم فانصرف فورة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة فارس وخرج طائفة أخرى منصرفين إلى الكوفة وطائفة أخرى إلى المدائن وتفرق أكثرهم بعد أن كانوا اثني عشر ألفاً فلم يبق منهم غير أربعة آلاف جعلوا على ميمنتهم زيد بن قيس الطائي وعلي وعلى الميسرة شريح بن أوفى العبسي وعلى خيلهم

حمزة بن سنان الأسدي وعلى رجالتهم حرقوص بن زهير السعدي وقال علي رضي الله عنه لأصحابه كفوا حتى يبدءوكم فتنادوا الرواح الرواح إلى الجنة وحملوا على الناس فانفرقت خيل علي رضي الله عنه فرقتين حتى صاروا في وسطهم وعطفوا عليهم من الميمنة إلى الميسرة واستقبلت الرماة وجوههم بالنبل وعطف عليهم الرجالة بالسيوف والرماح فما كان بأسرع من أن قتلوهم عن آخرهم وكانوا أربعة آلاف ولم يفلت منهم إلا تسعة رجال لا غير رجلان هربا إلى خراسان وبها نسلهما إلى الآن ورجلان سارا إلى حران وبها نسلهما ورجلان سارا إلى اليمن وبها نسلهما وهم الذين يقال لهم الأباضية أصحاب عبد الله بن أباض ورجلان سارا إلى الجزيرة ورجلان سارا إلى تل مؤذن، وغنم جماعة علي رضي الله عنهم منهم غنائم كثيرة وقتل من جماعتة رجلان ولم يسلم من الخوارج المارقين غير هذه التسعة وهذه كرامة من أمير المؤمنين علي رضي الله عنه فإنه قال قبل ذلك نقتلهم ولا يقتل منا عشرة ولا يسلم منهم عشرة.

(تنبيه) الخوارج هؤلاء الذين خرجوا على علي رضي الله عنه لما حكم الحكمين وقالوا لا حكم إلا لله هم الذين قال فيهم النبي ﷺ «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» كما جاء في حديث البخاري ومنهم عبد الله بن ذي الخويصرة التيمي الذي جاء إلى النبيﷺ وهو يقسم الصدقات فقال اعدل يا رسول الله فقال ﷺ ويلك ومن يعدل إن لم أعدل فقال عمر رضي الله عنه فأذن لي يا رسول الله في أن أضرب عنقه فقال له ﷺ دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية وفيهم نزل ومنهم من يلزمك في الصدقات ويقال لهم الحرورية بحاء مهملة وراء مكررة بينهما واو ثم ياء نسبة إلى حروراء أرض نزلوا بها لما خرجوا على علي رضي الله عنه ا هـ من الفصول المهمة. وفي كلام بعض المؤرخين أن عليًا همّ بقتال معاوية فلم يتمكن علي كرم الله وجهه من المسير إلى الشام لقتال معاوية ثانيًا لما دهمه من ابن ملجم لعنه الله.

(تتمة : في ذكر أولاده ومقتله وقاتله وما يتصل بذلك) اعلم أن الناس قد اختلفوا في عدد أولاده ذكورًا وإناثًا فمنهم من أكثر ومنهم من أقل، ففي كتاب الأنوار لأبي القاسم إسماعيل أن أولاده اثنان وثلاثون ستة عشر ذكرًا وست عشرة أنثى وقال اليعمري تسعة وعشرون اثنا عشر ذكرًا وسبع عشرة أنثى وقال المحب الطبري كان له من الولد أربعة عشر ذكرًا وثماني عشرة أنثى وفي الصفوة أربعة عشر ذكرًا وتسع عشرة أنثى وفي بغية الطالب أولاده رضي الله عنهم خمسة عشر ذكرًا وثماني عشرة أنثى بالاتفاق. واختلف في الذكور إلى عشرين والإناث إلى اثنتين وعشرين أما الذكور فالحسن والحسين ومحسن وفي كلام غيره مات صغيرًا أمهم فاطمة البتول بنت رسول الله ﷺ سميت البتول لانقطاعها عن النساء فضلا ودينًا وحسبًا وقيل لانقطاعها عن الدنيا يقال امرأة بتول منقطعة عن الرجال وبه سميت أم عيسى ومحمد الأكبر أمه من سبي بني حنيفة واسمها خولة بنت جعفر بن قيس الحنفية وعبد الله قتله المختار ابن أبي عبيد وأبو بكر قتل مع الحسين أمهما ليلى بنت مسعود النهشلي وتزوجها عبد الله بن جعفر بعد عمه فجمع بين زوجة علي وابنته والعباس الأكبر ويلقب بالسقاء وعثمان وجعفر وعبد الله قتلوا مع الحسين أمهم أم البنين بنت حزام الوحيدية ثم الكلابية ومحمد الأصغر قتل مع الحسين أمه أم ولد ويحيى وعون أمهما أسماء بنت عميس وعمر الأكبر أمه أم حبيب الصهباء التغلبية من سبي الردة ومحمد الأوسط أمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع العبشمية وهي التي حملها ﷺ في صلاة الظهر وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ وأما البنات فأم كلثوم الكبرى ولدت قبل وفاة رسول الله ﷺ وتزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولدت زيدًا الأكبر ورقية وتوفيت هي وابنها زيد في وقت واحد وصلى عليهما ابن عمر وكان فيهما سنتان فيما ذكروا لم يرث واحد منهما من صاحبه لأنه لا يعرف أولهما موتا وقدم زيد قبل أمه مما يلي الأيمن في الصلاة وزينب الكبرى شقيقة الحسن والحسين ورقية شقيقة عمر الأكبر وأم الحسن ورملة الكبرى أمهما أم سعد بنت عروة بن مسعود الثقفي وأم هانئ وميمونة ورملة الصغرى وزينب الصغرى وأم كلثوم الصغرى وفاطمة وأمامة وخديجة وأم الخير وأم سلمة وأم جعفر وجمانة وتقية لأمهات شتى والعقب من ولده رضي الله

عنه من الحسن والحسين ومحمد الأكبر وعمر والعباس السقاء ا هـ وفي حاشية البجيرمي على المنهج في باب الوصايا نقلا عن البرماوي ما نصه جملة أولاد علي بن أبي طالب من الذكور أحد وعشرون والذي أعقب منهم خمسة الحسن والحسين ابنا فاطمة والعباس بن الكلابية ومحمد بن الحنفية نسبة إلى بني حنيفة وعمر بن التغلبية نسبة لقبيلة يقال لها تغلب ومن الإناث ثماني عشرة والتي أعقبت منهن واحدة فقط زينب أخت السبطين من فاطمة ا هـ.

(تذييل : في الكلام على مناقب محمد بن الحنفية) في طبقات الشعراني كان يقول رضي اللّه عنه : من كرمت عليه نفسه لم يكن للدنيا عنده قدر، وكان يقول : ليس بحكيم من لا يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدًا حتى يجعل اللّه له مخرجًا. ولما كتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف ليحملن إليه مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر أو يؤدي إليه الجزية كتب عبد الملك إلى الحجاج أن اكتب إلى محمد بن الحنفية تتهدده وتوعده ثم أعلمني بما يرد عليك فكتب إليه فأرسل محمد بن الحنفية كتابه إلى الحجاج يقول إن للّه عز وجل ثلثمائة وتسعين نظرة إلى خلقه وأنا أرجو أن ينظر إلى نظرة يمنعني بها منك فبعث الحجاج بذلك الكتاب إلى عبد الملك فكتب مثل ذلك إلى ملك الروم فقال ملك الروم ما خرج هذا منك ولا كتبت أنت به ولا خرج إلا من بيت نبوّة ا هـ ولما بلغ محمدًا مسير أخيه الحسين رضي اللّه عنهما إلى الطف وكان بين يديه طست يتوضأ فيه بكى حتى ملأه من دموعه.

(كرامة) مر زيد بن علي زين العابدين بمحمد بن الحنفية فنظر إليه وقال أعيذك باللّه أن تكون زيد بن علي المصلوب بالعراق فكان كما قال كذا في الخطط ومن كلامه رضي اللّه عنه : وكل اللّه الجهل بالعطاء والعقل بالحرمان ليعتبر العاقل وليعلم أن ليس له من الأمر شيء. حكى أبو طالب المكي في القوت أن عليًا رضي اللّه عنه قال: لابنه محمد بن الحنفية وقد قدمه أمامه يوم الجمل أقدم أقدم ومحمد يتأخر وهو

يكرهه بقـائم الرمح فالتـفت إليه وقال هذه والله الـفتنة المظلمـة العمياء فـوكزه علي بالرمح وقال له تقدم لا أم لـك أتكون فتنة أبوك قائدها وسائقها ا هـ وكـانت الشيعة تسميـه المهدي وهو يقول كل مؤمن مـهدي وكان صاحب راية أبيـه يوم الجمل وكان شجاعًا كريمًا فصيحًا توفي محمد بـن الحنفية رضي الله عنه بالمدينة المنوّرة سنة إحدى وثمانين من الهـجرة كذا في مختصـر التواريخ ويقال إنه مات بالطـائف. وأما ألقاب الإمام علي رضي الله عنه فالمرتضى وحيدر وأمـير المؤمنين والأنزع البطين. وأما كنيته فأبو الحسن وأبو السبطين وأبو تراب كناه ﷺ وكانت أحب الكنى إليه كما سبق وكان نقش خاتمه أسندت ظهرى إلى الله وقيل حسـبي الله وكان تحته يوم قتل أربع زوجات وهن أمامة وليلى بنت مسعود التميمية وأسماء بنت عميس وأم البنين. وأمهات أولاده عشر إماء. وبوابه سلمان الفارسي رضي الله عنه. وشاعره حسان بن ثابت رضي الله عنه. ومعاصروه أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين **(وأما مقتله ومدة عمره وقاتله)** فقال أهل الـسير انتدب ثلاثه نـفر من الخوارج عبد الـرحمن بن ملجم المرادي وهو من حمير وعداده في بني مـراد وحليف بني جبلة من كندة والبرك ابن عبد الـله التميمي وعـمرو بن بكير التمـيمي فاجتـمعوا بمكة وتعاهـدوا وتعاقدوا ليقتلـن هؤلاء الثلاثة علي بن أبي طالب ومـعاوية وعمرو بن العاص ويريـحنّ العباد منهم فقـال ابن ملجم أنا لكم بعلي وقال البـرك أنا لكم بمعاوية وقال عمـرو بن بكير وأنا أكفيكم عمـرو بن العاص وتوافقوا ألا ينكص واحد منهـم عن صاحبه وأن تكون ليلة سبع عشرة من رمضان وقيل ليلة الحادي والعشرين سنة أربعين ثم توجه كل واحد منهم إلى المصر الذي فيـه صاحبه فقدم البرك دمشق وضرب معاوية فـجرحه في أليته فسلم منها وفي حـياة الحيوان فأصاب أوراكه فقطع منه عرق الـنكاح فلم يولد له بعد ذلك فلما قبض عليه قال الأمان والبشارة فقد قتل علي في هذه الليلة فاستبقاه معاوية حتى أتاه الخبر فقطـع معاوية يده ورجله وأطلقه وقيل قتله وأما عـمرو بن بكير فقدم مصر وكان يومئذ بعمرو بن العاص وجع الظـهر أو البطن فبعث مكانه سهلا العامري وقيل خـارجة وهو المشهور ليـصلي بالناس فقـتله عمرو بن بكـير يحسبه عـمرو بن العاص وقبض عليه وقتل. وفي الفصول المهمـة أن الذي استخلفه عمرو وقتل خارجة

وفيه وأخذ قاتل خارجة وأدخل على عمرو بن العاص فلما رآه قال له من قتلت؟ قال يقولون خارجة فقال أردت عمراً وأراد اللّه خارجة وأمر به فقتل وفي ذلك يقول ابن عبدون :

وليتها إذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بما شاءت من البشر

ولما بلغ معاوية قتل خارجة وسلامة عمرو كتب إليه هذه الأبيات :

وقتك وأسباب الأمور كثيرة منية شيخ من لؤي بن غالب

فيا عمرو مهلا إنما أنت عمه وصاحبه دون الرجال الأقارب

نجوت وقد بل المرادي سيفه من ابن أبي شيخ الأباطح طالب

ويضربني بالسيف آخر مثله وكانت عليه تلك ضربة لازب

وأنت تناغي كل يوم وليلة بمصرك بيضا كالظباء السوارب

وأما عبد الرحمن بن ملجم فقدم الكوفة فلقية جماعة من أصحابه فكاتمهم أمره كراهة أن يظهر عليه شيء من ذلك فمرض في بعض الأيام بدار من دور الكوفة فيها عرس فخرج منها نسوة فرأى فيهن امرأة جميلة يقال لها قطام بنت الأصبع التميمي فوقع في قلبه حبها فقال يا جارية أيم أنت أم ذات بعل؟ فقالت بل أيم فقال لها هل لك في زوج لا تذم خلائقه فقالت نعم ولكن لى أولياء أشاورهم فتبعها فدخلت ثم خرجت إليه فقالت يا هذا إن أوليائي لا يزوجوننى إلا على ثلاثة آلاف دينار وعبد وقينة فقال لك ذلك قالت وشريطة أخرى قال وما هي؟ قالت قتل علي بن أبي طالب فإنه قتل أبي وأخي يوم النهروان قال ويحك ومن يقدر على قتل علي بن أبي طالب وهو فارس الفرسان وواحد الشجعان؟ فقالت لا تكثر فذلك أحب إلينا من المال إن كنت تفعل ذلك وتقدر عليه وإلا فاذهب إلى سبيلك فقال لها واللّه ما جئت إلا لقتل علي فقد أعطيتك ما سألت وفي رواية الزبير بن بكار قال صدقت ولما رأيتك آثرت تزويجك فقالت ليس إلا الذي قلت لك قال وما يغنيك أو ما يغنيني من قتل علي وأنا أعلم أني إن قتلته لم أفلت؟ قالت إن قتلته ونجوت فهو الذي أردت فتبلغ شفاء

نفسي ويهنيك العيش معي وإن قتلت فما عند الله خير لك من الدنيا وما فيها فقال لها لك ما اشترطت قال الفرزدق:

ولم أر مهرًا ساقه ذو شجاعة ... كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبد وقينة ... وضرب عليّ بالحسام المسمم
ولا مهر أعلى من عليّ وإن علا ... ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم
ولا غرو للأشراف إن ظهرت بهم ... كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى ... وحتف علي من حسام ابن ملجم

ثم إنها قالت له سألتمس لك من يشد ظهرك فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها ولقي ابن ملجم شبيب بن بجرة الأشجعي بفتح الباء والجيم كما ضبطه بعضهم وضبطه أبو عمرو بضم الباء وسكون الجيم فقال له يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال وما هو قال تساعدني على قتل علي بن أبي طالب قال ثكلتك أمك لقد جئت شيئًا إدًا كيف يقدر على ذلك قال إنه رجل لا حرس له ويخرج إلى المسجد منفردًا فنكمن له في المسجد فإذا خرج للصلاة قتلناه فإن نجونا اشتفينا وإن قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة فقال ويلك إن عليًا ذو سابقة في الإسلام مع النبي ﷺ ما تنشرح نفسي لقتله قال ويلك إنه حكم الرجال في دين الله وقتل إخواننا الصالحين فنقتله ببعض من قتل ولا تشكن في دينك فأجابه وأقبلا حتى دخلا على قطام وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لها فدعت لهما فقاما وأخذا سيفيهما ثم جاءا حتى جلسا قباله السدة التي يخرج منها علي ودخل ابن النباح المؤذن فقال الصلاة فقام علي يمشي وابن النباح بين يديه والحسن ابنه خلفه فلما خرج من الباب نادى أيها الناس الصلاة الصلاة كذلك كان يصنع كل يوم يخرج ومعه درته يوقظ الناس فاعترضه الرجلان فقال بعض من حضر ذلك رأيت بريق السيف وسمعت قائلا يقول لله الحكم يا علي لا لك وفي رواية الحكم يا علي لا لك ولا لأصحابك ثم رأيت سيفًا ثانيًا فضربا جميعًا فأما سيف شبيب فوقع في الطاق وأخطأ وأما سيف ابن ملجم فأصاب جبهته إلى قرنه ووصل

إلى دماغه وهرب وردان حتـى دخل منزله فدخل عليه رجل فقتـله وهرب شبيب في الغلس (وأما ابـن ملجم) فإنه لما هم الناس بـه حمل عليهم بسيـفه ففرجوا له فـتلقاه المغيرة بن نوفل بقطيفة فرماها علـيه واحتمله وضرب به إلى الأرض وقعد على صدره وانتزع سـيفه وجاء به إلى أمـير المؤمنين فنظر إلـيه ثم قال النفس بالـنفس إن أنا مت فاقتلوه كما قتلني وإن برئت أبديت رأيي فيه. وفي ذخائر العقبى فقال علي رضي الله عنه فإن مت فاقتـلوه ولا تمثلوا به وإن لم أمت فالأمر لي في العفـو والقصاص فقال ابن ملجم والله ابتعته بألف وسممته شهرًا فإن أخلفني أبعده الله وأسحقه يعني سيفه فقالت أم كلثوم ابنه علي رضي الله عنه يا عدو الله قتلت أمير المؤمنين فقال إنما قتلت أباك قالت يـا عدو الله إنى لأرجو الا يكون علـيه بأس قال فلم تبـكين إذًا والله لقد ضربته ضربة لو قسمت على أهل الأرض ما بقى منهم أحد فأخرج من بين يدى أمير المؤمنين والناس يلعنونه ويقولون له قتلت خير الناس يا عدو الله.

وفي أسـد الغابـة لما أخذ ابن مـلجم أدخل عـلى علي رضي الـله عنه فـقال احبسوه وأطيبوا طعامه وألينوا فراشه فإن أعش فأنا ولي دمي عفوًا أو قصاصًا وإن مت فألحـقوه بي أخـاصمه عنـد رب العالمين ومكـث رضي الله عنه جـريحًا يوم الجمـعة والسبت وتـوفي ليلة الأحد الثـالثة عشر من رمـضان سنة أربعين وكـان عمره إذ ذاك خمسًا وستين سنة وقيل ثلاثًا وستين كالنـبي وأبي بكر وعمر وهو من عجيب الاتفاق قال الواقدي وهذا هو المثبت عندنا وقيل غير ذلك.

(**وصيته رضي الله عنه الحسن والحسين رضي الله عنهما**) روي أنه لما ضربه ابن ملجـم أوصى الحسـن والحسين وصـية طويـلة في آخـرها : يا بني عـبد المـطلب لا تخوضـوا دماء المسلمين خوضًا تـقولون قتل أميـر المؤمنين الا لا تقتلوا بـي إلا قاتلي انظروا إذ أنا مت من ضربته هذه فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إياكم والمـثلة ولو بالكلب العقـور» أخرجه الفضـائلي، وفي رواية عن الحسن رضي الله عنه لما حـضرت أبي الوفاة أقبل يوصي فقـال هذا ما أوصى به علي ابن أبي طالب أخو محمد ﷺ وابن عمه وصاحبه أول وصيتي أني أشهد أن لا إله إلا

الله وأن محمداً رسوله وخيرته اختاره بعلمه وارتضاه لخلقه وإن الله باعث من في القبور وسائل الناس عن أعمالهم عالم بما في الصدور، ثم إني أوصيك يا حسن وكفى بك وصيًا بما أوصاني به رسول الله ﷺ فإذا كان ذلك فالزم بيتك وابك على خطيئتك ولا تكن الدنيا أكبر همك، وأوصيك يا بني بالصلاة عند وقتها والزكاة في أهلها عند محلها، والصمت عند التشبه والاقتصاد والعدل في الرضا والغضب وحسن الجوار وإكرام الضيف ورحمة المجهود وأصحاب البلاء وصلة الرحم وحب المساكين ومجالستهم والتواضع فإنه من أفضل العبادة وذكر الموت والزهد في الدنيا فإنك رهن موت وعرض بلاء وطريح سقم. وأوصيك بخشية الله تعالى في سرائرك وعلانيتك وأنهاك عن مخالفة الشرع بالقول والفعل وإذا عرض لك شيء من أمر الآخرة فابدأ به وأذا عرض لك شيء من أمر الدنيا فتأنه حتى تصيب رشدك فيه، وإياك ومواطن التهمة والمجلس المظنون به السوء فإن قرين السوء يغير جليسه، وكن لله يا بني عاملا وعن الخنا زجوراً وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهيًا آخ الإخوان في الله وأحب الصالح لصلاحه ودار الفاسق عن دينك وأبغضه بقلبك وزايله بأعمالك لئلا تكون مثله. وإياك والجلوس في الطرقات ودع المماراة ومجاراة من لا عقل له واقتصد يا بني في معيشتك واقتصد في عبادتك وعليك فيها بالأمر الدائم الذي تطيقه والزم الصمت وبه تسلم وقدم لنفسك تغنم الخير وكن ذاكراً لله تعالى على كل حال وارحم من أهلك الصغير ووقر الكبير ولا تأكل طعامًا حتى تتصدق منه قبل أكله، وعليك بالصوم فإنه زكاة البدن وجنة لأهله وجاهد نفسك واحذر جليسك واجتنب عدوك وعليك بمجالس الذكر وأكثر من الدعاء فإني لم آلك يا بني نصحًا وهذا فراق بيني وبينك، وأوصيك بأخيك محمد خيراً فإنه ابن أبيك وقد تعلم حبي له، وأما أخوك الحسين فهو شقيقك وابن أمك وأبيك والله الخليفة عليكم وإياه أساله أن يصلحكم وأن يكف الطغاه البغاة عنكم، والصبر الصبر حتى يقضي الله هذا الأمر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ثم قال يا حسن أبصروا ضاربي أطعموه من طعامي واسقوه من شرابي فإن عشت فأنا أولى بحقي وإن مت فاضربوه ضربة ولا تمثلوا به فإني سمعت

رسول الله ﷺ يقول : «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور» يا حسن إن أنا مت لا تغل في كفني فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تغلوا في الأكفان وامشوا بين المشيتين فإن كان خيراً أعجلتموني إليه وإن كان شراً ألقيتموني عن أكتافكم» يا بني عبد المطلب لا ألفينكم تريقون دماء المسلمين بعدي تقولون قتلتم أمير المؤمنين الا لا يقتلن بي إلا قاتلي ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا الله حتى قبض رضي الله عنه، وغسله الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهم (وكفن) في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة (وصلى) عليه ابنه الحسن (ودفن) في الغري ليلا موضع معروف يزار إلى الآن وقيل بالنجف وفيه يقول بعض الشعراء :

سقته سحائب الرضوان سحا كجود يديه ينسجم انسجاما
ولا زالت رواة المزن تهدي إلى النجف التحية والسلاما

وقيل دفن بين منزله والمسجد، وقيل دفن بقصر الإمارة بالكوفة كذا في الفصول وقيل غير ذلك (ومروياته) في كتب الأحاديث خمسمائة وستة وثمانون حديثًا (وكاتبه) عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله ﷺ (وقاضيه) شريح بن الحرث الكندي (ولما) فرغوا من دفنه جلس الحسن رضي الله عنه وأمر أن يؤتى بابن ملجم فجيء به فلما وقف بين يديه أمر بضرب عنقه وأخذه الناس وأحرقوه. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال مرض علي رضي الله عنه فدخلت عليه وعنده أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فجلست عنده معهما فجاء النبي ﷺ فنظر في وجهه فقال أبو بكر وعمر قد تخوفنا عليه يا رسول الله فقال ﷺ لا بأس عليه ولن يموت الآن ولا يموت حتى يملأ غيظًا ولن يموت إلا مقتولا. وعن صهيب قال قال رسول الله ﷺ لعلي : من أشقى الأولين يا علي؟ قال الذي عقر ناقة صالح قال صدقت فمن أشقى الآخرين؟ قال الله ورسوله أعلم قال أشقى الآخرين الذي يضربك على هذه وأشار إلى يافوخه وكان علي كرم الله وجهه يقول لأهله والله لوددت أن لو انبعث أشقاها» أخرجه أبو حاتم. وعن فضالة الأنصاري قال خرجت مع أبي إلى البقيع عائدين لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان مريضًا بها قد نقل إليها من المدينة فقال أبي ما يقيمك هي

هذا المنزل ولو هلكت بـه لم تدفنك إلا أعراب جهينة؟ وكان أبو فـضالة من أهل بدر فقال له علي رضي الله عنه إني لست بميت من وجعي هذا وذلك أن النبي ﷺ عهد إلي ألا أموت حتى أؤمر وتخضب هذه من دم هذا وأشار إلى لحيته ورأسه قضاء مقضيًا وعهدًا معهودًا منه إلي (وعن أبي الأسود الدؤلي) أنه عاد عليًا رضي الله عنه في شكوى اشتكاها قال فقلت له لقد تخوفنا عليك يا أمير المؤمنين في شكواك هذه فقال لكن والله ما تخوفت على نفسي لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول إنك ستضرب ضربة ههنا وأشار إلى رأسي فيسيل دمها حتى يخضب لحيتك يكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود (وفي الفصول المهملة) قيل وسئل علي رضي الله عنه وهو علي المنبر في الكوفة عن قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾[1] فقال اللهم غفرًا هذه الآيه نزلت في وفي عمي حمزة وفي ابن عمي عبيدة الحرث بن عبد المطلب رضى الله عنهم فأما عبيدة فإنه قضى نحبه شهيدًا يوم بدر وأما عمي حمزة فإنه قضى نحبه شهيدًا يوم أحد وأما انا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذا وأشار إلى لحيته ورأسه عهدًا عهده إلى حبيبي أبو القاسم ﷺ. وبالإسناد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال إني لحاضر عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه في وقت إذ جاءه عبد الرحمن بن ملجم فحمله ثم قال:

أريد حياته ويريد قتلي ... عذيرك من خليك من مراد

ثم قال هذا والله قاتلي قلت يا أمير المؤمنين أفلا نقتله قال لا فمن يقتلني ثم قال:

اشدد حيازيمك للموت ... فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت ... إذا حل بناديكا

وقال تميم بن المغيرة كان علي رضي الله عنه في شهر رمضان من السنة التي قتل فيها ليلة عند الحسن وليلة عند الحسين وليلة عند عبد الله بن جعفر لا يزيد في

(١) سورة الأحزاب ٢٣

أكله على ثلاث أو أربع لقم ويقول يأتيني أمر الله وأنا خميص إنما هي ليال قلائل فلم يمض الشهر حتى قتل رضي الله عنه (وعن) الحسن بن كثير عن أبيه قال خرج رضي الله عنه في فجر اليوم الذي قتل فيه فأقبل الوز يصحن في وجهه فطردن عنه فقال رضي الله عنه ذروهن فإنهن نوائح فقتله ابن ملجم (وقال) الحسن بن على رضي الله عنهما قمت ليلا فوجدت أبي قائمًا يصلي في مسجد داره فقال يا بني أيقظ أهلك يصلون فإنها ليلة جمعة صبيحة بدر ولقد ملكتني عيناي فنمت فرأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله ماذا لقيت من أمتك من اللأواء واللدد؟ فقال ﷺ ادع عليهم فقلت اللهم أبدلني بهم من هو خير منهم وأبدلهم بي من هو شر مني فجاء المؤذن فأذن بالصلاة فخرج وخرجت خلفه فضربه ابن ملجم فقتله. قال بكر بن حسان :

قل لابن ملجم والأقدار غالبة ... هدمت للدين والإسلام أركانا
قتلت أفضل من يمشي على قدم ... وأفضل الناس إسلاما وإيمانا
وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سن الرسول لنا شرعا وتبيانا
صهر النبي ومولاه وناصره ... أوضحت مناقبه نورا وبرهانا
وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هرون من موسى بن عمرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ... فقلت سبحان رب العرش سبحانا
قد كان يخبرنا أن سوف يخضبها ... قبل المنية أشقاها وقد كانا
إني لأحسبه ما كان من بشر ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا
أشقى مرادًا إذا عدت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الأولى التي جلبت ... على ثمود بأرض الحجر خسرانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا
لقوله في شقي ظل محترما ... ونال ما ناله ظلمًا وعدوانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
بل ضربة من غوي أورثته لظى ... مخلدا قد أتى الرحمن غضبانا
كأنه لم يرد قصدا بضربته ... إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

ولما سمع القاضي أبو الطيب طاهر بن عبد الله الشافعي قول عمران بن حطان الرشاقي الخارجي :

لله در المرادي الذي فتكت كفاه مهجة شر الخلق إنسانا
يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
إني لأذكره يوما فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

أجابه بقوله :

إني لأبرأ مما أنت قائله عن ابن ملجم الملعون بهتانا
يا ضربة من شقي ما أراد بها إلا ليهدم للإسلام أركانا
إني لأذكره يوما فألعنه دينا وألعن عمرانا وحطانا
عليه ثم عليه الدهر متصلا لعائن الله إسرارا وإعلانا
فأنتما من كلاب النار جاء به نص الشريعة برهانا وتبيانا
عليك لعنة الجبار ما طلعت شمس وما أوقدوا في الكون نيرانا

وقال أبو الأسود الدؤلي :

ألا بلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ورحلها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثاني والمئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيت البدر راع الناظرينا
لقد علمت قريش حيث كانت بأنك خيرها حسبا ودينا
وقل للشامتين بنا رويدا ستلقى الشامتون كما لقينا

(وبالإسناد) عن الزهري قال قال لي عبد الملك بن مروان أي واحد أنت إن حدثتني ما كان علامة يوم قتل علي رضي الله عنه قلت يا أمير المؤمنين ما رفعت حصاة من بيت المقدس إلا وكان تحتها دم عبيط فقال أنا وإياك غريبان في هذا

الحديث. (غريبة) من كتاب المناقب لأبي بكر الخوارزمي قال قال أبو القاسم بن محمد كنت في المسجد الحرام فرأيت الناس مجتمعين حول مقام إبراهيم عليه السلام فقلت ما هذا؟ فقالوا راهب قد أسلم وجاء إلى مكة وهو يحدث الناس بحديث عجيب فأشرفت عليه فإذا شيخ كبير عليه جبة صوف وقلنسوة صوف عظيم الجثة وهو قاعد عند المقام يحدث الناس وهم يستمعون له فقال بينما أنا قاعد في صومعتي في بعض الأيام إذ أشرفت منها إشرافة فإذا طائر كالنسر الكبير قد سقط على صخرة على شاطئ البحر فتقايأ فرمى من فيه ربع إنسان ثم طار فغاب يسيراً ثم عاد فتقايأ ربعًا آخر ثم طار وعاد فتقايأ هكذا إلى أن تقايأ أربعة أرباع إنسان ثم طار فدنت الأرباع بعضها من بعض فالتأمت فقام منها إنسان كامل وأنا أتعجب مما رأيت فإذا بالطائر قد انقض عليه فاختطف ربعه ثم طار ثم عاد واختطف ربعا آخر ثم طار وهكذا إلى أن اختطف جميعه فبقيت متفكرًا وأتحسر ألا كنت سألته ومن هو وما قصته فلما كان في اليوم الثاني إذا بالطائر قد أقبل وفعل كفعله بالأمس فلما التأمت الأرباع وصارت شخصًا كاملا نزلت من صومعتي مبادرًا إليه وسألته بالله من أنت يا هذا فسكت فقلت بحق من خلقك إلا ما أخبرتني من أنت فقال أنا ابن ملجم فقلت ما قصتك مع هذا الطائر قال قتلت علي بن أبي طالب فوكل الله بي هذا الطائر يفعل بي ما ترى فخرجت من صومعتي وسألت عن علي بن أبي طالب فقيل لي إنه ابن عم رسول الله ﷺ ا هـ قالوا ولم يحج الإمام علي رضي الله عنه في سني خلافته لاشتغاله بالحرب وكان يحج قبلها كثيراً

(فوائد) : الأولى قال معاوية لضرار بن ضمرة صف لي عليًا فقال اعفني فقال أقسمت عليك لتصفنه قال أما إذا كان ولابد فإنه والله كان بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من لسانه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته وكان غزير الدمعة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ما خشن ومن الطعام ما خشن وكان فينا كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويأتينا إذا دعوناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله، وأشهد لقد

رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضًا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري ألي تعرضت أم لي تشوقت هيهات هيهات قد طلقتك ثلاثًا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك كبير وعيشك حقير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال من ذبح ولدها في حجرها فهي لا يرقأ دمعها ولا يخفى فجعها. (الثانية) سأل معاوية خالد بن يعمر فقال له علام أحببت عليا فقال على ثلاث خصال: على حلمه إذا غضب وعلى صدقه إذا قال وعلى عدله إذا حكم. (الثالثة) نقل عن سودة بنت عمارة الهمدانية أنها قدمت على معاوية بعد موت علي رضي الله عنه فجعل معاوية يؤنبها على تحريضها عليه يوم صفين ثم قال لها ما حاجتك؟ فقالت إن الله تعالى سائلك عن أمرنا وما فرض عليك من حقنا وما فوض إليك من أمرنا لا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك ويبطش بلسانك فيحصدنا حصد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف، هذا بشر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا، ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعة فإن عزلته عنا شكرنا وإلا فإلى الله شكونا فقال معاوية إياي تعنين ولي تهددين لقد هممت يا سودة أن أحملك على قتب أشرس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه فأطرقت ثم أنشأت تقول :

صلى الإله على جسم تضمنه ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال من هذا يا سودة؟ فقالت هذا والله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقد جئته في رجل كان قد ولاه صدقناه فجار علينا فصادفته قائمًا يريد الصلاة فلما رآني أقبل علي بوجه طلق ورحمة ورفق وقال ألك حاجة؟ فقلت نعم وأخبرته الأمر فبكى ثم قال اللهم أنت الشاهد إني لم آمرهم بظلم خلقك ولا بترك حقك ثم أخرج من جيبه قطعة من جلد فكتب فيها بسم الله الرحمن الرحيم قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين وإذا قرأت كتابي فاحتفظ بما

في يديك من عملك حتى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام ثم دفع إلي الرقعة فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنا معزولا فقال معاوية رضي الله عنه اكتبوا لها بما تريد واصرفوها إلى بلدها غير شاكية. (الرابعة) حكي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن سعيد بن جبير كان يقوده بعد أن كف بصره فمر على زمزم فإذا بقوم من أهل الشام يسبون عليًا رضي الله عنه فسمعهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقال لسعيد ردني إليهم فرده فوقف عليهم وقال أيكم الساب لله عز وجل فقالوا سبحان الله ما فينا أحد يسب الله فقال أيكم الساب لرسوله فقالوا ما فينا أحد يسب رسول الله ﷺ فقال أيكم الساب لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالوا أما هذا فقد كان منه فقال أشهد على رسول الله ﷺ بما سمعته أذناي ووعاه قلبي سمعته يقول لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: «يا علي من سبك فقد سبني ومن سبني فقد سب الله ومن سب الله كبه الله على منخريه في النار». وولى عنهم وقال يا بني ماذا رأيتهم صنعوا؟ قال فقلت:

نظروا إليك بأعين محمرة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال زدني فداك أبوك فقلت:

خزر العيون نواكس أبصارهم ... نظر الذليل إلى العزيز القاهر

قال زدني فداك أبوك ليس عندي مزيد فقال عندي المزيد وأنشد:

أحياؤهم عار على أمواتهم ... والميتون مسبة للغابر

(الخامسة) أورد صاحب الغرر أن عليًا رضي الله عنه كان إذا صلى الغداة لعن معاوية رضي الله عنه وعمرو بن العاص وأصحابه فبلغ ذلك معاوية رضي الله عنه فكان إذا قنت لعن عليًا وابن عباس وحسنًا وحسينًا والأشتر، ولم يزل الأمر على ذلك برهة من ملك بني أمية إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك وجعل بدل اللعن في الخطبة ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]

---

(١) سورة الحشر ١٠.

الباب الثاني
في ذكر مناقب الحسن والحسين
وباقي الأئمة الاثني عشر رضي الله عنهم أجمعين



اعلم أنه قد اختلف في أهل البيت فقيل نساؤه ﷺ لأنهن في بيته قاله سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول عكرمة ومقاتل وقيل علي وفاطمة والحسن والحسين قاله أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة، وقيل هم من تحرم عليهم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قاله زيد بن أرقم وقال ابن الخطيب الفخر الرازي والأولى أن يقال هم أولاده وأزواجه والحسن والحسين وعلي منهم لأنه كان من أهل بيته لمعاشرته فاطمة بنته وملازمته له قسطلاني على البخاري وفي متن الشعراني ما نصه وفي الحديث الصحيح عن زيد بن أرقم قال قال رسول الله ﷺ: «أنشدكم الله في أهل بيتي». قالها ثلاثًا وفسر زيد رضي الله عنه أهل بيته بآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال الجلال السيوطي رحمه الله تعالى وهؤلاء هم الأشراف حقيقة عند سائر الأمصار وتخصيص الشرف بآل علي فقط اصطلاح لأهل مصر خاصة انتهى. هذا ويشهد للقول بأنهم علي وفاطمة والحسن والحسين ما وقع منه ﷺ حين أراد المباهلة هو ووفد نجران كما ذكره المفسرون في تفسير آية المباهلة وهي قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾[1]. وقيل أراد بالأبناء الحسن والحسين وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه ﷺ وعليًا رضي الله عنه كذا في تفسير الخازن ثم نبتهل قال ابن عباس نتضرع فى الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ فى الدعاء وقيل معناه نلتعن. والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله أي لعنة الله «فنجعل لعنة الله على الكاذبين» يعني منا ومنكم في أمر عيسى قال المفسرون لما قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية على وفد نجران ودعاهم إلى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في أمرنا ثم نأتيك غدًا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رأيهم ما ترى يا عبد المسيح؟ قال لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمدًا نبي مرسل

(١) سورة آل عمران آية ٦١.

ولئن فعلتم ذلك لنهلكن وفي رواية قال لهم والله ما لاعن قوم قط نبيًا إلا هلكوا عن آخرهم فإن أبيتم إلا الإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله ﷺ وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي ﷺ يقول لهم إذا دعوت فأمنوا فلما رآهم أسقف نجران قال يا معشر النصارى إني لأرى وجوهًا لو سألوا الله أن يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا ألا نباهلك وأن نتركك على دينك وتتركنا على ديننا فقال لهم رسول الله ﷺ فإن أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا ذلك فقال فإني أنابذكم فقالوا ما لنا في حرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ألا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وأن نؤدي إليك في كل سنة ألفي حلة ألفًا في صفر وألفًا في رجب زاد في رواية وثلاثًا وثلاثين درعًا عادية وثلاثًا وثلاثين بعيرًا وأربعًا وثلاثين فرسًا غازية فصالحهم رسول الله ﷺ على ذلك وقال والذي نفسي بيده إن العذاب تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارًا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا اهـ خازن وغيره (وفي) الخطيب عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾»[1]. وفي ذلك دليل على نبوته ﷺ وعلى فضل أهل الكساء رضي الله عنهم وعن بقية الصحابة أجمعين اهـ.

(تنبيه) ما قدمناه من أن أهل البيت هم علي وفاطمة والحسن والحسين هو ما جنح إليه الفخر الرازي في تفسيره والزمخشري في كشافه وعبارته عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[2] روي أنها لما نزلت قيل يا

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

(٢) سورة الشورى آية ٢٣.

رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل له ما روي عن علي رضي الله عنه: «شكوت إلى رسول الله ﷺ حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا». وعن النبي ﷺ «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقيني يوم القيامة». وروي: «أن الأنصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الأنصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضُلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك ألم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية». (وروي) من طرق عديدة صحيحة «أن رسول الله ﷺ جاء ومعه علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أخذ كل واحد منهما على فخذه ثم لف عليهم كساء ثم تلا هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». وفي رواية اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد وفي رواية أم سلمة قالت فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي فقلت وأنا معكم يا رسول الله فقال إنك من أزواج النبي ﷺ على خير وفي رواية لهما أن رسول الله ﷺ كان في بيتها إذ جاءت فاطمة ببرمة فيها خزيرة بخاء معجمة مفتوحة فزاي مكسورة فتحتية ساكنة فراء وهو ما يتخذ

---

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

من الدقيق على هيئة العصيدة ولكن أرق منها فوضعتها بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعيهم فجاءت إلى علي وقالت أجب رسول الله ﷺ أنت وابناك فجاء علي وحسن وحسين فدخلوا عليه فجعلوا يأكلون من تلك الخزيرة تحت الكساء فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي رواية أنه ﷺ أدرج معهم جبريل وميكائيل وفي رواية أن ذلك الفعل كان في بيت فاطمة وقد أشار المحب الطبراني إلى أن هذا الفعل تكرر منه ﷺ (روى) أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ أنزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي وحسن وحسين وفاطمة وروى ابن أبي شيبة وأحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن المنذر والطبراني والحاكم وصححه عن أنس أن رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية كما في رواية الترمذي كان يمر ببيت فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وفي رواية ابن مردويه عن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ جاء أربعين صباحا إلى دار فاطمة يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة رحمكم الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ وفي رواية له عن ابن عباس سبعة أشهر وفي رواية لابن جرير وابن المنذر والطبراني ثمانية أشهر (وقد جاء) في فضلهم وشرفهم آيات وأحاديث؛ فمن الآيات زيادة على ما سبق ما أخرجه الثعلبي في تفسير قوله تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [(1)] عن جعفر الصادق أنه قال نحن حبل الله وأخرج بعضهم عن محمد الباقر في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [(2)] أنه قال أهل البيت هم الناس وأخرج بعضهم عن محمد بن الحنفية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾[(3)] أنه قال لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ود لعلي وأهل بيته وذكر النقاش أنها نزلت في علي رضي الله عنه (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[(4)] قال لعلي هو أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيين ويأتي أعداؤك غضابا مقمحين (وعن) أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ [(5)] قال علي وفاطمة رضي

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٣.

(٢) سورة النساء آية ٥٤.

(٣) سورة مريم آية ٩٦.

(٤) سورة البينة آية ٧.

(٥) سورة الرحمن آية ٩.

الله عنهما يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال الحسن والحسين رواه صاحب كتاب الدرر (وعن) محمد بن سيرين في قوله تعالى: ﴿وهُوَ الَّذي خَلَقَ مِنَ المـاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ [1] أنهـا نزلت في النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب هو ابـن عم النبي ﷺ وزوج فاطمة رضي الله عنها فكان نسبًا وصـهرًا (روى) الإمام أبو الحسين البغوي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عـباس رضي الله عنهما قال لما نزلت هذه الآية ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا المَوَدَّةَ فـي الـقُرْبَى﴾[2] قالوا يا رسـول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله تعالى بمودتهم قـال علي وفاطمة وابناهما. وفي مسامـرات الشيخ الأكبر أن عبد الله بن عباس قال في قوله ﴿يُوفُونَ بالنَّذْرِ ويَخَافُونَ يَوْمًا كانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[3] مرض الحسن والحسين رضي الله عنهما وهما صبيان فعادهما رسول الله ﷺ ومعه أبو بكر وعمر فقال عمر لعـلي يا أبا الحسن لو نذرت عن ابنيك نذرًا إنْ الله عافاهما قال أصـوم ثلاثة أيام شكرًا لله قـالت فاطمـة وأنا أيضًا أصـوم ثلاثة أيام شكرًا لله وقـال الصبيان ونحن نصوم ثلاثة أيـام وقالت جاريتهما فضة وأنا أصوم ثلاثة أيام فـألبسهما الله العافيـة فأصبحوا صـيامًا وليس عندهم طعام فانطلق علي إلى جـار له من اليهود يقال له شمعون يعالج الصوف فقال له هل لك أن تعطيني جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد بثلاثة آصع من شعير قال نعم فأعطاه فجاء بالصوف والشعير فأخبر فاطمة فقبلت وأطاعت ثم غـزلت ثلث الصوف وأخذت صاعًا من الشعير فطـحنته وعجنته وخبـزته خمـسة أقـراص لكل واحد قـرص وصلى علي رضي الله عنه مع النبي ﷺ المغرب ثم أتى منزله فوضع الخوان فجلسـوا فأول لقمة كسرها علي رضي الله عنه إذا مسكين واقف على الباب فقال السلام عليكم يا أهل بيت محمد أنا مسكين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع علي اللقمة من يده ثم قال:

فـاطم ذات المجـد والـيـقين ... يا بنت خـيـر النـاس أجـمـعين

(1) سورة الفرقان آية ٥٤.

(2) سورة الشورى آية ٢٣.

(3) سورة الإنسان آية ٧.

أمـــا تري ذا الـبـــائس المسكين جـــا إلى البـــاب لــه حنين

كل امرئ بكسبه رهين

فقالت فاطمة رضي الله عنها من حينها:

أمـرك سـمع يا ابن عم وطاعـه مـا لي من لوم ومـا ضـراعـه

باللب غذيت وبالـبراعـــــــة أرجـو إذا أنفقت من مجـاعه

أن ألحق الأبرار والجـــمـــاعـــه وأدخل الجـنة بالشـــفـــاعـــه

قال فعمدت إلى ما في الخوان فدفعته إلى المسكين وباتوا جياعًا وأصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح ثم عـمدت إلى الثلث الثاني من الصوف فغـزلته ثم أخذت صاعًا فطحنـته وعجنتـه وخبزت منـه خمسـة أقراص لكل واحد قـرص وصلى علي المغرب مع النـبي ﷺ ثم أتى منزله فلما وضـعت الخوان وجلس فأول لقـمة كـسرها علي رضي الله عنه إذا بيـتيم من يتـامى المسلمين قد وقف عـلى الباب وقـال السلام عليكم أهل بيت محمد أنا يتيم من يتـامى المسلمين أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنة فوضع علي اللقمة من يده وقال:

فـاطم بنـت السـيـــــد الكريم قـد جـاءنا الله بذا الـيـتـيم

من يطلب اليـــوم رضـا الرحيم موعـــــــده في جنة النعيم

فأقبلت السيدة فاطمة رضي الله عنها وقالت:

فـــســـوف أعـطيـه ولا أبالـي وأوثر الله على عـــيــــــالي

أمســوا جيـاعا وهمـــو أمثـالي أصغـرهم يقتل في القـتـــال

ثم عمدت إلى جمـيع ما كان في الخوان فأعطته اليتـيم وباتوا جياعًا لم يذوقوا إلا الماء القراح وأصـبحوا صيـامًا وعمدت فاطمـة إلى باقي الصوف فغـزلته وطحنت الصاع الباقي وعجنته وخبزته خـمسة أقراص لكل واحد قرص وصلى علي رضي الله

عنه المغرب مع النبي ﷺ ثم أتى منزله فقربت إليه الخوان ثم جلس فأول لقمة كسرها إذا أسير من أساري المسلمين بالباب فقال السلام عليكم أهل بيت محمد إن الكفار أسرونا وقيدونا وشدونا فلم يطعمونا فوضع علي اللقمة من يده وقال:

فاطمة ابنة النبي أحمد — بنت نبي سيد مسود
هذا أسير جاء ليس يهتدي — مكبل في قيده المقيد
يشكو إلينا الجوع والتشدد — من يطعم اليوم يجده في غد
عند العلي الواحد الموحد — ما يزرع الزارع يومًا يحصد

فأقبلت فاطمة رضي الله عنها تقول:

لم يبق مما جاء غير صاع — قد دبرت كفي مع الذراع
وابناي والله ثلاثًا جاعا — يا رب لا تهلكهما ضياعا

ثم عمدت إلى ما كان في الخوان فأعطته إياه. فأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء وأقبل علي والحسن والحسين نحو رسول الله ﷺ وهما يرتعشان كالفرخين من شدة الجوع فلما أبصرهما رسول الله ﷺ قال يا أبا الحسن أشد ما يسوؤني ما أدرككم انطلقوا بنا إلى ابنتي فاطمة فانطلقوا إليها وهي في محرابها وقد لصق بطنها بظهرها من شدة الجوع وغارت عيناها فلما رآها رسول الله ﷺ ضمها إليه وقال واغوثاه فهبط جبريل عليه السلام وقال يا محمد خذ ضيافة أهل بيتك قال وما آخذ يا جبريل؟ قال: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ـ إلى قوله ـ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾[1].

(ومن الأحاديث) ما أخرجه الحاكم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خيركم خيركم لأهلي من بعدي». وأخرج ابن سعد والملا في سيرته أنه ﷺ قال: «استوصوا بأهل بيتي خيرًا فإني أخاصمكم عنهم غدًا ومن أكن خصمه خصمه

---

(١) سورة الإنسان آية ٨.

الله ومن خصمه الله أدخله النار». وروى جماعة من أصحاب السنن عن عدة من الصحابة أن النبي ﷺ قال: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك». وفي رواية غرق وفي أخرى: «زج في النار». وصح أن بنت أبي لهب لما هاجرت إلى المدينة قيل لها لن تغني عنك هجرتك أنت بنت حطب النار فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاشتد غضبه ثم قال على المنبر: «ما بال أقوام يؤذونني في نسبي وذوي رحمي ألا ومن آذى رحمي وذوي نسبي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله». أخرجه ابن أبي عاصم والطبراني وابن منده والبيهقي بألفاظ متقاربة وأخرج الطبراني والدارقطني مرفوعًا «أول من أشفع له من أمتي أهل بيتي ثم الأقرب فالأقرب من قريش ثم الأنصار ثم من آمن بي واتبعني من اليمن ثم سائر العرب ثم الأعاجم ومن أشفع له أول أفضل». نقل القرطبي عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾[1]. قال رضا محمد ﷺ الا يدخل احد من أهل بيته النار وأخرج الحاكم وصححه أنه ﷺ قال: «وعدني ربي في أهل بيتي من أقر منهم بالتوحيد ولي بالبلاغ ألا يعذبهم». وصح أن العباس شكا إلى رسول الله ﷺ ما تفعل قريش من تعبيسهم في وجوههم وقطعهم حديثهم عند لقائهم فغضب ﷺ غضبًا شديدًا حتى احمر وجهه ودر عرق بين عينيه وقال: «والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله». وفي رواية صحيحة أيضًا: «ما بال أقوام يتحدثون فإذا رأوا الرجل من أهل بيتي قطعوا حديثهم والله لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبهم لقرابتهم مني». وفي أخرى «والذي نفسي بيده لا يدخلوا الجنة حتى يؤمنوا ولا يؤمنوا حتى يحبوكم لله ورسوله أيرجون شفاعتي ولا ترجوها بنو عبد المطلب». وروى الديلمي والطبراني وأبو الشيخ بن حبان والبيهقي مرفوعًا أنه ﷺ قال: «لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وتكون عترتي أحب إليه من عترته وأهلي أحب إليه من أهله وذاتي أحب إليه من ذاته». وروى أبو الشيخ عن علي كرم الله وجهه قال: «خرج رسول الله ﷺ مغضبًا حتى استوى على المنبر فحمد

(١) سورة الضحى آية ٥.

الله وأثنى عليه ثم قال: ما بال رجال يؤذونني في أهل بيتي والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذريتي». ولذلك قال أبو بكر رضي الله عنه صلة قرابة رسول الله ﷺ أحب إلي من صلة قرابتي. وأخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال أبو بكر ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته. وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة: «أنه ﷺ قال في حسن وحسين اللهم إني احبهما فأحبهما وأحب من يحبهما». وأخرج الترمذي عن أسامة «أنه ﷺ أجلس الحسن والحسين يومًا على فخذيه وقال هذان ابناي وابنا ابنتي اللهم إني أحبهما فأحبهما». وأخرج الترمذي عن أنس «أنه ﷺ سئل أي أهل بيتك أحب إليك؟ فقال الحسن والحسين» وروي من طرق عديدة صحيحة أنه ﷺ قال: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة». وروى أحمد والترمذي عن علي كرم الله وجهه قال قال رسول الله ﷺ: «من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة». وروى ابن مسعود رضي الله عنه: «حب آل محمد ﷺ يومًا خير من عبادة سنة ومن مات عليه دخل الجنة». وفي الكشاف قال رسول الله ﷺ: «من مات على حب آل محمد مات شهيدًا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبًا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرًا، ألا ومن

مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

(تنبيهان): الأول ذكر الفخر الرازي أن أهل بيته ﷺ ساووه في خمسة أشياء: في الصلاة عليه وعليهم في التشهد وفي السلام والطهارة وفي تحريم الصدقة وفي المحبة (الثاني) علم من الأحاديث السابقة وجوب محبة أهل البيت وتحريم بغضهم التحريم الغليظ وبذلك صرح البيهقي والبغوي بل نص عليه الشافعي فيما حكي عنه من قوله:

يا آل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله

يكفيكم من عظيم الفخر أنكم ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

أي كاملة أو صحيحة على قول مرجوح لإمامنا الشافعي رضي الله عنه (وفي الفصول المهمة) لما صرح الإمام الشافعي بمحبته لأهل البيت وأنه من شيعتهم قيل فيه ما قيل فقال مجيبًا عن ذلك:

إذا نحن فضلنا عليًا فإننا ... روافض بالتفضيل عند ذي الجهل

وفضل أبي بكر إذا ما ذكرته ... رميت بنصب عند ذكري للفضل

فلا زلت ذا رفض ونصب كلاهما ... بحبهما حتى أوسد في الرمل

وحكى الإمام أبو بكر البيهقي رحمه الله في كتابه الذي صنفه في مناقب الإمام الشافعي أن الإمام الشافعي قيل له إن أناسًا لا يصبرون على سماع منقبة أو فضيلة تذكر لأهل البيت فإذا رأوا أحدًا يذكر شيئًا من ذلك قالوا تجاوزوا عن هذا فهو رافضي فأنشأ الشافعي رحمه الله تعالى يقول:

إذا في مجلس نذكر عليا ... وسبطيه وفاطمة الزكيه

يقال تجاوزوا يا قوم هذا ... فهذا من حديث الرافضيه

برئت إلى المهيمن من أناس ... يرون الرفض حب الفاطميه

وقال رضي الله عنه:

قــالوا ترفــضــت قلت كـــلا ... مــا الرفض ديني ولا اعــتقــادي
لكــن توليــت غــيـــــر شك ... خـــيـــر إمـام وخـــيـــر هادي
إن كـــان حب الولي رفــضــا ... فـــإنــني أرفض الـعـــبـــاد

وقال رضي الله عنه:

يا راكبًا قف بالمحـصب من منى ... واهتف بساكن خيـفها والناهض
سحرًا إذ فاض الحجيج إلى منى ... فيـضا كـملتطم الفرات الـفائض
إن كـان رفضًا حب آل مـحمـد ... ليـشـهد الثـقـلان أني رافـضي

ولأبي الحسن بن جبير رحمه الله:

أحب النبي المصطفى وابن عـمه ... عليًا وسـبطيـه وفـاطمـة الزهرا
همو أهل بيت أذهب الرجس عنهـمو ... وأطلعهم أفق الهـدى أنجما زهرا
موالاتهم فـرض على كل مسلم ... وحبهمـو أسنى الذخائر للأخرى
وما أنا للصـحب الكرام بمبغض ... فإني أرى البغضاء فـي حقهم كفرا
همو جاهدوا في الله حق جهاده ... وهم نصروا دين الهدى بالظبا نصرا
عليـهم سلام الله ما دام ذكـرهم ... لدى الملإ الأعلى وأكـرم به ذكرا

ولبعضهم:

هم العـروة الوثقى لمعـتصم بهـا ... مناقـبـهـم جـاءت بوحي وإنزال
مناقب في الشورى وفي هل أتى أتت ... وفي سورة الأحزاب يعرفـها التالي
وهم آل بيت المصطفى فـودادهـم ... على الناس مفـروض بحكم وإسجال

وقال آخر:

هم القوم من أصفاهم الود مخلصا ... تمسك في أخراه بالسبب الأقوى

هم القـوم فاقوا العـالمين مناقـبا ... مـحاسنـهم تجلى وآثارهم تروى

موالاتهم فـرض وحبهـمو هدى ... وطاعـتـهم ود وودهمـو تقـوى

وللشافعي رضي الله عنه:

آل الـنـبـي ذريعـــــــــتي ... وهمــــو إلـيـــه وسـيـلـتي

أرجـــو بهم أعـطى غـــدا ... بيـــدي اليـمين صـحـيـفـتي

(وحكي) أن بعض الوعاظ أطنب في مـدح آل البيت الشريف وذكر فـضائلهم حتى كادت الشمس أن تغرب فالتفت إلى الشمس وقال مخاطبًا لها:

لا تغربي يـا شمس حتى ينـقضي ... مـدحي لآل مـحـمـد ولنسله

واثنـي عنـانك إن أردتِ ثـناءهـم ... أنسـيت إذ كان الوقـوف لأجله

إن كـان للمـولى وقـوفك فليكن ... هذا الوقـوف لفـرعـه ولنجله

فطلعت الشمس وحـصل في ذلك المجلس أنس كثير وسـرور عظيم انتهى من درر الأصداف وما أحسن ما قاله أبو الفضل الواعظ رحمه الله:

حب آل الـنبي خـــالط عظـمي ... وجرى في مـفاصلي فـاعذروني

أنا والله مـــغـــرم بـهـــواهم ... عللـوني بذكـــرهـم عللـوني

وما أحسن قول ابن الوردي ناظم البهجة:

يا أهـل بيـت النبي مـن بذلـت ... في حـبكم روحـه فـمـا غـبنا

من جـــاءكم يطلب الحـــديث له ... قـولوا لنا البـيت والحـديث لنا

قال الشيخ الشعراني وما أحسن ما أورده الشيخ الأكبر في الفتوحات:

فلا تعدل بأهل البيت خلقا ... فأهل البيت هم أهل السياده

فبغضهم من الإنسان خسر ... حقيقي وحبهم عباده

وفي المنن ومما من الله به علي محبتي للشرفاء وأهل البيت ولو من قبل الأم فقط ولو كانوا على غير قدم الاستقامة لأنهم بيقين يحبون الله ورسوله ﷺ ومن أحب الله ورسوله لا يجوز بغضه ولا سبه بقرينة أنه ﷺ كان يحد نعيمان كلما شرب الخمر وأتوا به إليه مرة فحده فصار بعض الناس يلعنه فقال ﷺ لا تلعنوا نعيمان فإنه يحب الله ورسوله فعلم أنه لا يلزم من إقامة الحدود على الشرفا أننا نبغضهم بل إقامتنا الحدود عليهم إنما هو منحبة فيهم وتطهير لهم وقد قال ﷺ«وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» وقال في ماعز لما رجمه «لقد تاب توبة لو قسمت على أهل الأرض لوسعتهم» أي قبلت منهم وأحبهم الله تعالى كما قال تعالى إن الله يحب التوابين (وقال الشيخ) محيي الدين بن العربي رحمه الله تعالى الذي أقول به أن ذنوب أهل البيت إنما هي ذنوب في الصورة لا في الحقيقة لأن الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بسابق العناية لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] ولا رجس أرجس من الذنوب قال وجميع ما يقع منهم من الأذى لنا يجب علينا في الأدب معهم أن نجعله شبيهًا بالمقادير الإلهية من الأمراض ونحوها فيجب علينا الرضا به أو الصبر عليه وإن أخذوا أموالنا ولم يعطوها لنا لا ينبغي لنا حبس أحد منهم ولا رفعه إلى حاكم لأنه بضعة من رسول الله انتهى (وكان الإمام أبو بكر الصديق) رضي الله عنه يقول ارقبوا محمدًا في أهل بيته وكان يقول والذي نفسي بيده لقرابة محمد ﷺ أحب إلي من قرابتي، وأتى عبد الله بن الحسن مرة إلى عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال إذا كانت لك حاجة فأرسل إليّ أحضر أو اكتب لي ورقة فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي، وصلى زيد بن ثابت على جنازة فلما ركب أخذ ابن عباس بركابه فقال خل عنه يا ابن عم رسول الله

(١) سورة الأحزاب آية ٣٣.

ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل مع أهل بيت رسول الله ﷺ (ودخلت) بنت أسامة بن زيد على عمر ابن عبد العزيز يومًا فأجلسها في مجلسه وجلس هو بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها هذا فعله رضي الله عنه مع بنت مولى رسول الله ﷺ فما ظنك مع أولاده وذريته؟ (وبلغ) معاوية رضي الله عنه أن كابس بن ربيعة يشبه رسول الله ﷺ فكان إذا دخل عليه كابس يقوم عن سريره ويتلقاه ويقبله بين عينيه (وكان) الحسن البصري رحمه الله تعالى يقول لو كان لي مدخل في العصبة مع قتلة الحسين بن علي وخيرت بين الجنة والنار لاخترت دخول النار حياء من رسول الله ﷺ أن يقع بصره علي في الجنة (ولما ضرب) جعفر بن سليمان الإمام مالكًا رضي الله عنه غشي على مالك فدخل عليه الناس فلما أفاق قال لهم أشهدكم أني قد جعلت ضاربي في حل فقيل لم؟ فقال خفت أن أموت فألقى رسول الله ﷺ فأستحيى أن يدخل أحد من آله النار بسببي فلما تولى المنصور طلب أن يقتص له منه فقال الإمام مالك رضي الله عنه أعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل منه لقرابته من رسول الله ﷺ (وكان أبو بكر بن عياش) رضي الله عنهما يقول لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي في حاجة لبدأت بحاجة علي لقربه من رسول الله ﷺ ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما في الفضل وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ ويقولان كان رسول الله ﷺ يزورها (ولما قدمت حليمة) مرضعته ﷺ على أبي بكر وعمر بسطا لها ثوبيهما وفي رواية أرديتهما (قال) وسمعت سيدي عليا الخواص رحمه الله يقول من حق الشريف علينا أن نفديه بأرواحنا لسريان لحم رسول الله ﷺ ودمه الكريمين فيه فهو بضعة من رسول الله ﷺ وللبعض في الإجلال والتعظيم والتوقير ما للكل وحرمة جزئه ﷺ كحرمة جزئه حيًا على حد سواء (قال بعض العلماء) ومن حقوق الشرفاء علينا وإن بعدوا في النسب أن نؤثر رضاهم على أهوائنا وشهواتنا ونعظمهم ونوقرهم ولا نجلس فوق سرير وهم على الأرض انتهى (وكان) سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه إذا جلس إليه شريف يظهر له الخشوع والانكماش بين يديه ويقول إنه بضعة من رسول

الله ﷺ ويقول من آذى شريفًا فقد آذى رسول الله ﷺ وكان يقول يتأكد على كل صاحب مال إذا رأى شريفًا عليه دين أن يفديه بماله لأنه جزء من رسول الله ﷺ وكان يقول لا ينبغي لمن يؤمن بالله ويحب رسول الله ﷺ أن يتوقف عن تعظيم الشريف والإحسان إليه حتى يعرف صحة نسبه بل يكفيه تظاهر الشريف بالشرف وذلك أوجه للمؤمن عند رسول الله ﷺ من حيث إنا عظمناه ووقرناه من غير توقف على صحة النسب (وكان الإمام مالك) رضي الله عنه يقول من ادعى الشرف كاذبًا يضرب ضربًا وجيعًا ثم يشهر ويحبس طويلا حتى يظهر لنا توبته لأن ذلك استخفاف منه بحقه ﷺ ومع ذلك كان يعظم من طعن في نسبه ويقول لعله شريف في نفس الأمر (قال بعض العلماء) ولا ينبغي تعظيم الشريف إذا تعاطى المحرمات وخالفه معظم العلماء وقالوا تعظيم الشريف مطلوب بما لا إثم فيه ولو زنى وعمل عمل قوم لوط وشرب الخمر وسحر وأكل الربا وسرق وكذب وأكل أموال اليتامى وقذف المحصنات وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ولا سيما إن كانت هذه الأمور لم تثبت عنه على يد حاكم شرعي وإنما أشاعها عنه بعض الحسدة كما هو الغالب في الناس اليوم فقل من يثبت عنه شيء مما يوجب الحد لاستتار بعض هذه المعاصي عن الناس بفعلها في بيوتهم وهي مقفلة عليهم (قال الشعراني) قلت ولم أر من تخلق من أقراني بهذا الخلق إلا قليلا بل رأيت بعضهم يستخدم الشريف المستور ويحمله غاشية سرجه وسجادته ويمشيه خلف بغلته وهذا من أدل دليل على شدة جهله بالأدب مع الله ورسوله، فكيف يدعي التقرب من حضرة الله وأنه يدعو الناس إليها فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال وقد تقدم أن إقامة الحدود على الشرفاء لا تنافي تعظيمهم وتوقيرهم فنعظمهم من حيث كونهم من ذرية رسول الله ﷺ ونقيم عليهم الحد الذي شرعه جدهم ﷺ ولم يخص به أحدًا دون أحد بدليل قوله ﷺ وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها والله أعلم (قال) وكان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول اصطنعوا الأيادي مع الأشراف لمكانهم من رسول الله ﷺ وانوا بذلك الهدية والمودة للقربى دون الزكاة فإن لهم في أعناقنا عبودية لا يمكننا أن نقوم ببعضها زيادة على ما لجدهم ﷺ من الحق علينا انتهى (قال) وقد تقدم

في هذه المنن أن من الأدب ألا يتزوج أحدنا شريفة إلا إن عرف من نفسه أن يكون تحت حكمها وإشارتها ويقدم لها نعلها ويقوم لها إذا وردت عليه ولا يتزوج عليها ولا يقتر عليها في المعيشة إلا إن اختارت ذلك ولا ينظر إليها إذا كانت أجنبية وهي في الإزار ولا ينظر لوجهها إذا ابتاعت منه شيئًا ولا ينظر إلى رجلها إذا كان بائع الخفاف ولا تسأله شيئًا ويمنعه عنها إلا بطريق شرعي في جميع الأمور السابقة واللاحقة ونحوها ولا يمر عليها وهي جالسة على الطرقات تسأل شيئًا يقدر عليه فلا يعطيها ونحو ذلك فاعلم يا أخي ذلك واعمل على التخلق به ترشد والله يتولى هداك انتهى (وفي المنن) أيضًا ما نصه ومما من الله به علي عدم دعائي على شريف إذ ظلمني فضلا عن كوني أشكوه من بيوت الحكام وإذا تخاصم الشرفاء مع بعضهم بعضًا لا أنتصر لأحد منهم دون الآخر بل أطلب الصلح بينهم لا غير وكثيرًا ما أتوجه إلى رسول الله ﷺ وأقول يا رسول الله خاطرك على أولادك يصلح الله بينهم وقد بلغني أن بعض المشايخ توجه إلى الله تعالى في قتل الشريف أبي نمي سلطان مكة لأجل ولاية أولاد أعمامه بعده فقلت يا سبحان الله لابد للمتوجه إلى الله تعالى من واسطة رسول الله ﷺ فكيف يقول يا رسول الله اقتل ولدك فلانا لأجل ولدك فلان انتهى.

(غريبة) نقل الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المالكي في كتابه مشارق الأنوار أن رجلا من المغرب عزم على التوجه إلى الحج فأعطاه آخر مائة دينار وقال تعطيهم بالمدينة لرجل شريف صحيح النسب فلما وصل سأل عن الأشراف فقالوا له إنهم من الشيعة يسبون الشيخين فكره الإعطاء فجلس بجنبه رجل بالمدينة فقال له أأنت شريف؟ فقال نعم قال له ما عقيدتك؟ قال شيعي فكره الإعطاء له قال فنمت تلك الليلة فرأيت أن القيامة قامت والناس يجوزون على الصراط فأردت الجواز فمنعتني فاطمة رضي الله عنها فأقبل رسول الله ﷺ فشكوت له فقال لها لم منعته؟ فقالت قطع رزق ابني فقال لها رسول الله ﷺ إنه ما منعه إلا من كونه يسب الشيخين قال

فالتفتت فاطمة رضي الله عنها إلى الشيخين وقالت لهما أتؤاخذان ولدي بذلك فقالا لا بل سامحناه فالتفتت إليّ وقالت ما الذي أدخلك بين ولدي وبين الشيخين؟ فانتبهت فزعًا فأخذت المبلغ وجئت به إلى ذلك الشريف ودفعته إليه فتعجب من ذلك فقصصت عليه الرؤيا فقال أشهدك على أني لا أسبهما.

(فائدة) تحرم الصدقة عليهم لكونها أوساخ الناس ولتعويضهم خمس الخمس من الفيء الغنم والغنيمة وقصر مالك وأبو حنيفة تحريمها على بني هاشم وقال الشافعي وأحمد بتحريمها على بني هاشم وبني المطلب وروي عن أبي حنيفة جوازها لبني هاشم مطلقًا وقال أبو يوسف تحل من بعضهم لبعض ومذهب أكثر الحنفية والشافعية وأحمد جواز أخذهم صدقة النفل وهو رواية عن مالك وروي عنه حل أخذ الفرض دون التطوع لأن الذل فيه أكثر ذكره الأجهوري في مشارق الأنوار.

فصل

في ذكر مناقب سيدنا الحسن السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ابن سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

ولد الحسن رضي الله عنه في منتصف رمضان سنة ثلاث من الهجرة وهو أول أولاد علي وفاطمة رضي الله عنهما روي مرفوعًا إلى علي أبيه رضي الله عنهما قال: «لما حضرت ولادة فاطمة قال رسول الله ﷺ لأسماء بنت عميس وأم سلمة رضي الله عنهما احضرا فاطمة فإذا وقع ولدها واستهل صارخًا فأذنا في أذنه اليمنى وأقيما في أذنه اليسرى فإنه لا يفعل ذلك بمثله إلا عصم من الشيطان ولا تحدثا شيئًا حتى آتيكما فلما ولدت فعلنا ذلك وأتاه رسول الله ﷺ فسره ولبأه بريقه وقال اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم فلما كان اليوم السابع من مولده قال رسول الله ﷺ «ما سميتموه قالوا حربا قال بل سموه حسنًا» (عن أسماء) بنت عميس قالت قبلت فاطمة بالحسن فلم أر لها دمًا فقلت يا رسول الله إني لم أر لفاطمة دمًا في حيض ولا نفاس فقال لها عليه السلام أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث ولا ولادة، خرجه الإمام علي بن موسى الرضا وعق عنه ﷺ فعن علي رضي الله عنه عق رسول الله ﷺ عن الحسن وقال يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة فوزناه فكان وزنه درهمًا أو بعض درهم خرجه الترمذي (وعن أسماء) بنت عميس قالت عق النبي ﷺ عن الحسن يوم سابعه بكبشين أملحين وأعطى القابلة الفخذ وحلق رأسه وتصدق بزنة الشعر ثم طلى رأسه بيده المباركة بالخلوق (وختنه ﷺ) عن جابر أن النبي ﷺ عق عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة أيام وأرضعته أم الفضل امرأة العباس بن عبد المطلب بلبن ابنها قثم فعن قابوس أن أم الفضل قالت يا رسول الله رأيت كأن عضوًا من أعضائك في بيتي فقال خيرًا رأيتِ تلد فاطمة غلامًا فترضعينه بلبن قثم فولدت فاطمة الحسن فأرضعته بلبن قثم خرجه الدولابي والبغوي في معجمه

فجئت به إلى النبـي ﷺ فوضعته في حـجره فبال فضـربت كتفه فقـال عليه الصلاة والسلام أوجعت ابني رحمك الله وفي الصفوة عن علي قال الحسن أشبه الناس بالنبي ﷺ ما بين الصدر إلى الرأس والحسين أشبـه الناس بالنبي ﷺ ما كان أسفل من ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لا أزال أحب هذا الرجل يعني الحـسن بن علي بعد ما رأيت رسول الله ﷺ يصنع به ما يصنع قال رأيت الحسن في حجر النبي ﷺ وهو يدخل أصابعه في لحية النبي ﷺ والنبي ﷺ يـدخل لسانه في فيه ثم يقول اللهم إني أحبه كذا في ذخائر العقبي.

(صـفة الحـسن رضي الله عنه) كان أبيض مـشربا بحـمرة أدعج العـينين سهل الخدين كث اللحية ذا وفرة كأن عنقـه إبريق فضة عظيم الكراديس بعيد ما بين المنكبين ربعة ليس بالطويل ولا بالقصـير من أحسن الناس وجها وكان يخـضب بالسواد وكان جعـد الشعر حسن البـدن ذكره الدولابي وغيـره عن محمد بن علي قـال الحسن إني لأستحيي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمش إلى بيـته فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليـه ؛ وعن علي بن زيد قال حج الحـسن خمس عـشرة حـجة مـاشيًا وإن النجائب لتقاد معه (وفي حياة الحيوان) وقاسم الله عزّ وجل ماله ثلاث مرات حتى إنه ليعطي نعلا ويمسك أخرى (وكنيته) أبو محمد؛ وأما ألقابه فكثيرة وهي التقي والزكي والسيد والسـبط والولي وأكثرها شهرة الـتقي وأعلاها رتبة ما لقـبه به رسول الله ﷺ كما في الحديث الصحيح «إن ابني هذا سيد» روى البخاري في صحيحه عن عقبة بن الحرث قال صلـى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشي ومـعه علي رضي الله عنهمـا فرأى الحسن رضي الله عنه يلعب مع الصـبيان فـحمله أبو بكر رضي الله عنه على عاتقـه وقال بأبي شبيـه بالنبي ﷺ ليس شبيـهًا بعلي. قال وعلي رضي الله عنه يتبسم وقـد ورد في فضله رضي الله عنه أحاديث كـثيرة فمن ذلك مـا رواه البخاري ومسلم مرفوعًا إلى البراء رضي الله عنه قال: «رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه وهو يقول اللهم إني أحبه فأحـبه» وروى الترمذي مرفوعًا إلى ابن عباس رضي الله عنهمـا أنه قال كان رسول الله ﷺ حـامل الحسن بن علي رضي الله عنهمـا فقال

رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي ﷺ ونعم الراكب هو وروي عن الحافظ أبي نعيم فيما أورده في حديثه عن أبي بكر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يصلي بنا فيجيء الحسن رضي الله عنه وهو ساجد وهو إذ ذاك صغير فيجلس على ظهره ومرة على رقبته فيرفعه النبي ﷺ رفعًا رفيقًا فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله إنا رأيناك تصنع بهذا الصبي شيئًا ما رأيناك تصنعه بأحد فقال إن هذا ريحانتي وإن ابني هذا سيد وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين وروى الترمذي عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

(تنبيه) سئل الشيخ الزاهد محيي الدين النواوي عن قوله ﷺ «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» ما معناه فأجاب بجواب منه معنى الحديث أن الحسن والحسين وإن ماتا شيخين فهما سيدا كل من مات شابًا ودخل الجنة وكل أهل الجنة يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين ولا يلزم كون السيد في سن من يسودهم كذا في تتمة المختصر (وعن) ابن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول هما ريحانتاي من الجنة وروي أنه ﷺ مر بالحسن والحسين وهما يلعبان فطأطأ لهما عنقه وحملهما وقال نعم المطية مطيتهما ونعم الراكبان هما.

(فائدة) ليس ثم خليفة هاشمي من هاشمية غير الحسن بن علي ومحمد بن زبيدة.

(حكايتان: الأولى) كان الحسن رضي الله عنه يجلس في مسجد رسول الله ﷺ ويجتمع الناس حوله فجاء رجل فوجد شخصًا يحدث عن رسول الله ﷺ والناس حوله مجتمعون فجاء إليه الرجل فقال أخبرني عن شاهد ومشهود فقال نعم أما الشهاد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم عرفة فتجاوزه إلى آخر يحدث في المسجد فسأله عن شاهد ومشهود كذلك فقال أما الشاهد فيوم الجمعة وأما المشهود فيوم النحر ثم تجاوزهما إلى ثالث فسأله عن شاهد ومشهود أيضًا فقال الشاهد رسول الله ﷺ

والمشهود يوم القيامة أما سمعته عزّ وجلّ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[1] وقال تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود فسأل عن الأول فقالوا ابن عباس رضي الله عنهما وسأل عن الثاني فقالوا ابن عمر رضي الله عنهما وسأل عن الثالث فقالوا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما رواها الإمام أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي في تفسير الوسيط (الثانية) اغتسل الحسن رضي الله عنه وخرج من داره في بعض الأيام وعليه حلة فاخرة ووفرة ظاهرة ومحاسن سافرة فعرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود وعليه مسح من جلود قد أنهكته العلة وركبته القلة والذلة وشمس الظهيرة قد شوت شواه وهو حامل جرة ماء على قفاه فاستوقف الحسن رضي الله عنه وقال يا ابن رسول الله سؤال قال ما هو؟ قال جدك يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» وأنت مؤمن وأنا كافر فما أرى الدنيا إلا جنة لك تتنعم بها وما أراها إلا سجنًا عليّ قد أهلكني ضرها وأجهدني فقرها فلما سمع الحسن كلامه قال له يا هذا لو نظرت إلى ما أعد الله لي في الآخرة لعلمت أني في هذه الحالة بالنسبة إلى تلك في سجن ولو نظرت إلى ما أعد الله لك في الآخرة من العذاب الأليم لرأيت أنك الآن في جنة واسعة انتهى من الفصول المهمة.

(فائدة) روي عن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين بهؤلاء الكلمات أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة.

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٥.

فصل
في ذكر طرف من أخباره ومصالحته لمعاوية وما يتصل بذلك

قال أصحـاب السير لما استـشهد علي رضي الله عنه عمـد أهل العراق إلى ابنه الحسن فبـايعوه ثم أشاروا عليه بالمسير ليـأخذ الشام من معاوية وسار مـعاوية بجيش الشام لقـصده فلما تقـارب الجيشـان وتراءى الجمعـان بموضع يقال له مسكن بناحـية الأنبار من أرض السـواد علم الحسن أنه لم تغـلب إحدى الفئـتين حتى يذهب أكـثر الأخرى فـرأى أن المصلحة في جـمع الكلمة وترك القـتال فكتب إلى معـاوية يراسله ويخبره بأنه يصير الأمر إليـه وينزل عنه على أن يشترط عليه ألا يطالب أحدًا من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان في أيام أبيه وأن يكون ولي العهد من بعده وأن يمكنه من بيت المال ليأخذ حاجته منه ففرح معاوية رضي الله عنه وأجاب إلى ذلك إلا أنه قال إلا عشرة أنفس لا أومنهم فراجعه الحسن فيهم فكتب إليه معاوية إني قد آليت أنني متى ظفـرت بقيس بن سعد بن عبـادة قطعت لسانه ويده فراجـعه الحسن إني لا أبايعك أبدًا وأنت تطلب قيسًا وغيره بتبعة قلت أو كثرت فبعث إليه معاوية حينئذ برق أبيض وقال له اكتب ما شئت فيه فأنا ألتزمه فاصطلحا على ذلك فكتب الحسن كل ما اشتـرط عليه من الأمـور المذكورة واشـترط أن يكون له الأمـر بعده فالتـزم ذلك كله معاوية فـخلع الحسن نفسه وسلم الأمـر إلى معاوية ببيت المقـدس تورعًا وقطعًا للشر فلما اصطلحا دخل مـعاوية الكوفة وارتحل الحسن إلى المدينة وأقـام بها (وكان) نزوله عنهـا سنة إحدى وأربعين في ربيع الأول وقـيل في جمـادى الأولى وقيل غـير ذلك وذلك مصداق قوله ﷺ في حق الحسن: «إن ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمـتين من المسلمين» رواه البخـاري ولكونه نزل عنها ابتـغاء وجه الله عـوّضه الله

وأهل بيته عنها بالخلافة الباطنة حتى ذهب قوم إلى أن قطب الأولياء في كل زمان لا يكون إلا من أهل البيت، ولما نزل عن الخلافة كان أصحابه يقولون يا عار المؤمنين فيقول العار خير من النار.

(موعظة) من مواعظ الحسن رضي الله عنه كان رضي الله عنه يقول: يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابدًا وارض بما قسم الله لك تكن غنيًا، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلمًا، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك بمثله تكن عادلا؛ إنه كان بين أيديكم قوم يجمعون كثيرًا ويبنون مشيدًا ويأملون بعيدًا أصبح جمعهم بورا وعملهم غرورًا ومساكنهم قبورًا. يا ابن آدم إنك لم تزل في هدم عمرك مذ سقطت من بطن أمك فجد بما في يدك لما بين يديك فإن المؤمن يتزوّد والكافر يتمتع وكان يتلو هذه الآية بعدها ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى﴾[1] كذا في الفصول المهمة.

(١) سورة البقرة آية ١٩٧.

فصل
في ذكر نبذة من كلامه

نقل الحافظ أبو نعيم في حليته بسنده أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه سأل ابنه الحسن رضي الله عنه فقال يا بني ما السداد؟ فقال يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف قال فما الشرف؟ قال اصطناع العشيرة والاحتمال للجريرة قال فما السماح؟ قال البذل في العسر واليسر قال فما اللؤم؟ قال إحراز المرء ماله وبذله عرضه قال فما الجبن؟ قال الجراءة على الصديق والنكول عن العدو قال فما الغنى؟ قال رضا النفس بما قسم الله لها وإن قل قال فما الحلم؟ قال كظم الغيظ وملك النفس قال فما المنعة؟ قال شدة البأس ومنازعة أعز الناس قال فما الذل؟ قال الفزع عند الصدمة قال فما الكلفة؟ قال كلامك فيما لا يعنيك قال فما المجد؟ قال أن تعطي في الغرم وتعفو في الجرم قال فما السؤدد؟ قال إتيان الجميل وترك القبيح قال فما السفه؟ قال اتباع الدناءة وصحبة الغواة قال فما الغفلة؟ قال ترك المسجد وطاعة المفسد (ومن كلامه رضي الله عنه) لا أدب لمن لا عقل له، ولا مودة لمن لاهمة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تُدرك الداران جميعًا ومن حرم العقل حرمهما جميعًا (وقال) رضي الله عنه: هلاك الناس في ثلاث: في الكبر والحرص والحسد، فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس، والحرص عدوّ النفس وبه أخرج آدم من الجنة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل (وقال) رضي الله عنه: دخلت على عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وهو يجود بنفسه لما ضربه ابن ملجم فجزعت لذلك فقال لي أتجزع؟ فقلت وكيف لا أجزع وأنا أراك على هذه الحالة فقال: يا بني احفظ عني خصالا أربعًا إن أنت حفظتهن نلت بهن النجاة، يا بني لا

غنى أكثر من العـقل، ولا فقر مثل الجهل، ولا وحشة أشـد من العجب، ولا عيش ألذ من حسن الخلق؛ واعلم أن مروءة القناعة والرضا أكبر من مروءة الإعطاء ، وتمام الصنيعة خير من ابتدائها (وقال) رضي الله عنه: حسن السؤال نصف العلم وقال: من بدأ الكلام قبل السـلام فلا تجيـبوه، وسئل عن الصـمت فقال: هو سـتر العي وزين العرض وفاعله في راحـة وجليسه في أمن (وقيل) له إن أبا ذر يقـول الفقر أحب إلي من الغنى والسقم أحب إلي من الصـحة فقال رحم الله أبا ذر أما أنـا فأقول من اتكل على حسن اخـتيار الله لم يتمن أنه في غـير الحالة التي اختارهـا الله له (وكان) يقول لبنيه وبني أخـيه تعلموا العلم فـإن لم تستطيعـوا حفظه فاكـتبوه وضعـوه في بيوتكم (ورأى) عيسى بن مريم عليـه السلام فقال له أريد أن أتخذ خاتمًا فمـا أكتب عليه قال اكتب عليه لا إله إلا الله الملك الحـق المبين فإنه آخر الإنجيل؛ ومن كلامـه المنظوم كما ذكره العلامة عبد القادر الطبري المالكي في شرح الدرية:

اغن عـن المخلـوق بالخـــالـق ... تغن عـن الكاذب والصـــادق

واسـتـرزق الرحـمـن من فـضله ... ليـس غـيـــر الله بـالرازق

مـن ظـن أن الـنـاس يـغـنـونـه ... فلـيس بالـرحـــمن بالـواثق

من ظـن أن الرزق كـسـبـه ... زلت به الـنعـلان من حـالق

(كرامة) تغـوّط رجل على قبـره رضي الله عنه فـجن وجعل يـنبح كمـا ينبح الكلب ثم مات فسمع يعوي في قبـره أخرجه أبو نعيم عن الأعمش (وكان رضي الله عنه كريمًا) فمن كرمه ما نقل عنه أنه سمع رجلا يسأل ربه أن يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف الحسن إلى منزله وبعث بها إليه. ومنه أن رجـلا سأله وشكا إليه حاله فدعا الحسن وكيله وجـعل يحاسبه على نفـقاته ومقبوضـاته حتى استقصـاها فقال له هات الفاضل فأحضر خمسين ألف درهم ثم قال ما فعلت بخمسمائة الدينار التي معك قال عندي قال فـأحضرها فـلما أحضـرها دفع الدراهم والدنانير إلى الرجل واعـتذر منه (ومنه) ما رواه أبو الحـسن المدائني قال: خـرج الحسن والحسين وعـبد الله بن جعـفر

رضي الله عنهم حجاجًا فلما كانوا ببعض الطريق جاعوا وعطشوا وقد فاتتهم أثقالهم فنظروا إلى خباء فقصدوه فإذا فيه عجوز فقالوا هل من شراب؟ فقالت نعم فأناخوا بها وليس عندها إلا شويهة فقالت احلبوها واشربوا لبنها ففعلوا ذلك فقالوا هل من طعام قالت هذه الشويهة ما عندي غيرها فأنا أقسم عليكم بالله إلا ما ذبحها أحدكم حتى أهيئ لكم الحطب فاشووها وكلوها ففعلوا ذلك وأقاموا عندها حتى أبردوا فلما ارتحلوا من عندها قالوا لها يا هذه نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا رجعنا سالمين فألمي بنا فإنا صانعون بك خيرًا إن شاء الله تعالى ثم ارتحلوا وأقبل زوجها فأخبرته الخبر فغضب وقال ويحك تذبحين شاتنا لقوم لا نعرفهم ثم تقولين نفر من قريش ثم بعد دهر طويل أصابت المرأة وزوجها السنة فاضطرتهم الحاجة إلى دخول المدينة فدخلاها يلتقطان البعر فمرت العجوز في بعض سكك المدينة ومعها مكتلها تلتقط فيه البعر والحسن رضي الله عنه جالس على باب داره فنظر إليها فعرفها فناداها وقال لها يا أمة الله هل تعرفينني؟ فقالت لا فقال أنا أحد ضيوفك يوم كذا سنة كذا في المنزل الفلاني فقالت بأبي أنت وأمي لست أعرفك قال فإن لم تعرفيني فأنا أعرفك فأمر غلامه فاشترى لها من غنم الصدقة ألف شاة وأعطاها ألف دينار وبعث بها مع غلامه إلى أخيه الحسين رضي الله عنه فلما دخل بها الغلام على أخيه الحسين عرفها وقال بكم وصلها أخي الحسن فأخبره بذلك فأمر لها بمثل ذلك ثم بعث بها مع الغلام إلى عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما فلما دخلت عليه عرفها وأخبره الغلام بما فعل معها الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال والله لو بدأت بي لأتعبتهما وأمر لها بألفي شاة وألفي دينار فرجعت وهي من أغنى الناس. وعن الحسن بن سعد عن أبيه قال متع الحسن رضي الله عنه امرأتين من نسائه بعد طلاقهما بعشرين ألفا وزقين من عسل فقالت إحداهما وأراها الحنفية متاع قليل من حبيب مفارق انتهى من الفصول المهمة (وأخرج) ابن سعد عن علي أنه قال يا أهل الكوفة لا تزوجوا الحسن فإنه رجل مطلاق فقال رجل من همدان لنزوجنه فما رضي أمسك وما كره طلق وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه وأحصن تسعين امرأة.

(تنبيهان): الأول قيل للحسن رضي الله عنه لأي شيء نراك لا ترد سائلا وإن كنت على فاقه؟ فقال إني لله سائل وفيه راغب وأنا أستحيي أن أكون سائلا وأرد سائلا، وإن الله تعالى عودني عادة عودني أن يفيض نعمه علي وعودته أن أفيض نعمه على الناس فأخشى إن قطعت العادة أن يمنعني العادة وأنشأ يقول:

إذا ما أتاني سائل قلت مرحبًا ... بمن فضله فرض علي معجل

ومن فضله فضل على كل فاضل ... وأفضل أيام الفتى حين يسأل

(الثاني) كان يومًا جالسًا فأتاه رجل وسأله أن يعطيه شيئًا من الصدقة ولم يكن عنده ما يسد به رمقه فاستحيا أن يرده فقال ألا أدلك على شيء يحصل لك منه البر فقال ماذا تدلني عليه فقال اذهب إلى الخليفة فإن ابنته توفيت وانقطع عليها وما سمع من أحد تعزية فعزه بهذه التعزية يحصل لك بها الخير فقال حفظني إياها قال قل له الحمد لله الذي سترها بجلوسك على قبرها ولا هتكها بجلوسها على قبرك فذهب إلى الخليفة وعزاه بهذه التعزية فسمعها فذهب عنه الحزن فأمر له بجائزة وقال بالله عليك أكلامك هذا؟ قال لا بل كلام فلان قال صدقت فإنه معدن الكلام الفصيح وأمر له بجائزة أخرى كذا في الكنز المدفون.

(فائدة) عن الحسن رضي الله عنه كان عطاؤه رضي الله عنه مائة ألف فحبسها عنه معاوية في بعض السنين فحصل له ضيق شديد قال الحسن رضي الله عنه فدعوت بدواة لأكتب إلى معاوية لأذكره نفسي ثم أمسكت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال كيف أنت يا حسن؟ فقلت بخير يا أبت وشكوت إليه تأخر المال عني قال أدعوت بدواة لتكتب إلى مخلوق مثلك تذكّره؟ فقلت نعم يا رسول الله فكيف أصنع؟ قال قل: اللهم اقذف في قلبي رجاءك واقطع رجائي عمن سواك حتى لا أرجو أحدًا غيرك، اللهم ما ضعفت عنه قوتي وقصر عنه عملي ولم تنته إليه رغبتي ولم تبلغه مسألتي ولم يجر على لساني مما أعطيت أحدًا من الأولين والآخرين من اليقين فخصني به يا أرحم الراحمين قال فوالله ما ألححت به أسبوعًا حتى بعث إليّ معاوية بألف ألف وخمسمائة ألف فقلت الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ولا يخيب

من دعاه فرأيت النبي ﷺ فقال يا حسن كيف أنت؟ فقلت بخير يا رسول الله وحدثته بحديثي فـقال يا بني هكذا من رجـا الخالق ولم يرج المخلوق أوردها الأجـهوري في مشـارق الأنوار (ومروياته) من الأحـاديث ثلاثة عـشر حـديثًا كـذا في المسامـرات (وكاتبه) عبد الله بن أبي رافع رضي الله تعالى عنه.

(تتمة في مرض موته ووفاته وأولاده) قال أبو علي الفضـل بن الحسن الطبري في كتـابه أعلام الورى: بعـد أن تم الصلح بين الحسن ومـعاوية وخـرج الحسن إلى المدينة أقام بها عشـر سنين وسقته زوجته جعـدة بنت الأشعث بن قيس الكندي السم فبقي مريضًا أربعين يومًا وكان قـد سألها يزيد في ذلك وبذل لها مائة ألف درهم وأن يتزوجها بعد الحسن ففعـلت، ولما مات الحسن بعثت إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال إنا لن نرضاك للحـسن أفنرضاك لأنفسنا قال الحافظ أبو نعيم في حليـته لما اشتد الأمر بالحسن قال أخرجوا فـراشي إلى صحن الدار لعلي أتفكر في ملكوت السموات يعني الآيات فلما خـرجوا به قال اللهم إني أحـتسب نفسي عندك فإنهـا أعز الأنفس علي وعن عمـرو بن إسحق قـال دخلت على الحسن أنا ورجل نعـوده فقـال يا فلان سلني فقـال له والله لا أسألك حتى يـعافيك الله وأسألـك قال لقد ألقـيت طائفة من كبـدي وإني سقـيت السم مرارًا فلم أسـقه مـثل هذه المرة ثم دخلت عليه مـن الغد فوجـدت أخاه الحسين رضي الله تـعالى عنه عند رأسه فـقال له الحسـين من تتهم يا أخي؟ قل لم لأن تقتله قـال نعم قال إن يكن الذي أظنه فالله أشد بأسًا وأشـد تنكيلا وإن لم يكن هو فما أحب أن يقتل بي بريء (وروي) أنه لما حضـرته الوفاة قال لأخيه الحسين يا أخي قـد حضـرت وفاتي وحان فـراقي لك وإني لاحق بربي وأجد كـبدي تقطع وإني لعارف من أين ذهبت وأنا أخاصـمه إلى الله تعالى ثم توفي لخمس خلون من شهـر ربيع الأول سنة خـمسين وقيل تـسع وأربعين وقيل غـير ذلك من الهـجرة وصلى عليه سـعيـد بن العاص فإنه كـان واليًا يومئذ بالمدينـة من جهة مـعاوية ودفن بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد وكـان عمره إذ ذاك سبعًا وأربعين سنة وكانت مدة خلافته منها ستـة أشهر وخمسة أيام (وأما أولاده) فقال ابن الخشـاب أحد عشر ابنًا وبنت واحدة وهم عـبد الله والقاسم والحـسن وزيد وعمر وعـبد الله وعبـد الرحمن

وأحمد وإسمعيل والحسين وعقيل والبنت اسمها فاطمة وكنيتها أم الحسن وهي أم محمد الباقر بن علي (وقال) الشيخ أبو عبد الله محمد بن النعمان في الإرشاد: أولاد الحسن بن علي رضي الله عنهم خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأنثى وهم زيد وأختاه أم الحسن وأم الحسين أمهم أم بشر بنت أبي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجية والحسن وأمه خولة بنت منصور الفزارية وعمر وأخوه القاسم وعبد الله أمهم أم ولد واستشهدوا ثلاثتهم بين يدي عمهم الحسين بن علي بطف كربلاء وعبد الرحمن أمه أم ولد والحسين الملقب بالأشرم وأخوه طلحة وأختهما فاطمة أمهم أم إسحق بنت طلحة ابن عبد الله وأم عبد الله وفاطمة وأم سلمة ورقية بنات الحسن لأمهات أولاد شتى. قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين وهما الحسن وزيد.

(تذييل في الكلام على مناقب زيد والحسن ولدي الحسن رضي الله عنهم) أما زيد فإنه كان يلي صدقات رسول الله ﷺ، وكان جليل القدر كريم الطبع طيب النفس كثير البر، وكان مسناً ومدحه الشعراء وقصده الناس من الآفاق لطلب بره، وكان يلقب بالأبلج وهو جد السيدة نفيسة بنت السيد حسن الأنور. وذكر أصحاب السير أنه لما ولي سليمان بن عبد الملك كتب إلى عامله بالمدينة: أما بعد إذا جاءك كتابي هذا فاعزل زيد بن الحسن عن صدقات رسول الله ﷺ وادفعها إلى رجل من قومه سماه فلما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى عامله بالمدينة أما بعد فإن زيد بن الحسن شريف بني هاشم وذو سهم فإذا جاءك كتابي هذا فاردد إليه صدقات رسول الله ﷺ وأعنه على ما استعانك عليه وكانت الصدقة أولا بعد النبي ﷺ بيد علي والعباس قال معمر فغلب عليها علي فكانت بيده ثم بيد ابنه الحسن ثم الحسين ثم علي ابنه ثم الحسن بن الحسن ثم زيد بن الحسن ثم عبد الله بن الحسن ثم وليها بنو العباس انتهى، وفي زيد بن الحسن يقول محمد بن بشر الخارجي:

وزيد ربيع الناس في كل شتوة	إذا اختلفت أبراقها ورعودها
حمول لأشتات الديات كأنه	سراج الدجى قد قارنتها سعودها

مات زيد رضي الله عنه سنة عشرين ومائة وله تسعون سنة ورثاه جماعة من

الشعراء، فممن رثاه قدامة بن موسى الجمحي بقوله:

فإن يك زيد غالت الأرض شخصه ... فقد كان معروف هناك وجود

وإن يك أمسى رهن رمس فقد ثوى ... به وهو محمود الفعال حميد

سريع إلى المضطر يعلم أنه ... سيطلبه المعروف ثم يعود

وليس بقوّال وقد حطّ رحله ... لملتمس يرجوه أين تريد

إذا قصر الوعد الدني سما به ... إلى المجد آباء له وجدود

إذا مات منهم سيد قام سيد ... كريم فيبني مجدهم ويشيد

قال صاحب الفصول: مات زيد ولم يدع الإمامة ولا ادعاها له مدّعٍ من الشيعة ولا من غيرهم قال وذلك لأن الشيعة رجلان إمامي وزيدي فالإمامي يعتمد في الإمامة النصوص وهي معدومة في ولد الحسن باتفاق ولم يدّع ذلك أحد منهم لنفسه فيقع فيه الارتياب والزيدي يراعي في الإمامة بعد علي والحسن والحسين الدعوة والاجتهاد وزيد بن الحسن هذا كان مسالمًا لبني أمية ومتقلدًا الأعمال من قبلهم وكان رأيه التبعية لأعدائه والتأليف لهم والمداراة وهذا أيضًا عند الزيدية خارج عن علامات الإمامة وزيد خارج عنها بكل انتهى. (وأما) الحسن بن الحسن الملقب المثنى فكان جليلا مهيبًا فاضلا رئيسًا ورعًا زاهدًا وكان يلي صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه ساير الحجاج يومًا بالمدينة والحجاج إذ ذاك أمير بها فقال له الحجاج يا حسن أدخل معك عمك في النظر على صدقات أبيه فإنه عمك وبقية أهلك فقال الحسن لا أغير شرطًا اشترطه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ولا أدخل في صدقاته من لم يدخله فقال له الحجاج أنا أدخله معك قهرًا فأمسك الحسن عنه ثم ما كان منه إلا أن فارقه وتوجه من المدينة إلى الشام قاصدًا عبد الملك ابن مروان، فلما أتى الشام وقف بباب عبد الملك يطلب الإذن عليه فوافاه يحيى بن أم الحكم وهو على الباب فسلم عليه وقال ما جاء بك فأخبره بخبره فقال له أسبقك بالدخول على عبد الملك ثم ادخل أنت فتكلم واذكر قصتك فترى ما أفعل معك

وأنصفك عنده إن شاء الله تعالى، فدخل يحيى ودخل بعده الحسن فلما نظره عبد الملك رحب به وأحسن مسألته وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب فقال له عبد الملك قد أسرع إليك الشيب يا أبا محمد فقال يحيى وما يمنعه عن ذلك يا أمير المؤمنين شيبته أماني أهل العراق يفد عليه الركب بعد الركب في كل سنة يمنّونه الخلافة فقال الحسن بئس والله الرفد رفدت وليس الأمر كما قلت ولكنا أهل البيت يسرع إلينا الشيب وعبد الملك يسمع كلامه فأقبل عبد الملك على الحسن وقال لا عليك هلمّ حاجتك يا أبا عبد الله فأخبره بقول الحجاج فقال عبد الملك ليس ذلك له وكتب له للحجاج كتابًا يتهدده فيه ووصله بأحسن صلة وجهزه وهو راجع إلى المدينة وبعد أن خرج الحسن من عنده قصده يحيى إلى منزله فقال كيف رأيت ما فعلت معك؟ فقال والله إني عاتب عليك فيما قلت فقال إنها لك والله ما آلو بك نفعًا ولا ادخرت عنك جهدًا ولولا كلمتي هذه ما هابك ولا قضى لك حاجة فاعرف لي ذلك.

(وفي الفصول المهمة والأغاني) يروى أن الحسن بن الحسن رضي الله عنهما خطب إلى عمه الحسين إحدى بنتيه فاطمة وسكينة فقال اختر يا بني أحبهما إليك فاستحيا الحسن ولم يرد جوابًا فقال له عمه الحسين رضي الله عنه قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثر شبهًا بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فزوجها منه وحضر الحسن بن الحسن مع عمه الحسين بطف كربلاء فلما قتل الحسين وأسر الباقون من أهله أسر الحسن في جملتهم فجاء أسماء بن خارجة فانتزع الحسن من بين الأسرى وقال والله لا يوصل إلى ابن خولة أبدًا (مات) الحسن بن الحسن سنة سبع وتسعين وله خمس وثمانون سنة وأخوه زيد حي وأوصى إلى أخيه من أمه إبراهيم بن محمد ابن طلحة (وضربت زوجته) فاطمة بنت الحسين عمه على قبره فسطاطًا وكانت تقوم الليل وتصوم النهار وكانت تشبه بالحور العين لجمالها فلما كانت رأس السنة قالت لمواليها إذا أظلم الليل فقوّضوا هذا الفسطاط فلما أظلم الليل وقوضوه سمعت قائلا يقول: هل وجدوا ما فقدوا؟ فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا انتهى. وأعقب الحسن بن الحسن خمسة رجال عبد الله المحض وإبراهيم القمر والحسن المثلث وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه وداود وجعفر وأمهما أم ولد تدعى حبيبة كذا في بحر الأنساب.

فصل
في ذكر مناقب سيدنا الحسين السبط ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ

(ولد) الحسين رضي الله عنه بالمدينة لخمس خلونَ من شعبان سنة أربع من الهجرة وكانت أمه علقت به بعد أن ولدت أخاه الحسن رضي الله عنه بخمسين ليلة وهكذا صح النقل في ذلك (وحنكه) ﷺ بريقه وأذن في أذنه وتفل في فمه ودعا له وسماه حسينًا يوم السابع وعق عنه بكبش وقال لأمه: احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن (وكنيته) أبو عبد الله لا غير (وألقابه) الرشيد والطيب والزكي والوفي والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط؛ وأشهرها الزكي؛ وأعلاها رتبة ما لقبه ﷺ في قوله عنه وعن أخيه إنهما سيدا شباب أهل الجنة وكذلك السبط فإنه صح عن رسول الله ﷺ أنه قال «حسين سبط من الأسباط» (وكان) الحسين رضي الله عنه أشبه الخلق بالنبي ﷺ من سرته إلى كعبه (وشاعره) يحيى بن الحكم وجماعة غيره (وبوابه) أسعد الهجري (ونقش) خاتمه لكل أجل كتاب (ومعاصره) يزيد بن معاوية وعبيد الله بن زياد (ومروياته) من الأحاديث ثمانية.

(وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه): أخرج الحاكم وصححه عن يعلى العامري أن النبي ﷺ قال: «حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسينًا، وحسين سبط من الأسباط». وروى ابن حبان وابن سعد وأبو يعلى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة». وفي لفظ «إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي».

وروى خيثمة بن سليمان عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ جلس في المسجد فقال: أين لكع فجاء الحسين يمشي حتى سقط في حجره فجعل أصابعه في لحية رسول الله ﷺ ففتح رسول الله ﷺ فمه أي الحسين فأدخل فاه في فيه ثم قال: اللهم أني أحبه فأحبه وأحب من يحبه». وروى أبو الحسن بن الضحاك عن أبي هريرة قال: «رأيت رسول الله ﷺ يمتص لعاب الحسين كما يمتص الرجل التمرة». وروي عن جعفر الصادق بن محمد قال: «اصطرع الحسن والحسين بين يدي رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: إيها حسن فقالت فاطمة: يا رسول الله تستنهض الكبير على الصغير فقال ﷺ: هذا جبريل يقول: «إيها حسين خذ الحسن». وعن زيد بن أبي زيادة قال: «خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسينا يبكي فقال: ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني». وعن البراء بن عازب قال: «رأيت رسول الله ﷺ حاملا الحسين بن علي رضي الله عنهما على عاتقه وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه». وروى البخاري والترمذي يرفعه إلى ابن عمر رضي الله عنهما أنه سأله رجل عن دم البعوضة فقال له ممن أنت؟ فقال رجل من أهل العراق فقال انظروا إلى هذا يسألني عن دم البعوضة وقد قتلوا ابن رسول الله ﷺ، وسمعت النبي ﷺ يقول: هما ريحانتاي من الدنيا. وروت أم الفضل بن العباس رضي الله عنهم قالت: «دخلت على رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله رأيت البارحة حلمًا منكرًا قال: وما هو قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت فوضعت في حجري فقال رسول الله ﷺ خيرًا رأيت تلد فاطمة غلامًا يكون في حجرك فولدت فاطمة الحسين قالت فكان في حجري كما قال رسول الله ﷺ فدخلت به عليه فوضعته في حجره ثم حانت به مني التفاتة فإذا عينا رسول الله ﷺ تدمعان فقلت بأبي وأمي يا رسول الله ما يبكيك قال: جاء جبريل عليه السلام فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا وأتاني بتربة من تربة حمراء» وروى البغوي بسنده يرفعه إلى أم سلمة أنها قالت: كان

جبريل عليه السلام عند النبي والحسين معي فغفلت عنه فذهب إلى النبي ﷺ فأخذه النبي ﷺ وجعله على فخذه فقال له جبريل عليه السلام: أتحبه يا محمد قال: نعم قال إن أمتك ستقتله وإن شئت لأريتك تربة الأرض التي يقتل بها ثم بسط جناحه إلى الأرض وأراه أرضًا يقال لها كربلاء تربة حمراء بطف العراق».

(تنبيه) الطف بفتح الطاء المهملة المشددة وبالفاء المشددة موضع خارج الكوفة وجمعه طفوف وهو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق والجانب والشاطئ؛ وفي مجمع البحرين الطف ساحل البحر وجانب البر ومنه الطف الذي استشهد فيه الحسين رضي الله عنه سمي به لأنه طرف البر مما يلي الفرات اهـ. وروى الحافظ عبد العزيز الجنابذي في كتابه معالم العترة الطاهرة مرفوعًا إلى الأصبغ بن نباتة عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال: «أتينا مع علي رضي الله عنه في سفرة فمررنا بأرض كربلاء فقال عليّ: ههنا مناخ ركابهم وموضع رحالهم ومهراق دمائهم فئة من أمة محمد ﷺ يقتلون في هذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض.

فصل
في خروجه إلى العراق واستشهاده رضي الله عنه

قال أبو عـمرو لما مات معـاوية في غرة رجب سنة ستين وأفضت الخـلافة إلى يزيد ووردت بيعـته على الوليد بن عـتبة بالمدينة ليأخـذ البيعـة على أهلها أرسل إلى الحسين بن علي وإلى عـبد الله بن الزبير ليلا وأتى بهمـا فقال: بايعا فـقالا: مثلنا لا يبايع سرًا ولكنّا نبايع عـلى رءوس الناس إذا أصبحنا فرجعا إلى بيوتهـما وخرجا من ليلتهمـا إلى مكة وذلك ليلة الأحد لليلتين بقيـتا من رجب فأقام الحسين بمكة شـعبان ورمضان وشوّالا وذا القـعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة نقله ابن عـبد البر. وفي الفصول المهمة ولما بلغ أهل الكوفة موت معاوية وامتناع الحسين وابن عمر وابن الزبير رضي الله عنهم من البيـعة وأن الحسين سار إلى مكة ونزل بهـا اجتمعت الشـيعة في منزل سليمان بن صـرد بالكوفة وتذاكروا أمر الحسين وسـيره إلى مكة وقالوا نكتب له كتابًا يأتينا الكوفة فكتبوا له كتابًا وأرسلوه مع القاصدين، وصورته: بسم الله الرحمن الرحيم للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه رضي الله عنهما، أما بعد فإن الناس منتظروك لا رأي لهم في غيرك فـالعجل العجل يا ابن رسول الله ﷺ لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ويؤيد الإسلام بك بعد أجزل السلام وأتمه عليك ورحمة الله وبركاته، فكتب إليهم الحسين رضي الله عنه: أما بعد فقد وصلني كتابكم وفهمت ما اقتـضته آراؤكم وقد بعثت إليكم أخي وثـقتي وابن عمي مسلم بن عقـيل وسأقدم عليكم إثره إن شاء الله تعالى، وأرسل مـسلم بن عقيل إليهم صحبـة قاصديهم فلما وصل إليهم مسلم ودخل الكوفـة اجتمعت عليه الشـيعة وأخذ عليهم البيـعة للحسين رضي الله عنه فبلغ ذلك والي الكوفة يومئذ وهو النعمان بن بشير فكتب فيه إلى يزيد ابن معاوية فجهز يزيد على الفور عبيد الله بن زياد إلى الكوفة ولما قرب منها عبيد الله

ابن زياد تنكر ودخلها ليلا وأوهم أنه الحسين ودخلها من جهة البادية في زي أهل الحجاز فصار كلما اجتاز بجماعة قاموا له وهم يظنون أنه الحسين ويقولون مرحبًا بابن رسول الله ﷺ قدمت خير مقدم وهو لا يكلمهم ولما رأى تباشرهم بالحسين ساءه ذلك وانكشفت له أحوالهم ثم إنه قصد قصر الإمارة يريد الدخول فيه فوجد النعمان ابن بشير وأصحابه وأغلقوه عليهم وذلك لظن النعمان بن بشير أن ابن زياد هو الحسين فصاح عليهم عبيد الله بن زياد افتحوا لا بارك الله فيكم ولا كثر من أمثالكم فعرفوا صوته وقالوا ابن مرجانة فنزلوا وفتحوا له فدخل القصر وبات فيه ولما أصبح جمع الناس فصال وجال وقال وأطال وقتل جماعة من أهل الكوفة وتحيل بعد ذلك حتى ظفر بمسلم بن عقيل فقبض عليه وقتله ولم يقم الحسين رضي الله عنه بعد مسير ابن عمه مسلم بمكة إلا قليلا حتى تجهز للمسير في أثره فخرج ومعه جميع أهله وولده وخاصته وحاشيته ومن يليه فأتاه عمر بن الحرث بن هشام المخزومي فقال له إني جئتك لحاجة أريد ذكرها نصيحة لك فإن كنت ترى أني ناصح قلتها لك وأديت ما يجب علي من الحق فيها وإن ظننت أني غير ناصح كففت عما أريد أن أقوله لك فقال قل، فقال له: قد بلغني أنك تريد العراق وإني مشفق عليك أن تأتي بلدًا فيها عمال يزيد وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد الدرهم والدينار فلا آمن عليك من أن يقاتلك من وعدك نصره ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه له وذلك عند البذل وطمع الدنيا، فقال له الحسين رضي الله عنه: جزاك الله خيرًا من ناصح، لقد مشيت يا ابن عم بنصح وكلمت بعقل ولم تنطق عن الهوى ولكن مهما يقض من أمر يكن أخذت برأيك أم تركت مع أنك عندي أحمد مشير وأعز ناصح؛ ثم جاءه بعد ذلك عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وجماعة من ذوي الحكمة والتجربة والمعرفة بالأمور فقالوا له إن الناس قد أرجفوا بأنك سائر إلى العراق فهل عزمت على شيء من ذلك؟ فقال نعم إني قد أجمعت على المسير في أحد يوميّ هذين إلى الكوفة أريد اللحوق بابن عمي مسلم إن شاء الله تعالى فقال ابنُ عباس ومن معه نعيذك بالله من ذلك أخبرنا أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم ضبطوا بلادهم نفوا عدوّهم؟ فإن كانوا

قد فعلوا فسر إليهم وإن كانوا قد دعوك وأميرهم قائم لهم قاهر لهم يجبي بلادهم ويأخذ خراجهم فإنما دعوك إلى الحرب ولا آمن عليك من أن يغروك ويكذبوك ويخذلوك ولم يستنفروا إليك فيكونوا أشد الناس عليك، فقال الحسين إني أستخير الله تعالى ثم أنظر ماذا يكون، فخرج ابن عباس ومن معه؛ ثم إنه ورد على الحسين كتاب من المدينة من عبد الله بن جعفر مع ولديه عون ومحمد ومن سعيد بن العاص ومن جماعة من أهل المدينة وكل منهم يشير عليه بعدم التوجه إلى العراق؛ هذا كله والقضاء غالب فلم يكترث بما قيل له ليقضي الله أمرًا كان مفعولا؛ وجاءه ابن الزبير رضي الله عنهما فجلس عنده ساعة يتحدث ثم قال له أخبرني ما تريد أن تصنع بلغني أنك سائر إلى العراق؟ فقال له الحسين نعم نفسي تحدثني بإتيان الكوفة وذلك أن جماعة من شيعتنا وأشراف الناس كتبوا إليّ كتابًا يستحثوننى على المسير إليهم ويعدوننى النصرة والقيام معي بأنفسهم وأموالهم ووعدتهم الوصول إليهم وأنا أستخير الله تعالى، فقال له ابن الزبير: أما إنه لو كان لي بها شيعة مثل شيعتك ما عدلت عنهم ثم خشي أن يتهمه فقال: وإن رأيت أن تقيم هنا بالحجاز وتريد هذا الأمر قمنا معك وبايعناك وساعدناك ونصحنا لك، فقال له الحسين رضي الله عنه: إن أبي حدثني أن بها كبشًا به تستحلّ حرمتها فما أحب أن أكون ذلك الكبش والله لأن أقتل خارجًا من مكة بشبر أحبّ إليّ من أن أقتل بداخلها، فقال ابن الزبير رضي الله عنهما من عنده، فقال الحسين رضي الله عنه لجماعة كانوا عنده من خواصه إن هذا الرجل يعني ابن الزبير ليس شيء أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز وقد علم أن الناس لا يعدلون بي ما دمت فيه فود أني خرجت منه ليخلو به؛ ولما كان الغد جاءه عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما ثانيًا وقال: يا ابن عم إني أتصبر ولا أصبر إني أتخوّف عليك من هذا الوجه الهلاك والاستئصال إن أهل العراق أهل غدر فلا تأمنهم وأقم بهذا البيت الشريف فإنك سيد أهل الحجاز وإن كان أهل العراق يريدونك كما زعموا فاكتب إليهم ينفوا عاملهم ويخرجوه عنهم ثم تقدّم عليهم وإن رأيت فسر إلى اليمن فإن فيها حصونًا وشعوبًا وهي أرض طويلة عريضة ولأبيك بها شيعة كثيرة وتكون بها

معتزلا فتكتب إلى الناس ويكتبون إليك وإني أرجو أن يأتيك عند ذلك الفرج بالذي تريد، فقال له الحسين رضي الله عنه: يا ابن عم إني أعلم أنك ناصح مشفق ولكن قد أزمعت وأجمعت على المسير إلى هذا الوجه فقال له ابن عباس رضي الله عنهما فإن كنت سائرًا ولا بد فلا تسر بنسائك وصبيتك قال: ولا أتركهم خلفي فقال له ابن عباس رضي الله عنهما والله لو أعلم أني إن أخذت بناصيتك وأخذت بناصيتي حتى تجتمع علينا الناس أطعتنى وأقمتَ لفعلت ثم خرج عنه ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول: أقررت عين ابن الزبير بمخرجك من الحجاز وعند خروج ابن عباس من عند الحسين رضي الله عنه صادفه ابن الزبير فقال: ما وراءك يا ابن عم؟ قال ما يقر عينك هذا الحسين يخرج إلى العراق ويخليك والحجاز ثم ولى وهو ينشد:

يا لك من قبرة بمعمر	خلا لك الجوّ فبيضي واصفري
ونقري ما شئتِ أن تنقري	لا بدّ من أخذك يومًا فاصبري

فخرج الحسين رضى الله عنه من مكة يوم الثلاثاء وهو يوم التروية الثامن من ذي الحجة سنة ستين ومعه اثنان وثمانون رجلا من أهل بيته وشيعته ومواليه ولم يزل سائرًا، فلما كان بالصفاح لقيه الفرزدق الشاعر فنزل وسلم على الحسين رضي الله عنه وقال له أعطاك الله سؤلك وبلغك مأمولك في جميع ما تحب فقال له الحسين رضي الله عنه من أين أقبلت يا أبا فراس؟ فقال من الكوفة فقال له بين لي خبر الناس فقال أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله ﷺ قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء وربنا كل يوم هو في شأن، فقال الحسين: صدقت الأمر لله يفعل ما يشاء والله سبحانه كل يوم في شأن ثم فارقه الحسين رضي الله عنه وسار حتى انتهى إلى ماء قريب من الحاجر فإذا هو بعبد الله بن مطيع نازل على الماء فتلاقى هو وإياه فتسالما واعتنقا وقال له ما جاء بك يا ابن رسول الله ﷺ؟ قال له أقصد الكوفة فقال له ألم أتقدم إليك بالقول ألم أنهك عن المسير إلى هذا الوجه؟ اذكر الله تعالى في حرمة الإسلام أن تنتهك أنشدك الله تعالى في حرمة قريش وذمة العرب والله لئن طلبت ما في يدي بني أمية ليقتلنك ولئن

قتلوك لا يهابون بعدك أحدًا والله إنها لحرمة الإسلام وحرمة قريش وحرمة العرب فالله الله لا تفعل ولا تأت الكوفة ولا تعرض نفسك لبني أمية فأبى أن يمضي إلا في جهته ثم ارتحل من الماء وسار إلى أن أتى التلغبية فلما نزلها أتاه خبر قتل ابن عمه مسلم بن عقيل بالكوفة فقال له بعض أصحابه ننشدك بالله أن ترجع عن مقصدك فإنه ليس لك بالكوفة من ناصر وإنّا نتخوّف أن يكونوا عليك لا لك، فوثب بنو عقيل وقالوا والله لا نرجع حتى نأخذ بثأرنا أو نذوق كما ذاق مسلم فقال لهم الحسين لا خير لي في الحياة بعدكم ثم ارتحلوا حتى انتهوا إلى زبالة، وكان الحسين رضي الله عنه لا يمر بماء من مياه العرب ولا بحي من أحيائها إلا صحبه أهله وتبعوه فلما كان بزبالة أتاه خبر قتل أخيه من الرضاع عبد الله بن بقطر وكان أرسله من الطريق إلى مسلم بن عقيل ليأتيه بخبره من الكوفة فأخذته خيل ابن زياد من القادسية وأخذوا كتبه وقتلوه، فلما بلغ الحسين رضي الله عنه ذلك أيضًا قال قد خذلنا شيعتنا ثم قال أيها الناس من أحب أن ينصرف فلينصرف ليس عليه منا ذم ولا لوم فتفرق الأعراب عنه يمينًا وشمالا حتى بقي في أصحابه لا غير الذين خرج بهم من مكة وإنما فعل ذلك لأنه علم من الناس أنهم ظنوا أنه يأتي بلدًا قد استقامت له وأطاعه أهلها فيتسلمها صفوًا عفوًا من غير حرب ولا قتال فأراد أن يعرفهم ما يقدمون عليه ثم إنه سار حتى نزل بطن العقبة فأتاه رجل من مشايخ العرب فقال له أنشدك الله تعالى إلا انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحدّ السيوف فإن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤنة القتال ووطئوا لك الأمور وقدمت من غير حرب كان ذلك رأيًا وأما على هذه الحالة التي نرى فلا أرى لك أن تفعل فقال له لا يخفى علي شيء مما ذكرته ولكني صابر محتسب حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولا ثم ارتحل نحو الكوفة فلما كان بينه وبينها مسافة مرحلتين وافاه إنسان يقال له الحر بن يزيد الرياحي ومعه ألف فارس من أصحاب عبيد الله بن زياد شاكين السلاح فقال للحسين: إن عبيد الله أخرجني عينًا عليك وقال إن ظفرت به لا تفارقه أو تجيء به وأنا والله كاره أن يبتليني الله بشيء من أمرك غير أني قد أخذت بيعة القوم فقال له الحسين رضي الله عنه إني

لم أقدم هذا البلد حتى أتتني كتب أهلها وقدمت علي رسلهم يطلبونني وأنتم من أهل الكوفة فإن دمتم على بيعتكم وقولكم في كتبكم دخلت مصركم وإلا انصرفت من حيث أتيت فقال له الحر والله لم أعلم بشيء مما ذكرت ولا علم لي بالكتب ولا بالرسل، وأما أنا فما يمكنني الرجوع إلى الكوفة في وقتي هذا وأما أنت فخذ طريقك هذا واذهب إلى حيث شئت وأنا أكتب إلى ابن زياد أن الحسين خالفني الطريق ولم أظفر به وأنشدك الله في نفسك وفيمن معك فسلك الحسين رضي الله عنه طريقًا غير الجادة راجعًا إلى الحجاز وسار هو وأصحابه ليلتهم فلما أصبحوا فإذا الحر بن يزيد في جيشه وهو معهم فقال له الحسين كيف هذا ما جاء بك قال سعى بي إلى ابن زياد وعليّ عين من جهته فجاءني كتاب من جهته وهو يؤنبني في أمرك تأنيبًا كثيرًا وقال تظفر بالحسين وتتركه كن عينًا عليه ولا تفارقه إلى أن تأتيك الجيوش والعساكر ولا بقي لي سبيل إلى مفارقتك فنزل الحسين وحط بتلك الأرض التي أصبح بها وسأل عنها فقيل له هذه كربلاء وكان ذلك يوم الأربعاء الثامن من المحرم سنة إحدى وستين فقال رضي الله عنه هذه كربلاء موضع كرب وبلاء هذا مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا وكتب الحر إلى ابن زياد يخبره بنزول الحسين بأرض كربلاء فكتب عبيد الله بن زياد إلي الحسين كتابًا يقول فيه: أما بعد فإن يزيد بن معاوية كتب إليّ ألا تغمض جفنك من المنام ولا تشبع بطنك من الطعام إما أن يرجع الحسين إلى حكمي أو تقتله والسلام، فلما ورد الكتاب على الحسين وقرأه ألقاه من يده وقال للرسول ما له عندي جواب فلما رجع الرسول إلى ابن زياد وأخبره بذلك اشتد غضبه وجمع الجموع وجهز إليه العساكر وجعل مقدمتها عمر بن سعد وكان واليًا بالري وأعمالها واستعفى من خروجه إلى قتال الحسين وتقدّمه على العسكر فقال له ابن زياد إما أن تخرج له أو تخرج من عملنا فخرج عمر بن سعد إلى الحسين رضي الله عنه وصار ابن زياد يمده بالجيوش شيئًا فشيئًا إلى أن اجتمع عند عمر بن سعد ألف مقاتل ما بين فارس وراجل وأول من خرج مع عمر بن سعد الشمر بن ذي الجوشن في خيل كثيرة ثم ساروا جميعًا حتى نزلوا بشاطئ الفرات فحالوا بين الحسين وبين الماء فعند ذلك

ضاق الأمر على الحسين رضي الله عنه وعلى أصحابه واشتد بهم العطش وكان مع الحسين رجل من أهل الزهد والورع يقال له يزيد بن حصين الهمداني فقال للحسين ائذن لي يا ابن رسول الله ﷺ في أن آتي عمر بن سعد مقدم هؤلاء فأكلمه في الماء لعله أن يرتدع فأذن فجاء الهمداني إلى عمر بن سعد وكلمه في الماء فامتنع ولم يجبه إلى ذلك فقال له هذا ماء الفرات يشرب منه الكلاب والدواب وتمنعه ابن بنت رسول الله ﷺ وأولاده وأهل بيته والعترة الطاهرة يموتون عطشًا وقد حلت بينهم وبين الماء وتزعم أنك تعرف الله ورسوله فأطرق عمر بن سعد ثم قال يا أخا همدان إني لأعلم ما تقول وأنشأ يقول:

دعاني عبيد الله من دون قومه ... إلى خصلة فيها خرجت لحيني

فوالله ما أدري وإني لواقف ... على خطر لا أرتضيه ومين

آآخذ ملك الري والري بغيتي ... وأرجع مطلوبًا بدم حسين

وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرة عيني

ثم قال: يا أخا همدان ما أجد نفسي تجيبني إلى ترك ملك الري لغيري فرجع يزيد بن حصين الهمداني إلى الحسين وأخبره بمقالة ابن سعد، فلما عرف الحسين ذلك منهم تيقن أن القوم مقاتلوه فأمر أصحابه فاحتفروا حفيرة شبيهة بالخندق وجعلوا جهة واحدة يكون القتال منها ثم إن عسكر ابن زياد برزوا لمقاتلة الحسين رضي الله عنه وأصحابه وأحدقوا بهم من كل جانب ووضعوا السيوف في أصحاب الحسين ورموهم بالنبل وهم يقاتلونهم إلى أن قتل من أصحاب الحسين رضي الله عنه ما يزيد على الخمسين فعند ذلك صاح الحسين رضي الله عنه أما ذاب يذب عن حريم رسول الله ﷺ وإذ بالحر بن يزيد الرياحي المتقدم ذكره الذي كان عينًا على الحسين من جهة ابن زياد قد خرج من عسكر عمر بن سعد راكبًا على فرسه وقال أنا يا ابن رسول الله ﷺ كنت أول من خرج إليك عينًا ولم أظن أن الأمر يصل إلى هذا الحال وأنا الآن في حزبك وأنصارك أقاتل بين يديك حتى أقتل أرجو بذلك شفاعة جدك محمد ﷺ فقاتل بين يديه حتى قتل فلما فني أصحاب الحسين رضي الله عنه وقتلوا

جميعــهم وبقي وحده حمل عليهم فقتل كثـيراً من الرجال والأبطال ورجع سالمًا إلى موقفــه عند الحريم ثم حمل عليهم حــملة أخرى وأراد الكر راجعًا إلى موقفــه فحال الشمر بن ذي الجوشن بـينه وبين الحريم في جماعة من أبطالهم وشجـعانهم وأحدقوا به، ثم إن جماعة آخرين تبادروا إلى الحـريم والأطفال يريدون سلبهم، فصاح الحسين ويحكم يا شيعة الشيطان كفوا سفـهاءكم عن الحريم والأطفال فإنهم لم يقاتلوكم فقال الشمر لأصـحابه كفوا عنهم واقصدوا الرجل فلـم يزل يقتتل هو وهم إلى أن أثخنوه جراحًا فـسقط عن فرســه إلى الأرض ونزلوا وحزوا رأسه (قيـل) الذي قتله سنان بن أنس النخعي، وقـيل الشمر بن ذي الجـوشن والصحيح المنقـول عن السدي أن الذي قتله سنان وأرسل عمر بن ســعد بالرأس إلى ابن زياد مع سنان بن أنس النخعي فلما وضع الرأس الشريف بين يدي عبيد الله ابن زياد قال:

أمــلأ ركـابـي فـضـــةً وذهبـــا إني قـتلت السـيـد المحـجـبـا
قـــتلت خــيـــر الـناس أمًا وأبا وخـيـرهم إذ يذكــرون نسـبـا

فغضب عـبيد الله بن زياد وقال: إذا علمت ذلك فلم قـتلته والله لا نلت مني خيـراً ولألحقنك به ثم ضرب عنقـه. وفي أسد الغابة ولما قـتل الحسين رضي الله عنه أرسل عمر بن سعد رأسه ورءوس أصحابه إلى ابن زياد فجمع الناس وأحضر الرءوس وجعل ينكت بقضيب بين ثنيتي الحسين فلمـا رآه زيد بن أرقم لا يرفع قضيبه قال له: اعل بهذا القضيب فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ على هاتين الشفتين يقـبلهما ثم بكى فقال له ابن زياد أبكى الله عينيك فـوالله لولا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك فخـرج وهو يقول أنتم يا معشر العرب العبيـد بعد اليوم قتلتم الحسين ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم انتهى. وفي ذلك قال أبو الأسود الدؤلي:

أقــول وذاك من جــزع ووجــد أزال الله مـلـــك بـنـــي زيـاد
وأبعـــدهم بما غـــدروا وخـــانوا كـما بعـدت ثمـود وقوم عـاد

ثم إن القوم ساقوا الحريم والأطفال كما تساق الأسارى حتى أتوا الكوفة فخرج

الناس فجعلوا ينظرون إليهم ويبكون وكان علي بن الحسين زين العابدين معهم قد أنهك جسمه المرض فجعل يقول إن هؤلاء يبكون من أجلنا فمن قتلنا؟ فلما دخلوا بهم على عبيد الله بن زياد أرسل بهم ورأس الحسين معهم إلى الشام إلى يزيد بن معاوية مع شخص يقال له زجر بن قيس ومعه جماعة مقدمهم وأرسل بالنساء والصبيان على أقتاب ومعه علي بن الحسين وقد جعل ابن زياد الغل في يده وعنقه ولم يزالوا سائرين بهم على تلك الحالة إلى أن وصلوا إلى الشام فتقدم زجر بن قيس فدخل على يزيد فقال له هات ما وراءك قال أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا إليهم وسألناهم النزول على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال فغدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويلوذون بالآكام والحفر كما لاذ الحمائم من عقاب أو صقر فوالله ما كان إلا نحر جزور أو نومة قائل حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم بدمائهم مضرجة وخدودهم في التراب معفرة تصهرهم الشمس وتسفي عليهم الريح زوارهم العقاب والرخم في سبسب من الأرض قال فدمعت عينا يزيد وقال كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين لعن الله ابن سمية ووالله لو كنت صاحبه لعفوت عنه فرحم الله الحسين وأخرجه من عنده لم يصله بشيء ثم إنهم دخلوا بالرأس فوضعوها بين يدي يزيد وكان في يده قضيب فجعل ينكت به في ثغره ثم قال ما أنا وهذا إلا كما قال الحصين:

أبى قومنا أن ينصفونا وأنصفت	قواضب في أيماننا تقطر الدما
يفلقن هاما من رءوس أعزة	علينا وهم كانوا أعق وأظلما

فقال أبو بردة الأسلمي وكان حاضراً أتنكت بقضيبك في ثغره أما إني لقد رأيت رسول الله ﷺ يرشفه ورضيت يا يزيد أن يجيء عبيد الله بن زياد شفيعك يوم القيامة ويجيء هذا ومحمد ﷺ شفيعه ثم قام من المجلس فقال يزيد والله لو أني صاحبه ما قتلته ثم قال أتدرون من أين أتى هذا؟ أما إنه ليقول أبي خير من أبيه وأمي

فاطمة خير من أمه وجدي رسول الله ﷺ خير من جده وأنا خير من يزيد وأحق بالأمر منه؛ فأما قوله أبوه خير من أبي فقد تحاج أبي وأبوه إلى الله تعالى وعلم الناس أيهما حكم له وأما قوله أمي خير من أمه فلعمري فاطمة بنت رسول الله ﷺ خير من أمي وأما قوله جدي خير من جده فلعمري ما أحد يؤمن بالله واليوم الآخر يرى لرسول الله ﷺ فينا عديلا ولا ندًا وأتى هذا من قبل فقهه ولم يقرأ ﴿قُلِ اللهم مالكَ الملك تُؤتي الملكَ مَنْ تشاءُ وتنزعُ الملكَ ممن تشاءُ وتُعزُّ مَنْ تشاءُ وتُذلُّ مَنْ تشاءُ بيدكَ الخيرُ﴾[1] ثم إنه أدخل نساء الحسين والرأس بين يديه فجعلت فاطمة وسكينة تتطاولان لتنظراه وجعل يزيد يستره عنهما فلما رأينه صحن وأعولن بالبكاء فبكى لبكائهن نساء يزيد وبنات معاوية فولولن وأعولن فقالت فاطمة وكانت أكبر من سكينة: بنات رسول الله ﷺ سبايا أسرك هذا يا يزيد فقال والله ما سرني وإني لهذا كاره وما أتى عليكن أعظم مما أخذ منكن ثم قال أدخلوهن إلى الحريم فلما دخلن على حريمه لم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن وأظهرت التوجع والحزن على ما أصابهن وعلى ما نزل بهن وأضعفن لهن جميع ما أخذ منهن من الحلى والثياب وزيادة وكانت سكينة تقول ما رأيت كافرًا بالله خيرًا من يزيد ثم أمر بعلي زين العابدين فدخل عليه مغلولا فقال علي رضي الله عنه يا يزيد لو رآنا رسول الله ﷺ مغلولين لفكه عنا قال صدقت وأمر بفكه فقال ولو رآنا رسول الله ﷺ على بعد لأحب أن يقربنا فأمر به فقربه ثم قال له يزيد يا علي أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فنزل به ما رأيت فقال علي: ﴿مَا أصابَ مِنْ مُصيبةٍ في الأرضِ ولا في أنفسكُمْ إلا في كتابٍ من قبلِ أنْ نبرأَها إنَّ ذلكَ على الله يسيرٌ * لكيلا تَأسَوْا على ما فاتَكُمْ ولا تفرَحُوا بِمَا آتاكم واللهُ لا يُحبُّ كل مختال فخور﴾[2]. فقال له يزيد: ﴿وَمَا أصَابَكُمْ مِنْ مُصيبةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أيديكم﴾[3] ثم إن يزيد أمر بإنزال علي رضي الله عنه وإنزال حرمه في دار تخصهم بمفردهم وأجرى لهم كل ما يحتاجون إليه وكان لا يتغدى ولا يتعشى حتى يحضر علي بن الحسين فدعاه ذات يوم

(١) سورة آل عمران آية ٢٦.
(٢) سورة الحديد آية ٢٢ - ٢٣.
(٣) سورة الشورى آية ٣٠.

ومعه عمر بن الحسين وهو صبي صغير فقال يزيد لعمر أتقاتل خالدًا يعني خالد بن يزيد وكان في سنه فقال أعطني سكينًا وأعطه سكينًا حتى أقاتله فضمه يزيد إليه وقال:

شنشنة أعرفها من أخزم ... وهل تلد الحية إلا حوية

ثم إن يزيد بعد ذلك أمر النعمان بن بشير أن يجهزهم بما يصلحهم إلى المدينة الشريفة وسير معهم رجلا أمينًا من أهل الشام في خيل سيرها صحبتهم وودع يزيد علي بن الحسين وقال له لعن الله ابن مرجانة لو كنت حاضر الحسين ما سألني خصلة إلا كنت أعطيته إياها ولدفعت عنه الحتف بكل ما استطعت ولكن قضاء الله غالب، يا علي كاتبني بكل حاجة كانت لك أقضها لك إن شاء الله تعالى وأوصى بهم الرسول الذي سيره صحبتهم وكان يسايرهم وهو وخيله التي معهم فيكون الحريم قدام بحيث إنهم لا يفوتون فإذا نزلوا تنحى عنهم ناحية هو وأصحابه وكانوا حولهم كهيئة الحرس وكان يسألهم عن حالهم ويتلطف بهم في جميع أمورهم ولا يشق عليهم في مسيرهم إلى أن دخلوا المدينة فقالت فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء؟ فقالت والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذا الحلى قالت فافعلي فأخرجنا له سوارين ودملجين وبعثنا بهما إليه فردهما وقال لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا مقنع بزيادة كثيرة ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ وكان من جملة من كان معهم أم سكينة بنت الحسين بن علي رضي الله عنه وهي الرباب بنت امرئ القيس (ولما) بلغ أهل المدينة قتل الحسين رضي الله عنه خرجت ابنة عقيل بن أبي طالب في نساء من بني هاشم وهي حاسرة تلوي ثوبها وتقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وحريمي بعد مفتقدي ... منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

حكى الشيخ نصر الله بن يحيى وكان من الثقات الخيرين قال رأيت في المنام

علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقلت يا أمير المؤمنين تقولون يوم فتح مكة من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ثم يتم على ولدك الحسين بكربلاء منهم ما يتم فقال لي كَرم الله وجهه أتعرف أبيات ابن الصيفي التميمي في هذا المعنى؟ فقلت لا فقال اذهب إليه واسمعها منه فاستيقظت من نومي مفكرًا ثم إني ذهبت إلى دار ابن الصيفي وهو الحيص بيص الشاعر الملقب بشهاب الدين فطرقت عليه الباب فخرج إليّ فقصصت عليه الرؤيا فشهق وأجهش بالبكاء وحلف بالله إن سمعها مني أحد وإن أكون نظمتها إلا في ليلتي هذه ثم أنشد لي:

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى فنعفو ونصفح

وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

أورد ذلك الشيخ نور الدين بن علي بن محمد الصباغ المالكي المكي المتوفى سنة خمس وخمسين وثمانمائة في كتابه الفصول المهمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رأيت النبي ﷺ في المنام نصف النهار أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم قلت يا رسول الله ما هذا قال دم الحسين وصحبه أرفعه إلى الله عز وجل فجاء الخبر بعد أيام أنه قتل ذلك اليوم وتلك الساعة رواه البيهقي وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه أبو نعيم وغيره؛ وذكر غير واحد أنهم لما ساروا بالرأس الشريف إلى يزيد بن معاوية نزلوا في الطريق بدير ليقيلوا به فوجدوا مكتوبًا على بعض جدرانه :

أترجو أمة قتلت حسينًا ... شفاعة جده يوم الحساب

وفي الخطط للمقريزي ما نصه : لما قتل الحسين بكت السماء وبكاؤها حمرتها؛ وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاء وَالأَرْضُ﴾[1]. قال بكاؤها حمرة أطرافها؛ وعن الزهري بلغني أنه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين إلا وجد تحته دم عبيط ويقال إن الدنيا أظلمت يوم قتلوا ثلاثًا وأصابوا إبلا في عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم وما استطاعوا أن

(١) سورة الدخان آية ٢٩.

يسيغوا منها شيئا. وروي أن السماء أمطرت دمًا فأصبح كل شيء لهم مملوءًا دمًا انتهى. وعن الزهري أنه لم يبق أحد ممن قتل الحسين إلا عوقب في الدنيا قبل الآخرة إما بالقتل أو سواد الوجه أو تغيير الخلقة أو زوال الملك في مدة يسيرة؛ وروى سبط ابن الجوزي أن شيخًا حضر قتله فقط فعمي فسئل عن سببه فقال رأيت النبي ﷺ حاسرًا عن ذراعيه وبيده سيف وبيده نطع وعليه عشرة ممن قتل الحسين مذبوحين ثم لعنني وسبني ثم أكحلني بمرود من دم الحسين فأصبحت أعمى؛ وأخرج أيضًا أن شخصًا علق رأس الحسين في لبب فرسه فرؤي بعد أيام ووجهه أشد سوادًا من القار ومات على أقبح حالة؛ ويقال إن رجلا أنكر ذلك فوثبت النار على جسده فحرقته (وكان) اليوم الذي قتل فيه الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة عاشر محرم سنة إحدى وستين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك خمسًا وخمسين سنة وقيل غير ذلك ووجد به ثلاث وثلاثون ضربة؛ قال ابن الصباغ ودفن بأرض كربلاء بالعراق ومشهده رضي الله عنه بها معروف يزار من جميع الآفاق وكانت عدة القتلى التي حملت رءوسها إلى عبيد الله بن زياد صحبة رأس الحسين رضي الله عنه سبعين انتهى. ودفن أهل العامرية وهم قوم من بني عامر من بني أسد الحسين وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين بعد قتلهم بيوم.

فصل
اختلفوا في رأس الحسين رضي الله عنه

بعد مسيره إلى الشام إلى أين سار وفي أي موضع استقر؛ فذهب طائفة إلى أن يزيد أمر أن يطاف به في البلاد فطيف به حتى انتهى به إلى عسقلان فدفنه أميرها بها فلما غلب الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى إلى لقائه من عدة مراحل ووضعه في كيس حرير أخضر على كرسي من الآبنوس وفرش تحته المسك والطيب وبنى عليه المشهد الحسيني المعروف بالقاهرة قريبًا من خان الخليلي، وقيل دفن بالبقيع عند قبر أمه وأخيه الحسن وهو قول ابن بكار والعلامة الهمداني وغيرهما؛ وذهب الإمامية إلى أنه أعيد إلى الجثة ودفن بكربلاء بعد أربعين يومًا من القتل واعتمد القرطبي الثاني والذي عليه طائفة من الصوفية أنه بالمشهد القاهري؛ قال المناوي في طبقاته ذكر لي بعض أهل الكشف والشهود أنه حصل له اطلاع على أنه دفن مع الجثة بكربلاء ثم ظهر الرأس بعد ذلك بالمشهد القاهري لأن حكم الحال بالبرزخ حكم الإنسان الذي تدلى في تيار جار فيطف بعد ذلك في مكان آخر فلما كان الرأس منفصلا طف في هذا المحل بالمشهد الحسيني المصري وذكر أنه خاطبه منه ا هـ. قال الشيخ علي الأجهوري في رسالة فضائل يوم عاشوراء ذهب جمع من أهل التاريخ إلى دفن الرأس بالمشهد المصري المعروف وكذا جمع من أهل الكشف قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتاب طبقات الأولياء عند ذكره الحسين دفنوا رأسه ببلاد المشرق ثم رشا عليها طلائع بن رزيك بثلاثين ألف دينار ونقلها إلى مصر وبنى عليها المشهد الحسيني وخرج هو وعسكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف ثم وضعها طلائع في كيس من حرير أخضر على كرسي آبنوس وفرشوا تحتها المسك والعنبر والطيب قدر وزنها مرارًا

انتهى. وفي المنن للشعراني ما نصه أخبرني يعني الخواص أن رأس الإمام الحسين رضي الله عنه حقيقة في المشهد الحسيني قريبًا من خان الخليلي وأن طلائع بن رزيك نائب مصر وضعها في القبر المعروف بالمشهد في كيس من حرير أخضر على كرسي من خشب الآبنوس وفرش تحتها المسك والطيب وأنه مشى معها هو وعسكره حفاة من ناحية قطية إلى مصر لما جاءت من بلاد العجم في قصة طويلة؛ وفي المنن أيضًا في موضع آخر قال زرت مرة رأس الحسين بالمشهد أنا والشيخ شهاب الدين بن الجلبي الحنفي وكان عنده توقف في أن رأس الإمام الحسين في ذلك المكان فثقلت رأسه فنام فرأى شخصًا كهيئة النقيب طلع من عند الرأس وذهب إلى رسول الله ﷺ وما زال بصره يتبعه حتى دخل الحجرة النبوية فقال يا رسول الله أحمد بن الجلبي وعبد الوهاب زارا قبر رأس ولدك الحسين فقال رسول الله ﷺ اللهم تقبل منهما واغفر لهما، ومن ذلك اليوم ما ترك الشيخ شهاب الدين زيارة الرأس إلى أن مات وكان يقول آمنت بأن رأس الحسين هنا انتهى وهذا مما يشهد للقول الأول ويعضده أيضًا ما ذكره الشيخ عبد الفتاح بن أبي بكر بن أحمد الشهير بالرسام الشافعي الخلوتي في رسالته نور العين بقوله ومن ذلك ما لأهل الكشف والاطلاع في مقرها ما ذكره خاتمة الحفاظ والمحدثين شيخ الإسلام والمسلمين نجم الدين الغيطي رضي الله عنه نقلا عن شيخ الإسلام الشيخ شمس الدين اللقاني شيخ السادة المالكية في عصره رحمه الله تعالى أنه كان يومًا جالسًا بالجامع الأزهر مع القطب الكبير الشيخ أبي المواهب التونسي يتحدث معه وإذا بالشيخ أبي المواهب قام مستعجلا وذهب إلى نحو باب المدرسة الجوهرية التي بالجامع وخرج منها فتبعه الشيخ شمس الدين المذكور وهو لا يشعر به إلى أن وصل إلى المشهد المبارك وهو خلفه فلما دخل المسجد وجد إنسانًا واقفًا على باب الضريح الشريف ويداه مبسوطتان وهو يدعو فلما فرغ الرجل من الدعاء ومسح على وجهه بيده رجع الشيخ اللقاني إلى الجامع الأزهر وإذا بالشيخ أبي المواهب التونسي رجع فقال له الشيخ اللقاني يا مولانا رأيتك ذهبت مستعجلا من باب الجوهرية وهأنت رجعت فقال كنت في مصلحة وكتم عنه القضية فقال له ذهبت

إلى المسجد الحسيني قال نعم فما الذي أعلمك بذلك قال كنت معك فيه قال فما رأيت قال رأيت إنسانًا واقفًا على باب الضريح يدعو ووقفت أنت خلفه ووقفت أنا خلفكما أدعو أيضًا فقال أبشر يا شمس الدين فإن جميع ما دعوت به استجيب لك في ذلك الوقت قلت يا سيدي ومن هذا الرجل قال القطب الغوث الجامع يأتي كل يوم أو قال كل يوم الثلاثاء فيزور هذا المشهد فلما وقع عندي مجيئه في ذلك الوقت قمت إليه وحضرت معه الزيارة وقبلت يده فالزم ذلك يحصل لك خير فما زال الشيخ اللقاني يزور ذلك المكان إلى أن مات رحمه الله تعالى (ومن) ذلك ما نقل عن الشيخ الجليل أبي حسن التمار رضي الله عنه أنه كان يأتي إلى هذا المكان للزيارة ثم إذا دخل إلى الضريح يقول السلام عليكم فيسمع الجواب وعليك السلام يا أبا الحسن فجاء يومًا من الأيام فسلم فلم يسمع الجواب برد السلام فزار ورجع ثم جاء مرة أخرى وسلم فسمع الجواب برد السلام فقال يا سيدي جئت بالأمس وسلمت فما سمعت جوابًا فقال يا أبا حسن لك المعذرة كنت أتحدث مع جدي ﷺ فلم أسمع كلامك وهذه كرامة جليلة لأبي الحسن التمار رضي الله عنه (ومن) ذلك أيضًا ما أخبر به العلامة الشيخ فتح الدين أبو الفتح الغمري الشافعي أنه كان يتردد إلى الزيارة غالبًا فجلس يومًا يقرأ الفاتحة ودعا فلما وصل في الدعاء إلى قوله واجعل ثوابًا مثل ذلك فأراد أن يقول في صحائف سيدنا الحسين ساكن هذا الرمس فحصلت له حالة فنظر فيها إلى شخص جالس على الضريح وقع عنده أنه السيد الحسين رضي الله عنه فقال في صحائف هذا وأشار بيده إليه فلما أتم الدعاء ذهب إلى الشيخ الجليل الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه فأخبره بذلك فقال له الشيخ صدقت وأنا وقع لي مثل ذلك ثم ذهب إلى الشيخ كريم الدين الخلوتي رضي الله عنه فأخبره بذلك فقال له الشيخ كريم الدين صدقت وأنا مازرت هذا المكان إلا بإذن من النبي ﷺ انتهى هذا ما ثبت عن أرباب الكشف. وفي كتاب الخطط للمقريزي بعد كلام على مشهد الحسين رضي الله عنه ما نصه وكان حمل الرأس الشريف إلى القاهرة من عسقلان ووصوله إليها في يوم الأحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان

الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها والقاضي المؤتمن مسكين وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكورة ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسك فقدم به الأستاذ مكنون في عشارى من عشاريات الخدمة وأنزل به إلى الكافور ثم حمل في السرداب إلى قصر الزمرذ ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة وقال ابن الظاهر مشهد الإمام الحسين قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك إلا عندنا فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه له ونقلوا إليه الرخام وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة ا هـ.

(كرامتان): الأولى اتهم شخص من أتباع السلطان الملك الناصر بأنه يعرف الدفائن والأموال التي بالقصر فأمر بتعذيبه وأخذه متولي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية يقال إن هذه العقوبة أشد العقوبات وأن الإنسان لا يطيق الصبر عليها ساعة إلا تنقب دماغه وتقتله ففعل به ذلك مرارًا وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة فسألوه ما سبب هذا فقال حملت رأس الحسين لما جاء فعفا عنه ا هـ خطط. الثانية روى ابن خالويه عن الأعمش عن منهال الأسدي قال والله لقد رأيت رأس الحسين رضي الله عنه حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ سورة الكهف حتى بلغ ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾[1]. فنطق الرأس وقال قتلي أعجب من ذلك.

(غريبة) روى سليمان الأعمش رضي الله عنه قال خرجنا ذات سنة حجاجًا لبيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه السلام فبينا أنا أطوف بالبيت إذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول اللهم اغفر لي وما أظنك تفعل فلما فرغت من طوافي قلت سبحان الله العظيم ما كان ذنب هذا الرجل فتنحيت عنه ثم مررت به مرة ثانية وهو

---

(١) سورة الكهف آية ٩.

يقول اللهم اغفـر لي وما أظنك تفعل فلما فرغت من طوافي قصـدت نحوه فقلت يا هذا إنك في موقف عظيم يغفر الله فيه الذنوب العظام فلو سألت منه عز وجل المغفرة والرحمة لرجوت أن يفعل فإنه منعم كريم فقال يا عبد الله من أنت؟ فقلت أنا سليمان الأعمش فقال يا سليمان إياك طلبت وقـد كنت أتمنى مثلك فأخذ بيدي وأخرجني من داخل الكعبة إلى خارجها فقال لي يا سليمان ذنبي عظيم فقلت يا هذا أذنبك أعظم أم الجبل أم السموات أم الأرضون أم العرش؟ فـقال لي يا سليمان ذنبي أعظم مهلا علي حتـى أخبرك بـعجب رأيتـه فقلت له تكلم رحـمك الله فقـال لي يا سليمـان أنا من السبعين رجلا الذين أتوا برأس الحسين بن علـي رضي الله عنهما إلى يزيد بن معاوية فـأمر بالـرأس فنصب خارج المديـنة وأمر بإنزالـه ووضع في طست من ذهب ووضع ببيت منامـه قال فلما كان في جـوف الليل انتبهت امـرأة يزيد بن معاوية فإذا شـعاع ساطع إلى السماء ففزعت فزعًا شـديدًا وانتبه يزيد من منامه فقالت له يا هذا قم فإني أرى عجبًا فنظر يزيد إلى ذلك الضـياء فقال لها اسكتي فإني أرى كـما ترين قال فلما أصبح من الغد أمر بالرأس فأخرج إلى فسطاط هو من الديباج الأخضر وأمر بالسبعين رجلا فخرجنا إليه نحرسه وأمـر لنا بالطعام والشراب حتى غربت الشمس ومضى من الليل ما شاء الله ورقدنا فاستيقظت ونظرت نحو السماء وإذا بسحابة عظيمة ولها دوي كدوي الجبـال وخفقان أجنحة فـأقبلت حتى لصقت بالأرض ونزل منـها رجل وعليه حلتان من حلل الجنة وبيده درانك وكراسي فبسط الدرانك وألقى عليها الكراسي وقام على قدمـيه ونادى انزل يا أبا البـشر انزل يا آدم ﷺ فنزل رجل أجـمل ما يكون سن الشيوخ شيبا فأقبل حتى وقف على الرأس فقال السلام عليك يا بقية الصالحين عشت سعيدًا وقتلت طريدًا ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا رحمك الله ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غدا من النار ثم زال وقعد على كرسي من تلك الكراسي قال يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيرًا وإذا بسحابة أخرى أقـبلت حتى لصقت بالأرض فسمعت مناديا يقـول انزل يا نبي الله انزل يا نوح وإذا برجل أتم الرجـال خلقًا وإذا بوجهـه صفـرة وعليه حلتان من حلل الجنة فـأقبل حتى وقف على الرأس فقال السـلام عليك يا عبد

الله السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريدًا وعشت سعيدًا ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غدا من النار ثم زال فقعد على كرسي من الكراسي قال يا سليمان ثم لم ألبث إلا يسيرًا وإذا بسحابة أعظم منها فأقبلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت مناديًا ينادي انزل يا خليل الله انزل يا إبراهيم صلى الله عليك وسلم وإذا برجل ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني أبيض الوجه أملح الرجال شيبًا فأقبل حتى وقف على الرأس فقال السلام عليك يا عبد الله السلام عليك يا بقية الصالحين قتلت طريدًا وعشت سعيدًا ولم تزل عطشان حتى ألحقك الله بنا غفر الله لك ولا غفر لقاتلك الويل لقاتلك غدًا من النار ثم تنحى على كرسي من الكراسي ثم لم ألبث إلا يسيرًا فإذا بسحابة عظيمة فيها دوي كدوي الرعد وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلا يقول انزل يا نبي الله انزل يا موسى بن عمران قال فإذا برجل أشد الناس في خلقه وأتمهم في هيبته وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثلما تقدم ثم تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي ثم لم ألبث إلا يسيرًا وإذا بسحابة أخرى وإذا فيها دوي عظيم وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض وقام الأذان فسمعت قائلا يقول انزل يا عيسى انزل يا روح الله فإذا أنا برجل محمر الوجه وفيه صفرة وعليه حلتان من حلل الجنة فأقبل حتى وقف على الرأس فقال مثل مقالة آدم ومن بعده ثم تنحى فجلس على كرسي من تلك الكراسي ثم لم ألبث إلا يسيرًا وإذا بسحابة عظيمة فيها دوي كدوي الرعد والرياح وخفقان أجنحة فنزلت حتى لصقت بالأرض فقام الأذان وسمعت مناديًا ينادي انزل يا محمد انزل يا أحمد صلى الله عليك وسلم وإذا بالنبي ﷺ وعليه حلتان من حلل الجنة وعن يمينه صف من الملائكة والحسن وفاطمة رضي الله عنهما فأقبل حتى دنا من الرأس فضمه إلى صدره وبكى بكاء شديدًا ثم دفعه إلى أمه فاطمة فضمته إلى صدرها وبكت بكاء شديدًا حتى علا بكاؤها وبكى لها من سمعها في ذلك المكان فأقبل آدم عليه السلام حتى دنا من النبي ﷺ فقال السلام على الولد الطيب السلام على الخلق الطيب أعظم الله أجرك وأحسن

عزاءك في ابنك الحسين ثم قام نوح عليه السلام فقال مثل قول آدم ثم قام إبراهيم عليه السلام فقال كقولهما ثم قام موسى وعيسى عليهما السلام فقالا كقولهم كلهم يعزونه ﷺ في ابنه الحسين ثم قال النبي ﷺ يا أبي آدم ويا أبي نوح ويا أخي إبراهيم ويا أخي موسى ويا أخي عيسى اشهدوا وكفى بالله شهيدًا على أمتي بما كافئونى في ابني وولدي من بعدي فدنا منه ملك من الملائكة فقال قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بسماء الدنيا أمرني الله تعالى بالطاعة لك فلو أذنت لي أنزلتها على أمتك فلا يبقى منهم أحد ثم قام ملك آخر فقال قطعت قلوبنا يا أبا القاسم أنا الملك الموكل بالبحار وأمرني الله بالطاعة لك فإن أذنت لي أرسلتها عليهم فلا يبقى منهم أحد فقال النبي ﷺ يا ملائكة ربي كفوا عن أمتي فإن لي ولهم موعدًا لن أخلفه فقام إليه آدم عليه السلام فقال جزاك الله خيرًا من نبي أحسن ما جوزي به نبي عن أمته فقال الحسن يا جداه هؤلاء الرقود هم الذين يحرسون أخي وهم الذين أتوا برأسه فقال النبي ﷺ يا ملائكة ربي اقتلوهم بقتلة ابني فوالله ما لبثت إلا يسيرًا حتى رأيت أصحابي قد ذبحوا أجمعين قال فلصق بي ملك ليذبحني فناديته يا أبا القاسم أجرني وارحمني يرحمك الله فقال كفوا عنه ودنا مني وقال أنت من السبعين رجلا قلت نعم فألقى يده في منكبي وسحبني على وجهي وقال لا رحمك الله ولا غفر لك أحرق الله عظامك بالنار فلذلك أيست من رحمة الله فقال الأعمش إليك عني فإني أخاف أن أعاقب من أجلك ا هـ من شرح الشفاء للعلامة التلمساني من الفصل الرابع والعشرين فيما أطلع الله نبيه ﷺ من الغيوب من ترجمة الحسين.

(نادرتان): الأولى أن عبيد الله بن زياد لما ظفر بالحسين رضي الله عنه وأهله صعد المنبر فقال الحمد لله الذي أظهر الحق ونصر يزيد بن معاوية وحزبه على الكذاب حسين فوثب عبد الله بن عفيف رضي الله عنه وكانت عينه اليسرى قد ذهبت يوم الجمل مع علي رضي الله عنه وذهبت عينه الأخرى يوم صفين وكان يلازم المسجد يصلي فيه إلى الليل فقال يا ابن مرجانة إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي والاك تقتلون أبناء الأنبياء وتتكلمون بكلام الصديقين فأومأ إليه ابن زياد وقال يا عدو

الله ما تقول في عثمان؟ فقال عدو الله أنت، ذلك الرجل أحسن وأساء وأصلح وأفسد والله ولي خلقه يقضي في عثمان وغيره بالحق والعدل ولكن إن شئت سلني عنك وعن أبيك وعن يزيد وعن أبيه فقال لا أسألك حتى أذيقك الموت فقال دعوت الله تعالى أن يرزقني شهادة قبل أن تلدك أمك على يد أعدى خلق الله تعالى وأبغضهم له فلما ذهب بصري يئست منها فالحمد لله الذي رزقنيها على يأسي وعرفني الإجابة لي منه على قديم دعائي فنزل وقتله وصلبه بالسبخة في الكوفة انتهى من مختصر التواريخ. الثانية قضى الله أن قتل عبيد الله بن زياد هو وأصحابه يوم عاشوراء سنة سبع وستين جهز إليه المختار بن عبيد جيشًا فقتله إبراهيم بن الأشتر في الحرب وبعث برأسه إلى المختار وبعث به المختار إلى ابن الزبير فبعثه ابن الزبير إلى علي بن الحسين (روى) الترمذي أنه لما جاء برأسه ونصب في المسجد مع رءوس أصحابه جاءت حية فتخللت الرءوس حتى دخلت في منخره فمكثت هنيهة ثم خرجت فعلت ذلك مرتين أو ثلاثًا وكان نصبها في محل رأس الحسين ذكره الشيخ عبد الرحمن الأجهوري في كتابه مشارق الأنوار ومثله في أسد الغابة وزاد ابن الأثير هذا حديث حسن صحيح أخرجه الثلاثة.

(عجيبة) قال عبد الملك بن عمير رأيت في هذا القصر عجبًا رأيت رأس الحسين على ترس بين يدي عبيد الله بن زياد ثم رأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار ثم رأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير ثم رأيت رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان وكان بين يدي عبد الملك فلما سمع ذلك أمر بهدم القصر كذا في الكنز المدفون (وأخرج) الحاكم في المستدرك وصححه وقال الذهبي في التلخيص على شرط مسلم عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى محمد ﷺ إني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفًا وإني قاتل بابن بنتك سبعين ألفًا وسبعين ألفًا». قال الحافظ بن حجر ورد من طريق واه عن علي عن المصطفى ﷺ أنه قال قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا قال الجلال السيوطي في المحاضرات والمحاورات حصل

بالكوفة جدري في بعض السنين عمي فيه ألف وخمسمائة من ذرية من حضروا قتل الحسين رضي الله عنه.

(تتمة: في ذكر أولاده وشيء من كلامه رضي الله عنه) قال صاحب الإرشاد: أولاد الحسين بن علي ستة علي بن الحسين الأصغر كنيته أبو محمد ولقبه زين العابدين وأمه شاه زنان بنت كسرى أنوشروان ملك الفرس وعلي بن الحسين الأكبر قتل مع أبيه بالطف وأمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وجعفر بن الحسين وأمه قضاعة مات في حياة أبيه ولا نسل له وعبد الله بن الحسين قتل مع أبيه صغيراً جاءه سهم وهو بكربلاء فقتله وسكينة بنت الحسين أمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدن الكلبية وهي أيضًا أم عبد الله بن الحسين وفاطمة أمها أم إسحق بنت طلحة بن عبد الله تيمية انتهى والذي أعقب منهم علي زين العابدين. (وفي بغية الطالب لمعرفة أولاد علي بن أبي طالب) للشيخ جمال الدين الطاهر بن حسين بن عبد الرحمن الأهدل ما نصه وكان له يعني للحسين رضي الله عنه من الولد ست بنين وثلاث بنات وهم علي الأكبر وأمه ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود الثقفي وعلي الأوسط وعبد الله وعلي الأصغر زين العابدين ومنهم من يزعم أنه الأكبر ومحمد وجعفر وزينب وسكينة وفاطمة؛ فأما محمد وجعفر فماتا في حياة أبيهما، وأما علي الأكبر وعبد الله فاستشهدا مع أبيهما بالطف وعلي الأوسط أصابه سهم يومئذ فمات انتهى وزاد بعضهم عمرو المعقب من ولد الحسين زين العابدين رضي الله عنه باتفاق فلم يكن على وجه الأرض حسيني إلا من نسله **(ومن كلامه رضي الله عنه)**: صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن رده، وقال رضي الله عنه: الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكثار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلوّ ورطة ومجالسة أهل الدناءة شر ومجالسة أهل الفسوق ريبة.

(لطيفة) قيل كان بين الحسين وبين أخيه الحسن كلام ووقفة فقيل له اذهب إلى

أخيك الحسن واسترضه وطيب خاطره فإنه أكبر منك فقال سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «أيما اثنين بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان السابق سابقه إلى الجنة». وأكره أن أسبق أخي الأكبر إلى الجنة فبلغ قول الحسن رضي الله عنه فأتاه وترضاه (وقال) رضي الله عنه في خطبة خطبها: أيها الناس نافسوا في المكارم وسارعوا في المغانم ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه واكتسبوا الحمد بالمنح ولا تكتسبوه بالمطل فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة ورأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافأته بمكان وذلك أجزل عطاء وأعظم أجرًا. واعلموا أن المعروف يكتسب حمدًا ويعقب أجرًا، فلو رأيتم المعروف رجلا لرأيتموه حسنًا جميلا يسر الناظرين ولو رأيتم اللؤم رجلا رأيتموه منظرًا قبيحًا تنفر منه القلوب وتغض منه الأبصار؛ أيها الناس من جاد ساد ومن بخل ذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه وأعف الناس من عفا عن قدرة، وإن أوصل الناس من وصل من قطعه، ومن أراد بالصنيعة إلى أخيه وجه الله تعالى كافأه الله بها وقت حاجته وصرف عنه من البلاء أكثر من ذلك، ومن نفس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه والله يحب المحسنين (ومن كلامه المنظوم رضي الله عنه) ما نقله ابن غنم صاحب كتاب الفتوح وهو أنه رضي الله عنه لما أحاطت به جموع ابن زياد وقتلوا من قتلوا من أصحابه ومنعوهم الماء وأصاب ولده الصغير سهم فقتله فزمله وحفر له بسيفه وصلى عليه ودفنه قال رضي الله عنه:

غدر القوم وقد ما رغبوا ... عن ثواب الله رب الثقلين

قتلوا قدمًا عليًا وابنه ... حسن الخير كريم الأبوين

حسدًا منهم وقالوا أقبلوا ... نقتل الآن جميعًا للحسين

خيرة الله من الخلق أبي ... ثم أمي فأنا ابن الخيرتين

فضة قد صفيت من ذهب ... فأنا الفضة وابن الذهبين

من له جد كجدي في الورى ... وكشيخي فأنا ابن القمرين

فاطم الزهراء أمي وأبي ... قاصم الكفر ببدر وحنين

ومن كلامه رضي الله عنه:

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة ... فإن ثواب الله أعلى وأنبل

وإن يك لا بدّ من الموت للفتى ... فقتل امرئ في الله بالسيف أجمل

وإن تكن الأرزاق قسمًا مقدرًا ... فقلة حرص المرء في الكسب يجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها ... فما بال متروك به المرء يبخل

وقال رضي الله عنه:

إذا ما عضك الدهر ... فلا تجنح إلى الخلق

ولا تسأل سوى الله ... المغيث العالم الحق

فلو عشت وقد طفت ... من الغرب إلى الشرق

لما صادفت من يقدر ... أن يسعد أو يشقي

وقال رضي الله عنه من قصيدة طويلة هذا أولها:

إذا استنصر المرء امرأً لأذية ... فناصره والخاذلون سواء

أنا ابن الذي قد تعلموا مكانه ... وليس على الحق المبين طحاء

أليس رسول الله جدي ووالدي ... أنا البدر إن حل النجوم خفاء

ألم ينزل القرآن خلف بيوتنا ... صباحًا ومن بعد الصباح مساء

ينازعني والله بيني وبينه ... يزيد وليس الأمر حيث يشاء

فيا نصحاء الله أنتم ولاته ... وأنتم على أديانه أمناء

بأي كتاب أم بأية سنة ... تناولها عن أهلها البعداء

ومن كلامه رضي الله عنه:

ذهب الذين أحبهم ... وبقيت فيمن لا أحبه

فيمن أراه يسبني ... ظهر المغيب ولا أسبه

أفلا يرى أن فعله ... مما يسير إليه غبه

حسبي بربي كافيا ... مما اجتنى والبغي حسبه

انتهى من الفصول المهمة.

فصل
في ذكر مناقب سيدنا علي بن الحسين رضي الله عنهما الملقب بزين العابدين

قال الإمام مالك رضي الله عنه: سمي زين العابدين لكثرة عبادته وهو الإمام الرابع على مذهب الإمامية **(ولد)** زين العابدين رضي الله عنه بالمدينة الشريفة يوم الخميس خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين في أيام جده علي بن أبي طالب قبل وفاته بسنتين **(وكنيته)** المشهورة أبو الحسن وقيل أبو محمد وقيل أبو بكر **(وألقابه كثيرة)** أشهرها زين العابدين وسيد العابدين والزكي والأمين وذو النفقات **(وصفته)** أصفر قصير نحيف **(شاعره)** الفرزدق وكثير عزة **(بوابه)** أبو جبلة **(نقش خاتمه)** وما توفيقي إلا بالله **(ومعاصره)** مروان وعبد الملك والوليد ابنه **(وأمه)** سلافة ولقبها شاه زنان بفتح الشين المعجمة وكسر الهاء وفتح الزاي والنون الثانية بعد الألف كلمة فارسية معناها ملكة النساء وهي بنت يزدجرد بفتح الياء المثناة من تحت وسكون الزاي وفتح الدال المهملة وكسر الجيم ودال مهملة بعد الراء الساكنة ولد أنوشروان العادل ملك الفرس ذكر الزمخشري في ربيع الأبرار أنه لما أتى بسبي فارس في خلافة سيدنا عمر كان فيهم ثلاث بنات ليزدجرد فباعوا السبايا وأمر عمر رضي الله عنه ببيع بنات يزدجرد فقال له علي رضي الله عنه إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن قال كيف الطريق إلى العمل معهن؟ قال تقوّمهن ومهما بلغ ثمنهن قام به من يختارهن فقومهن فأخذهن علي بن أبي طالب رضى الله عنه فدفع واحدة لولده الحسين فولدت له عليًا زين العابدين وواحدة لعبد الله بن عمر فولدت له سالمًا وواحدة لمحمد بن أبي بكر الصديق فولدت له القاسم فهؤلاء الثلاثة بنو خالة انتهى وكان علي زين العابدين مع أبيه بكربلاء مريضًا نائمًا على الفراش فلم يقتل قاله ابن عمر رضي الله عنهما هذا هو

الصحيح وليس قول من قال إنه كان صغيراً حينئذ فلم يقتل بشيء روى الحديث عن أبيه وعمه الحسن وجابر وابن عباس والمسور بن مخرمة وأبي هريرة وصفية وعائشة وأم سلمة أمهات المؤمنين قال الزهري وابن عيينة ما رأينا قرشيًا أفضل منه وقال الزهري ما رأيت أفقه منه وقال ابن المسيب ما رأيت أروع منه (ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة. فعن سفيان قال جاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال له إن فلانًا قد وقع فيك بحضوري فقال له انطلق بنا إليه فانطلق معه وهو يرى أنه سينتصر لنفسه منه فلما أتاه قال له يا هذا إن كان ما قلته فيَّ حقًا فأنا أسأل الله أن يغفر لي وإن كان ما قلت فيَّ باطلا فالله تعالى يغفره لك ثم ولى عنه. وعن أبي حمزة قال كان عليّ بن الحسين رضي الله عنه يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة. وكان رضي الله عنه إذا توضأ للصلاة يصفرّ لونه فقيل له ما هذا الذي نراه يعتريك عند الوضوء فيقول أما تدرون من أريد أن أقف بين يديه. وعن طاوس قال دخلت الحجر في الليل فإذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ثم سجد سجدة فأطالها فقلت رجل صالح من بيت النبوة لأصغينَّ إليه فسمعته يقول عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فقيرك بفنائك قال طاوس فوالله ما طلبت ودعوت بهن في كرب إلا فرج الله عني.

(فائدة استطرادية) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان إذا أهمه أمر يرفع يديه إلى السماء ثم يقول يا كهيعص أعوذ بك من الذنوب التي تزيل بها النعم وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحل النقم وأعوذ بك من الذنوب التي بها تثير الأعداء وأعوذ بك من الذنوب التي بها تحبس غيث السماء وهو دعاء مجرب عند الكرب انتهى من قرة العين في مقتل الحسين. (قال) ابن عائشة سمعت أهل المدينة يقولون ما فقدنا صدقة السر إلا بعد موت علي بن الحسين (وقال) محمد بن إسحق كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين معايشهم ومآكلهم فلما مات علي بن الحسين فقدوا ما كانوا يؤتون به ليلا إلى منازلهم (وكان) يحمل جراب الخبز على ظهره في الليل يتصدق به فلما غسلوه جعلوا ينظرون إلى سواد في ظهره فقيل ما هذا فقال كان

يحمل جراب الدقيق ليلا على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة. ولما مات رضي الله عنه وجدوه كان يقوت أهل مائة بيت. قال سفيان أراد علي بن الحسين الحج فأنفذت إليه أخته سكينة ألف درهم فلحقوه بها بظهر الحرة فلما نزل فرقها على المساكين. وكان رضي الله عنه إذا هاجت الريح سقط مغمى عليه قال المناوي دخل على عليّ زين العابدين رضي الله عنه في مرض موته محمد بن أسامة بن زيد يبكي فقال له ما يبكيك فقال له علي دين خمسة عشر ألف دينار فقال هي علي ووفاها رضي الله عنه. (يروى) أنه مرض فدخل عليه جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ يعودونه فقالوا كيف أصبحت يا ابن رسول الله ﷺ فدتك أنفسنا قال في عافية والله المحمود على ذلك فكيف أصبحتم أنتم جميعًا قالوا أصبحنا والله لك يا ابن رسول الله ﷺ محبين وادّين فقال لهم: من أحبنا لله أسكنه الله في ظلّ ظليل يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله ومن أحبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا الجنة ومن أحبنا لغرض دنيا آتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب.

(لطيفة) وفد على علي بن الحسين نفر من أهل العراق فقالوا في أبي بكر وعمر وعثمان فلما فرغوا من كلامهم قال لهم ألا تخبروني من أنتم أنتم المهاجرون الأولون الذين خرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانًا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون؟ قالوا لا قال فأنتم الذين تبوّءُوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة قالوا لا فقال أما أنتم الذين قد تبرأتم أن تكونوا من أحد هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] اخرجوا عني فعل الله بكم وصنع ا هـ من الفصول المهمة.

---

(١) سورة الحشر آية ١٠.

(كرامتان): الأولى عن عبد الله الزاهد قال لما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة كتب إلى الحجاج بن يوسف بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين إلى الحجاج بن يوسف أما بعد فانظر في دماء بني عبد المطلب فاجتنبها فإني رأيت آل أبي سفيان لما أولعوا بها لم يلبثوا إلا قليلا والسلام وأرسل بالكتاب بعد أن ختمه سرًا إلى الحجاج وقال له اكتم ذلك فكوشف بذلك علي بن الحسين وأن الله قد شكر ذلك لعبد الملك فكتب علي بن الحسين من فوره بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن الحسين إلى عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين أما بعد فإنك كتبت في يوم كذا من شهر كذا إلى الحجاج في حقنا بني عبد المطلب بما هو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك وطوى الكتاب وختمه وأرسل به مع غلام له من يومه على ناقة له إلى عبد الملك بن مروان وذلك من المدينة المشرفة إلى الشام فلما وقف عبد الملك على الكتاب وتأمله وجد تاريخه موافقًا لتاريخ كتابه الذي كتبه إلى الحجاج ووجد مخرج غلام علي بن الحسين موافقًا لمخرج رسوله إلى الحجاج في يوم واحد وساعة واحدة فعلم صدقه وصلاحه وأنه كوشف بذلك فأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وثيابًا وكسوة فاخرة وسيره إليه من يومه وسأله ألا يخليه من صالح دعائه كذا في الفصول.
(الثانية) استشاره زيد ابنه في الخروج فنهاه وقال أخشى أن تكون المقتول المصلوب أما علمت أنه لا يخرج أحد من ولد فاطمة قبل خروج السفياني إلا قتل فكان كما قال.

(نادرة) قال في درر الأصداف إنه رأى عليًا زين العابدين خرج يومًا من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ في سبه وأفرط فعاد إليه العبيد والموالي فكفهم عنه وأقبل عليه وقال له ما ستر عنك من أمرنا أكثر ألك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل فألقى إليه خميصة وألقى إليه خمسة آلاف درهم فقال أشهد أنك من أولاد المصطفى ﷺ. ولقيه رجل فسبه فقال له يا هذا بيني وبين جهنم عقبة إن أنا جزتها فما أبالي بما قلت وإن لم أجزها فأنا أكثر مما تقول (ونقل غير واحد) أن هشام بن عبد الملك حج في حياة أبيه فطاف بالبيت وجهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يصل إليه

لكثرة الزحام فنصب له منبراً إلى جانب زمزم في الحطيم وجلس عليه ينظر إليه الناس وحوله جماعة من أهل الشام؛ فبينما هم كذلك إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما يريد الطواف فلما انتهى إلى الحجر الأسود تنحّى الناس له حتى استلم الحجر الأسود فقال رجل من أهل الشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه المهابة فتنحوا عنه يمينًا وشمالا؟ فقال هشام لا أعرفه مخافة أن يرغب فيه أهل الشام وكان الفرزدق حاضراً فقال للشامي أنا أعرفه فقال من هو يا أبا فراس؟ فقال:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم

إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم

ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسم

من جده دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم

ينشق نور الهدى من نور غرته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم

مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجده أنبياء الله قد ختموا

الله فضله قدمًا وشرّفه ... جرى بذاك له في لوحه القلم

وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرتَ والعجم

كلتا يديه غياث عمّ نفعهما ... يستوكفان ولا يعروهما العدم

سهل الخليقة لا تخشى بوادره ... يزينه اثنان حسن الخلق والكرم

حمال أثقال أقوام إذا فدحوا ... حلو الشمائل تحلو عنده نعم

ما قال لا قط إلا في تشهّده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم

لا يخلف الوعد ميمون نقيبته ... رحب الفناء أريب حين يعترم

عمَّ البرية بالإحسان فانقشعت ... عنه القتارة والإملاق والعدم

من معشر حبهم دين وبغضهمو ... كفر وقربهمو منجى ومعتصم

إن عُدّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير أهل الأرض قيل همو

لا يستطيع جواد بعد غايتهم ... ولا يدانيهمو قوم وإن كرموا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس محتدم

لا ينقص العسر بسطًا من أكفهم ... سيان ذلك إن أثروا وإن عدموا

يستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويستزاد به الإحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل بدء ومختوم به الكلم

يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى عصم

أي الخلائق ليست في رقابهم ... لأولية هذا أو له نعم

من يعرف الله يعرف أولية ذا ... والدين من بيت هذا ناله الأمم

فلما سمع هشام هذه القصيدة غضب ثم أخذ الفرزدق وسجنه بعسفان فبلغ ذلك علي بن الحسين رضي الله عنه فبعث إليه بأربعة آلاف درهم فردّها الفرزدق وكتب إليه إنما مدحتك بما أنت أهله فردّها عليه علي رضي الله عنه وكتب إليه أن خذها وتعاون بها على دهرك فإنا أهل بيت إذا وهبنا شيئًا لا نستعيده فقبلها منه وفي رواية فبعث إليه باثني عشر ألف درهم وفي رواية بعشرة آلاف درهم وقال اعذرنا يا أبا فراس فلو كان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به وجعل الفرزدق يهجو هشامًا وهو في السجن فبعث وأخرجه. ومن هجوه له كما ذكره الخطيب البغدادي وغيره من قصيدة طويلة:

أيحبسني بين المدينة والتي ... إليها قلوب الناس يهوى منيبها

يقلب رأسًا لم يكن رأس سيد ... وعين له حولاء باد عيوبها

قال الشيخ عبد الجواد الشربيني في كتاب در الأصداف في مناقب الأشراف كان علي بن الحسين عاملا على كتمان أسرار الله تعالى في العالم كما أشار إلى ذلك في قوله رضي الله عنه:

يا رب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال صالحون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

انتهى

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه رضي الله عنه)

توفي علي زين العابدين رضي الله عنه في ثاني عشر المحرم سنة أربع وتسعين من الهجرة وكان عمره إذ ذاك سبعًا وخمسين سنة قال ابن الصباغ المالكي المكي يقال إنه مات مسمومًا وأن الذي سمه الوليد بن عبد الملك ودفن بالبقيع في القبر الذي دفن فيه عمه الحسين بن علي بن أبي طالب في القبة التي فيها العباس بن عبد المطلب **(وأولاده)** رضي الله عنهم خمسة عشر ولدًا ما بين ذكر وأنثى أحد عشر ذكرًا وأربع إناث وهم محمد المكنى بأبي جعفر الملقب بالباقر أمه أم عبد الله والحسن والحسين أمهم أم ولد والحسين الأصغر وعبد الرحمن وسليمان أمهم أم ولد وعلي وكان أصغر ولد علي بن الحسين وخديجة أمهما أم ولد وفاطمة وعلية وأم كلثوم أمهن أم ولد فهؤلاء أولاده رضي الله عنهم أجمعين انتهى من الفصول المهمة لكن سقط منهم واحد لأن المعدود في عبارته عشرة وقد قال من الذكور أحد عشر ذكرًا. هذا وفي بغية الطالب أن أولاد عل زين العابدين الذكور عشرة فقط والله أعلم. **(ومن كلامه** رضي الله عنه): عجبت لمن يحتمى من الطعام لمضرته ولا يحتمى من الذنب لمعرفته وقال رضى الله عنه أربع عزهن ذل: البنت ولو مريم والدين ولو درهم والغربة ولو ليلة والسؤال ولو كيف الطريق. وقال رضي الله عنه من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس وكان يتصدق سرًا ويقول صدقة السر تطفئ غضب الرب.

(موعظة) قال أبو حمزة الثمالي أتيت باب علي بن الحسين فكرهت أن أنادي فقعدت على الباب إلى أن خرج فسلمت عليه ودعوت له فرد علي ثم انتهى بي إلى حائط فقال يا أبا حمزة ألا ترى إلى هذا الحائط قلت بلى يا سيدي قال فإني متكئ عليه وأنا حزين مفكر إذ دخل علي رجل حسن الثياب طيب الرائحة ثم نظر في

وجهي وقال يا علي بن الحسين أراك كئيبًا حزينًا على الدنيا فهو رزق حاضر يأكل منه البار والفاجر فقلــت ما عليها أحزن وإنه كما تقول قال فــعلام حزنك؟ قلت أتخوف من فتنة ابن الزبير قــال فضحك ثم قال يا علي هل رأيت أحــدًا خاف الله فلم ينجه؟ قلت لا قال يا علي هل رأيت أحدًا ســأل الله فلم يعطه؟ قلت لا ثم نظرت فإذا ليس قدامي أحد فعــجبت من ذلك وإذا بقائل أسمع صوته ولا أرى شخــصه يقول يا علي ابن الحسين هذا الخضر ناجاك كذا في الفصول المهمة.

فصل

في ذكر سيدنا محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين

قال المناوي في طبقاته سمي باقراً لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله (ولد) محمد الباقر بالمدينة في ثالث صفر سنة سبع وخمسين من الهجرة قبل قتل جده الحسين بثلاث سنين (وكنيته) أبو جعفر لا غير (وألقابه) ثلاثة الباقر والشاكر والهادي وأشهرها الباقر (روي) عن الزبير بن محمد بن مسلم المكي قال: «كنا عند جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي فقال علي لابنه محمد وهو صبي قبل رأس عمك فدنا محمد من جابر فقبل رأسه فقال جابر من هذا؟ وكان قد كفّ بصره فقال له علي بن الحسين هذا ابني محمد فضمه جابر إليه وقال يا محمد محمد رسول الله ﷺ يقرئك السلام فقالوا كيف ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: كنت عند رسول الله ﷺ والحسين في حجره وهو يلاعبه فقال يا جابر يولد لابني الحسين ابن يقال له علي فإذا كان يوم القيامة ينادي مناد ليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ويولد لعلي بن الحسين ابن يقال له محمد يا جابر إن أدركته فأقرئه مني السلام وإن لاقيته فاعلم أن بقاءك بعده قليل» فلم يعش جابر رضي الله عنه بعد ذلك غير ثلاثة أيام وروي أن محمداً الباقر بن علي سأل جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما لما دخل عليه عن عائشة وما جرى بينها وبين علي رضي الله عنهما فقال له جابر دخلت عليها يوماً وقلت لها ما تقولين في علي بن أبي طالب رضي الله عنه؟ فأطرقت رأسها ثم رفعته وقالت رضي الله عنها:

إذا ما التبر حكّ على محك ... تبين غشه من غير شك
وفينا الغش والذهب المصفّى ... عليّ بيننا شبه المحك

(وأم محمد الباقر) أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم فهو هاشمي من هاشميين علوي من علويين نقش خاتمه رب لا تذرني فردًا (ونقل) الثعالبي في تفسيره أن الباقر نقش في خاتمه هذه الكلمات:

ظني بالله حسن — وبالنبي المؤتمن
وبالوصي ذي المنن — وبالحسين والحسن

(ومعاصره) الوليد وأولاده يزيد وإبراهيم (صفة الباقر) رضي الله عنه أسمر معتدل (وشاعره) الكميت والسيد الحميري (وبوابه) جابر الجعفي قال صاحب الإرشاد لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين من علم الدين والسنن وعلم القرآن والسير وفنون الأدب ما ظهر عن أبي جعفر الباقر روى عن معالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين وسارت بذكر علومه الأخبار وأنشدت في مدائحه الأشعار فمن ذلك ما قاله مالك بن أعين الجهني من قصيدة يمدحه فيها:

إذا طلب الناس علم القرآ — ن كانت قريش عليه عيالا
وإن فاه ابن بنية النبي — تلقت يداك فروعًا طوالا

وفيه يقول الرضي:

يا باقر العلم لأهل التقى — وخير من لبّى على الأجبل

(ومناقبه رضي الله عنه كثيرة ومشهورة) حكى مولاه أفلح قال حججت مع أبي جعفر محمد الباقر فلما دخل المسجد ونظر البيت بكى فقلت بأبي أنت وأمي إن الناس ينظرون إليك فلو خفضت صوتك قليلا فقال ويحك يا أفلح ولم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر إليّ برحمة منهُ فأفوز بها غدًا ثم طاف بالبيت وجاء حتى ركع خلف المقام فلما فرغ إذا موضع سجوده مبتلّ من دموع عينيه (وروى) عنه ابنه جعفر قال كان أبي يقول في جوف الليل في تضرعه أمرتني فلم آئتمر ونهيتني فلم

أنزجر فهأنا عبدك بين يديك مقر لا أعتذر قال خالد بن الهيثم قال أبو جعفر محمد الباقر: ما اغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرم الله وجه صاحبها على النار فإن سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فإن الله تعالى يكفر بها بحوراً من الخطايا ولو أن باكيًا يبكي في أمة لحرم الله تلك الأمة على النار.

(فائدتان): الأولى روى الزهري قال: حج هشام بن عبد الملك فدخل المسجد الحرام متوكئًا على سالم مولاه ومحمد بن علي في المسجد فقال له سالم: يا أمير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين في المسجد المفتون به أهل العراق فقال اذهب إليه وقل له يقول لك أمير المؤمنين ما الذي يأكله الناس ويشربونه إلى أن يفصل بينهم يوم القيامة؟ فقال له قل له يحشر الناس على مثل قرص من نقى فيها أنهار متفجرة يأكلون ويشربون منها حتى يفرغوا من الحساب قال فلما سمع هشام ذلك رأى أنه قد ظفر به فقال الله أكبر ارجع إليه فقل له ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ؟ فقال محمد قل له هم في النار ولم يشغلوا أن قالوا أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فسكت هشام ولم يرجع كلامًا. (الثانية) روي أن العلاء بن عمرو بن عبيد قدم على محمد صاحب الترجمة ابن علي بن الحسين رضي الله عنهم يمتحنه فقال له جعلت فداك ما معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾[1]. ما هذا الرتق والفتق؟ فقال له أبو جعفر محمد كانت السماء رتقًا لا تنزل مطراً وكانت الأرض رتقًا لا تخرج النبات ففتقناهما بنزول المطر وخروج النبات فسكت أبو عمرو ولم يجد اعتراضًا ثم سأله عن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَحْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾[2]. ما غضب الله تعالى فقال طرده وعقابه يا أبا عمرو ومن ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر (وسئل) عن قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾[3]. فقال بصبرهم على الفقر ومصائب الدنيا حكت سلمى مولاة أبي جعفر أنه كان يدخل عليه بعض إخوانه لا يخرجون من عنده حتى يطعمهم

(١) سورة الانبياء آية ٣٠.

(٢) سورة طه آية ٨١.

(٣) سورة الفرقان آية ٧٥.

الطعام الطيب ويكسوهم في بعض الأحيان ويعطيهم الدراهم قال فكنت أكلمه في ذلك لكثرة عياله وتوسط حاله فيقول يا سلمى ما حسنة الدنيا إلا صلة الإخوان والمعارف فكان يصل بخمسمائة الدرهم وبالستمائة إلى ألف درهم.

(كرامة) قال أبو بصير قلت يومًا للباقر أنتم ورثة رسول الله ﷺ قال نعم قلت ورسول الله ﷺ وارث الأنبياء جميعهم قال وارث جميع علومهم قلت وأنتم ورثتم جميع علوم رسول الله ﷺ قال نعم قلت فأنتم تقدرون أن تحيوا الموتى وتبرئوا الأكمه والأبرص وتخبروا الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم قال نعم نفعل ذلك بإذن الله تعالى ثم قال ادن مني يا أبا بصير وكان أبو بصير مكفوف النظر قال فدنوت منه فمسح بيده على وجهي فأبصرت السماء والجبل والأرض فقال أتحب أن تكون هكذا تبصر وحسابك على الله أو تكون كما كنت ولك الجنة قلت الجنة فمسح بيده على وجهي فعدت كما كنت.

(لطيفة) من كتاب الصفوة لابن الجوزي عن عروة بن عبد الله قال سألت أبا جعفر محمد بن علي عن حلية السيف فقال لا بأس به وقد حلى أبو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه فقلت تقول الصديق قال فوثب وثبة واستقبل القبلة وقال نعم الصديق ونعم الصديق فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا ولا في الآخرة اهـ.

(كرامتان): الأولى عن جعفر الصادق رضي الله عنه قال كان أبي في مجلس عام ذات يوم إذ أطرق برأسه إلى الأرض ثم رفعه فقال يا قوم كيف أنتم إذا جاءكم رجل يدخل عليكم مدينتكم هذه في أربعة آلاف حتى يستعرضكم على السيف ثلاثة أيام متوالية فيقتل مقاتلكم وتلقون منه بلاءً لا تقدرون عليه ولا على دفعه وذلك من قابل فخذوا حذركم واعلموا أن الذي قلت لكم هو كائن لا بدّ منه فلم يلتفت أهل المدينة إلى كلامه وقالوا لا يكون هذا أبدا فلما كان من قابل تحمل أبو جعفر من المدينة بعياله هو وجماعة من بني هاشم وخرجوا منها فجاءها نافع بن الأزرق فدخلها في أربعة آلاف واستباحها ثلاثة أيام وقتل فيها خلقًا كثيرًا لا يحصون وكان الأمر على ما قال. (الثانية) من كتاب الدلائل للحميري عن زيد بن حازم قال كنت مع أبي

جعفر محمد بن علي الباقر فمر بنا زيد بن علي أخوه فقال أبو جعفر أما رأيت هذا ليخرجنّ بالكوفة وليقتلن وليطافن برأسه فكان كما قال.

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه رضي الله عنه) مات أبو جعفر محمد الباقر سنة سبع عشرة ومائة وله من العمر ثلاث وستون سنة وقيل ثمان وخمسون وقيل غير ذلك وأوصى أن يكفن في قميصه الذي كان يصلي فيه. وفي درر الأصداف مات مسموماً كأبيه ودفن بقبة العباس بالبقيع. ومثله في الفصول المهمة عن ابنه جعفر الصادق قال كنت عند أبي في اليوم الذي قبض فيه فأوصاني بأشياء في غسله وتكفينه ودفنه ودخول القبر قال فقلت يا أبت والله ما رأيتك منذ اشتكيت أحسن منك اليوم ولا أرى عليك أثر الموت فقال يا بني أما سمعت علي بن الحسين يناديني من وراء الجدار يا محمد عجل.

(وأولاده) رضي الله عنه ستة وقيل سبعة وهم أبو عبد الله جعفر الصادق وكان يكنّى به وعبد الله أمهما أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وإبراهيم وعبد الله وأمهما أم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية وعلي وزينب لأم ولد نقله صاحب الإرشاد.

(ومن كلامه) رضي الله عنه: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ذلك قل أو كثر، وقال: سلاح اللئام قبح الكلام، وكان يقول: والله لموت عالم أحب إلى الشيطان من موت سبعين عابداً، وقال رضي الله عنه شيعتنا من أطاع الله.

(موعظة) عن جابر الجعفي قال: قال لي محمد بن علي بن الحسين يا جابر إني لمشتغل القلب قلت وما يشغل قلبك؟ قال يا جابر إنه من يدخل قلبه دين الله الخالص شغله عما سواه، يا جابر ما الدنيا وما عسى أن تكون هل هي إلا مركب ركبته أو ثوب لبسته أو امرأة أصبتها، يا جابر إن المؤمنين لم يطمئنوا إلى الدنيا لزوالها ولم يأمنوا الآخرة لأهوالها وإن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤنة وأكثرهم لك معونة

إن نسيت ذكـروك وإن ذكرت أعانوك أليسـوا قوالين لحق الله قائمين بأمر الله فـاجعل الدنيا كـمنزل نزلت به وارتحلتِ منه وكمـال أصبتـه في منامك ثم استـيقظت وليس معك منه شيء واحـفظ الله فيما اسـترعاك من دينه وحكمتـه (وقال) رضي الله عنه: الغنى والفقر يـجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التـوكل استوطناه (ومن) كلامه رضي الله عنه: الصواعق تصيب المؤمن وغـيره ولا تصيب ذاكر الله عزّ وجلّ، وقال رضي الله عنه: ما من عبادة أفـضل من عفة بطن وفرج، وقال رضي الله عنه: بئس الأخ يرعاك غنيًا ويقطعك فقيرًا (وقال لابنه) يا بني إذا أنعم الله عليك نعمة فقل الحمد لله وإذا أحزنك أمر فقل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإذا أبطأ عليك الرزق فقل أستغفـر الله (وقال) رضي الله عنه: اعرف المودة في قلب أخيك بما له في قلبك. وفي كتاب نثر الدرر لأبي سعيد منصور بن الحسين إن محمد بن زين العابدين قال لابنه جـعفـر الصادق رضي الله عنهم: يا بني إن الله خـبأ ثلاثة أشـياء في ثلاثة أشياء: خبأ رضاه فـي طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئًا فلعل رضاه فـيه وخبأ سخطه في معصيته فـلا تحقرن من معصيته شيئًا فلعل سخطه فيـه وخبأ أولياءه في خلقه فلا تحقرن أحدًا فلعله ذلك الولي.

فصل

في ذكر مناقب سيدنا جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

ولدجعفر الصادق بالمدينة سنة ثمانين من الهجرة وقيل سنة ثلاث وثمانين قال بعضهم والأول أصح وأمه الفروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأم القاسم أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهم فكان يقول ولدني الصديق مرتين ذكره الماوردي في الطبقات وكنيته أبو عبد الله وقيل أبو إسمعيل وألقابه ثلاثة الصادق والفاضل والطاهر وأشهرها الصادق (صفته) معتدل آدم اللون (وشاعره) السيد الحميري (وبوابه) المفضل بن عمرو (نقش خاتمه) ما شاء الله لا قوة إلا بالله أستغفر الله (ومعاصره) أبو جعفر المنصور (ومناقبه) كثيرة تكاد تفوت عد الحاسب ويحار في أنواعها فهم اليقظ الكاتب. روى عنه جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم كيحيى بن سعيد ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبي حنيفة وأيوب السختياني وغيرهم. قال أبو حاتم جعفر الصادق ثقة لا يسأل عن مثله (في درر الأصداف) قال لأبي حنيفة بلغني أنك تقيس في الدين وأول من قاس إبليس فقال أبو حنيفة رضي الله عنه إنما أقيس فيما لا أجد فيه نصًا (قال) ابن أبي حازم كنت مع جعفر الصادق يومًا إذا سفيان الثوري بالباب فقال ائذن له فدخل فقال له جعفر يا سفيان إنك رجل يطلبك السلطان في بعض الأحيان وتحضر عنده وأنا أتقي السلطان فاخرج عني غير مطرود فقال سفيان حدثني حديثًا أسمعه منك وأقوم فقال حدثني أبي عن جدي عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «من أنعم الله عليه فليحمد الله». ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن حزّبه أمر فليقل لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قام سفيان قال جعفر خذها يا سفيان ثلاثًا وأي ثلاث؛ وفي حياة الحيوان الكبرى

(فائدة) قال ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب وكتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهما فيه كل ما يحتاجون علمه إلى يوم القيامة، وإلى هذا الجفر أشار أبو العلاء المعرّي بقوله:

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم في جلد جفر
ومرآة المنجم وهي صغرى تريه كل عامرة وقفر

والجفر من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر وانفصل عن أمه (وفي) الفصول المهمة نقل بعض أهل العلم أن كتاب الجفر الذي بالغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن علي من كلام جعفر الصادق وله فيه المنقبة السنية والدرجة التي في مقام الفضل عليه (وكان) جعفر الصادق رضي الله عنه مجاب الدعوة إذا سأل الله شيئًا لا يتم قوله إلا وهو بين يديه.

(كرامتان): الأولى حدث عبد الله بن الفضل بن الربيع عن أبيه أنه قال لما حج المنصور سنة سبع وأربعين ومائة قدم المدينة فقال للربيع ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به متعبًا قتلني الله إن لم أقتله فتغافل الربيع عنه وتناساه فأعاد عليه في اليوم الثاني وأغلظ في القول فأرسل إليه الربيع فلما حضر قال له الربيع يا أبا عبد الله اذكر الله تعالى فإنه قد أرسل لك من لا يدفع شره إلا الله وإني أتخوف عليك فقال جعفر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم إن الربيع دخل به على المنصور فلما رآه المنصور أغلظ له في القول وقال يا عدو الله اتخذك أهل العراق إمامًا يجبون إليك زكاة أموالهم وتلحد في سلطاني وتتبع لي الغوائل قتلني الله إن لم أقتلك فقال جعفر يا أمير المؤمنين إن سليمان أعطي فشكر وإن أيوب ابتلي فصبر وإن يوسف ظلم فغفر وهؤلاء أنبياء الله وإليهم يرجع نسبك ولك فيهم أسوة حسنة فقال المنصور أجل يا أبا عبد الله ارتفع إلى هنا عندي ثم قال يا أبا عبد الله إن فلانًا أخبرني عنك بما قلت لك فقال أحضره يا أمير المؤمنين ليوافقني على ذلك فأحضر الرجل الذي سعى به إلى المنصور فقال له المنصور أحقًا ما حكيت لي عن جعفر؟ فقال نعم يا أمير المؤمنين فقال

جعفر استحلفه فبادر الرجل وقال والله العظيم الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة والواحد الأحد وأخذ يعدد في صفات الله تعالى فقال جعفر يا أمير المؤمنين يحلف بما أستحلفه فقال حلفه بما تختار فقال جعفر قل برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي لقد فعل جعفر كذا وكذا فامتنع الرجل فنظر إليه المنصور نظرة منكرة فحلف بها فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض وخر ميتًا مكانه فقال المنصور جروا برجله وأخرجوه ثم قال لا عليك يا أبا عبد الله أنت البريء الساحة والسليم الناحية المأمون الغائلة عليّ بالطيب فأتي بالغالية فجعل يغلف بها لحيته إلى أن تركها تقطر وقال في حفظ الله وكلاءته وألحقه يا ربيع بجوائز حسنة وكسوة سنية قال الربيع فلحقه بذلك ثم قال له يا أبا عبد الله رأيتك تحرك شفتيك وكلما حركتها سكن غضب المنصور بأي شيء كنت تحركها؟ قال بدعاء جدي الحسين قلت وما هو يا سيدي؟ قال: اللهم يا عدتي عند شدتي ويا غوثي عند كربتي احرسني بعينك التي لا تنام واكتفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك عليّ فلا أهلك وأنت رجائي، اللهم إنك أكبر وأجلّ وأقدر مما أخاف وأحذر، اللهم بك أدرأ في نحره وأستعيذ من شره إنك على كل شيء قدير. قال الربيع فما نزل بي شدة ودعوت به إلا فرج الله عني قال الربيع وقلت له منعت الساعي بك إلى المنصور من أن يحلف بيمينه وأحلفته بيمينك فما كان إلا أن أخذ لوقته ما السر فيه ؟ قال لأن في يمينه توحيد الله وتمجيده وتنزيهه فقلت يحلم عليه ويؤخر عنه العقوبة وأحببت تعجيلها إليه فاستحلفته بما سمعت فأخذه الله لوقته (الثانية) روي أن داود بن علي بن عبد الله بن العباس قتل المعلى بن حسين مولى كان لجعفر الصادق وأخذ ماله فبلغ ذلك جعفر فدخل داره ولم يزل ليله كله قائمًا إلى الصباح، فلما كان وقت السحر سمع منه في مناجاته: يا ذا القوة القوية يا ذا المحال الشديد يا ذا العزة التي خلقك لها ذليل أكفنا هذه الطاغية وانتقم لنا منهم فما كان إلا أن ارتفعت الأصوات وقيل مات داود بن علي فجأة (الثالثة) لما بلغ جعفر الصادق رضي الله عنه قول الحكم بن عباس الكلبي:

صلبنا لكم زيدًا على جذع نخلة   ولم أر مهريًا على الجذع يصلب

رفع يديه إلى السماء وقال اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك فبعثه بنو أمية إلى الكوفة فافترسه الأسد في الطريق فبلغ ذلك جعفرًا فخر ساجدًا لله تعالى وقال الحمد لله الذي أنجزنا ما وعدنا (الرابعة) عن إبراهيم بن عبد الحميد قال اشتريت بردة من مكة وآليت على نفسي ألا تخرج من ملكي حتى تكون كفني فخرجت بها إلى عرفة فوقفت فيها الموقف ثم انصرفت إلى المزدلفة فبعد أن صليت فيها المغرب والعشاء رفعتها وطويتها ووضعتها تحت رأسي ونمت فلما انتبهت لم أجدها فاغتممت لذلك غمًا شديدًا فلما أصبحت صليت وأفضت مع الناس إلى منى فوالله إني لفي مسجد الخيف إذ أتاني رسول أبي عبد الله جعفر الصادق يقول لي يقول لك أبو عبد الله تأتينا في هذه الساعة فقمت مسرعًا حتى دخلت على أبي عبد الله وهو في فسطاط فسلمت وجلست فالتفت إلي وقال يا إبراهيم تحب أن نعطيك بردة تكون لك كفنًا قلت والذي يحلف به لقد كان معي بردة معدها لذلك ولقد ضاعت مني بالمزدلفة فأمر غلامه فأتى ببردة فناولنيها فإذا هي بردتي بعينها فقلت بردتي يا سيدي فقال خذها فقد جمعها الله عليك يا إبراهيم.

(فوائد) الأولى قال جعفر الصادق صاحب الترجمة لما رفعت إلى أبي جعفر المنصور بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن نهرني وكلمني بكلام غليظ ثم قال يا جعفر قد علمت بفعل محمد بن عبد الله الذي تسمونه النفس السنية وما نزل به وإنما أنتظر الآن أن يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير قال قلت يا أمير المؤمنين حدثني محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين فيصله الله إلى ثلاث وثلاثين سنة وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فينزلها الله إلى ثلاث سنين» قال فقال آلله سمعت هذا من أبيك فقلت والله لقد سمعتها منه فرددها عليّ ثلاثًا ثم قال انصرف. (الثانية) روي عن جعفر الصادق أنه قال لغلامه ناقد يا ناقد إذا كتبت كتابًا في حاجة وأردت أن تنجح حاجتك التي تريد

فـاكتب في رأس الورقـة بسم الله الرحـمن الرحـيم وعد الله الـصابرين المخـرج مما يكرهون والرزق من حيث لا يحـتسبون جعلنا وإياكم من الـذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون قال ناقد فكنت أفعل فتنجح حوائجي (الـثالثة) قال جعفر الصادق رضي الله عنه: للصداقة خمسة شروط، فمن كانت فيـه فانسبوه إليها ومن لم تكن فيه فلا تنسبوه إلى شيء منها وهي أن يكون زين صديقه زينه وسـريرته له كعلانيته وألا يغيره عليه مال وأن يراه أهلا لجميع مودته ولا يسلمه عند النكبات.

(تتمة) في الكلام على وفاته وأولاده وذكر شيء من كلامه رضي الله عنه (قال ابن الصباغ) **مات** جعفر الصادق بن محمد سنة ثمان وأربعين ومائة في شوال وله من العمر ثمان وسـتون سنة يقال إنه مات بالسم في أيام المنصور ودفن بالبـقيع في القبر الذي دفن فيه أبوه وجده وعم جده فلله دره من قبر ما أكرمه وأشرفه انتهى **(وأولاده)** رضي الله عنه كانوا سبـعة وقيل أكثر ستـة ذكور وبنت واحدة وهم إسمعيل ومـحمد وعلي وعبد الله وإسحق ومـوسى الكاظم والبنت اسمها فروة كذا في الفـصول المهمة (وفي الملل والنحل للشهرسـتاني) كان لجعفر الصـادق خمسة أولاد محمـد وإسمعيل وعبد الله ومـوسى وعلي وأسقط إسحق والبنت (وفي بغية الطالب) أن أولاد جـعفر تسعة إلا أنه لـم يسردهم بالعد جميـعهم إنما عد ما في الفـصول المهمة واقـتصر ولم يذكر البنت. **(ومن كلامه رضي الله عنه)** لا يتم المعروف إلا بثلاث تعجيله وتصغيره وستـره، وقال رضي الله عنه: ما كل من رأى شـيئًا قدر عليـه ولا كل من قدر على شيء وفق له ولا كل من وفق أصاب له موضعًا فإذا اجتـمعت النية والمقدرة والتوفيق والإصابـة فهناك السـعادة، وقـال: تأخير الـتوبة اغـترار، وطول التـسويف حـيرة، والاعتلال على الله هلـكة، والإصرار على الذنب من مكر الله ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون. وقـال: أربعة أشياء القليل منها كثيـر النار والعداوة والفقر والمرض، وسئل لم سمي البيت العـتيق؟ قال لأن الله تعالى عتقه من الطوفـان، وقال: صحبة عشـرين يومًا قرابة، وقال: كـفارة عمل الشـيطان الإحسان إلى الإخـوان، وقال إذا دخلت منزل أخيك فاقبل الكرامة ما خلا الجلوس في الصدور، وقال: البنات حسنات

والبنون نعم والحسنات يثاب عليها والنعم مسئول عنها، وقال رضي الله تعالى عنه: من لم يستحي عند العيب ويرعو عند الشيب ويخش الله بظهر الغيب فلا خير فيه، وقال: إياكم وملاحاة الشعراء فإنهم يضنون بالمدح ويجودون بالهجاء، وكان يقول اللهم إنك بما أنت له أهل من العفو أولى بما أنا له أهل من العقوبة، وقال: من أكرمك فأكرمه ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه، وقال: منع الجود سوء ظن بالمعبود، وقال دعا الله الناس في الدنيا بآبائهم ليتعارفوا ودعاهم في الآخرة بأعمالهم ليجازوا فقال يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين كفروا، وقال: إن عيال المرء أسراؤه فمن أنعم الله عليه نعمة فليوسع على أسرائه فإن لم يفعل يوشك أن تزول تلك النعمة عنه، وقال: ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً الصفح عمن ظلمه والإعطاء لمن حرمه والصلة لمن قطعه،وقال: المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق وإذا رضي لم يدخله رضاه في باطل (قال) بعض شيعة جعفر الصادق دخلت عليه وموسى ولده بين يديه وهو يوصيه بهذه الوصية فحفظتها فكان مما أوصى به أن قال: يا بني اقبل وصيتي واحفظ مقالتي فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً. يا بني إنه من قنع بما قسم الله له استغنى، ومن مد عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم الله له اتهم ربه في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استصغر زلة غيره. يا بني من كشف حجاب غيره انكشفت عورته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم. يا بني قل الحق لك أو عليك، وإياك والنميمة فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال. يا بني إذا طلبت الجود فعليك بمعادنه فإن للجود معادن وللمعادن أصولا وللأصول فروعا وللفروع ثمراً ولا يطيب ثمر إلا بفروع الأصل ولا أصل ثابت إلا بمعدن طيب. يا بني إذا زرت فزر الخيار ولا تزر الأشرار فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها وشجرة لا يخضر ورقها وأرض لا يظهر عشبها

(قال) أحمد بن عمر بن مقدام الرازي وقع الذباب على وجه المنصور فذبه فعاد حتى أضجره وكان عنده جعفر بن محمد في ذلك الوقت فقال له المنصور يا أبا عبد الله لم خلق الله الذباب؟ قال ليذل به الجبابرة فسكت المنصور. قال سفيان الثوري سمعت جعفراً الصادق يقول: عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فإن تك في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، وإن طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في العزلة والخلوة، فإن لم توجد في العزلة والخلوة فيوشك أن تكون في كلام السلف، والسعيد من وجد في نفسه خلوة تشغله عن الناس. روى محمد بن حبيب عن جعفر الصادق بن محمد عن أبيه عن جده ورفعه قال: ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكًا يعبد الله يحمده ويمجده فإذا صار المؤمن في لحده أتاه ذلك السرور الذي أدخله على أولئك ملكًا فيقول أنا اليوم أونس وحشتك وألقنك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد بك مشاهد القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلتك في الجنة كذا في الفصول المهمة.

فصل
في ذكر مناقب سيدنا موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

أمه أم ولد يقال لها حميدة البربرية؛ ولد موسى الكاظم بالأبواء سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة (وكنيته) أبو الحسن (وألقابه) كثيرة أشهرها الكاظم ثم الصابر والصالح والأمين (وصفته) أسمر عتيق (شاعره) السيد الحميري (بوابه) محمد ابن الفضل (نقش خاتمه) الملك لله وحده (معاصره) موسى الهادي وهرون الرشيد قال بعض أهل العلم الكاظم هو الإمام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله قائمًا القاطع نهاره صائمًا المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظمًا وهو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج إلى الله وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به (ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة شهيرة. يحكى أن الرشيد سأله يومًا فقال كيف قلتم نحن ذرية رسول الله ﷺ وأنتم بنو علي وإنما ينسب الرجل إلى جده لأبيه دون جده لأمه فقال الكاظم أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وليس لعيسى أب وإنما ألحق بذرية أخرى يا أمير المؤمنين قال الله عزّ وجل فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وانفسكم ثم نبتهل ولم يدع ﷺ عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وهم الأبناء. روى موسى الكاظم صاحب الترجمة عن آبائه مرفوعًا قال: قال رسول الله ﷺ «نظر الولد إلى والديه عبادة» وعن إسحق ابن جعفر قال سألت أخي موسى الكاظم بن جعفر قلت أصلحك الله أيكون المؤمن

بخيلا قال نعم قال فقلت أيكون خائنًا قال لا ولا يكون كذابًا ثم قال حدثني أبي جعفر الصادق عن آبائه رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل خلة يطوي المؤمن عليها ليس الكذب والخيانة».

(كراماته): الأولى قال حسام بن حاتم الأصم قال لي شقيق البلخي خرجت حاجًا سنة ست وأربعين ومائة فنزلت بالقادسية فبينما أنا أنظر الناس في مخرجهم إلى الحج وزينتهم وكثرتهم إذ نظرت إلى شاب حسن الوجه شديد السمرة نحيف فوق ثيابه ثوب صوف مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان وقد جلس منفردًا فقلت في نفسي هذا الفتى من الصوفية ويريد أن يخرج مع الناس فيكون كلا عليهم في طريقهم والله لأمضين إليه ولأوبخنه فدنوت منه فلما رآني مقبلا نحوه قال يا شقيق اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم ثم تركني وولى فقلت في نفسي إن هذا لأمر عجيب تكلم بما في خاطري ونطق باسمي هذا عبد صالح لألحقنه وأسأله الدعاء وأتحلله بما ظننت فيه فغاب عني ولم أره فلما نزلنا وادي فضة فإذا هو قائم يصلي فقلت هذا صاحبي امض إليه واستحله فصبرت حتى فرغ من صلاته فالتفت إليَّ وقال يا شقيق اتل ﴿وإني لَغَفَّارٌ لمن تابَ وآمن وعملَ صَالحًا ثم اهتدى﴾[1] ثم قام ومضى وتركني فقلت هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سري مرتين فلما نزلنا بالأبواء إذا أنا بالفتى قائم على البئر وأنا أنظر إليه وبيده ركوة فيها ماء فسقطت من يده في البئر فرمق إلى السماء بطرفه وسمعته يقول:

أنت شربي إذا ظمئت من الما ء وقوتي إذا أردت طعاما

ثم قال إلهي وسيدي ما لي سواك فلا تعدمنيها فوالله لقد رأيت الماء قد ارتفع إلى رأس البئر والركوة طافية عليه فمد يده فأخذها فتوضأ منها وصلى أربع ركعات ثم مال إلى كثيب رمل فجعل يقبض بيديه ويجعل في الركوة ويحركها ويشرب فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام فقلت أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك فقال يا شقيق لم تزل نعم الله علي ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولني الركوة

---

(١) سورة طه آية ٨٢.

فشـربت منها فإذا فيـها سويق بسكر فـوالله ما شربت قط ألذ منه ولا أطيب فـشربت ورويت حتى شبعت فأقمت أيامًا لا أشتهي طعامًا ولا شرابًا ثم لم أره حتى نزلنا بمكة فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب نصف الليل وهو قائم يصلي بخشوع وأنين وبكاء فلم يزل كذلك حتى طلـع الفجر ثم قام إلى حاشـية المطاف فركع ركعتـي الفجر هناك ثم صلى الصبح مع الناس ثم دخل المطاف فطاف إلى بعد شروق الشمس ثم صلى خلف المقام ثم خرج يريد الذهاب فـخرجت خلفه أريد السلام عليه وإذا بجمـاعة أحاطوا به يمينًا وشمالا ومن خلفه ومن أمامه وخدم وحشم وأتباع خرجوا معه فقلت لأحدهم من هذا الفتى يا سيدي؟ فقال هذا موسى الكاظم بن جـعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وهذه الكرامـة رواها جماعـة من أهل التأليف ورواها ابن الجوزي في كتـابه مثير الغرام السـاكن إلى أشرف الأماكن ورواها الجنابذي في معالم العـترة النبوية والرامهرمزي في كـتابه كرامات الأولياء وهي كرامـة اشتملت على كرامات (الثانية) من كتاب الدلائل للحميري روى أحمد بن محمد عن أبي قتادة عن أبي خالد الزبالي قال قـدم علينا أبو الحسن موسى الكاظم زبالة ومعه جـماعة من أصحاب المهدي بعثهم في إحضاره لديه إلى العراق من المدينة وذلك في مسكته الأولى فأتيته فسلمت عليـه فسر برؤيتي وأوصاني بشراء حوائج وبتبقيتـها عندي له فرآني غير منبسط فـقال مـا لي أراك منقبضًا فـقلت كيف لا أنقـبض وأنت سائر إلى هذه الفـئة الطاغية ولا آمن عليك فقال يا أبا خالد ليس علي بأس فإذا كان في شهر كذا في اليوم الفلاني منه فانتظرني آخر النهار مع دخول الليل فإني أوافيك إن شاء الله تعالى قال أبو خالد فـما كان لي هـم إلا إحصاء تلك الشـهور والأيام إلى ذلك اليـوم الذي وعدني المجيء فيه فخـرجت غروب الشمس فلم أر أحدًا فلما كان دخـول الليل إذا بسواد قد أقبل من ناحيـة العراق فقصـدته فإذا هو على بغلة أمام القطار فسلـمت عليه وسررت بمقدمه وتخلصه فقال لي أداخلك الشك يا أبا خالد فقلت الحمد لله الذي خلصك من هذه الطاغيـة فقال يا أبا خالد إن لهم إليّ عـودة لا أتخلص منها (الثالثة) عـن عيسى المدائني قال خرجت سنة إلى مكة فأقمت بهـا مجاوراً ثم قلت أذهب إلى المدينة فأقيم

بها سنة مـثلما أقمت بمكة فـهو أعظم لثوابي فقـدمت المدينة فنزلت طرف المصلى إلى جنب دار أبي ذر وجعلت أختلف إلى سيدنا موسى الكاظم فبينا أنا عنده في ليلة ممطرة إذ قال لي عيـسى قم فقد انهدم البيت على مـتاعك فقمت فإذا البـيت قد انهدم على المتاع فاكتريت قـومًا كشفوا عن متاعي واستخرجت جمـيعه ولـم يذهب لي غير سطل للوضوء فلمـا أتيته من الغـد قال هل فقدت شـيئًا من متـاعك فندعو الله لك بالخلف فقلت ما فقدت غير سطل كان لي أتوضأ منه فأطرق رأسه مليًا ثم رفعه فقال قد ظننت أنك أنسيـته قبل ذلك فأت جـارية رب الدار فاسألها عنه وقل لهـا أنسيت السطل في بيت الخلاء فرديه قال فسألها عنه فردته (الرابعة) عن عبد الله بن إدريس عن ابن سنان قال حـمل الرشيـد في بعض الأيام إلى علي بن يقطين ثيـابًا فاخـرة أكرمه بـها ومن جملتها دراعة منسوجة بالذهب سوداء من لباس الخلفاء فأنفذها علي بن يقطين لموسى الكاظم فردها وكتب إليه احـتفظ عليها ولا تخرجها عن يديك فـسيكون لك بها شأن تحتاج معه إليها فارتاب علي بن يقطين لردها عليه ولـم يدر ما سبب كلامه ذلك ثم إنه احتفظ بالدراعة وجعلهـا في سفط وختم عليها فلما كان بعد مـدة يسيرة تغير علي بن يقطين على بعض غلمـانه ممن كان يختـص بأموره ويطلع عليهـا فصـرفه عن خدمـته وطرده لأمر أوجب ذلك منه فسعى الغلام بعلي بن يقطين إلى الرشيد وقال له إن علي ابن يقطين يقـول بإمامـة موسى الكاظم وأنه يحـمل إليه كل سنة زكـاة ماله والهـدايا والتحف وقد حمل إليه في هذه السنة ذلك وصحبته الدراعة السوداء التي أكرمته بها يا أمير المؤمنين في وقت كذا فـاستشاط الرشيد لذلك غيظًا وقـال لأكشفن عن ذلك فإن كان الأمر على ما ذكرت أزهقت روحه وذلك من بعض جزائه فأنفذ في الوقت والحين من أحضـر علي بن يقطين فلمـا مثل بين يديه قـال ما فـعلت بالدراعة السـوداء التي كسـوتكها واختصـصتك بها من مدة مـن بين سائر خواصي؟ قال هي عندي يا أمـير المؤمنين في سفط فيه طيب مختوم عليها فقال أحضرها الساعة قال نعم يا أمير المؤمنين السمع والطاعة واستدعى بعض خدمه فـقال امض وخذ مفتاح البيت الفلاني من داري وافتح الصندوق الفلاني وأتني بالسفط الذي فيه على حالته بختمه فلم يلبث الخادم إلا

قليلا حتى عاد وصحبته السفط مختومًا فوضع بين يدي الرشيد فأمر بفك ختمه ففك وفتح السفط وإذا بالدراعة فيه مطوية على حالها لم تلبس ولم تدنس ولم يصبها شيء من الأشياء فقال لعلي بن يقطين ردها إلى مكانها وخذها وانصرف راشداً فلن نصدق بعدها عليك ساعيًا وأمر أن يتبع بجائزة سنية وتقدم بأن يضرب الساعي ألف سوط فضرب فلما بلغوا خمسمائة السوط مات تحت الضرب قبل الألف (الخامسة) روى إسحق بن عمار قال لما حبس هارون الرشيد موسى الكاظم دخل الحبس ليلا أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة فسلما عليه وجلسا عنده وأرادا أن يختبراه بالسؤال لينظرا مكانه من العلم فجاء بعض الموكلين به فقال له إن نوبتي قد فرغت وأريد الانصراف من غد إن شاء الله تعالى فإن كان لك حاجة تأمرني أن آتيك بها غداً إذا جئت فقال ما لي حاجة انصرف ثم قال لأبي يوسف ومحمد بن الحسن إني لأعجب من هذا الرجل يسألني أن أكلفه حاجة يأتيني بها معه غداً إذا جاء وهو ميت في هذه الليلة فأمسكا عن سؤاله وقاما ولم يسألاه عن شيء وقالا أردنا أن نسأله عن الفرض والسنة فأخذ يتكلم معنا في علم الغيب والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره وينظر ماذا يكون من أمره فأرسلا شخصًا من جهتهما جلس على باب ذلك الرجل فلما كان أثناء الليل وإذا بالصراخ والناعية فقيل لهم ما الخبر؟ فقالوا مات صاحب البيت فجأة فعاد إليهما الرسول وأخبرهما فتعجبا من ذلك غاية العجب اهـ من الفصول المهمة (كان موسى الكاظم) رضي الله عنه أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم كفا وأكرمهم نفسًا وكان يتفقد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم والدنانير إلى بيوتهم ليلا وكذلك النفقات ولا يعلمون من أي جهة وصلهم ذلك ولم يعلموا بذلك إلا بعد موته (وكان) كثيراً ما يدعو باللهم إني أسألك الراحة عند الموت والعفو عند الحساب.

(تتمة : في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه). روى أحمد بن عبد الله ابن عمار عن محمد بن علي النوفلي قال كان السبب في أخذ الرشيد لموسى بن جعفر وحبسه إياه أنه سعى به جماعة وقالوا إن الأموال تحمل إليه من جميع الجهات والزكاة

والأخماس وأنه اشترى ضيعة وسماها السيرية بثلاثة آلاف دينار فخرج الرشيد في تلك السنة يريد الحج وبدأ بدخوله المدينة فلما أتاها استقبله موسى الكاظم في جماعة من الأشراف فلما دخلها واستقر ومضى كل واحد إلى سبيله ذهب موسى على جاري عادته إلى المسجد وأقام الرشيد إلى الليل وسار إلى قبر رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني أعتذر إليك من أمر أريد فعله وهو أن أمسك موسى الكاظم فإنه يريد التشغيب بين أمتك وسفك دمائهم وإني أريد حقنها ثم خرج فأمر به فأخذ من المسجد فدخل به إليه فقيده في تلك الساعة واستدعى بقبتين فجعل كل واحدة منهما على بغل وسترهما بالسقلاط وجعله فى إحدى القبتين وجعل مع كل واحدة منهما خيلا وأرسل بواحدة منهما على طريق البصرة وبواحدة على طريق الكوفة وإنما فعل ذلك الرشيد ليعمي على الناس أمره وكان موسى الكاظم بالقبة التي أرسلها بطريق البصرة وأوصى القوم الذين كانوا معه أن يسلموه إلى عيسى بن جعفر بن المنصور وكان على البصرة يومئذ واليًا فسلموه له وحبسه عنده سنة فبعد السنة كتب إليه الرشيد في سفك دمه وإراحته منه فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خواصه وثقاته الناصحين له فاستشارهم بعد أن أراهم ما كتبه له الرشيد فقالوا نشير عليك بالاستعفاء من ذلك وألا تقع فيه فكتب عيسى بن جعفر للرشيد يقول يا أمير المؤمنين كتبت إليّ في هذا الرجل وقد اختبرته طول مقامه في حبسي فلم يكن منه سوء قط ولم يذكر أمير المؤمنين إلا بخير ولم يكن عنده تطلع للولاية ولا خروج ولا شيء من أمر الدنيا ولا دعا قط على أمير المؤمنين ولا على أحد من الناس ولا يدعو إلا بالمغفرة والرحمة له ولجميع المسلمين مع ملازمته للصيام والصلاة والعبادة فإن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من أمره ويأمر بتسلمه مني وإلا سرحت سبيله فإني منه في غاية الحرج. فلما بلغ الرشيد كتاب عيسى ابن جعفر كتب إلى السندي بن شاهك أن يتسلم موسى الكاظم بن جعفر من عيسى ابن جعفر وأمره فيه بأمره فكان الذي تولى به السندي قتله أن جعل له سمًا في طعام وقدمه له وقيل في رطب فأكل منه موسى الكاظم ثم إنه أقام موعكًا ثلاثة أيام ومات رحمه الله تعالى. ولما مات أدخل السندي الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره ينظرون إليه أنه ليس به أثر من جرح أو قتل أو خنق وأنه مات حتف أنفه (روي) أنه لما

حضـرته الوفاة سأل ابن الـسندي أن يحضر مـولى له مدنيًا ينزل عند دار العـباس بن محمد ليتولى غسله ودفنه وتكفينه فقال له السندي أنا أقوم لك بذلك على أحسن شيء وأتمه فقال إنا أهـل بيت مهور نسائنا وحج مـبرورنا وكفن موتانا وجهـازنا من خالص أموالنا وأريد أن يتولى ذلك مولاي هذا فأجابه إلى ذلك وحـضره له فوصاه بجميع ما يفعل فلما مات تولى ذلك مولاه المذكور كذا في الفـصول المهمة (ومن) كتاب الصفوة لابن الجوزي قال بعث مـوسى بن جعفر الكاظم إلى الرشيد من الحـبس برسالة كتب فيها بأنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انتـفى معه يوم عنك من الرخاء حتى نمضي جميعًا إلى يوم ليس له انقضاء هناك يحسر المبطلـون، وقد كان قوم من الشيعة زعموا أن موسى الكاظم هـو القائم المنتظر و جعلوا حـبسه هو الـغيبـة المذكورة للقائم فـأمر هارون الرشيد يحـيى بن خالد أن يضعه على الجسر بـبـغداد وأن ينادي هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لا يموت فانظروا إليه ميتًا ففعل ونظر الناس إليه ثم حمل ودفن موسى الكاظم في مقابـر قريش بباب التين ببغداد كذا في كتـاب الأنساب وغيره وكانت وفاته لخمس بقين من شهر رجب سنة ثلاثة وثمانين ومائة وله من العمر خمس وخمسون سنة **(وأما أولاده)** ففي الفصول المهمة كان له سبعة وثلاثون ولدًا ما بين ذكر وأنثى وهم علي الرضا والعباس والقاسم وإسمعـيل وجعفر وهارون والحسن وعبد الله وإسحق وعبـد الله وزيد والحسن وأحمد ومحـمد والفضل وسليمان وفـاطمة الكبرى وفاطمة الصغرى ورقية وحليمة وأم أسماء ورقية الصغرى وأم كلثوم وميمونة اهـ ولكنه لم يستوف العـدد المذكور. ومن أولاد الكاظم كما في بغيـة الطالب عون وإليه يرجع نسب سيدنا ومـولانا الشيخ الكبير الولي المقرب جامع الشـرفين شرف النسب وشرف المعرفة بالله والأدب ذي الكرامات الظاهرة والغارات المتظاهرة أبي الحسن وأبي الأشبال علي الأهدل لأنه علي بن عمر بن محمد بن سليـمان بن عبيد بن عيسى بن علوي بن محمد بن حمـحام بن عون بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن مـحمد الباقر بن

علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم أجمعين وقد نظم ذلك بعض الفضلاء فقال:

علي بن فاروق أبو محمد ثم سليمان الرضا المسدد
عبيد عيسى علوي محمد حمحام عون كاظم المؤبد
جعفر الصادق قل محمد زين حسين وعلي السيد

والأهدل لقب شريف قال بعضهم معناه الأدنى الأقرب يقال هدل الغصن إذا دنا وقرب ولان بثمره قال بعض أهل المعرفة سمي علي بالأهدل لأنه على الإله دل وناهيك به من لقب حسن رائق وله على كلا القولين دليل على المعنى مطابق وفيه سر لطيف عجيب يفهمه العاقل المنصف اللبيب اهـ من بغية الطالب.

فصل
في ذكر مناقب سيدنا علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين

(**ولد**) علي بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة من الهجرة وقيل سنة ثلاث وأربعين ومائة وأمه أم ولد يقال لها أم البنين واسمها أروى وكنيته أبو الحسن (**وألقابه**) الرضا والصابر والزكي والولي وأشهرها الرضا (صفته) أسود معتدل لأن أمه كانت سوداء دخل يومًا حمامًا فبينما هو في مكان من الحمام إذ دخل عليه جندي فأزاله عن موضعه وقال صب على رأسي يا أسود فصب على رأسه فدخل من عرفه فصاح يا جندي هلكت أتستخدم ابن بنت رسول الله ﷺ فأقبل الجندي يقبل رجليه ويقول هلا عصيتني إذ أمرتك فقال إنها لمثوبة وما أردت أن أعصيك فيما أثاب عليه ثم أنشأ يقول:

ليس لي ذنب ولا ذنب لمن ... قال لي يا عبد أو يا أسود
إنما الذنب لمن ألبسني ... ظلمة وهو الذي لا يحمد

كذا في تاريخ الفرماني (**شاعره**) دعبل الخزاعي (**بوابه**) محمد بن الفرات (**نقش خاتمه**) حسبي الله (**معاصره**) الأمين والمأمون قال الشيخ كمال الدين بن طلحة تقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وزين العابدين علي بن الحسين وجاء علي الرضا هذا ثالثهما عن محمد بن يحيى الفارسي قال نظر أبو نواس إلى علي بن موسى الكاظم ذات يوم وقد خرج من عند المأمون على بغلة فارهة فدنا منه وسلم وقال ابن رسول الله ﷺ قلت فيك أبياتًا أحب أن تسمعها مني فقال له قل فأنشأ أبو نواس يقول:

مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا

من لم يكن علويا حين تنسبه فما له في قديم الدهر مفتخر

أولئك القوم أهل البيت عندهم علم الكتاب وما جاءت به السور

قال قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحد ما معك يا غلام من فاضل نفقاتنا قال ثلثمائة دينار قال ادفعها إليه ثم بعد أن ذهب إلى البيت قال لعله يستقلها سق يا غلام إليه البغلة ونقل الطوسي في كتابه عن أبي الصلت الهروي قال دخل دعبل الخزاعي على علي بن موسى بمرو فقال يا ابن رسول الله ﷺ إني قلت فيكم أهل البيت قصيدة وآليت على نفسي الا أنشدها أحدًا قبلك وأحب أن تسمعها مني فقال له علي الرضا ابن موسى رضي الله عنهما هات قل فأنشأ يقول:

ذكرت محل الربع من عرفات فأجريت دمع العين بالعبرات

وفل عرى صبري وهاجت صبابتي رسوم ديار أقفرت وعرات

مدارس آيات خلت عن تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات

ديار علي والحسين وجعفر وحمزة والسجاد ذي الثفنات

ديار لعبد الله والفضل صنوه نجيّ رسول الله في الخلوات

منازل كانت للصلاة وللتقى وللصوم والتطهير والحسنات

منازل جبريل الأمين يحلها من الله بالتسليم والرحمات

منازل وحي الله معدن علمه سبيل رشاد واضح الطرقات

قفا نسأل الدار التي خف أهلها متى عهدها بالصوم والصلوات

وأين الألى شطت بهم غربة النوى فأمسين في الأقطار مفترقات

أحب فضاء الدار من أجل حبهم وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي

وهم أهل ميراث النبي إذا انتموا وهم خير سادات وخير حماة

مطاعيم في الإعسار في كل مشهد لقد شرفوا بالفضل والبركات

أئمة عدل يقتدى بفعالهم وتؤمن منهم زلة العثرات

فيا رب زد قلبي هدى وبصيرة   وزد حبهم يا رب في حسناتي

لقد أمنت نفسي بهم في حياتها   واني لأرجو الأمن بعد وفاتي

ألم تر أني من ثلاثين حجة   أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم في غيرهم متقسما   وأيديهم من فيئهم صفرات

إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم   أكفًا عن الأوتار منقبضات

وآل رسول الله نحف جسومهم   وآل زياد أغلظ القصرات

سأبكيهم ماذر في الأفق شارق   ونادى منادي الخير بالصلوات

وما طلعت شمس وحان غروبها   وبالليل أبكيهم وبالغدوات

ديار رسول الله أصبحن بلقعا   وآل زياد تسكن الحجرات

وآل زياد في القصور مصونة   وآل رسول الله في الفلوات

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد   لقطع نفسي إثرهم حسراتي

خروج إمام لا محالة خارج   يقوم على اسم الله بالبركات

يميز فينا كل حق وباطل   ويجزي عن النعماء والنقمات

فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري   فغير بعيد كل ما هو آت

وهي قصيدة طويلة عدة أبياتها مائة وعشرون بيتًا ولما فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن علي الرضا وقال لا تبرح فأنفذ إليه صرة فيها مائة دينار واعتذر إليه فردها دعبل وقال والله ما لهذا جئت وإنما جئت للسلام عليه وللتبرك بالنظر إلى وجهه الميمون وإني لفي غنى فإن رأى أن يعطيني شيئًا من ثيابه للتبرك فهو أحب إليّ فأعطاه علي الرضا جبة ورد عليها الصرة وقال للغلام قل له خذها ولا تردها فإنك ستصرفها أحوج ما تكون إليها فأخذها وأخذ الجبة ثم أقام بمرو مدة فتجهزت قافلة تريد العراق فتجهز دعبل صحبتها فخرجت عليهم اللصوص في الطريق ونهبوا القافلة عن آخرها وأمسكوا جماعة من جملتهم دعبل فكتفوهم وأخذوا ما معهم فساروا بهم غير بعيد ثم جلسوا يقسمون أموالهم فتمثل مقدم اللصوص بقوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسما   وأيديهم من فيئهم صفرات

ودعبل يسمعه فقال أتعرف هذا البيت لمن؟ قال وكيف لا أعرفه هو لرجل من خزاعة يقال له دعبل شاعر أهل البيت قاله في قصيدة مدحهم بها فقال دعبل أنا والله هو أنا صاحب القصيدة وقائلها فقال ويلك انظر ما تقول فقال والله الأمر أشهر من ذلك واسأل أهل القافلة وهؤلاء المسكون معكم يخبرونكم بذلك فسألوهم فقالوا بأسرهم هذا دعبل الخزاعي شاعر أهل البيت المعروف الموصوف، ثم إن دعبلا أنشدهم القصيدة من أولها إلى آخرها عن ظهر قلب فقالوا قد وجب حقك علينا وقد أطلقنا القافلة ورددنا جميع ما أخذناه منها كرامة لك يا شاعر أهل البيت ثم إنهم أخذوا دعبلا معهم وتوجهوا به إلى قم ووصلوه بمال وسألوه في بيع الجبة التي أعطاها له أبو الحسن الرضا ودفعوا له فيها ألف دينار فقال والله لا أبيعها وإنما أخذتها للتبرك من أثره ثم ارتحل عنهم من قم بعد ثلاثة أيام فلما صار خارج البلد على نحو ثلاثة أميال خرج عليه قوم من أحداثهم فأخذوا الجبة منه فرجع إلى قم وأخبر كبارهم بذلك فأخذوا الجبة منهم وردوها عليه ثم قالوا نخشى أن تؤخذ هذه الجبة منك ويأخذها غيرنا ثم لا ترجع عليك فبالله إلا ما أخذت الألف منا وتركتها فأخذ الألف منهم وأعطاهم الجبة ثم ارتحل عنهم وعن أبي الصلت الهروي قال قال دعبل الخزاعي لما أنشدت مولاي الرضا هذه القصيدة وانتهيت فيها إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج   يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كل حق وباطل   ويجزي على النعماء والنقمات

بكى الرضا ثم رفع رأسه إلي وقال يا خزاعي لقد نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين. قال إبراهيم بن العباس ما رأيت الرضا سئل عن شيء إلا علمه ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان إلى وقت عصره وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيبه الجواب الشافي وكان قليل النوم كثير الصوم لا يفوته صوم ثلاثة أيام من كل شهر ويقول ذلك صيام الدهر وكان كثير المعروف والصدقة وأكثر ما يكون ذلك منه

في الليالي المظلمـة وكان جلوسه في الصيف على حـصير وفي الشتـاء على مسح قال إبراهيم بن العباس سمعت الرضا يقول وقـد سأله رجل يكلف الله العباد ما لا يطيقون فقال هـو أعدل من ذلك قال فيـقدرون على كل ما يريدون قال هم أعـجز من ذلك.

وعن ياسر الخادم قال سمعت عليًا الرضا بن موسى يقول: أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مـواضع يوم يولد إلى الدنيا ويخـرج المولود من بطن أمـه فيرى الدنـيا ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها ويوم يبـعث فيرى أحكامًا لم يرها في دار الدنيا وقد سلم الله تعالى على يحـيى في هذه الثلاثة المواطن وأمن روعتـه فقال: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾[1]. . وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه في هذه الثلاثة المواطن فقال: **﴿والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا﴾**.

(فائدة) أورد صاحب كتاب تاريخ نيـسابور أن عليًا الرضا بن موسى الكاظم بن جعفـر الصادق بن محمـد الباقر بن علي بن الحسين رضي الله عنهم لما دخـل نيسابور كان في قبة مستورة على بغلة شهبـاء وقد شق بها السوق فعرض له الإمامان الحافظان أبو زرعة وأبو مسلم الطوسي ومـعهما من أهل العلم والحديث ما لا يحـصى فقالا يا أيها السـيد الجليل ابن السادة الأئمـة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الأكـرمين إلا ما أريتنا وجهك الميمون ورويت لنا حديثًا عن آبائك عن جدك نذكرك به فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة وأقر عيون الخلائق برؤية طلعتـه وإذا له ذؤابتان معلقتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ومـتمرغ في التراب ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام معـاشر الناس أنصتوا واسمعوا ما ينفعكم ولا تؤذونا بصراخكم وكـان المستملي أبا زرعة ومـحمد بن مسلم الطوسي فـقال علي الرضا رضي الله عنه حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقـر عن أبيه علي زين العابديـن عن أبيه شهـيد كربلاء عن أبيـه علي المرتضى قال حدثني حبيـبي وقرة عيني رسول الله ﷺ قال حدثني جبريل عليـه السلام قال حدثني رب العزة سبحـانه وتعالى قال: «كلمة لا إله إلا الله حصني فمن قـالها دخل حصني

---

(١) سورة مريم آية ١٥.

ومن دخل حصني أمن من عَذابي». ثم أرخى الستر على المظلة وسار قال فعد أهل المحابر وأهل الدواوين الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفا قال رضي الله عنه لو قرئ هذا الإسناد على مجنون لأفاق من جنونه. وقال أبو القاسم القشيري رضي الله عنه اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى أن يدفن معه في قبره فرؤي في المنام بعد موته فقيل ما فعل الله بك فقال غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي أن محمدًا رسول الله أورده المناوي في شرحه الكبير على الجامع الصغير وغيره. وعن علي الرضا بن موسى عن آبائه عن النبى ﷺ أنه قال: «من لم يؤمن بحوضى فلا أورده الله تعالى حوضى، ومن لم يؤمن بشفاعتى فلا أناله الله شفاعتى ثم قال: إنما شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى فأما المحسنون فما عليهم من سبيل» وعن على الرضا بن موسى عن آبائه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال قال رسول الله ﷺ: لما أسري به: «ولا يكون إلى يوم القيامة مؤمن إلا وله جار يؤذيه». وعن علي الرضا أيضًا قال قال رسول الله ﷺ: «الشيب في مقدم الرأس يمن وفي العارضين سخاء وفي الذوائب شجاعة وفي القفا شؤم». وعنه عن آبائه عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لما أسرى بي إلى السماء رأيت رحمًا معلقة بالعرش تشكو رحما إلى ربها أنها قاطعة لها قلت كم بينك وبينها من أب؟ قالت نلتقي في أربعين أبا». وعنه أنه قال: «من صام من شعبان يومًا واحدًا ابتغاء ثواب الله دخل الجنة، ومن استغفر الله تعالى في كل يوم منه سبعين مرة حشر يوم القيامة في زمرة النبي ﷺ ووجبت له من الله الكرامة، ومن تصدق في شعبان بصدقة ولو بشقة تمرة حرم الله جسده على النار». وعن علي الرضا بن موسى أنه قال: «من صام أول يوم من رجب رغبة في ثواب الله وجبت له الجنة، ومن صام يومًا من وسطه شفع في مثل ربيعة ومضر ومن صام يومًا في آخره جعله الله من أملاك الجنة وشفعه الله في أمه وأبيه وإخوانه وأعمامه وعماته وأخواله وخالاته ومعارفه وجيرانه وإن كان فيهم من هو مستوجب النار». قال صاحب كتاب نثر الدرر: سأل الفضل بن سهل عليا الرضا بن موسى في مجلس المأمون فقال يا أبا الحسن الخلق

مجبرون قال الله تعالى أعدل من أن يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال الله تعالى أحكم من أن يهمل عبده ويكله إلى نفسه. وعن أبي الحسن القرظي عن أبيه قال حضرنا مجلس أبي الحسن الرضا فجاء رجل فشكا إليه أخاه فأنشأ الرضا يقول:

اعذر أخاك على ذنوبه واصبر وغط على عيوبه
واصبر على سفه السفيه وللزمان على خطوبه
ودع الجواب تفضلا وكل الظلوم على حسيبه

(لطيفة) دخل على عليّ بن موسى بنيسابور قوم من الصوفية فقالوا إن أمير المؤمنين المأمون نظر فيما ولاه الله تعالى من الأمور ثم نظر فرآكم أهل البيت أولى من قام بأمر الناس ثم نظر في أهل البيت فرآك أولى الناس بالناس من كل واحد منهم فرد هذا الأمر إليك والناس تحتاج إلى من يأكل الخشن ويلبس الخشن ويركب الحمار ويعود المريض ويشيع الجنائز قال وكان علي الرضا متكئًا فاستوى جالسًا ثم قال كان يوسف ابن يعقوب نبيًا فلبس أقبية الديباج المزررة بالذهب والقباطي المنسوجة بالذهب وجلس على متكآت آل فرعون وحكم وأمر ونهى وإنما يراد من الإمام القسط والعدل إذا قال صدق وإذا حكم عدل وإذا وعد أنجز إن الله لم يحرم ملبوسًا ولا مطعومًا وتلا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾[1].

(١) سورة الأعراف آية ٢٣.

فصل
في ذكر ولاية العهد من المأمون للرضا

ذكر جماعة من أهل السير ورواة الأخبار بأيام الخلفاء أن المأمون لما أراد ولاية العهد للرضا وحدث نفسه بذلك وعزم عليه أحضر الفضل بن سهل وأخبره بما عزم عليه وأمره بمشاورة أخيه الحسن في ذلك فاجتمعا وحضرا عند المأمون فجعل الحسن يعظم ذلك عليه ويعرفه ما في خروج الأمر عن أهل بيته فقال المأمون إني عاهدت الله تعالى إن ظفرت بالمخلوع سلمت الخلافة إلى أفضل بني المطلب وهو أفضلهم ولا بد من ذلك فلما رأيا تصميمه وعزيمته على ذلك أمسكا عن معارضته فقال تذهبان الآن إليه وتخبرانه بذلك عني وتلزمانه به فذهبا إلى علي الرضا وأخبراه بذلك وألزماه فامتنع فلم يزالا به حتى أجاب على أنه لا يأمر ولا ينهى ولا يعزل ولا يولي ولا يتكلم بين اثنين في حكومته ولا يغير شيئًا مما هو قائم على أصله فأجابه المأمون إلى ذلك؛ ثم إن المأمون جلس مجلسًا خاصًا لخواص أهل دولته من الأمراء والوزراء والحجاب والكتاب وأهل الحل والعقد وكان ذلك في يوم الخميس لخمس خلون من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين وأحضرهم فلما حضروا قال للفضل بن سهل أخبر الجماعة الحاضرين برأي أمير المؤمنين في الرضا علي بن موسى وأنه ولاه عهده وأمرهم بلبس الخضرة والعود لبيعته في الخميس الثاني فحضروا وجلسوا على مقادير طبقاتهم ومنازلهم كل في موضعه وجلس المأمون ثم جيء بالرضا فجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا له وهو لابس الخضرة وعلى رأسه عمامة متقلد بسيف فأمر المأمون ابنه العباس بالقيام إليه ومبايعته أول الناس فرفع الرضا يده وجعلها من فوق فقال المأمون ابسط يدك فقال له الرضا هكذا كان يبايع رسول الله ﷺ يده فوق أيديهم فقال افعل ما ترى ثم وضعت بدر الدراهم والدنانير وبقج الثياب والخلع وقام الخطباء والشعراء وذكروا ما كان من أمر المأمون من ولاية عهده للرضا وذكروا فضل الرضا وفرقت الصلات

والجوائز على الحاضرين على قدر مراتبهم وأول من بدئ به العلويون ثم العباسيون ثم باقي الناس على قدر منازلهم ومـراتبهم؛ ثم إن المأمون قال للرضـا قم فاخطب الناس فقام وحمد الله وأثنى عليه وثنى بذكر نبيـه محمد ﷺ فصلى عليه وقال أيها الناس إن لنا عليكم حـقًا برسـول الله ﷺ ولكم علينا حـق به فإذا أديتم إلـينا ذلك وجب لكم علينا الحكم والسـلام ولم يسمع منه في هذا المجلس غـير هذا وخطب للـرضا بولاية العهد في كل بلد وخطب عبد الجبار بن سعيد في تلك السنة على منبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقـال في الدعاء للرضا وهو على مـنبر ولي عهد المسـلمين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي وأنشد:

ســـتـــة آبـاؤهم أمــــهــــاتـهم أفـضل من يشـرب صـوب الغـمـام

(ذكر المدائني) قال لما جلس الرضا ذلك المجلس وهو لابس تلك الخلع والشعراء والخطباء يتكلمون وتلـك الألوية تخفق على رأسه نظر الرضا بعض مواليـه الحاضرين ممن كان يخـتص به وقد داخله من السرور مـا لا مزيد عليه وذلك لما رأى فأشـار إليه الرضا فدنا مـنه فقال له في أذنه سرًا لا تشـغل قلبك بشيء مما ترى من هذا الأمر ولا تستبشر به فإنه لا يتم. وهذه صورة مختصرة من كتاب العهد الذي كتبه المأمون للرضا اختصره صاحـب الفصول لطوله وهو: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب كـتبه عبد الله بن هرون الرشيد لعلي بن مـوسى بن جعفر ولي عهده أمـا بعد فإن الله عز وجل اصطفى الإسلام دينًا واخـتار له من عـباده رسلا دالين عليـه وهادين إليه يبـشر أولهم بآخرهـم ويصدق تاليهم ماضيهم حتى انتـهت نبوة الله تعالى إلى محمد ﷺ على فترة من الرسل ودروس من العلم وانقطاع من الوحي واقتراب من الساعة فختم الله بالنبيين وجعله شاهدًا عليهم ومهيمنًا وأنزل عليه كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فلما انقضت النبوة وختم الله بمحمد ﷺ الرسالة جعل قوام الدين ونظام المسلمين في الخلافة ونظامها والقـيام بشرائعها وأحكامها، ولم يزل أمير المؤمنين منـذ أفضت إليه الخلافة وحـمل مشاقها وخـبر مرارة طعمهـا وذاقها

مسهراً لعينيه منصبًا لبدنه مطيلا لفكره فيما فيه عز الدين وقمع المشركين وصلاح الأمة وجمع الكلمة ونشر العدل وإقامة الكتاب والسنة ومنعه ذلك من الخفض والدعة ومهنأ العيش محبـة أن يلقى الله سبحانه وتعالى مناصحًا له في دينه وعبـاده ومختاراً لولاية عهده ورعاية الأمـة من بعده أفضل من يقدر عليه في دينه وورعه وأرجـاهم للقيام في أمر الله وحقه مناجيًا لله تعالى بالاستخارة في ذلك ومسألته إلهامه ما فيه رضاه وطاعته في آناء ليله ونهاره معملا فكره ونظره في طلبه والتماسه في أهل بيته من ولد عبد الله ابن العباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم مقتـصراً ممن علم حاله ومذهبه منهم على علمه وبالغًا في المسألة ممن خفي عليه أمره جهـده وطاقته حتى استقصى أمورهم معـرفة وابتلى أخبارهم مـشاهدة واستـبرأ أحوالهم معـاينة وكشف ما عندهم مـساءلة وكانت خيرته بعد استخارة الله تعالى وإجهاده نفسه في قضاء حقه في عباده وبلاده في الفئتين جميعًا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم لما رأى من فـضله البارع وعلمـه الذائع وورعه الظاهر الـشائع وزهده الخالص النافع وتخليـه عن الدنيا وتفرده عن الناس وقد اسـتبان له من لم تزل الأخبار عليه منطبقـة والألسنة عليه متفقة والكلمة فيه جامـعة والأخبار واسعة ولما لم يزل يعرف به من الفضل يافعًا وناشئًا وحدثًا وكهلا فلذلك عقد له بالعهد والخلافة من بعـده واثقًا بخـيـرة الله في ذلك إذ علم الله تعـالى أنه فـعله إيثـاراً له وللدين ونظراً للإسلام والمسلمين وطلبًا للسلامة وثبات الحجـة والنجاة في اليوم الذي تقوم فيه الناس لرب العالمين ودعا أمـير المؤمنين ولده وأهل بيته وخاصـته وقواده وخدمه فـبايعه الكل مطيعين مسـارعين عالمين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهـوى في ولده وغيره ممن هو أشبك رحمًا وأقرب قرابة وسمـاه الرضا إذ كان مرضيًا عند الله تعالى وعند الناس وقد آثر طاعة الله تعالى والنظر لنفسه وللمسلمين والحـمد لله رب العالمين كتبه بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شـهر رمضان المعظم سنة إحدى ومـائتين (وصورة ما على ظهر العهد) مكتوبًا بخط الإمام علي بن مـوسى الرضا بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الفعـال لما يشاء لا مـعقب لحكمـه ولا راد لقضائه يـعلم خائنة الأعين ومـا تخفي

الصدور وصلاته على نبيه محمد ﷺ خاتم النبيين وآله الطيبين الطاهرين أقول وأنا علي بن موسى بن جعفر إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفقه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره فوصل أرحامًا قطعت وأمن نفوسًا فزعت بل أحياها بعد أن كانت من الحياة أيست فأغناها بعد فقرها وعرفها بعد نكرها مبتغيًا بذلك رضا رب العالمين لا يريد جزاء من غيره وسيجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين وأنه جعل إلى عهده والإمرة الكبرى إن بقيت بعده فمن حل عقدة أمر الله بشدها أو فصم عروة أحب الله اتساقها فقد أباح حريمه وأحل محرمه إذ كان بذلك زاريا على الإمام منتهكًا حرمة الإسلام، وخوفًا من شتات الدين واضطراب أمر المسلمين وحذر فرصة تنتهز وعلقة تبتدر جعلت لله تعالى على نفسي عهدًا إن استرعاني أمر المسلمين وقلدني خلافة العمل فيهم عامة وفي بني العباس بن عبد المطلب خاصة أن أعمل فيهم بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ولا أسفك دمًا ولا أبيح فرجًا ولا مالا إلا ما سفكته حدوده وأباحته فرائضه وأن أتحرى الكفاة جهدي وطاقتي وجعلت بذلك على نفسي عهدًا مؤكدًا يسألني الله عنه فإنه عز وجل يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾[1]. وإن أحدثت أو غيرت أو بدلت كنت للعزل مستحقًا وللنكال متعرضًا وأعوذ بالله من سخطه وإليه أرغب في التوفيق لطاعته والحول بيني وبين معصيته في عافية وللمسلمين والجامعة والجفر يدلان على ضد ذلك وما أدري ما يفعل الله بي ولا بكم إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين لكني امتثلت أمر أمير المؤمنين وآثرت رضاه والله تعالى يعصمني وإياه وأشهدت الله تعالى على نفسي بذلك وكفى بالله شهيدًا وكتبت بخطي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه والحاضرين من أولياء نعمته وخواص دولته هم الفضل بن سهل وسهل بن الفضل والقاضي يحيى بن أكثم وعبد الله بن طاهر وثمامة بن الأشرس وبشر بن المعتمر وحماد بن النعمان وذلك في شهر رمضان سنة إحدى ومائتين (صورة رقم شهادة القاضي يحيى بن أكثم) شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره وبطنه وهو يسأل الله تعالى أن يعرف

---

(١) سورة الإسراء آية ٣٤.

أمير المؤمنين وكافة المسلمين بركة هذا العهد والميثاق وكتب بخطه في التاريخ المبين فيه.
(صورة رقم شهادة عبد الله بن طاهر) أثبت شهادته فيه بتاريخه عبد الله بن طاهر.
(صورة رقم شهادة حماد) شهد حماد بن النعمان بمضمونه ظهراً وبطناً وكتبه بيده في تاريخه. (صورة شهادة ابن المعتمر) شهد بمثل ذلك بشر بن المعتمر وعلى الجانب الأيسر بخط الفضل بن سهل رسم أمير المؤمنين بقراءة هذه الصحيفة التي هي صحيفة العهد والميثاق ظهراً وبطناً بحرم سيدنا رسول الله ﷺ بين الروضة والمنبر على رءوس الأشهاد بمرأى ومسمع من وجوه بني هاشم وسائر الأولياء والأجناد بعد أخذ البيعة عليهم واستيفاء شروطها بما أوجبه أمير المؤمنين من العهد لعلي بن موسى الرضا لتقوم به الحجة على جميع المسلمين ولتبطل الشبهة التي كانت اعترضت لآراء الجاهلين وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه (وزوّجه المأمون) ابنته أم حبيب في أول سنة اثنتين ومائتين والمأمون متوجه إلى العراق.

(حكي) أن المأمون وجد في يوم عيد انحراف مزاج أحدث عنده ثقلا عن الخروج إلى الصلاة فقال لأبي الحسن علي الرضا قم يا أبا الحسن فاركب وصل بالناس العيد فامتنع وقال قد علمت ما كان بيني وبينك من الشروط فاعفني من الصلاة فقال المأمون إنما أريد أن أنوه بذكرك ويشتهر أمرك بأنك ولي عهدي والخليفة من بعدي وألح عليه في ذلك فقال له الرضا إن أعفيتني من ذلك كان أحب إلي وإن أبيت إلا أن أخرج للصلاة فإنما أخرج للصلاة على الصفة التي كان النبي ﷺ يخرج عليها فقال المأمون افعل كيفما أردت وأمر المأمون القواد والجند وأعيان دولته بالركوب في خدمته إلى المصلى فركب الناس إلى بيته وحضر القراء والمؤذنون والمكبرون إلى بابه ينتظرون أن يخرج فخرج إليهم الرضا وقد اغتسل ولبس أفخر ثيابه وتعمم بعمامة وألقى طرفًا منها على عاتقه ومس طيبًا وأخذ عكازًا في يده وخرج ماشيًا ولم يركب وقال لمواليه وأتباعه افعلوا كما فعلت ففعلوا كفعله وساروا بين يديه عند شروق الشمس رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير فلما رآه القواد والجند على تلك الحالة لم يسعهم إلا أن نزلوا عن خيولهم ومراكبهم وساروا بين يديه وتركوا دوابهم مع غلمانهم خلف الناس

وكان كلما كبر الرضا كبر الناس بتكبيره وكلما هلل هللوا بتهليله وهم سائرون بين يديه حتى خيل للناس أن الحيطان والجدران تجاوبهم بالتكبير والتهليل وارتفع البكاء والصراخ فبلغ ذلك المأمون فقال له الفضل إن بلغ الرضا المصلى افتتن به الناس وخفنا على دمائنا وأرواحنا وعليك في نفسك فابعث إليه ورده فبعث إليه المأمون قد كلفناك يا أبا الحسن ولا نحب أن تلحقك مشقة ارجع إلى بيتك ويصلي بالناس من كان يصلي بهم من قبل فرجع علي إلى بيته وركب المأمون فصلى بالناس اهـ من الفصول المهمة.

(فائدة) قال المأمون لعلي الرضا رضي الله عنه أنشدنا أحسن ما رويت في السكوت عن الجاهل وعتاب الصديق فقال:

إني ليهجرني الصديق تجنبا	فأرى بأن لهجره أسبابا
وأراه إن عاتبته أغريته	فأرى له ترك العتاب عتابا
فإذا بليت بجاهل متحكم	يجد الأمور من المحال صوابا
أوليته مني السكوت وربما	كان السكوت عن الجواب جوابا

اهـ (من درر الأصداف)

(كرامات): الأولى لما جعله المأمون ولي عهده وأقامه خليفة بعده كان في حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك وخافوا على خروج الخلافة من بني العباس وعودها لبني فاطمة فحصل عندهم من علي الرضا بن موسى نفور وكان عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل بادر من بالدهليز من الحجاب وأهل النوبة من الخدم والحشم بالقيام له والسلام عليه ويرفعون له الستر حتى يدخل فلما حصلت لهم هذه النفرة وتفاوضوا في أمر هذه القصة ودخل في قلوبهم منها شيء قالوا فيما بينهم إذا جاء يدخل على الخليفة بعد اليوم نعرض عنه ولا نرفع له الستر واتفقوا على ذلك فبينما هم جلوس إذ جاء علي الرضا على جاري عادته فلم يملكوا أنفسهم أن قاموا وسلموا عليه ورفعوا الستر على عادتهم فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون لكونهم ما فعلوا ما اتفقوا عليه وقالوا الكرة الآتية إذا جاء لا نرفعه فلما كان في اليوم الثاني وجاء الرضا على عادته قاموا وسلموا عليه ولم يرفعوا الستر فجاءت ريح شديدة فرفعت الستر أكثر مما كانوا يرفعونه فدخل ثم عند خروجه جاءت ريح من الجانب

الآخر فرفعته له وخرج فـأقبل بعضهم على بعض وقالوا إن لهذا الرجل عند الله منزلة وله منه عناية انظروا إلى الريح كيف جاءت ورفعت له الستر عند دخوله وعند خروجه من الجهتين ارجـعوا إلى ما كنتم عليه من خدمتـه فهو خير لكم. (الثانيـة) من كتاب أعلام الورى للـطوسي قال روى الحاكم أبو عـبد الله الحـافظ بإسناده عن محـمد بن عيسى عن أبي حـبيب قال رأيت النبي ﷺ في المنام وكان قد وافى المسـجد الذي كان ينزله الحجاج من بلدنا في كل سنة وكأني مـضيت إليه وسلمت عليه ووقفت بين يديه فوجـدته وعنده طبق من خوص المدينة فيـه تمر صيحانـي وكأنه قبض قبـضة من ذلك التمر فناولنيها فعددتها فوجدتها ثماني عشرة تمرة فتأولت أني أعيش بكل تمرة سنة فلما كان بعد عشرين يومًا وأنا في أرض لي تعمـر للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدوم أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم ونزوله بذلك المسجد ورأيت الناس يسعون له من كل جهة يسلمون عليه فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي ﷺ جالسًا فيـه وتحته حصـير مثل الحصـير الذي كان تحتـه ﷺ وبين يديه طبق من خوص المدينة وفيه تمر صيـحاني فسلمت عليه فرد السلام واستـدناني وناولني قبضة من ذلك التمر فعددتها فإذا هي بعدد ما ناولني رسول الله ﷺ في النوم ثماني عشرة تمرة فقلت زدني فقـال لو زادك رسول الله ﷺ لزدتك. (الثـالثة) روى الحـاكم أيضًا بإسناده عن سعيد بن سعيد أن أبا الحسـن عليا الرضا نظر إلى رجل فقال يا عبد الله أوص بما تريد واستعد لما لا بد منه فمات الرجل بعـد ثلاثة أيام. (الرابعة) عن صفوان بن يحيى قال لما مضى موسم الكاظم وظهر ولده من بعده علـي الرضا خفنا عليه وقلنا له إنا نخاف عليك من هذا يعني هرون الرشيد قـال ليجهدن جهده فلا سبـيل له علي قال صفوان فحـدثني ثقة أن يحيى بن خـالد البرمكي قال لهـرون الرشيد هذا علي بن مـوسى قد تقدم وادعى الأمـر لنفسه فقـال هرون يكفينا ما صنعنا بأبـيه تريد أن نقتلهم جمـيعًا. (الخامسة) عن مسافر قال كنت مع أبي الحسن علي الرضا فمر يحيى بن خالد البرمكي وهو مغط وجهه بمنديل من الغبار فقال الرضا مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة فكان من أمرهم ما كان قال وأعجب من هذا أنا وهرون كهاتين وضم إصبعه

السبابة والوسطى قال مسافر فوالله ما عرفت معنى حديثه في هرون إلا بعد موت الرضا ودفنه إلى جانبه. (السادسة) عن الحسين بن يسار قال قال علي الرضا إن عبد الله يقتل محمدًا فقلت عبد الله بن هرون يقتل محمد بن هرون؟ قال نعم عبد الله المأمون يقتل محمدًا الأمين فكان كما قال: (السابعة) عن الحسين بن موسى قال كنا حول أبي الحسن علي الرضا بن موسى ونحن شباب من بني هاشم إذ مر علينا جعفر ابن عمر العلوي وهو رث الهيئة فنظر بعضنا إلى بعض نظر مستزر لهيئته وحالته وقال الرضا سترونه عن قريب كثير المال كثير الخدم حسن الهيئة فما مضى إلا شهر واحد حتى ولي أمر المدينة وحسنت حالته وكان يمر بنا كثيرًا وحوله الخدم والحشم يسيرون بين يديه فنقوم له ونعظمه وندعو له. (الثامنة) روي عن جعفر بن صالح قال أتيت الرضا فقلت امرأتي أخت محمد بن سنان وكان من خواص شيعتهم وبها حمل فادع الله أن يجعله ذكرًا قال هما اثنان فوليت وقلت أسمي واحدًا عليًا والآخر محمدًا فدعاني فأتيته فقال سم واحدًا عليا والآخر أم عمرو فقدمت الكوفة فولدت غلامًا وجارية فسميت الذكر عليا والأنثى أم عمرو كما أمرني وقلت لأمي ما معنى أم عمرو قالت جدتك كانت تسمى أم عمرو. (التاسعة) عن حمزة بن جعفر الأرجاني قال خرج هرون الرشيد من المسجد الحرام من باب وخرج علي بن موسى الرضا من باب فقال الرضا وهو يعني هرون الرشيد يا بعد الدار وقرب الملتقى يا طوس ستجمعينني وإياه. (العاشرة) عن موسى بن عمران قال رأيت عليا الرضا بن موسى في مسجد المدينة وهرون الرشيد يخطب قال تروني وإياه ندفن في بيت واحد.

(تتمة: **في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه**) عن هرثمة بن أعين وكان من خدم الخليفة عبد الله المأمون وكان قائمًا بخدمة الرضا قال: طلبني سيدي أبو الحسن الرضا في يوم من الأيام وقال لي يا هرثمة إني مطلعك على أمر يكون سرًا عندك لا تظهره لأحد مدة حياتي فإن أظهرته حال حياتي كنت خصمًا لك عند الله فحلفت له إني لا أتفوه بما يقول لي لأحد مدة حياته فقال لي اعلم يا هرثمة أنه قد دنا

رحيلي ولحوقي بآبائي وأجدادي وقد بلغ الكتاب أجله وإني أطعم عنبًا ورمانًا مفتوتًا فأموت ويقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه هرون الرشيد وأن الله يقدره على ذلك وأن الأرض تشتد عليهم فلا تعمل فيها المعاول ولا يتطيعون حفرها فاعلم يا هرثمة أن مدفني في الجهة الفلانية من اللحد الفلاني لموضع عينه لي فإذا أنا مت وجهزت فأعلمه بجميع ما قلت لك لتكونوا على بصيرة من أمري وقل له إذا أنا وضعت في نعشي وأرادوا الصلاة علي فلا يصل علي وليتأن قليلا يأتكم رجل عربي متلثم على ناقة له مسرع من جهة الصحراء فينيخ ناقته وينزل عنها فيصلي علي فصلوا معه علي فإذا فرغتم من الصلاة علي وحملت إلى مدفني الذي عينته لك فاحفر شيئًا يسيرًا من وجه الأرض تجد قبرًا مطبقًا معمورًا في قعره ماء أبيض فإذا كشفت عنه الطبقات نضب الماء فهذا مدفني فادفنوني فيه الله الله يا هرثمة أن تخبر بهذا قال هرثمة فوالله ما طالت أيامه حتى أكل الرضا عند الخليفة عنبًا ورمانًا فمات (عن أبي الصلت الهروي) قال دخلت على الرضا وقد خرج من عند المأمون فقال يا أبا الصلت قد فعلوها وجعل يوحد الله ويمجده فأقام يومين ومات في اليوم الثالث قال هرثمة فدخلت على الخليفة المأمون لما بلغه موت أبي الحسن علي الرضا فوجدت المنديل بيده وهو يبكي عليه فقلت يا أمير المؤمنين ثم كلام أتأذن لي أن أقوله لك قال قل فقصصت القصة عليه التي قالها لي الرضا من أولها إلى آخرها فتعجب المأمون من ذلك ثم إنه أمر بتجهيزه وخرجنا بجنازته إلى المصلى وأخرنا الصلاة عليه قليلا فإذا بالرجل العربي قد أقبل على بعيره من جهة الصحراء كما قال فنزل ولم يكلم أحدًا فصلى عليه وصلى الناس معه وأمر الخليفة بطلب الرجل فلم يروا له أثرًا ولا لبعيره ثم إن الخليفة قال نحفر له من خلف قبر الرشيد لننظر ما قاله لك فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان عجزوا عن حفرها فتعجب الحاضرون من ذلك وتبين للمأمون صدق ما قلته له فقال أرني الموضع الذي أشار إليه فجئت بهم إليه فما كان إلا أن انكشف التراب عن وجه الأرض فظهرت الطبقات فرفعناها فظهر قبر معمور فإذا في قعره ماء أبيض وأشرف عليه المأمون وأبصره ثم إن ذلك الماء نضب من وقته فواريناه فيه ورددنا

الطبقات على حالها والتراب ولم يزل الخليفة المأمون يتعجب مما رأى ومما سمعه مني ويتأسف عليه ويندم وكلما خلوت معه يقول لي يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا فأعيد عليه الحديث فيتلهف ويتأسف ويقول إنا لله وإنا إليه راجعون وكانت وفاته سنة ثلاث ومائتين في آخر صفر وقيل عن ذلك وله من العمر إذ ذاك خمس وخمسون سنة في قرية يقال لها سنا باد من رستاق من أعمال طوس من خراسان وقبره في قبل قبر هرون الرشيد (وأما أولاده) رضي الله عنه فقد قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت ولد الرضا خمسة بنين وابنة واحدة وهم محمد القانع والحسن وجعفر وإبراهيم والحسين والبنت اسمها عائشة.

فصل

في ذكر مناقب محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

أمه أم ولد يقال لهـا سكينة المريسية **وكنيته** أبو جعفر ككنية جـده محمد الباقر **(وألقابه كـثيـرة)** الجواد والقـانع والمرتضى وأشـهرها الجـواد **(صفته)** أبيض معـتدل **(شاعره)** حماد **(بوابه)** عـمر بن الفـرات **(نقش خاتمه)** نعم القـــادر الله **(معاصره)** المأمون والمعتصم؛ ولد أبو جعفر محمـد الجواد بالمدينة تاسع عشر شهر رمضان المعظم سنة خمس وتسعين ومائة من الهجرة قـال صاحب كتاب مطالب السول في مناقب آل الرسول ﷺ هذا محمد أبو جعفر الثاني فإنه قـد تقدم في آبائه أبو جعفر محمد الباقر ابن علي فجاء هذا باسـمه وكنيته واسم أبيه فعـرف بأبي جعفر الثاني وإن كـان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر ومناقبه رضي الله عنه كثيرة **(نقل)** غير واحد أن والده عليـا الرضا لما توفي وقـدم المأمون بغـداد بعد وفـاته بسنة اتفق أن المأمون خـرج يومًا يتصيد فاجـتاز بطريق البلد وثم صبيان يلعبون ومحمـد الجواد واقف عندهم فلما أقبل المأمون فر الصبـيان ووقف محمد وعمره إذ ذاك تسع سنين فلمـا قرب منه الخليفة نظر إليه فألقى الله على قلبه حبه فقال له يا غلام ما منعك من الانصراف كأصحابك؟ فقال له محمـد مسرعًا يا أميـر المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق فأوسعـه لك وليس لي جرم فأخشاك والظن بك حـسن أنك لا تضر من لا ذنب له فأعجبه كـلامه وحسن صورته فقـال له ما اسمك واسم أبيك فـقال محـمد بن علي الرضـا فترحم على أبيـه وساق جواده إلى مقصـده وكان معه بزاة الصيد فلما بعـد عن العمران أرسل بازًا على دراجة فغاب عنه ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة فيها بقايا الحياة فتعجب من ذلك

غاية العجب ورجع فرأى الصبيان على حالهم ومحمد عندهم ففـروا إلا محمداً فدنا منه وقال له يا محمد ما في يدي فقال يا أمير المؤمنين إن الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكًا صغاراً تصيده بازات الملوك والخلفاء كي يختبر بها سلالة بني المصطفى ﷺ كرامة له فقال له أنت ابن الرضا حقًا وأخذه معه وأحسن إليه وقربه وبالغ في إكرامه ولم يزل مشغوفًا به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عقله وظهور براهينه مع صغر سنه وعزم على تزويجه بابنته أم الفضل وصمم على ذلك فمنعه العباسيون من ذلك خوفًا من أن يعهد إليه كما عهد إلى أبيه فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتميزه عن كافة أهل الفضل علمًا ومعرفة وحلمًا مع صغر سنه نازعوه في اتصاف محمد بذلك ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره فأرسلوا إلى يحيى بن أكثم ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً وخجله فحضر الخليفة وخواص الدولة ومعهم يحيى بن أكثم فأمر المأمون بفراش حسن لمحمد فجلس عليه وسأله يحيى مسائل فأجاب عنها بأحسن جواب وأوضحه فقال له الخليفة أحسنت يا أبا جعفر فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة فقال يحيى يسأل فإن كان عندي جواب أجبت به وإلا استفدت الجواب والله أسأل أن يرشدني للصواب فقال له أبو جعفر محمد الجواد ما تقول في رجل نظر إلى امرأة في أوّل النهار بشهوة فكان نظره إليها حرامًا عليه فلما ارتفع النهار حلت له فلما زالت الشمس حرمت عليه فلما كان وقت العصر حلت له فلما غربت الشمس حرمت عليه فلما دخل وقت العشاء الآخر حلت له فلما انتصف الليل حرمت عليه فلما طلع الفجر حلت له فبماذا حلت هذه المرأة لهذا الرجل وبماذا حرمت عليه في هذه الأوقات فقال يحيى بن أكثم لا أدري فإن رأيت أن تفيد الجواب فذلك فقال أبو جعفر هذه أمة لرجل نظر لها شخص في أول النهار بشهوة وذلك حرام عليه فلما ارتفع النهار ابتاعها من صاحبها فحلت له فلما كان وقت الظهر أعتقها فحرمت عليه فلما كان وقت العصر تزوجها فحلت له فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه فلما كان وقت العشاء كفر عن الظهار فحلت له فلما كان نصف الليل طلقها طلقة واحدة فحرمت عليه فلما كان وقت الفجر راجعها فحلت

له فأقبل المأمون على من حضر من أهل بيته فقال هل فيكم أحد يستحضر أن يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب فقالوا ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فقال قد عرفتم الآن ما تنكرون وظهر في وجه القاضي يحيى الخجل والتغير وعرف ذلك كل من بالمجلس فقال المأمون الحمد لله على ما من به عليّ من السداد في الأمر والتوفيق في الرأي وأقبل على أبي جعفر وقال إني مزوّجك ابنتي أم الفضل وإن رغم لذلك أنوف قوم فاخطب لنفسك فقد رضيتك لنفسي وابنتي فقال أبو جعفر: الحمد لله إقرارًا بنعمته ولا إله إلا الله إخلاصًا بوحدانيته وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته؛ أما بعد فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1]. ثم إن محمد بن علي بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين عبد الله المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وله خمسمائة درهم جياد فهل زوّجتني يا أمير المؤمنين إياها على هذا الصداق فقال المأمون زوّجتك ابنتي أم الفضل على هذا الصداق المذكور فقال أبو جعفر قبلت نكاحها لنفسي على هذا الصداق المذكور (قال) الرمالي وأخرج الخدم مثل السفينة من الفضة مطلية بالذهب فيها الغالية مضروبة بأنواع الطيب والماورد والمسك فتطيب منها الحاضرون على قدر منازلهم ثم وضعت موائد الحلواء فأكل الحاضرون وفرقت عليهم الجوائز على قدر رتبتهم ثم انصرف الناس وتقدم المأمون بالصدقة على الفقراء والمساكين وأهل الأربطة والخوانيق والمدارس ولم يزل عنده محمد الجواد معظمًا مكرمًا إلى أن توجه بزوجته أم الفضل إلى المدينة الشريفة (روي) أن أم الفضل بعد توجهها مع زوجها إلى المدينة كتبت إلى أبيها المأمون تشكو أبا جعفر وتقول إنه يتسرى عليّ فكتب إليها أبوها يقول يا بنية إنا لم نزوّجك أبا جعفر لتحرمي عليه حلالا فلا تعاوديني بذكر شيء مما ذكرت.

(كرامتان): الأولى عن أبي خالد قال كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلا محبوسًا أتي به من الشام مكبلا بالحديد وقالوا إنه تنبأ قال فأتيت باب السجن ودفعت

---

(١) سورة النور آية ٣٢.

شيئًا للسجان حتى دخلت عليه فإذا برجل ذي فهم وعقل ولب فقلت يا هذا ما قصتك؟ فقال إني كنت رجلا بالشام أعبد الله تعالى في الموضع الذي يقال إنه نصب فيه رأس الحسين فبينا أنا ذات ليلة في موضعي مقبلا على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصًا بين يدي فنظرت إليه فقال لي قم فقمت معه فمشى قليلا فإذا أنا في مسجد الكوفة فقال لي تعرف هذا المسجد فقلت نعم هذا مسجد الكوفة قال فصلّ فصليت معه ثم انصرف فانصرفت معه قليلا فإذا نحن بمكة المشرفة فطاف بالبيت فطفت معه ثم خرج فخرجت معه فمشى قليلا فإذا أنا بموضعي الذي كنت فيه أعبد الله تعالى بالشام ثم غاب عني فبقيت متعجبًا حولا مما رأيت فلما كان العام المقبل إذ ذاك الشخص قد أقبل عليّ فاستبشرت به فدعاني فأجبت ففعل معي كما فعل بالعام الماضي فلما أراد مفارقتي قلت له بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا ما أخبرتني من أنت؟ فقال أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر فحدثت بعض من كان يجتمع بي في ذلك الموضع فرفع ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيات فبعث إليّ من أخذني من موضعي وكبلني بالحديد وحملني إلى العراق وحبسني كما ترى وادعى علي بالمحال فقلت له أفأرفع قصتك إلى محمد بن عبد الملك الزيات قال افعل فكتبت عنه قصته وشرحت فيها أمره ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك فوقع على ظهرها قل للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع التي ذكرتها يخرجك من السجن قال أبو خالد فاغتممت لذلك وأسقط في يدي وقلت إلى غد آتيه وآمره بالصبر وأعده من الله الفرج وأخبره بمقالة هذا الرجل المتجبر فلما كان من الغد قال باكرت إلى السجن فإذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج فسألت ما الخبر؟ فقيل لي إن الرجل المتنبئ المحمول من الشام فقد البارحة من السجن وحده بمفرده وأصبحت قيوده والأغلال التي كانت في عنقه مرماة في السجن لا ندرى كيف خلص منها؟ وطلب فلم يوجد له أثر ولا خبر ولا يدرون أنزل في الأرض أم عرج به إلى السماء فتعجبت من ذلك وقلت في نفسي استخفاف ابن الزيات بأمره واستهزاؤه بقصته خلصه من السجن كذا نقله ابن الصباغ (الثانية) نقل بعض الحفاظ أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل فسأل

عمن يخبره بذلك فدل علـى محمد الجواد فأرسل إليه فجاء فـأجلسه معه على سريره وسأله فقال إن الله حرم لحم أولاد الحسين على السباع فتلقى للسباع فعرض عليها ذلك فاعترفت المرأة بكذبها ثم قيل للمتوكل ألا تجرب ذلك فيه فأمر بثلاثة من السباع فجيء بها في صحن قصره ثم دعا به فلما دخل من الباب أغلقه والسباع قد أصمت الأسماع من زئيرها فلمـا مشى في الصحن يريد الدرجة مـشت إليه وقد سكنت فتـمسحت به ودارت حوله وهو يمسحها بكمه ثم ربضت فصعد للمتوكل فتحدث معه ساعة ثم نزل ففعلت معه كفعلها الأول حتى خرج فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة وقيل للمتوكل افعل كما فعل ابن عمك فلم يجسر عليه وقال تريدون قتلي ثم أمرهم ألا يفشوا ذلك انتهى لكن نقل المسعودي أن صاحب هذه القصـة علي أبو الحسن العسكري ولده وهو وجيه لأن المتوكل لم يكـن معاصـرًا لمحمد الجـواد بل لولده (الثالثة) حكـي أنه لما توجه أبو جعفر محـمد الجواد إلى المدينة الشريفة خرج معه الناس يشـيعونه للوداع فسار إلى أن وصل إلى باب الكوفـة عند دار المـسيب فـنزل هناك مع غـروب الشـمس ودخل إلى مسجد قديم مـؤسس بذلك الموضع ليصلي فيه المغرب وكان في صحن المـسجد شجرة نبق لم تحمل قط فدعا بكوز فيه ماء فتوضـأ في أصل الشجرة وقام ليصلي فصلى معه الناس المغرب ثم تنفل بأربع ركعات وسجد بعدهن للشكر ثم قام فودع الناس وانصرف فأصبحت النبقـة وقد حملت من ليلتها حملا حسنًا فـرآها الناس وقد تعجبوا من ذلك غاية العجب.

(تتـمة : فـي الكـلام على وفـاته وأولاده وذكر شيء من كـلامـه رضي الله عنه)

توفي أبو جعفر محمد الجواد ببغداد وكـان سبب وصوله إليها إشخاص المعتصم له من المدينة فقـدم بغداد ومعـه زوجته أم الـفضل بنت المأمون لليلتـين بقيتـا من المحرم سنة عشريـن ومائتين وكانت وفاته في آخـر ذي القعدة من السنة المذكورة ودفن في مـقابر قريش فـي قبر جـده أبي الحسن مـوسى الكاظم ودخلت امـرأته أم الفضل إلى قـصر المعتصم وكان له من العمر يومئذ خمس وعشرون سنة ويقال إنه مات مسمومًا يقال إن أم الفضل بنت المأمون سقته بأمر أبيها (وخلف) من الولد عليا وموسى وفاطمة وأمامة

(ومن كلامه رضي الله عنه كما في الفصول المهمة) إن لله عباداً يخصهم بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بذلوها فإن منعوها نزعها الله عنهم وحولها إلى غيرهم (وقال رضي الله عنه) ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس فمن لم يتحمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال (وقال رضي الله عنه) أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه لأن لهم أجره وفخره وذكره فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبتدئ فيه بنفسه (وقال رضي الله عنه) من أجلّ إنسانا هابه ومن جهل شيئًا عابه والفرصة خلسة ومن كثر همه سقم جسمه وعنوان صحيفة المسلم حسن خلقه، وفي موضع آخر عنوان صحيفة المسلم السعيد حسن الثناء عليه (وقال) من استغنى بالله افتقر الناس إليه. ومن اتقى الله أحبه الناس (وقال) الجمال في اللسان والكمال في العقل (وقال) العفاف زينة الفقر، والشكر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة الورع، وبسط الوجه زينة القناعة، وترك ما لا يعني زينة الورع (وقال رضي الله عنه) حسب المرء من كمال المروءة ألا يلقى أحدًا بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفه أذاه، ومن سخائه بره بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن إنصافه قبول الحق إذا بان له، ومن نصحه نهيه عما لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند ذنب أصابك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤنة التحفظ، ومن علامة صداقته كثرة موافقته وقلة مخالفته، ومن شكره معرفة إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلة حفظه لعيوب غيره وعنايته بصلاح عيوبه (وقال رضي الله عنه) العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء (وقال رضي الله عنه) من أخطأ وجوه المطالب خذلته الحيل والمطامع في وثاق الذل، ومن طلب البقاء فليعد للمصائب قلبًا صبورًا (وقال رضي الله عنه) العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم (وقال رضي الله عنه) الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت (وعنه رضي الله عنه) ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار ولين الجانب وكثرة الصدقة؛ وثلاث

من كن فيه لم يندم: ترك العجلة والمشورة والتوكل على الله عند العزم (وقال رضي الله عنه) لو سكت الجاهل ما اختلف الناس (وقال رضي الله عنه) مقتل الرجل بين فكيه والرأي مع الأناة وبئس الظهير الرأي الفطير (وقال رضي الله عنه) ثلاث خصال تجتلب بهن المودة الإنصاف في المعاشرة والمواساة في الشدة والانطواء على قلب سليم (وقال رضي الله عنه) الناس أشكال وكل يعمل على شاكلته والناس إخوان فمن كانت أخوته في غير ذات الله فإنها تعود عداوة وذلك قوله تعالى: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾[1] (وقال) من استحسن قبيحًا كان شريكًا فيه (وقال رضي الله عنه) كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر مما أخذ منك (وقال رضي الله عنه) لا تفسد الظن على صديق قد أصلحك اليقين له، ومن وعظ أخاه سرًا فقد زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه (وقال) لا يزال العقل والحق يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة فإذا بلغها غلب عليه أكثرها فيه، وما أنعم الله عز وجل على عبد نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمده عليها، ولا أذنب عبد ذنبًا فعلم أن الله مطلع عليه وأنه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له إلا غفر له قبل أن يستغفره (وقال رضي الله عنه) الشريف كل الشريف من شرفه علمه والسودد كل السودد لمن اتقى الله ربه (وقال) لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولن عليكم الأمل فتقسو قلوبكم وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة منكم (وقال رضي الله عنه) من أمل فاجرًا كان أدنى عقوبته الحرمان (وقال) موت الإنسان بالذنوب أكبر من موته بالأجل وحياته بالبركة أكبر من حياته بالعمر (وقال رضي الله عنه) من استفاد أخًا في الله فقد استفاد بيتًا في الجنة؛ وعنه: لو كانت السموات والأرض رتقًا على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل الله له منها مخرجًا (وعنه) أنه قال لبشر بن سعد لما قدم مصر يا بشر إن للمحن أخريات لا بد أن تنتهي إليها فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدبارها فإن مكابدتها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها (وعنه) من وثق بالله وتوكل على الله نجاه الله من كل سوء وحرز من كل عدو،

(١) سورة الزخرف آية ٦٧.

والدين عز، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع، وبالراعي تصلح الرعية، وبالدعاء تصرف البلية، ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر، ومن غرس أشجار التقى اجتنى ثمار المنى. وفي هذا القدر كفاية وفقنا الله للعمل المرضي والمسلمين بجاه سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد ﷺ.

فصل

في ذكر مناقب سيدنا علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

قال ابن الخشاب في كتابه مواليد أهل البيت (ولد) أبو الحسن علي الهادي بالمدينة في رجب سنة أربع عشرة ومائتين للهجرة (وأمه) أم ولد يقال لها سمانة المغربية وقيل غير ذلك (وكنيته) أبو الحسن لا غير (وألقابه) الهادي والمتوكل والناصح والمتقي والمرتضى والفقيه والأمين والطيب وأشهرها الهادي وكان ينهى أصحابه عن تلقيبه بالمتوكل لكونه لقبًا للخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم (صفته) أسمر اللون (شاعراه) العوفي والديلمي (بوابه) عثمان بن سعيد (نقش خاتمه) الله ربي وهو عصمتي من خلقه (معاصره) الواثق ثم المتوكل ثم أخوه ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن أخي المتوكل (ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة قال في الصواعق كان أبو الحسن العسكري وارث أبيه علمًا ومنحًا؛ وفي حياة الحيوان سمي العسكري لأن المتوكل لما كثرت السعاية فيه عنده أحضره من المدينة وأقره بسر من رأى على صيغة المبني للمفعول وتسمى العسكر لأن المعتصم لما بناها انتقل إليها بعسكره فقيل لها العسكر. وفي تاريخ القرماني ما نصه: سر من رأى هي سامرا وهي مدينة عظيمة كانت على شرقي دجلة بين تكريت وبغداد بناها المعتصم سنة إحدى وعشرين ومائتين وسكن بها بجنوده حتى صارت أعظم بلاد الله وهي اليوم خراب وبها أناس قلائل كالقرية انتهى (نقل) غير واحد أن أبا الحسن عليا العسكري خرج يومًا من سر من رأى إلى قرية لمهمّ فجاء رجل من بعض الأعراب يطلبه في داره فلم يجده وقيل له إنه ذهب إلى الموضع الفلاني فقصد إلى ذلك الموضع فلما وصل إليه قال له ما حاجتك فقال له أنا رجل من أعراب

الكوفة المستمسكين بولاء جدك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقد ارتكبتني الديون وأثقلت ظهري بحملها ولم أر من أقصده لقضائها فقال له أبو الحسن كم دينك فقال نحو عشرة آلاف درهم فقال طب نفسًا وقر عينًا يقضى دينك إن شاء الله تعالى ثم أنزله فلما أصبح قال يا أخا العرب أريد منك حاجة لا تعصني فيها ولا تخالفني والله الله فيما آمرك به وحاجتك نقضى إن شاء الله تعالى فقال الأعرابى لا أخالفك فى شيء مما تأمرني به فأخذ أبو الحسن ورقة وكتب فيها بخطه دينًا عليه للأعرابي بالمبلغ المذكور وقال له خذ هذا الخط معك فإذا حضرت إلى سر من رأى فتراني أجلس مجلسًا عامًا فإذا حضر الناس واحتفل المجلس فتعال إلي بالخط وطالبني وأغلظ عليّ في القول والطلب ولا عليك والله الله أن تخالفني في شيء مما أوصيتك به فلما وصل أبو الحسن إلى سر من رأى جلس مجلسًا عامًا وحضره جماعة من وجوه الناس وأصحاب الخليفة المتوكل فجاء الأعرابي وأخرج الورقة وطالبه بالمبلغ وأغلظ عليه في الكلام فجعل أبو الحسن يعتذر له ويطيب نفسه بالقول ويعده بالخلاص وكذلك الحاضرون وطلب منه المهلة ثلاثة أيام فلما انفك المجلس نقل ذلك للخليفة المتوكل فأمر لأبي الحسن على الفور بثلاثين ألف درهم فلما حملت إليه تركها إلى أن جاء الأعرابي فقال له خذها جميعها فقال الأعرابي يا ابن رسول الله والله إن العشرة بلوغ مطلبي ونهاية أربي فقال أبو الحسن والله لتأخذن ذلك جميعه وهو رزقك ساقه الله لك ولو كان أكثر من ذلك ما نقصناه فأخذ الأعرابي الثلاثين ألف درهم وانصرف وهو يقول : «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

(كرامة) عن الأسباطي قال قدمت على أبي الحسن علي بن محمد المدينة الشريفة من العراق فقال لي ما خبر الواثق عندك فقلت خلفته في عافية وأنا من أقرب الناس به عهدًا وهذا مقدمي من عنده وتركته صحيحًا فقال إن الناس يقولون إنه قد مات فلما قال لي إن الناس يقولون إنه قد مات فهمت أنه يعني نفسه فسكت ثم قال ما فعل ابن الزيات قلت الناس معه والأمر أمره فقال أما إنه شؤم عليه ثم قال لا بد أن تجري مقادير الله وأحكامه يا جيران مات الواثق وجلس جعفر المتوكل وقتل ابن الزيات فقلت متى قال بعد مخرجك بستة أيام فما كان إلا أيام قلائل حتى جاء قاصد المتوكل

إلى المدينة فكان كما قال (حكي) أن سبب شخوص أبي الحسن علي بن محمد من المدينة إلى سر من رأى أن عبد الله بن محمد كان ينوب عن الخليفة المتوكل في الحرب والصلاة بالمدينة فسعى بأبي الحسن إلى المتوكل وكان يقصده بالأذى فبلغ أبا الحسن سعايته إلى المتوكل فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه وقصده له بالأذى فكتب إليه المتوكل كتابًا يعتذر له فيه ويلين له القول ودعاه فيه إلى الحضور إليه على حيل من القول والفعل ، ولما وصل الكتاب إلى أبي الحسن تجهز للرحيل وخرج وخرج معه يحيى بن هرثمة بن أعين مولى أمير المؤمنين ومن معه من الجند حافين به إلى أن وصل إلى سر من رأى فنزل في خان يعرف بخان الصعاليك فأقام فيه يومه، ثم إن المتوكل أفرد له دارًا حسنة وأنزله بها فأقام أبو الحسن مدة مقامه بسر من رأى مكرمًا معظمًا مبجلا في ظاهر الحال والمتوكل يتتبع له الغوائل في باطن الأمر فلم يقدره الله تعالى عليه (وفي) تاريخ ابن خلكان وغيره أنه سعي به إلى المتوكل بأن في منزله سلاحًا وكتبًا من شيعته وأنه يطلب الأمر لنفسه فبعث إليه جماعته فهجموا على منزله فوجدوه على الأرض مستقبلا القبلة يقرأ القرآن فحملوه على حاله إلى المتوكل والمتوكل يشرب فأعظمه وأجله وقال له أنشدني فقال له إني قليل الرواية للشعر فقال لابدّ فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ... وأودعوا حفرًا يا بئسما نزلوا
ناداهمو صارخ من بعد ما رحلوا ... أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة ... من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
يا طالما أكلوا يومًا وما شربوا ... فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

قال فبكى المتوكل والحاضرون وقال له المتوكل يا أبا الحسن هل عليك دين؟ قال نعم أربعة آلاف درهم فأمر له بها وصرفه معظمًا مكرمًا؛ وهذه الأبيات من قصيدة

وجدت على قصر سيف بن ذي يزن الحميري وكان يسمى عمدان وكان سيف من الملوك العادلة وكانت مكتوبة بالقلم المسند فعربت فإذا هي أبيات جليلة وموعظة بليغة وأولها:

انظر ماذا ترى أيها الرجل   وكن على حذر من قبل تنتقل
وقدم الزاد من خير تسر به   فكل ساكن دار سوف يرتحل
وانظر إلى معشر باتوا على دعة   فأصبحوا في الثرى رهنًا بما عملوا
بنوا فلم ينفع البنيان وادخروا   مالا فلم يغنهم لما انقضى الأجل
باتوا على قلل الأجبال تحرسهم   ....

الأبيات اهـ ، ووجد مكتوبًا على قصره أيضًا هذه الأبيات الثلاثة وهي:

من كان لا يطأ التراب برجله   وطئ التراب بصفحة الخد
من كان بينك في التراب وبينه   شبران كان بغاية البعد
لو بعثر الناس الثرى ورأوهم   لم يعرفوا المولى من العبد

ا هـ من الكنز المدفون.

(تتمة في الكلام على وفاته وأولاده رضي الله عنه) توفي أبو الحسن علي الهادي المعروف بالعسكري بن محمد الجواد بسر من رأى وله من العمر أربعون سنة يوم الاثنين لخمس ليال بقيت من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين ومائتين ودفن في داره بسر من رأى يقال إنه مات مسمومًا والله أعلم (وأولاده) محمد والحسن ومحمد أبو جعفر وله ابنة اسمها عائشة.

فصل

في ذكر مناقب الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

(أمه) أم ولد يقال لها حديث وقيل سوسن (وكنيته) أبو محمد (وألقابه) الخالص والسراج والعسكري (صفته) بين السمرة والبياض (شاعره) ابن الرومي (بوابه) عثمان ابن سعد (نقش خاتمه) سبحان من له مقاليد السموات والأرض (معاصروه) المعتز والمهتدي والمعتمد (ولد) أبو محمد الخالص بالمدينة لثمان خلت من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين ومائتين من الهجرة (ومناقبه) رضي الله عنه كثيرة؛ ففي درر الأصداف وقع للبهلول معه أنه رآه وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون فظن أنه يتحسر على ما بأيديهم فقال له أشتري لك ما تلعب به؟ فقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقال له فلماذا خلقنا؟ قال للعلم والعبادة فقال له من أين لك ذلك؟ فقال من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ﴾[1]. ثم سأله أن يعظه فوعظه بأبيات ثم خر الحسن رضي الله عنه مغشيًا عليه فلما أفاق قال له ما نزل بك وأنت صغير ولا ذنب لك؟ فقال إليك عني يا بهلول إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم اهـ.

(كرامات): الأولى هي جامعة الكرامات حدث أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري قال كنت في الحبس الذي فيه الجوسق أنا والحسن بن محمد ومحمد بن إبراهيم العمري وفلان وفلان خمسة أو ستة إذ دخل علينا أبو محمد الحسن بن علي العسكري وأخوه جعفر فحففنا بأبي محمد وكان المتولي للحبس صالح بن يوسف

(١) سورة المؤمنون آية ١١٥.

الحاجب وكان معنا في الحبس رجل أعجمي فالتفت إلينا أبو محمد وقال لنا سرًا لولا أن هذا الرجل فيكم لأخبرتكم متى يفرج الله عنكم وهذا الرجل قد كتب فيكم قصة إلى الخليفة يخبره فيها بما تقولون فيه وهي معه في ثيابه يريد الحيلة في إيصالها إلى الخليفة من حيث لا تعلمون فاحذروا شره قال أبو هاشم فما تمالكنا أن تحاملنا جميعًا على الرجل ففتشناه فوجدنا القصة مدسوسة معه في ثيابه وهو يذكرنا فيها بكل سوء فأخذناها منه وحذرناه وكان الحسن يصوم في السجن فإذا أفطر أكلنا معه من طعامه قال أبو هاشم فكنت أصوم معه فلما كان ذات يوم ضعفت عن الصوم فأمرت غلامي فجاء لي بكعك فذهبت إلى مكان خال في الحبس فأكلت وشربت ثم عدت إلى مجلسي مع الجماعة ولم يشعر بي أحد فلما رآني تبسم وقال أفطرت فخجلت فقال لا عليك يا أبا هاشم إذا رأيت أنك قد ضعفت وأردت القوة فكل اللحم فإن الكعك لا قوة فيه وقال عزمت عليك أن تفطر ثلاثًا فإن البنية إذا أنهكها الصوم لا تتقوى إلا بعد ثلاث قال أبو هاشم ثم لم تطل مدة أبي محمد الحسن بن علي في الحبس بسبب أن قحط الناس بسر من رأى قحطًا شديدًا فأمر الخليفة المعتمد على الله بن المتوكل بخروج الناس إلى الاستسقاء فخرجوا ثلاثة أيام يستسقون فلم يسقوا فخرج الجاثليق في اليوم الرابع إلى الصحراء وخرج معه النصارى والرهبان وكان فيهم راهب كلما مد يده إلى السماء هطلت بالمطر ثم خرجوا في اليوم الثاني وفعلوا كفعلهم أول يوم فهطلت السماء بالمطر فعجب الناس من ذلك وداخل بعضهم الشك وصبأ بعضهم إلى دين النصرانية فشق ذلك على الخليفة فأنفذ إلى صالح بن يوسف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس وائتني به فلما حضر أبو محمد الحسن عند الخليفة قال له أدرك أمة محمد ﷺ فيما لحقهم من هذه النازلة العظيمة فقال أبو محمد دعهم يخرجون غدًا اليوم الثالث فقال له قد استغنى الناس عن المطر واستكفوا فما فائدة خروجهم قال لأزيل الشك عن الناس وما وقعوا فيه فأمر الخليفة الجاثليق والرهبان أن يخرجوا أيضًا في اليوم الثالث على جاري عادتهم وأن يخرج الناس فخرج النصارى وخرج معهم أبو محمد الحسن ومعه خلق من المسلمين فوقف النصارى على جاري عادتهم يستسقون وخرج راهب

معهم ومد يديه إلى السماء ورفعت النصارى والرهبان أيديهم أيضًا كعادتهم فغيمت السماء في الوقت ونزل المطر فأمر أبو محمد الحسن بالقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها فإذا ما بين أصابعه عظم آدمي فأخذه أبو محمد الحسن ولفه في خرقة وقال لهم استسقوا فانقشع الغيم وطلعت الشمس فتعجب الناس من ذلك وقال الخليفة ما هذا يا أبا محمد؟ فقال هذا عظم نبي من الأنبياء ظفر به هؤلاء من قبور الأنبياء وما كشف عن عظم نبي من الأنبياء تحت السماء إلا هطلت بالمطر فاستحسنوا ذلك وامتحنوه فوجدوه كما قال فرجع أبو محمد الحسن إلى داره بسر من رأى وقد أزال عن الناس هذه الشبهة وسر الخليفة والمسلمون بذلك وكلم أبو محمد الحسن الخليفة في إخراج أصحابه الذين كانوا معه في السجن فأخرجهم وأطلقهم من أجله وأقام أبو محمد بمنزله معظمًا مكرمًا وصلات الخليفة وإنعاماته تصل إليه في كل وقت نقله غير واحد (الثانية) عن علي بن إبراهيم بن هشام عن أبيه عن عيسى بن الفتح قال لما دخل علينا أبو محمد الحسن الحبس قال لي يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان قال وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي فنظرت فيه فكان كما قال ثم قال هل رزقت ولدًا قلت لا فقال اللهم ارزقه ولدًا يكون له عضدًا فنعم العضد الولد ثم أنشد:

من كان ذا عضد يدرك ظلامته   إن الذليل الذي ليست له عضد

فقلت يا سيدي وأنت لك ولد فقال إني والله سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطًا وعدلا وأما الآن فلا. (الثالثة) عن إسمعيل بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهم قال قعدت لأبي محمد الحسن على باب دار حتى خرج فقمت في وجهه وشكوت إليه الحاجة والضرورة وأقسمت إني لا أملك الدرهم الواحد فما فوقه فقال تقسم وقد دفنت مائتي دينار وليس قولي هذا دفعًا لك عن العطية أعطه يا غلام ما معك فأعطاني مائة دينار فشكرت له ووليت فقال ما أخوفني أن تفقد مائتي الدينار أحوج ما تكون إليها فذهبت إليها فافتقدتها فإذا هي في مكانها فنقلتها إلى موضع آخر ودفنتها ولم يطلع عليها أحد ثم قعدت مدة طويلة فاضطررت إليها فجئت أطلبها في مكانها فلم أجدها فحزنت وشق ذلك علي فوجدت ابنًا لي قد عرف مكانها وقد

أخذها وأنفذها ولم أحصل منها على شيء وكان كما قال (الرابعة) عن محمد بن حمزة الدوري قال كتبت على يدي أبي هاشم داود بن القاسم وكان مؤاخيًا لأبي محمد الحسن أسأله أن يدعو الله لي بالغنى وكنت قد أملقت وخفت الفضيحة فخرج الجواب على يده أبشر فقد أتاك الغنى من الله تعالى مات ابن عمك يحيى بن حمزة وخلف مائة ألف درهم ولم يترك وارثًا سواك وهي واردة عليك عن قريب فاشكر الله وعليك الاقتصاد وإياك والإسراف فورد علي المال والخبر بموت ابن عمي كما قال عن أيام قلائل وزال عني الفقر وأديت حق الله تعالى فيه وبررت إخواني وتماسكت بعد ذلك وكنت قبل ذلك مبذرًا.

(فائدة) عن أبي هاشم قال سمعت أبا محمد الحسن يقول: «إن في الجنة بابا يقال له المعروف لا يدخل منه إلا أهل المعروف» فحمدت الله في نفسي وفرحت بما أتكلف من حوائج الناس فنظر إليّ وقال يا أبا هاشم دم على ما أنت عليه فإن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة. وعنه أيضًا قال سمعت أبا محمد يقول بسم الله الرحمن الرحيم أقرب إلى اسم الله الأعظم من سواد العين إلى بياضها.

(تتمة في الكلام على وفاته وولده رضي الله عنه) في الفصول المهمة. ولما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأى وقامت صيحة واحدة وعطلت الأسواق وغلقت الدكاكين وركب بنو هاشم والقوّاد والكتّاب والقضاة والمعدلون وسائر الناس إلى جنازته فكانت سر من رأى يومئذ شبيهة بالقيامة فلما فرغوا من تجهيزه بعث الخليفة إلى أبي عيسى بن المتوكل ليصلي عليه فصلى عليه ودفن في البيت الذي دفن فيه أبوه من دارهما بسر من رأى وكانت وفاة أبي محمد الحسن بن علي في يوم الجمعة لثمان خلون من شهر ربيع الأول سنة ستين ومائتين وخلف من الولد ابنه محمدًا.

فصل

في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

(أمه) أم ولد وله يقال لها نرجس وقيل صقيل وقيل سوسن وكنيته أبو القاسم ولقبه الإمامية بالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدي (صفته رضي الله عنه) شاب مربوع القامة حسن الوجه والشعر يسيل شعره على منكبيه أقنى الأنف أجلى الجبهة (بوابه) محمد بن عثمان (ومعاصره) المعتمد كذا في الفصول المهمة وهو آخر الأئمة الاثني عشر على ما ذهب إليه الإمامية؛ وفي الفصول المهمة قيل إنه غاب في السرداب والحرس عليه وذلك في سنة ست وستين ومائتين وفي الصواعق ويسمى القائم المنتظر قيل لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعلم أين ذهب ا هـ وذكر العلامة الشيخ محمد بن بطوطة في رحلته ما نصه ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهي مستطيلة مع الفرات وأهلها كلهم إمامية اثنا عشرية وبها مسجد على بابه ستر حرير يقولون إن محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الإمام المهدي المنتظر فيهم كل يوم يلبس آلة الحرب مائة منهم ويأتون باب المسجد ومعهم دابة مسرجة ملجمة ومعهم الطبول والبوقات ويقولون اخرج يا صاحب الزمان فقد كثر الظلم والفساد وهذا أوان خروجك ليفرق الله بك بين الحق والباطل ويقفون إلى الليل ثم يعودون كذلك دأبهم أبدًا ا هـ. وفي تاريخ ابن الوردي ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين وتزعم الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بسر من رأى وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها وكان عمره تسع سنين وذلك في سنة خمس وستين على خلاف فيه ا هـ. قال الشيخ أبو عبد الله

محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في كتابه البيان في أخبار صاحب الزمان من الأدلة على كون المهدي حيًا باقيًا بعد غيبته وإلى الآن وأنه لا امتناع في بقائه بقاء عيسى ابن مريم والخضر وإلياس من أولياء الله تعالى وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء الله تعالى وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة. أما عيسى عليه السلام فالدليل على بقائه قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾[1]. ولم يؤمن به مذ نزول هذه الآية إلى يومنا هذا أحد فلا بد أن يكون في آخر الزمان، ومن السنة ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن سمعان في حديث طويل في قصة الدجال قال: «فينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام عند المنارة البيضاء بين مهرودتين واضعًا كفيه على أجنحة ملكين» وأما الخضر وإلياس فقد قال ابن جرير الطبري الخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض. وأما الدجال فقد روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثًا طويلا عن الدجال فكان فيما حدثنا أن قال يأتي وهو محرم عليه أن يدخل عتبات المدينة فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول الدجال إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر فيقولون لا فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن قال فيريد الدجال أن يقتله فلن يسلط عليه» قال إبراهيم بن سعيد يقال إن هذا الرجل هو الخضر وهذا لفظ صحيح مسلم. وأما الدليل على بقاء اللعين إبليس فالكتاب وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[2]. وأما بقاء المهدي فقد جاء في تفسير الكتاب العزيز عن سعيد بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[3]. قال هو المهدي من ولد فاطمة رضي الله عنها. وأما من قال إنه عيسى فلا منافاة بين القولين إذ هو مساعد للمهدي وقد قال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾[4]. قال هو المهدي يكون في آخر الزمان وبعد

---

(١) سورة النساء آية ١٥٩.

(٢) سورة الأعراف آية ١٥.

(٣) سورة التوبة آية ٣٣.

(٤) سورة الزخرف آية ٦١.

خروجه تكون أمارات الساعة وقيامها ا هـ. وفي درر الأصداف ما نصه وزعمت الشيعة أن المنتظر هو محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وهم يقولون بالرجعة ولهم في ذلك أشعار وروايات منها قولهم لا تقوم الساعة حتى يخرج المهدي وهو محمد بن علي رضي الله عنهما فيملؤها عدلا كما ملئت جوراً ويحيي موتاهم فيرجعون إلى الدنيا ويكون الناس أمة واحدة وفي ذلك يقول شاعرهم:

ألا إن الأئمة من قريش ... ولاة العدل أربعة سواء

علي والثلاثة من بنيه ... هم الأسباط ليس بهم خفاء

فسبط سبط إيمان وبر ... وسبط ضمنته كربلاء

وسبط لا يذوق الموت حتى ... يقود الخيل يقدمها اللواء

أراد بالأسباط الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهم وهو المهدي الذي يخرج آخر الزمان بزعمهم وكان على هذا المذهب السيد الحميري وله من الأبيات:

إمام الهدى قل لي متى أنت آيب ... فمن علينا يا إمام برجعة

مللنا وطال الانتظار فجد لنا ... بحقك يا قطب الوجود بزورة

فأنت لهذا الأمر قدمٌ معين ... كذلك قال الله أنت خليفتي

قال وفي كتاب جامع الفنون في مبحث الجبال جبل رضوى هو من المدينة على سبع مراحل وهو جبل منيف ذو شعاب وأودية وهو أخضر يرى من بعيد وبه أشجار ومياه زعم الكيسانية أن محمد بن الحنفية رضي الله عنه حي وهو مقيم به وأنه بين أسدين يحفظانه وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وأنه يعود بعد الغيبة ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً وهو المهدي المنتظر وإنما عوقب بهذا الحبس لخروجه إلى عبد الملك وقيل إلى يزيد بن معاوية قال وكان السيد الحميري على هذا المذهب وهو القائل:

ألا قل للوصي فدتك نفسي ... أطلت بذلك الجبل المقاما

وهذه كلها أقوال فاسدة وبضائع كاسدة ليس بها فائدة فإن محمد بن الحنفية

رضي الله عنه توفي بالمدينة المنورة وقيل بالطائف كما تقدم وإنما الخليفة المنتظر هو محمد بن عبد الله المهدي القائم في آخر الزمان وهو يولد بالمدينة المنوّرة لأنه من أهلها كما أخبر به وبعلاماته النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى اهـ.

(تتمة في الكلام على أخبار المهدي) واعلم أنهم اختلفوا فيه هل من ولد الحسن السبط رضي الله عنهما وهو ما رواه أبو داود في سننه وذهب إليه المناوي في كبيره وكأن سره تركه الخلافة لله عزّ وجل شفقة على الأمة أو من ولد الحسين السبط رضي الله عنه قال بعضهم وهو الصحيح اسمه أحمد أو محمد بن عبد الله قال القطب الشعراني في اليواقيت والجواهر المهدي من ولد الإمام الحسن العسكري ابن الحسين ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى ابن مريم عليه السلام هكذا أخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة ووافقه على ذلك سيدي علي الخواص اهـ. (صفته) شاب أكحل العينين أزج الحاجبين أقنى الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال. وأخرج الروياني والطبراني وغيرهما: «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدري اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي أي طويل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورًا» قال الشيخ محيي الدين في الفتوحات: واعلم أن المهدي إذا خرج يفرح به جميع المسلمين خاصتهم وعامتهم وله رجال إلهيون يقيمون دعوته وينصرونه هم الوزراء له يتحملون أثقال المملكة عنه ويعينونه على ما قلده الله ينزل عليه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بالمنارة البيضاء شرقي دمشق متكئًا على ملكين ملك عن يمينه وملك عن يساره والناس في صلاة العصر فيتنحى له الإمام من مكانه فيتقدم فيصلي بالناس يؤم الناس بسنة سيدنا محمد ﷺ يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقبض الله إليه المهدي طاهرًا مطهرًا وفي زمانه يقتل السفياني عند شجرة بغوطة دمشق ويخسف بجيشه في البيداء فمن كان مجبورًا من ذلك الجيش مكرهًا يحشر على نيته اهـ.

(وهذه نبذة من الأحاديث الواردة في حقه) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق إلا يوم لبعث الله تعالى رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جورًا» أخرجه أبو داود في سننه وأخرج أبو داود والترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي مني أجلى الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض قسطًا وعدلا كما ملئت جوراً وظلمًا» زاد أبو داود «يملك سبع سنين» وقال الترمذي حديث ثابت صحيح ورواه الطبراني في معجمه وغيره وأخرج ابن شبرويه في كتاب الفردوس في باب الألف واللام عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «المهدي طاووس أهل الجنة» وعنه بإسناده عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «المهدي ولدي وجهه كالقمر الدري واللون منه لون عربي والجسم جسم إسرائيلي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً يرضى بخلافته أهل السموات والأرض والطير في الجو يملك عشر سنين» وأخرج الحافظ أبو نعيم عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان فأتوها ولو حبوا على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي» وأخرج أبو نعيم أيضًا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي من قرية يقال لها كريمة». وأخرج الحافظ أبو عبد الله محمد بن ماجة القزويني في حديث طويل في نزول عيسى ابن مريم عليه السلام عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: «خطبنا رسول الله ﷺ وذكر الدجال فقال فيه إن المدينة تنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص قالت أم شريك بنت أبي العسكر فأين العرب يومئذ قال ﷺ هم يومئذ قليل وجلهم ببيت المقدس وإمامهم المهدي وقد تقدم ليصلي بهم الصبح إذ نزل عيسى ابن مريم فرجع ذلك الإمام ينكص عن عيسى القهقرى ليتقدم عيسى يصلي بالناس فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له تقدم» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تزال طائفة من أمتي

يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة قال فينزل عيسى ابن مريم على نبينا وعليه الصلاة والسلام فيقول أميرهم صل بنا فيقول ألا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة» أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هرون العبدي وفي صحيح مسلم عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده عدًا». وروى الإمام أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أبشركم بالمهدي يملأ الأرض قسطًا كما ملئت جوراً وظلمًا يرضى عنه سكان السماء والأرض يقسم المال صحاحًا فقال رجل ما معنى صحاحًا قال بالسوية بين الناس ويملأ قلوب أمة محمد ﷺ غنى ويسعهم عدله حتى يأمر مناديًا ينادي يقول من له بالمال حاجة فليقم فما يقوم من الناس إلا رجل واحد فيقول أنا فيقول له ائت السادن يعني الخازن فقل له إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالا فيحثو له في ثوبه حثوا حتى إذا صار في ثوبه يندم ويقول كنت أجشع أمة محمد ﷺ نفسًا أعجز عما وسعهم فيرده إلى الخازن فلا يقبل منه ويقول إنا لا نأخذ شيئًا مما أعطيناه فيكون المهدي كذلك سبع سنين أو ثماني أو تسعًا ثم لا خير في العيش بعده أو قال ثم لا خير في الحياة بعده» وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «يكون عند انقطاع من الزمان وظهور من الفتن رجل يقال له المهدي عطاؤه هينًا». أخرجه أبو نعيم في الرد على من زعم أن المهدي هو المسيح وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «قلت يا سول الله أمنا آل محمد المهدي أو من غيرنا فقال ﷺ لا بل منا يختم الله له الدين كما افتتح بنا وبنا ينقذون من الفتنة كما أنقذوا من الشرك وبنا يؤلف الله قلوبهم بعد عداوة الفتنة كما ألف بين قلوبهم بعد عداوة الشرك وبنا يصبحون بعد عداوة الفتنة إخوانًا في دينهم» قال بعض أهل العلم هذا حديث حسن عال رواه الحفاظ في كتبهم أما الطبراني فقد ذكره في المعجم الأوسط وأما أبو نعيم فرواه في حلية الأولياء وأما عبد الرحمن بن حماد فقد ساقه في عواليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «يخرج المهدي وعلى رأسه غمامة فيها ملك ينادي هذا خليفة الله المهدي فاتبعوه»

أخرجه أبو نعيم والطبراني وغيرهما وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي يفتح القسطنطينية وجبل الديلم ولو لم يبق إلا يوم طول الله ذلك اليوم حتى يفتحها» هذا سياق الحافظ أبي نعيم وقال هذا هو المهدي بلا شك وفقًا بين الروايات وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ سيكون بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك جبابرة ثم يخرج المهدي من بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جورًا» رواه أبو نعيم في فوائده والطبراني في معجمه وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «تتنعم أمتي في زمن المهدي نعمة لم ينعموا مثلها قط ترسل السماء عليهم مدرارًا ولا تدع الأرض شيئًا من نباتها إلا أخرجته» رواه الطبراني في معجمه الكبير وروى أبو داود عن ذر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي» وفي رواية «واسم أبيه اسم أبي».

(فوائد): الأولى قال في الصواعق الأظهر أن خروج المهدي قبل نزول عيسى وقيل بعده (الثانية) تواترت الأخبار عن النبي ﷺ أنه من أهل بيته وأنه يملأ الأرض عدلاً (الثالثة) تواترت الأخبار على أنه يعاون عيسى على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين بالشام (الرابعة) جاء في بعض الآثار أنه خرج في وتر السنين سنة إحدى أو ثلاث أو خمس أو سبع أو تسع (الخامسة) أنه بعد أن تعقد له البيعة بمكة يسير منها إلى الكوفة ثم يفرق الجند إلى الأمصار (السادسة) أن السنة من سنيه مقدار عشر سنين (السابعة) أن سلطانه يبلغ المشرق والمغرب تظهر له الكنوز لا يبقى في الأرض خراب إلا عمره. وهذه علامات قيام القائم مروية عن أبي جعفر رضي الله عنه قال: «إذا تشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال وركبت ذوات الفروج السروج وأمات الناس الصلوات واتبعوا الشهوات واستخفوا بالدماء وتعاملوا بالربا وتظاهروا بالزنا وشيدوا البناء واستحلوا الكذب وأخذوا الرشا واتبعوا الهوى وباعوا الدين بالدنيا وقطعوا الأرحام وضنوا بالطعام وكان الحلم ضعفًا والظلم فخرًا والأمراء فجرة والوزراء كذبة والأمناء خونة والأعوان ظلمة والقراء فسقة وظهر الجور وكثر الطلاق وبدأ الفجور

وقبلت شهادة الزور واستغنت النساء بالنســاء واتخذ الفيء مغنمًا والصدقة مغرمًا واتقى الأشرار مخافة ألسنتهم وخرج السفيـاني من الشام واليماني من اليمن وخسف بالبيداء بين مكة والمدينة وقـتل غلام من آل مـحمد ﷺ بـين الركن والمقام وصاح صــائح من السماء بأن الحق مــعه ومع أتباعه قال فـإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجـتمع عليه ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا من أتباعه فأوّل ما ينطق به هذه الآية: ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. ثم يقول أنا بقية الله وخليفته وحجته عليكم فلا يسلم عليه أحد إلا قال السلام عليك يا بقية الله في الأرض فإذا اجـتمع عنده العقد عشرة آلاف رجل فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا أحد ممن يعبـد غير الله تعالى إلا آمن وصدق وتكون الملة واحدة ملة الإسلام وكل مـا كان في الأرض من معبود سـوى الله تعالى تنزل عليه نار من السماء فتحرقه والله أعلم».

(١) سورة هود آية ٨٦.

الباب الثالث
في ذكر جماعة من أهل البيت
لهم في مصر القاهرة مزارات مشهورة ومساجد معمورة



حيث انجر الكلام إلى ذكر مصر القاهرة ينبغي أن نذكر طرفًا يتعلق بها فنقول مصر تذكر وتؤنث وحدها طولا من برقة التي في جنوب البحر الرومي إلى أيلة ومسافة ذلك قريب من أربعين يومًا وعرضها من مدينة أسوان وما سامتها من الصعيد الأعلى إلى رشيد وما حاذاها من مساقط النيل في البحر الرومي ومسافة ذلك قريب من ثلاثين يومًا سميت باسم من سكنها وهو مصر بن بيصر بن سام بن نوح وقيل غير ذلك؛ وسميت القاهرة لما روي أن جوهرا القائد لما أراد إقامة السور جمع المنجمين وأمرهم أن يختاروا طالعا لحفر الأساس وطالعا لرمي الحجارة فجعلوا قوائم من خشب بين القائم والقائم حبل فيه جرس وأفهموا البنائين أن ساعة تحريك الجرس يرمون ما بأيديهم من الطين والحجارة ووقف المنجمون لتحرير هذه الساعة وأخذ الطالع واتفق وقوع غراب على خشبة من ذلك الخشب فتحركت الأجراس فظنوا أن المنجمين حركوها فألقوا ما بأيديهم من الحجارة والطين فصاح المنجمون لا لا القاهرة فوافق أن المريخ كان في الطالع وهو عند المنجمين بالقاهر نقله بعضهم (قال السيوطي) في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وقد ذكرت مصر في القرآن المجيد في أكثر من ثلاثين موضعًا بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية. فمن الصريح ﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا**﴾ / البقرة ٦١/ **أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا** / يونس ٨٧ / **اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ** / يوسف ٢١ / **ادْخُلُوا مِصْرَ** / يوسف ٩٩ / **أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ** / الزخرف ٥١ / **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ** / يوسف ٣٠ / **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ** / القصص ١٥ / **فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ**/ القصص ١٨ / **جَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ** / القصص ٢٠ / **لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ** / الأعراف ١٢٣ / **وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ** / المؤمنون ٥٠ / وهي مصر لأن الربا لا تكون إلا بها. **اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ** / يوسف ٥٥ / **إِنَّ**

فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ / القصص ٤ / وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ/ القصص ٥ / وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ / القصص ٦ / إِلا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ / القصص ١٩ / الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الأَرْضِ/ غافر ٢٩ / أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ / غافر ٢٦ / وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ / الأعراف ١٢٩ / لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ / الأعراف ١٢٧ / كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا / الأعراف ١٣٧ / يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ / الأعراف ١١٠ والشعراء ٣٥ / فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ / الشعراء ٥٧ ـ ٥٨ / قيل المقام الكريم الفيّوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التي تجلس فيها الملوك؛ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ/ الدخان ٢٥ / مُبَوَّأَ صِدْقٍ / يونس ٩٣ / كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ / البقرة ٢٦٥ / ادْخُلُوا الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ / المائدة ٢١ / قيل هي مصر؛ نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الأَرْضِ الْجُرُزِ/ السجدة ٢٧ / وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ / يوسف ١٠٠/﴾ فجعل الشام بدوًا وسمى مصر مصرًا ومدينة، وقد ورد في مصر عدة أخبار منها ما روي عن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا اقتحمتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا». وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «ستفتحون مصر وهي أرض يسمى فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمةً ورحمًا». وقال ﷺ: «إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندًا كثيفًا فذلك الجند خير أجناد الأرض فقال أبو بكر: ولمَ يا رسول الله؟ قال : لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة». أورده الشيخ عبد الله الشرقاوي في تحفة الناظرين. وفي حاشيته على التحرير ما نصه: وقد اختار الغنى مصر وتبعه الذل واختار الكرم الشام وتبعته الشجاعة والفقر وخص الغرب بالبخل وسوء الخلق والحجاز بالقناعة والصبر والعراق بالعلم والعقل . وفي حاشية البرماوي على المنهج قال بعضهم : شأنها عجيب وسرها غريب خلقها أكثر من رزقها من لم يخرج منها لم يشبع. قال بعض الحكماء: نيلها عجب وترابها ذهب ونساؤها لعب وصبيانها طرب وأمراؤها جلب وهي لمن غلب والداخل فيها مفقود والخارج منها

مولود، وفي الحديث: «يساق إليها أقصر الناس أعماراً». روي أن عمر بن الخطاب كتب لكعب الأحبار أن اختبر لي المنازل كلها فقال له: قد بلغنا أن الأشياء كلها اجتمعت فقال السخاء أريد اليمن فقال حسن الخلق وأنا معك وقال الحياء أريد الحجاز فقال له الفقر وأنا معك وقال البأس أي القوة والشجاعة أريد الشام فقال له السيف وأنا معك وقال العلم أريد العراق فقال له العقل وأنا معك وقال الغنى أريد مصر فقال له الذل وأنا معك فاختر لنفسك ما شئت. وروي مرفوعًا: «أن إبليس دخل العراق فقضى حاجته منها ثم دخل الشام فطرد منها حتى بلغ تلمسان ثم دخل مصر فباض فيها وفرخ وبسط عبقرية فيها». وحكي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أرسل إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو خليفة بمصر عرفني عن مصر وأحوالها وما تشتمل عليه وأوجز في العبارة فأرسل إليه:

وما مصرنا مصر ولكن أرضها كجنة فردوس لمن كان يبصر
فأولادها الولدان والحور غيدها وروضتها الفردوس والنهر كوثر

اهـ

وأهل مصر الغالب عليهم الأفراح واتباع الشهوات والانهماك في اللذات وتصديق المحالات، وفي أخلاقهم رقة وعندهم بشاشة ومكر وخداع وتملق ولا ينظرون في عواقب الأمور، وعندهم قلة الصبر في الشدائد وشدة الخوف من السلطان ويخبرون بالأمور المغيبة قبل أن تقع.

(لطيفة) يوجد في مصر في كل شهر نوع من المأكول أو المشموم فيقال: رطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبة ورميس أي خروف أمشير ولبن برميهات وورد برمودة ونبق بشنس وتين بئونة وعسل أبيب وعنب مسرى وسبع الزهرات التي تجتمع في أواخر الشتاء في وقت واحد ولا تجتمع في غيرها من البلاد وهي النرجس والبنفسج والورد النصيبي والهجاني وزهر النارنج والياسمين والنسرين اهـ من تحفة الناظرين. واعلم أنه لا عبرة بالاختلاف في دفن بعض أهل البيت الذين لهم بمصر القاهرة مزارات فإن الأنوار التي على أضرحتهم شاهد صدق على وجودهم

بهذه الأمكنة ولا ينكر ذلك إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة (وقد قال القطب الشعراني في منته) كان سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى يقول حكم باب البرزخ حكم التيار الذي نزل فيه إنسان فيغطس ثم يطفو من موضع آخر كما وقع لسيدي أحمد بن الرفاعي والسيدة نفيسة ثم إذا نفخ في الصور يوم القيامة يخرج من موضع نزل (قال الشعراني) قال سيدي علي الخواص وأصل دفنها يعني السيدة نفيسة كان بالمراغة قريبًا من القبر الطويل في الشارع ولكن ظهرت في هذا المكان الذي كانت تتعبد فيه لتعلق قلبها به، وكان الإمام الشافعي رضي الله عنه يؤم بها فيه في صلاة التراويح وأما سيدي أحمد بن الرفاعي رحمه الله تعالى فله قبر في بلده أم عبيدة وقبر آخر في الصحراء التي كان يتعبد فيها والناس يزورونهما ولكن لا يحصل لهم الهيبة والرعدة إلا عند قبره الذي في البرية انتهى فعض يا أخي على ما قاله الخواص للشعراني بأسنانك واجعله نصب عينيك تسلم والله يتولى هداك. قال بعض العلماء بعد كلام يتعلق بالزيارة وصاحب المزارات مثل هذه الأشياء تؤخذ بحسن النية فإذا كان صاحب المزار ما هو فيه فالزيارة تصل إليه أينما كان ا هـ (وقال الشعراني في الباب العاشر من المنن) ومما من الله تبارك وتعالى به على زيارتي كل قليل لأهل البيت الذين دفنوا في مصر كلهم أو رءوسهم فقط وأزورهم في السنة ثلاث مرات بقصد صلة رحم رسول الله ﷺ ولم أر أحدًا من أقراني يعتني لذلك إما لجهله بمقامهم وإما لدعواه عدم ثبوت كونهم دفنوا في مصر وهذا جمود فإن الظن يكفينا في مثل ذلك انتهى؛ ثم إنه ذكر في هذه المنة أيضًا أسماء جماعة من أهل البيت لهم مزارات بمصر القاهرة أخبره عنهم سيدي علي الخواص رحمه الله وفي آخرها قال فهؤلاء الذين بلغنا أنهم في مصر من أهل البيت وصححه أهل الكشف قال وكان سيدي علي الخواص رضي الله عنه يختم زيارة أهل البيت بالإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فعليك يا أخي بزيارة قرابة نبيك محمد ﷺ وقدمهم على زيارة كل ولي في مصر عكس ما عليه العامة فلا تكاد ترى أحدًا منهم يعتني بزيارة أحد ممن ذكرنا أبدًا ويعتني بزيارة بعض المجاذيب وينام في موالدهم وهذا كله من جملة الجهل فاحذره ترشد والحمد لله رب العالمين

(وينبغي) لكل من أراد أن يزور وليًا من أوليـاء الله أو من هو من أهل البيت أن يتخلق بآداب الزيارة قـبل التوجـه ليعـود عليه المدد ممن زاره قـال الشعـراني في الأنوار وهي التشوق إلى المزور والجزم بفـضله وطهارته من المعاصي المعنوية والحسيـة والتماس بركة دعائه وخلوص النية بأن يكون الباعث على الزيارة امتثال أمر الشارع وحفظ اللسان من الوقوع في أعـراض الناس وإن كان هذا عامًا؛ وإن خـلت الزيارة عن هذه الآداب فلا نفع بها ولا ثواب بل هي تكلف ونفاق وإذا زرته بحسن القصد وحسن الأدب والتوسل به إلى ربك إن كان من الموتى وكان من أهل الله فإنه لا بد لك من المدد الأوفر فإن الله سبـحانه وتعالى قـد وكل بقبور الأكـابر ملائكة يقضـون حوائج الزائرين لأن أهل الله محل الكرم والسخاء أحياء وأمواتًا ومن دخل بيت كـريم لا يرجع من غير مدد لاسيما إذا كانوا من أهل البيت رضي الله عنهم انتهى.



فصل
في ذكر مناقب السيدة سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

(أمها الرباب) بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبي كان نصرانيًا فجاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعا له برمح وعقد له على من أسلم بالشام في قضاعة فتولى قبل أن يصلي صلاة وما أمسى حتى خطب إليه الحسين بنته الرباب فزوجه إياها فأولدها عبد الله وسكينة رضي الله عنهم نقله الخطيب البغدادي ومثله في الأغاني وسكينة بضم السين وفتح الكاف وسكون الياء كذا يؤخذ من عبارة القاموس لقب لقبتها به أمها الرباب واسم سكينة أميمة وقيل أمينة وقيل آمية وقيل آمنة قال أبو الفرج وهو الصحيح كذا في تاريخ ابن خلكان والأغاني. نقل أبو الفرج عن مالك بن أعين قال سمعت سكينة بنت الحسين رضي الله عنها تقول عاتب عمي الحسن أبي في أمي فقال أبي:

لعمرك إنني لأحب دارًا ... تكون بها سكينة والرباب
أحبهما وأبذل جل مالي ... وليس لعاتب عندي عتاب
ولست لهم وإن عابوا مطيعًا ... حياتي أو يغيبني التراب

قال هشام بن الكلبي كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين رضي الله عنه فقالت ما كنت لأتخذ حمًا بعد رسول الله ﷺ ولما قتل الحسين رضي الله عنه رثته بأبيات منها:

إن الذي كان نورًا يستضاء به ... بكربلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة ... عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلا صعبًا ألوذ به ... وكنت تصحبنا بالرحم والدين
من لليتامى ومن للسائلين ومن ... يغني ويأوي إليه كل مسكين

والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين

(وفي الفصول المهمة) وبقيت بعده سنة لا يظلها سقف بيت إلى أن ماتت رحمها الله. وفي تاريخ ابن خلكان كانت سكينة سيدة نساء عصرها ومن أجمل النساء وأظرفهن وأحسنهن أخلاقًا وتزوجها مصعب بن الزبير فهلك عنها ثم تزوجها عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام فولدت له قريبًا ثم تزوجها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان وفارقها قبل الدخول ثم تزوجها زيد بن عمرو بن عثمان بن عفان فأمره سليمان بن عبد الملك بطلاقها ففعل وقيل في ترتيب أزواجها غير هذا والطرة السكينية منسوبة إليها، ولها نوادر وحكايات ظريفة مع الشعراء وغيرهم انتهى. وفي الأغاني كانت سكينة أحسن الناس شعراً وكانت تصفف جمتها تصفيفًا لم ير أحسن منه حتى عرف ذلك وكانت الجمة تسمى السكينية وكان عمر بن عبد العزيز إذا وجد رجلا يصفف جمته السكينية جلده وحلقه ا هـ (وفي درر الأصداف) كانت سكينة رضي الله عنها من الجمال والأدب والفصاحة بمنزلة عظيمة وكان منزلها مألف الأدباء والشعراء وتزوجت عبد الله بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه فقتل عنها بالطف قبل أن يدخل بها ثم تزوجها مصعب بن الزبير رضي الله عنهما وأمهرها ألف ألف درهم وحملها إليه علي بن الحسن رضي الله عنهما فأعطاه أربعين ألف دينار وولدت له الرباب وكانت تلبسها اللؤلؤ وتقول ما ألبستها إياه إلا لتفضحه (عن محمد بن سلام) قال اجتمع في ضيافة سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما جرير والفرزدق وكثير ونصيب وجميل مكثوا في ضيافتها أيامًا ثم أذنت لهم فدخلوا عليها فجلست حيث تراهم ولا يرونها وتسمع كلامهم ثم أخرجت وصيفة قد روت الأشعار والأحاديث فقالت أيكم الفرزدق؟ فقال هأنذا فقالت له أنت القائل:

هما دلياني من ثمانين قامة كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فلما استوت رجلاي في الأرض قالتا أحي فيرجى أم قتيل نحاذره

قال نعم قالت فمن دعاك إلى إفشاء سرك وسرهما هلا سترتهما وسترت نفسك

خذ هذه الألف والحق بأهلك ، ثم دخلت على مولاتها وخرجت فقالت أيكم جرير فقال لها هأنذا فقالت أنت القائل:

طرقتك صائدة الفؤاد وليس ذا وقت الزيارة فارجعي بسلام

قال نعم قالت فهلا رحبت بها خذ هذه الألف درهم وانصرف ثم دخلت وخرجت فقالت أيكم كثير؟ فقال هأنذا، قالت أنت القائل:

أعجبني يا عزّ منك خلائق كرام إذا عد الخلائق أربع
دنوك حتى يطمع الطالب الصبا ورفعك إنسان الهوى حين يطمع
فوالله ما يدري كريم مماطل أينساك إذ باعدت أو يتضرع

قال نعم قالت ملحت وشكلت خذ هذه الألف والحق بأهلك ، ثم دخلت وخرجت فقالت أيكم نصيب؟ فقال هأنذا، قالت أنت القائل:

ولولا أن يقال صبا نصيب لقلت بنفسي النشء الصغار
بنفسي كل مهضوم حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصار

قال نعم قالت ربيتنا صغاراً ومدحتنا كباراً خذ هذه أربعة الآلاف درهم والحق بأهلك، ثم دخلت وخرجت فقالت يا جميل مولاتي تقرئك السلام وتقول والله ما زالت مشتاقة إلى رؤيتك منذ سمعت قولك:

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة بوادي القرى إني إذاً لسعيد
فكل حديث بينهن بشاشة وكل قتيل بينهن شهيد

جعلت حديثنا بشاشة وقتلانا شهداء خذ هذه ألف الدينار والحق بأهلك. وعن حماد عن أبيه عن أبي عبد الله الزبير قال اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص وراوية نصيب فافتخر كل واحد منهم بصاحبه وقال صاحبي أشعر فحكموا بينهم سكينة بنت الحسين رضي الله عنهما لما يعرفونه من عقلها وبصرها بالشعر فاستأذنوا عليها فأذنت لهم فذكروا لها الذي كان من أمرهم فقالت لراوية جرير، أليس صاحبك الذي يقول:

طرقـتك صـائدة الفـؤاد وليس ذا   وقت الزيـارة فـارجـعي بسـلام

قال نعـم قالت وأي ساعـة أحلى للزيارة من الطروق قـبح الله صاحبـك وقبح شعره هلا قال فادخلي بسلام، ثم قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول:

يقـر بعـيني مـا يـقـر بعـينهـا   وأحـسن شيء مـا به العين قـرت

قال نعم قالت وليس بعـينها أقر من النكاح أفيحب صـاحبك أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره، ثم قالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول:

فلو تركت عـقلي مـعي ما طلبـتهـا   ولكن طلابيـهـا لما فـات من عـقلي

قال نعم قـالت فما أرى بصاحـبك من هوى إنما يطلب عقله قبح الله صـاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية الأحوص أليس صاحبك الذي يقول:

أهيم بدعـد مـا حـييت فـإن أمت   فـواحـزنا من ذا يهـيم بهـا بعـدي

قال نعم قالت فما أرى له همة إلا فيمن يتعشـقها بعده قبحه الله وقبح شعره ألا قال:

أهيم بدعـد مـا حـييت فـإن أمت   فـلا صلحت دعـد لذي خلة بعـدي

ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك الذي يقول:

من عـاشـقين تواعـدا وتراسـلا   حـتى إذا نجم الثـريا حـلقـا
بـاتـا بـأنـعـم لـيـلـة وألـذهـا   حـتى إذا وضـح الصبـاح تفـرقـا

قال نعم قالت قبح الله صاحبك وقبح شعـره ألا قال تعانقا قال إسحاق فلم تثن على أحد منهم في ذلك اليـوم ولم تقدمه، وفي رواية أخرى أنها قـالت لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول:

فـيـا لـيـتني أعـمى أصـم تقـودني   بثـينة لا يخـفى عليّ كـلامـهـا

قال نعم قالت رحم الله صاحبك إن كان صادقًا ا هـ ومثله في الأغاني لكن وقع في الأغاني خـبط في نسبة الأبيات إلـى الشعراء ولم يذكر كـثير عزة وذكـر الأحوص

مرتين وهو سهو من الكاتب وكان يقال إن امـرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين في الحسن (توفيت) السيدة سكينة رضي الله عنها بمكة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة ست وعـشرين ومائـة وصلى عليهـا شيبـة بن النطاح المقـري كذا في درر الأصداف. وفي تاريخ ابن خلكان توفيت سنة سبع عشـرة ومائة وكانت وفاتها بالمدينة قال الشيخ عبد الرحمن الأجهـوري في كتابه مشارق الأنوار والأكثرون على أن سكينة بنت الحسين مـاتت بالمدينة وفي طبقات الشـعراني أنها مـدفونة بالمراغة بقرب السـيدة نفيـسة يعني بمصر القـاهرة ومثله في طبقـات المناوي فإن قلت هذا كلام ينافي بعـضه بعضًا فإنك ذكرت أنها توفـيت بمكة وبالمدينة وبمصر قلت لا منافاة لأنه مر بك آنفًا في أول الباب أن حال البرزخ كحال التيار فلا تغفل.

(تنبيه) في منن الشعراني ما نصه وأخـبرني يعني الخواص أن السيدة سكينة بنت الحسين رضي الله عنها في الرواية عند الدرب قريبًا من دار الخليفة عند الحمصانيين ا هـ لكن نقل الأجهوري عـن الشعراني أنه قال في مننه إن السيـدة سكينة أخت الحسين لا بنته وتعقبه في المشارق ولعل نسخة المنن التي وقعت للأجهوري كان بها تحريف، والله أعلم.

فصل
في ذكر مناقب السيدة رقية بنت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنها

(أمها) أم حبيب الصهباء التغلبية أم ولد كانت من سبي الردة الذي أغار عليه سيدنا خالد بن الوليد بعين التمر فاشتراها سيدنا علي رضي الله عنه من سيدنا خالد فعمر الأكبر شقيق رقية وفي الفصول المهمة كانا توأمين وعمر عمر هذا خمسًا وثمانين سنة وحاز نصف ميراث علي رضي الله عنه وذلك أن إخوته أشقاءه وهم عبد الله وجعفر وعثمان قتلوا مع الحسين بالطف فورثهم وعن الليث بن سعد والدارقطني أن رقية بنت فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ قال الشعراني في الباب العاشر من المنن وأخبرني يعني الخواص أن رقية بنت الإمام علي كرّم الله وجهه في المشهد القريب من جامع دار الخليفة أمير المؤمنين ومعها جماعة من أهل البيت[1] اهـ. وهو معروف الآن بجامع شجرة الدر وهذا الجامع على يسار الطالب للسيدة نفيسة والمكان الذي فيه السيدة رقية عن يمينه ومكتوب على الحجر الذي ببابه هذا البيت:

بقعة شرفت بآل النبي   وببنت الرضا علي رقيه

هذا وقد أخبرني بعض الشوام أن للسيدة رقية بنت الإمام عليّ كرّم الله وجهه ضريحًا بدمشق الشام وأن جدران قبرها كانت قد تعيبت فأرادوا إخراجها منه لتجديده

---

(١) (قوله ومعها جماعة من أهل البيت) بذلك المكان عاتكة بنت عمرو بن نفيل القرشية كانت أجمل نساء زمانها تزوجها عبد الله ابن سيدنا الصديق فقتل عنها بالطائف ثم تزوجها سيدنا عمر بن الخطاب فقتل ثم تزوجها سيدنا الزبير بن العوّام فقتل ثم تزوجها محمد ابن سيدنا الصديق فقتل عنها وأحرق في جيفة حمار بمصر القديمة ولم يبق إلا رأسه الشريف فدفنه مولاه بمحراب المسجد وقيل تحت المئذنة ثم آلت أنها لا تتزوج بعد ذلك وكان سيدنا محمد عاملا على مصر ولاه الإمام علي كرم الله وجهه فإنه تزوج أمه بعد سيدنا الصديق ورباه فهو ربيب للإمام رضي الله عنهما ونفعنا بهما اهـ من كتب السير اهـ مؤلف.

فلم يتجاسـر أحد أن ينزله من الهيبة فـحضر شخص من أهل البـيت يدعى السيد بن مرتضى فنزل في قبرها ووضع عليها ثوبًا لفها فـيه وأخرجها فإذا هي بنت صغيرة دون البلوغ وقد ذكرت ذلك لبعض الأفاضل فحدثني به ناقلا عن أشياخه.

(تنبيه) أجمع جـمهور المؤرخين وأصحـاب السير على أن للإمـام علي كرّم الله وجهه رقية واحدة من غير السيـدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ وخالفهم الليث بن سعد فقال إنهـا منها كما قدمناه ثم رأيت بعـضهم صرح بأن للإمام رقيـتين تدعى إحداهما بالكبرى من السيـدة فاطمة والأخرى تدعى بالصغرى أمهـا أم حبيب شقيقـة عمر وقد تقدم ذلك في أول الترجمة.

(كرامة) نقل الأجهوري أن السـيدة رقية لما جاءت من المدينة اعتـرضها شخص من آل يزيد وأراد قتلها فوقفت يده في الهواء وسقط ميتًا.

فصل

في ذكر مناقب السيد محمد بن محمد بن عبد الرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي

قال الجبرتي هكذا ذكر عن نفسه نسبه (ولد) سنة خمس وأربعين ومائة وألف قال الجبرتي هكذا سمعته من لفظه ورأيته بخطه قال ونشأ ببلاده وارتحل في طلب العلم وحج مراراً ثم ورد إلى مصر في تاسع صفر سنة سبع وستين ومائة وألف وسكن بخان الصاغة وأول من عاشره وأخذ عنه السيد علي المقدسي الحنفي من علماء مصر وحضر دروس أشياخ الوقت كالشيخ أحمد الملوي والجوهري والحفني والبليدي والصعيدي والمدابغي وتلقى عنهم وأجازوه وشهدوا بعلمه وفضله وجودة حفظه واعتنى بشأنه إسمعيل كتخدا عزبان وأولاده بره حتى راج أمره وترونق حاله واشتهر ذكره عند الخاص والعام ولبس الملابس الفاخرة وركب الخيول المسومة وسافر إلى الصعيد ثلاث مرات واجتمع بأعيانه وأكابره وعلمائه وأكرمه شيخ العرب همام وإسمعيل أبو عبد الله وأبو علي وأولاد نصير وأولاد وافي وهادوه وبروه، وكذلك ارتحل إلى الجهات البحرية مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة مراراً حين كانت مزينة بأهلها عامرة بأكابرها وأكرمه الجميع واجتمع بأفاضل النواحي وأرباب العلم والسلوك وتلقى عنهم وأجازوه وأجازهم وصنف عدة رحلات في تنقلاته في البلاد القبلية والبحرية تحتوي على لطائف ومحاورات ومدائح نظماً ونثراً لو جمعت كانت مجلداً ضخماً وكناه سيدنا السيد أبو الأنوار ابن وفا بأبي الفيض وذلك يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف وذلك برحاب ساداتنا بني وفا يوم زيارة المولد المعتاد ثم تزوج وسكن بعطفة الغسال مع بقاء سكنه بوكالة الصاغة وشرع في شرح القاموس حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلداً سماه تاج العروس ولما أكمله أولم

له وليمة حافلة جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت بغيط المعدية وذلك في سنة إحدى وثمانين ومائة وألف وأطلعهم عليه واغتبطوا به وشهدوا بفضله وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة وكتبوا عليه تقاريظهم نثرًا ونظمًا فممن قرظ عليه شيخ الكل في عصره الشيخ علي الصعيدي والشيخ أحمد الدردير والسيد عبد الرحمن العيدروس والشيخ محمد الأمير والشيخ حسن الجداوي والشيخ أحمد البيلي والشيخ عطية الأجهوري والشيخ عيسى البراوي والشيخ محمد الزيات والشيخ محمد عبادة والشيخ محمد العوفي والشيخ حسن الهواري والشيخ أبو الأنوار السادات والسيد علي القناوي والشيخ علي خرايط والشيخ عبد القادر بن خليل المدني والشيخ محمد المكي والسيد علي القدسي والشيخ عبد الرحمن مفتي جرجا والشيخ علي الشاوري والشيخ محمد الخربتاوي والشيخ عبد الرحمن المقري والشيخ محمد سعيد البغدادي الشهير بالسويدي وهو آخر من قرظ عليه قال وكنت إذ ذاك حاضرًا وكتبه نظمًا ارتجالًا وذلك في منتصف جمادى الثانية سنة أربع وتسعين ومائة وألف وهو:

شرح الشريف المرتضى القاموسا ... وأضاف ما قد فاته قاموسا
نفذت صحاح الجوهري وغيرها ... سحر المدائن حين ألقى موسى
إذ قد أبان الدر من صدف النهى ... في سلك جمهرة اللهى تأنيسا
وبنى أساسًا فائقًا واختار في ... إتقانه مختاره تأسيسا
فأثار من مصباح مزهر نوره ... عين الغبي فأبصرته نفيسا
فهو الفريد ولا يثنى جمعه ... إذ لا يحاك كمثله تدليسا
فلسان نظمي عاجز عن مدحه ... فالله ينشر نشره تقديسا
ويديم مولاي الشريف بعصرنا ... في كل قطر للهداة رئيسا
وإذا توجه لي بلمحة نظرة ... إني سعيد لا أصير خسيسا
أهدي الصلاة مع السلام لجده ... هديًا جزيلا لا يطاق نفيسا
والآل مع صحب وهذا المرتضى ... ومن ارتضى ومن اصطفاه أنيسا

قد تركنا باقي التقريظات مخافة طول الكلام (ولما أنشأ محمد بك أبو الذهب) الجامع المعروف بالقرب من الأزهر وعمل فيه خزانة للكتب اشترى جملة من الكتب ووضعها فيه فأنهوا إليه شرح القاموس هذا وعرفوه أنه إذا وضع بالخزانة كمل نظامها وانفردت بذلك دون غيرها فطلبه وعوضه عنه مائة ألف درهم فضة ووضعه فيها وللمترجم له مصنفات خلاف شرح القاموس وشرح الإحياء كثيرة منها كتاب الجواهر المنيفة في أصول أدلة مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله مما وافق فيها الأئمة الستة وهو كتاب نفيس حافل رتبه ترتيب كتب الحديث من تقديم ما روي عنه في الاعتقاديات ثم في العمليات على ترتيب كتب الفقه والنفحة القدوسية بواسطة البضعة العيدروسية جمع فيه أسانيد العيدروس وهي في نحو عشرة كراريس والعقد الثمين في طرق الإلباس والتلقين وحكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق وشرح الصدر في شرح أسماء أهل بدر في عشرين كراسة ألفها لعلي أفندي درويش وألف باسمه أيضًا التفتيش في معنى لفظ درويش ورسائل كثيرة جدًا منها رفع نقاب الخفا عمن انتمى إلى وفا وأبي الوفا وبلغة الأديب في مصطلح آثار الحبيب وإعلام الأعلام بمناسك حج بيت الله الحرام وزهر الأكمام المنتشق عن جيوب الإلهام بشرح صيغة صلاة سيدي عبد السلام ورشفة المدام المختوم البكري من صفوة زلال صيغ القطب البكري ورشف سلاف الرحيق في نسب حضرة الصديق والقول المثبوت في تحقيق لفظ التابوت وتنسيق قلائد المنن في تحقيق كلام الشاذلي أبي الحسن ولقط اللآلي من الجوهر الغالي وهي في أسانيد الأستاذ الحفني وكتب له إجازته عليها في سنة سبع وستين وذلك سنة قدومه إلى مصر والنوافح المسكية على الفوائح الكشكية وجزء في حديث «نعم الأدم الخل» وهدية الإخوان في شجرة الدخان ومنح الفيوضات الوفية فيما في سورة الرحمن من أسرار الصفة الإلهية وإتحاف سيد الحي بسلاسل بني طي وبذل المجهود في تخريج حديث شيبتني هود والمربي الكابلي فيمن روى عن الشمس البابلي والمقاعد العندية في المشاهد النقشبندية ورسالة في المناشي والصفين على خطبة الشيخ محمد البحيري البرهاني على تفسير سورة يونس وتفسير على سورة يونس مستقلا على لسان القوم وشرحًا على

حزب البر للشاذلي وتكملة لشرح حرب البكري للفاكهي من أوّله فكمله للشيخ أحمد البكري ومقامة سماها إسعاف الأشراف وأرجوزة في الفقه نظمها باسم الشيخ حسن عبد اللطيف الحسني المقدسي وحديقة الصفا في ولد المصطفى وقرظ عليها الشيخ حسن المدابغي ورسالة في طبقات الحافظ ورسالة في تحقيق قول أبي الحسن الشاذلي وليس من الكرم إلخ. وعقيلة الأتراب في سند الطريقة والأحزاب صنفها للشيخ عبد الوهاب الشربيني والتعليقة على مسلسلات ابن عقيلة والمنح العلية في الطريقة النقشبندية والانتصار لوالد النبي المختار وألفية السند ومناقب أصحاب الحديث وكشف اللثام عن آداب الإيمان والإسلام ورفع الشكوى وترويح القلوب بذكر ملوك بني أيوب ورفع الكلل عن العلل ورسالة سماها قلنسوة التاج ألفها باسم الأستاذ العلاّمة الصالح الشيخ محمد بن بدير المقدسي وذلك لما أكمل شرح القاموس المسمى بتاج العروس فأرسل إليه كراريس من أوّله حين كان بمصر وذلك في سنة اثنتين وثمانين ليطلع عليها شيخه الشيخ عطية الأجهوري ويكتب عليها تقريظات ففعل ذلك وكتب إليه يستجيزه فكتب إليه أسانيده العالية في كراسة وسماها قلنسوة التاج وأوّلها بعد البسملة الحمد لله الذي رفع متن العلماء وكتب في آخرها ما نصه:

أجزت له أبقاه ربي وحاطه ... بكل حديث حار سمعي بإتقان
وفقه وتاريخ وشعر رويته ... وما سمعت أذني وقال لساني
على شرط أصحاب الحديث وضبطهم ... بريًا عن التصحيف من غير نكران
كتبت له خطي واسمي محمد ... وبالمرتضى عرفت والله يرعاني
ولدت بعام أرخوا فك ختمه ... وبالله توفيقي وبالله تكلاني

(وكتب) معها جواب كتابه وقد تركنا ما كتبه خوفًا من الإطالة. وللمترجم أشعار كثيرة جوهرية نفيسة صحاح وعرائس أبيات ذات وجوه صباح منها قوله من قصيدة يمدح بها الأستاذ العلاّمة شمس الدين السيد محمد أبا الأنوار بن وفا رحمه الله ويذكر فيها نسبه الشريف:

مدحت أبا الأنوار أبغي بمدحه ... وفور حظوظي من جليل المآرب

نجـيـبًا تسـامى في المشـارق نوره | فـلاحت هواديـه لأهل المغـرب
مـحـمد البـاني مـشـيـد افتـخـاره | بعـز المسـاعي وابـتـذال المواهب
ربيب العـلا المخـضلّ سـيب نواله | سماء الندى المنهلّ صـوب السحائب
كـريم السـجـايا الغـر واسطة العـلا | بسـيم المحـيـا الطلق ليس بغـاضب
حوى كل حـلم واحتوى كل حـكمة | فـفـات مـرام المسـتـمـر الموارب
به ازدهت الدنـيـا بهـاء وبهـجـة | وزانت جـمالا من جـميع الجـوانب
مـخـايلة تنبـيك عـمـا وراءها | وأنواره تـهـديك سـبُل المطـالب
لـه نسـب يعـلو بـأكـرم والـد | تبـلج مـنه عـن كـريم المنـاسب

وهي طويلة ذكـرها في خاتمه رفع نقـاب الخفا (وله) أيضًا رحـمنا الله وإياه بمنه وجوده وكرمه:

كاف الكيـاسة مع كـيس إذا اجتمـعا | يومًا لمرء غـدا في العـصـر سـلطانا
بالكيس يصـبح مـقـضـيًا حـوائجـه | وبالكيـاسـة يولي الكيس إحـسـانا
والكيس منـفـردًا مـغن لصـاحـبـه | والكيـس منفـردًا يوليـه مـجـانا

وله في أسماء أهل الكهف على الخلاف الوارد فيهم:

بتـمليخ مكـسلمين مـثلين بعـده | دبرنوش مـرنوش كـذا أسـد الكهف
وخذ شادنوشًا سادس الصحب ذاكرًا | كـفشططيـوش في رواية ذي العـرف
نوانس مـانينوس مع بـطنيـوشـهم | مكرطونش تلك الـروايات فاسـتـوف
وكـشفـوطط كند سـلططنوس هكذا | روينا وأرنوش عـلى حـسـب الخلف
وينبـونـس كـشـفطيط أريـطانس | ومرطوكش عند الأجـلة في الصحف
وكلبـهـم قطمـيـر سـابع سـبـعـة | فخـذ وتوسل يا أخا الكرب والرجف

ومن كلامه أيضًا:

توكل على مـولاك واخش عـقـابه | وداوم على التـقـوى وحفظ الجـوارح
وقـدم من البـر الذي تسـتطيـعـه | ومن عـمل يرضـاه مـولاك صـالح
وأقـبل عـلى فـعل الجـمـيل وبذله | إلى أهله مـا اسـتطعت غـيـر مكالح

ولا تسمع الأقوال من كل جانب فلا بدّ من مثنٍ عليك وقادح

ونظمه كثير ونثره بحر غزير وفضله شهير وذكره مستطير ولولا مخافة التطويل لأوردنا قدراً قريباً من كراسة من نظمه الجليل؛ ولم يزل المترجم له رضي الله عنه يخدم العلم ويرقى في درج المعالي ويحرص على جمع الفنون التي أغفلها المتأخرون كعلم الأنساب والأسانيد وتخاريج الأحاديث واتصال طريق المحدثين المتأخرين بالمتقدمين، وألف في ذلك كتباً ورسائل ومنظومات وأراجيز جمة ثم انتقل إلى منزل بسويقة اللالا تجاه جامع محرم أفندي بالقرب من مسجد شمس الدين الحنفي وذلك في أوائل سنة تسع وثمانين ومائة وألف وكانت تلك الخطة إذ ذاك عامرة بالأكابر والأعيان فأحدقوا به وتحبب إليهم واستأنسوا به وواسوه وأكرموه وهادوه وهو يظهر لهم الغنى والتعفف ويعظمهم ويفيدهم بفوائد وتمائم ورقى ويجيزهم بقراءة وأوراد وأحزاب فأقبلوا عليه من كل جهة وأتوا إلى زيارته من كل ناحية ورغبوا في معاشرته لكونه غريباً وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ويعرف باللغة التركية والفارسية بل وبعض لسان الكرج فانجذبت قلوبهم إليه وتناقلوا خبره وحديثه ثم شرع في إملاء الحديث على طريق السلف في ذكر الأسانيد والرواة والمخرجين من حفظه على طرق مختلفة وكل من قدم عليه يملي عليه المسلسل بالأولية وهو حديث الرحمة برواته ومخرجيه ويكتب له سنداً بذلك وإجازة وسماع الحاضرين فيعجبون من ذلك ثم إن بعض علماء الأزهر ذهبوا إليه وطلبوا منه إجازة فقال لهم لا بد من قراءة أوائل الكتب واتفقوا على الاجتماع بجامع شيخون بالصليبة الاثنين والخميس تباعداً عن الناس فشرعوا في صحيح البخاري بقراءة السيد حسين الشيخوني واجتمع عليهم بعض أهل الخطة والشيخ موسى الشيخوني إمام المسجد وخازن الكتب وهو رجل كبير معتبر عند أهل الخطة وغيرها وتناقل في الناس سعي علماء الأزهر مثل الشيخ أحمد السجاعي والشيخ مصطفى الطائي والشيخ سليمان الأكراشي وغيرهم للأخذ عنه فازداد شأنه وعظم قدره واجتمع عليه أهل تلك النواحي وغيرها من العامة الأكابر والأعيان والتمسوا منه تبيين المعاني فانتقل من الرواية إلى الدراية وصار درساً عظيماً فعند ذلك

انقطع عن حضره أكثر الأزهرية وقد استغنى عنهم هو أيضًا وصار يملي على الجماعة بعد قراءة شيء من الصحيح حديثًا من المسلسلات أو فضائل الأعمال ويسرد رجال سنده ورواته من حفظة ويتبعه بأبيات من الشعر كذلك، فيتعجبون من ذلك لكونهم لم يعهدوها ممن سبق من المدرسين المصريين وافتتح درسًا آخر في مسجد الحنفي وقرأ الشمائل في غير الأيام المعهودة بعد العصر فازدادت شهرته وأقبلت الناس من كل ناحية لسماعه ومشاهدة ذاته لكونها على خلاف هيئة المصريين وزيهم ودعاه كثير من الأعيان إلى بيوتهم وعملوا من أجله ولائم فاخرة فيذهب إليهم مع خواص الطلبة والمقري والمستملي وكاتب الأسماء فيقرأ لهم شيئًا من الأجزاء الحديثية كثلاثيات البخاري أو الدارمي أو بعض المسلسلات بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده وبناته ونساؤه من خلف الستارة وبين أيديهم مجامر بخور العنبر والعود مدة القراءة ثم يختمون ذلك بالصلاة على النبي ﷺ على النسق المعتاد ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين حتى النساء والصبيان والبنات واليوم والتاريخ ويكتب الشيخ تحت ذلك صحيح ذلك وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق قال كما رأيناه في الكتب القديمة. قال الجبرتي إني كنت مشاهدًا وحاضرًا في غالب هذه المجالس والدروس ومجالس أخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة وبمنزلنا بالصنادقية وبولاق وأماكن أخر كنا نذهب إليها للنزهة مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك فكنا نشتغل غالب الأوقات بسرد الأجزاء الحديثية وغيرها وهو كثير مثبوت المسموعات على النسخ وفي أوراق كثيرة موجودة إلى الآن وانجذب إليه بعض الأمراء الكبار مثل مصطفى بك الإسكندراني وأيوب بك الدفتردار فسعوا إلى منزله وترددوا لحضور مجالس درسه وواصلوه بالهدايا الجزيلة والغلال فاشترى الجواري وعمل الأطعمة للضيوف وأكرم الواردين والوافدين من الآفاق البعيدة وحضر عبد الرزاق أفندي الرئيس من الديار الرومية إلى مصر وسمع به فحضر إليه والتمس منه الإجازة وقراءة مقامات الحريري فكان يذهب إليه بعد فراغه من درس شيخون ويطالع له ما تيسر من المقامات ويفهمه معانيها اللغوية ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده وأصعده إليه

وخلع عليه فروة سمور ورتب له تعيينًا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسايرة وغلالا من الأنبار وأنهى إلى الدولة شأنه فأتاه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة وقدره مائة وخمسون نصفًا في كل يوم وذلك في سنة إحدى وتسعين فعظم أمره وانتشر صيته وطلب إلى الدولة في سنة أربع وتسعين فأجاب ثم اتسع وترادفت عليه المراسلات من أكابر الدولة وواصلوه بالهدايا والتحف والأمتعة الثمينة في صناديق وطار ذكره في الآفاق وكاتبه ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة وكثرت عليه الوفود من كل ناحية وترادفت عليه الهدايا والصلات والأشياء الغريبة وأرسلوا إليه من أغنام فزان وهي عجيبة الخلقة عظيمة الجثة يشبه رأسها رأس العجل وأرسلها إلى أولاد السلطان عبد الحميد فوقع لها عنده موقع وكذلك أرسلوا إليه من طيور الببغاء والجواري والعبيد والطواشية فكان يرسل من طرائف الناحية إلى الناحية المستغربة تلك عندها ويأتيه في مقابلتها أضعافها وأتاه من طوائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة وماء الكادي والمربيات والعود والعنبر والعطر والشاه والأرطال وصار له عند أهل الغرب شهرة عظيمة ومنزلة كبيرة واعتقاد زائد وربما اعتقدوا فيه القطبانية العظمى حتى إن أحدهم إذا ورد مصر حاجًا ولم يزره ولم يصله بشيء لا يكون حجه كاملا فتراهم في أيام طلوع الحج ونزوله مزدحمين على بابه من الصباح إلى الغروب وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئًا إما موزونات فضة أو تمرًا أو شمعًا على قدر فقره وغناه وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ويلتمسون منه الأجوبة فمن ظفر منهم بقطعة ورقة ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة ويرى أنه قد قبل حجه وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ودامت حسرته إلى يوم معاده وقس على ذلك ما لم يقل (وماتت) زوجته زبيدة وكنيتها أم الفضل في سنة ست وتسعين فحزن عليها حزنًا كبيرًا ودفنها عند المشهد المعروف بمشهد السيدة رقية وعمل على قبرها مقامًا ومقصورة وستورًا وفرشًا وقناديل ولازم

قبرها أيامًا كثيرة وكان يجتمع عنده الناس والقراء والمنشدون ويعمل لهم الأطعمة والثريد والكسكسو والقهوة والشربات واشترى مكانًا بجوار المقبرة المذكورة وعمره بيتًا صغيرًا وفرشه وأسكن به أمها وكان يبيت به أحيانًا وقصده الشعراء بالمراثي فكان يقبل منهم ذلك ويجيزهم عليه ورثاها هو بقصائد قال الناقل وجدتها بخطه بعد وفاته في أوراقه المدشتة على طريقة شعر مجنون ليلى، فمنها:

أعاذل من يرزأ كرزئي لا يزل ... كئيبًا ويزهد بعده في العواقب

أصابت يد البين المشت شمائلي ... وحافت نظامي عاديات النوائب

وكنت إذا ما زرتها في سحيرة ... أعود إلى رحل بطين الحقائب

ومنها:

يقولون لا تبكي زبيدة واتئد ... وسلّ هموم النفس بالذكر والصبر

وتأتي لي الأشجان من كل وجهة ... بمختلف الأحزان بالهم والفكر

وهل لي تسلٌ من فراق حبيبة ... لها الجدث الأعلى بيشكر من مصر

أبى الدمع إلا أن يعاهد أعيني ... بمحجرها والقدر يجري إلى القدر

فأما تروني لا تزال مدامعي ... لدى ذكرها تجري إلى آخر العمر

ولولا مخافة التطويل لأوردنا شيئًا كثيرًا من كلامه من هذا القبيل (ثم تزوّج) بعدها بأخرى وهي التي مات عنها وأحرزت ما جمعه من مال وغيره، ولما بلغ ما لا مزيد عليه من الشهرة وبعد الصيت وعظم القدر والجاه عند الخاص والعام وكثرت عليه الوفود من سائر الأقطار وأقبلت عليه الدنيا بحذافيرها من كل ناحية لزم داره واحتجب عن أصحابه الذين كان يلم بهم قبل ذلك إلا في النادر لغرض من الأغراض وترك الدروس والإقراء واعتكف بداخل الحريم وأغلق الباب ورد الهدايا التي كانت تأتيه من أكابر المصريين ظاهرة وأرسل إليه مرة أيوب بك الدفتردار مع نجله خمسين إردبًا من البر وأحمالا من الأرز والسمن والزيت وخمسمائة ريال نقودًا وبقج كساوى أقمشة هندية وجوخ وغير ذلك فردها وكان ذلك في رمضان وكذلك مصطفى بك الإسكندراني

وغيرهما وحضرا إليـه فاحتجب عنهما ولم يخرج إليهما ورجـعا من غير أن يواجهاه، وبالجملة فإنه كان في جميع المعارف صـدرًا لكل ناد حتى قرض الدهر منه رفيع العماد وآذنت شمسه بالزوال وغربت بعد ما طلعت من مشرق الإقبال كما قيل:

وزهـرة الدنيـــــا وإن أينعـت   فـــإنـهـــا تـســـقى بمـاء الزوال

وقد نعاه الفضل والكرم وناحت لفراقه حـمائم الحزم وأصيب بالطاعون في شهر شعبـان سنة خمس ومائتين وألف وذلك أنه صلى الجـمعة في مسجـد الكردي المواجه لداره فطعن بعـد فراغـه من الصلاة ودخل إلي البـيت واعـتقل لسـانه في تلك الليلة وتوفي يوم الأحـد فأخفت زوجـته وأقـاربها موته حـتى نقلوا الأشيـاء النفيـسة والمال والذخائر والأمتعة والكتب المكلفة ثم أشاعـوا موته يوم الاثنين فحضر عثمان بك طبل الإسماعيلي ورضوان كتخدا المجنون وادعى أن المتوفى أقـامه وصيًا مختارًا وعثمان بك ناظرًا بسبب أن زوج أخت الزوجة مـن أتباع المجنون يقال له حسين أغا فلمـا حضروا وصحبتهما مصطفى أفندي صادق أخذوا ما أحبوه وابتغوه من المجلس الخارج وخرجوا بجنازته وصلوا عليه ودفن بقـبر كان قد أعده لنفسـه في حياته بجانب زوجتـه بالمشهد المعروف بـالسيدة رقـية ولم يعلم بموتـه أهل الأزهر ذلك اليوم لاشـتغال النـاس بأمر الطاعون وبعد الخطة ومن علم منهم وذهب لم يدرك الجنازة، ومات رضوان كتخدا في أثر ذلك واشـتغل عثـمان بك والإمارة لموت سـيده أيضًا وأهمل أمـر تركته فـأحرزت زوجته وأقاربـها متروكاته ونقلوا الأشيـاء الثمينة والنفيسة إلى دارهم ونسـي أمره شهرًا حتى تغيرت الدولة وتملك الأمراء المصريون الذين كـانوا بالجهة القبلية وتزوّجت زوجته برجل من الأجناد من أتبـاعهم فـعند ذلك فـتحـوا التركـة بوصاية الزوجـة من طرف القاضي خوفًا من ظهور وارث وأظهـروا ما ابتغوه مما انتقوه من الثيـاب وبعض الأمتعة والكتب والدشتات وباعوها بـحضرة الجميع فبلغت نيفًا ومـائة ألف نصف فضة وأخذ منها بيت المال شيئًا وأحرز الباقي مع الأول قال الناقل وكانت مـخلفاته شيئًا كثيرًا جدًا أخبرني المرحـوم حسن الحريري وكان من خاصتـه وممن يسعى في خدمته ومـهماته أنه

حضر إليـه في يوم السبت وطلب الدخول لعيادته فـأدخلوه عليه فوجده راقدًا مـعتقل اللسان وزوجته وأصـهاره في كبكبة واجتهاد في إخـراج ما في داخل الخبايا والصناديق إلى الليوان ورأيت كومًا عظيمًا مـن الأقمشة الهندية والمقصبات والكشـمير والفراء من غير تفصيل نحو الحملين وأشياء فـي ظروف وأكياس لا أعلم ما فيها قال ورأيت عددًا من ساعات العلب الثمـينة مبددًا على بساط القاعة وهي بغـلافات بلادها قال فجلست عند رأسه حصة وأمسكت يده فـفتح عينيه ونظر إليّ وأشار كالمستفـهم عما هم فيه ثم غمض عينيـه وذهب في غطوسه فقمت عنه قـال ورأيت في الفسحة التي أمـام القاعة قدرًا كثيرًا من شمع العسل الكبير والصغير والكافوري المصنوع والخام وغير ذلك مما لم أره ولم ألتفت إليه ولم يترك ابنًا ولا بنتًا ولم يرثه أحد من الشعراء.

(صفته) كان ربعة نحيف البدن ذهبي اللون متناسب الأعضـاء معتدل اللحية قد وخطه الشيب في أكثرها مـترفهًا في ملبسه ويعتم مثل أهل مكة عمـامة منحرفة بشاش أبيض ولها عـذبة مرخية على قـفاه ولها حبكة وشـراريب حرير طولها قريب مـن فتر وطرفـها الآخـر داخل طي العـمامـة وبعض أطرافه ظاهـر وكان لطيف الذات حـسن الصفات بشـوشًا وقورًا محتشمًا مسـتحضرًا للنوادر والمناسبات ذكـيًا لوذعيًا فطنًا ألمعيًا روض فضله نضير ومـاله في سعة الحفظ نظير جعل الله مثواه قـصور الجنان وضريحه مطاف وفود الرحمة والغفران ا هـ.

فصل
في ذكر مناقب السيدة زينب بنت الإمام علي كرم الله وجهه

(أمها) فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فهي شقيقة الحسن والحسين رضي الله عنهم **(تزوجها)** ابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار ذي الجناحين بن أبي طالب وولدت له عليًا وعونًا ويدعى بالأكبر وعباسًا ومحمدًا وأم كلثوم، وذريتها موجودة إلى الآن بكثرة قال العلماء ويتكلم عليهم من عشرة وجوه (أحدها) أنهم من آل النبي ﷺ وأهل بيته بالإجماع لأن آله هم المؤمنون من بني هاشم والمطلب (الثاني) أنهم من ذريته وأولاده بالإجماع لأن أولاد بنات الإنسان معدودون في ذريته وأولاده حتى ولو أوصى لأولاد فلان دخل فيه أولاد بناته (الثالث) أنهم لا يشاركون أولاد الحسن والحسين في الانتساب إليه ﷺ وإنما خص ﷺ أولاد فاطمة دون غيرها من بقية بناته لأنهن لم يعقبن ذكر إذا عقب حتى يكون كالحسن والحسين (الرابع) أنهم يطلق عليهم اسم الأشراف على الاصطلاح القديم (الخامس) أنهم تحرم الصدقة عليهم لأن بني جعفر من الآل قطعًا (السادس) أنهم يستحقون سهم ذوي القربى (السابع) أنهم يستحقون من وقف بركة الحبش لأنها لم توقف على أولاد الحسن والحسين خاصة (الثامن) هل يلبسون العلامة الخضراء؟ والجواب أن هذه العلامة ليس لها أصل لا في الكتاب ولا في السنة ولا كانت في الزمن القديم وإنما حدثت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بأمر الملك الأشرف شعبان بن حسين. وفي درر الأصداف ما نصه وأما العلامة الخضراء فأحدثها السلطان الملك الأشرف شعبان من دولة الأتراك بمصر في سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة. وأما العمامة الخضراء فأحدثها السيد محمد الشريف المتولي باشا مصر سنة أربع بعد الألف لما دار بكسوة الكعبة والمقام وأمر الأشراف أن يمشوا أمامه وكل واحد

منهم على رأسه عمامة خضراء وإنما اختيرت العلامة الخضراء للأشراف لأن الأسود شعار بني العباس والأصفر شعار اليهود والأزرق شعار النصارى والأحمر مختلف فيه انتهى وفيها قال جماعة من الشعراء من ذلك قول جابر بن عبد الله الأندلسي الأعمى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير:

جعلوا لأبناء الرسول علامة إن العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في وسيم وجوههم يغني الشريف عن الطراز الأخضر

وقال الأديب شمس الدين محمد بن إبراهيم الدمشقي:

أطراف تيجان أتت من سندس خضر بأعلام على الأشراف
والأشرف السلطان خصهم بها شرفًا ليعرفهم من الأطراف

وغاية القول إنه لا بأس بها لكل شريف سواء كان من ذرية الحسنين أم لا ولا يمنع من لبسها أحد من الناس إلا لغرض شرعي (التاسع والعاشر) هل يدخلون في الوصية على الأشراف والوقف عليهم؟ والجواب إن وجد في كلام الموصي والواقف نص يقتضي دخولهم أو خروجهم اتبع وإلا فلا والعمدة في ذلك العرف وعرف مصر من عهد الدولة الفاطمية إلى الآن أن الشريف لقب لكل حسني وحسيني خاصة فلا يدخلون على مقتضى هذا العرف. قال الشعراني في منته أخبرني سيدي علي الخواص رحمه الله تعالى أن السيدة زينب المدفونة بقناطر السباع ابنة الإمام علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه وأنها في هذا المكان بلا شك وكان رضي الله عنه يخلع نعله من عتبة الدرب ويمشي حافيًا حتى يجاوز مسجدها ويقف تجاه وجهها ويتوسل بها إلى الله تعالى في أن يغفر له اهـ وفي لواقح الأنوار أن زينب المدفونة بقناطر السباع أخت الحسين رضي الله عنهما وفي الطبقات للشعراني في ترجمة الحسين رضي الله عنه ما نصه وأنشدت أخته زينب المدفونة بقناطر السباع من مصر المحروسة برفع صوت ورأسها خارج من الخباء:

مــــاذا تقــولــون إن قــال النــبي لكم … مـــــاذا فـــعلــتم وأنتم آخـــــر الأمم

بعـــتــرتي وبأهلي بــعــد فــرقـــتكم … منهم أســارى ومنــهم خــضــبوا بدم

ما كــان هذا جزائي إذ نصــحت لكم … أن تخلفــوني بسوء في ذوي رحــمي

لكن في شــرح عقود الجــمان أن هذه الأبيــات لابنة عقــيل بن أبي طالب ونص عبــارته ثم أمر يزيد النعمــان بن بشير أن يجــهزهم إلى المدينة قال فــبعث معــهم أمينًا فلقيــهم نساء بني هاشم حاســرات وفيهن ابنة عــقيل بن أبي طالب تبكي وتقــول ماذا تقولون الأبيات ا هـ وقد تــقدم مثله عن الفصول المهمة أيضًا ولقــائل أن يقول ما المانع من أن هذه قالت وهذه قالت والله أعلم، وفي تاريخ القرماني هم شمر بقتل علي زين العابدين بن الحــسن وهو مريض فخرجت إليــه زينب بنت علي بن أبي طالب كرم الله وجهــه وقالت والله لا يقتل حتى أقــتل فكف عنه انتهى ذكــر الجاحظ في كتابه البــيان والتــبيين عن أبي إســحق عن خــزيمة الأسدي قــال دخلنا الكوفــة سنة إحدى وســتين فصــادفت منصرف علي بن الحــسين بن علي رضوان الله علــيهم أجمــعين بالذرية من كربلاء إلى ابن زياد بالكوفة ورأيت نســاء الكوفة يومئذ قيامًا يندبن متــهتكات الجيوب وسمعت علي بن الحسين رضي الله عنهما وهو يقــول بصوت ضئيل قد نحل من شدة المرض يا أهل الكوفة إنكم تبكون علينا فمن قــتلنا غيركم ورأيت زينب بنت علي كرم الله وجهه ورضي عنهــا فلم أر والله خفرة أنطق منها كأنما تنزع عن لســان أمير المؤمنين فأومــأمت إلى الناس أن اسكتوا فسكتت الأنفــاس وهدأت الأجراس فقالت الحــمد لله رب العالمين والصلاة والســلام على سيد المرسلين أما بعد يــا أهل الكوفة يا أهل الختل والخذل أتبكون فلا سكنت العــبرة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم مثل التي نقــضت غزلها من بعد قــوة أنكاثًا تتخــذون أيمانكم دخلا بينكم ألا وإن فــيكم الصلف والصنف وداء الصدر الشنف وملق الأمة وحجز الأعداء كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ألا ساء ما تزرون إي والله فــابكوا كثيرًا واضــحكوا قليلا فقد ذهبــتم بعارها وشنارها فلن ترحضــوها بغسل أبدًا وإنما ترحــضون قــتل سليل خاتم النبــوة ومعدن الرســالة ومنار محــجتكــم وسيد شــباب أهــل الجنة، ويلكم يا أهل الكوفة ألا ســاء ما ســولت لكم

أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون أتدرون أي كبد لرسول الله ﷺ فريتم وأي دم له سفكتم وأي كريمة له أبرزتم لقد جئتم شيئًا إذًا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدًا ولقد أتيتم بها خرقاء شوهاء طلاع الأرض أفعجبتم إن أمطرت السماء دمًا فلعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فلا يحقره البدار ولا يخاف عليه فوات الثار كلا إن ربي وربكم لبالمرصاد ثم سارت فرأيت الناس حيارى واضعي أيديهم على أفواههم ورأيت شيخًا قد دنا منها يبكي حتى اخضلت لحيته ثم قال بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونسلكم لا يبور ولا يخزى أبدًا انتهى. وفي الخطط لما مرت زينب بالحسين ووجدته صريعًا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الأعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق رضي الله عنها.

(تنبيه) أول من أنشأ قناطر السباع الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري ونصب عليها سباعًا من الحجارة فإن رنكه على شكل سبع ولذلك سميت قناطر السباع وكانت مرتفعة فلما أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطاني كان يتردد إليه كثيرًا ويمر عليها ويتضرر من ارتفاعها ويقال إنه أشاع هذا والقصد إنما هو كراهته لنظر أثر أحد من الملوك قبله وبغضه أن يذكر أحد غيره بشيء يعرف به فأحب أن يزيلها لتبقى القنطرة منسوبة له ومعروفة كما كان يفعل من محو آثار من تقدمه وتخليد ذكره فاستدعى الأمير علاء الدين والي مصر وأمره بهدمها وعمارتها أوسع مما كانت عليه بعشرة أذرع وأقصر من ارتفاعها الأول ففعل كما أمره وذلك في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ولم يضع سباع الحجر عليها فتحدث الناس بأن السلطان أزالها لكونها رنك سلطان غيره فامتعض لذلك وأمر علاء الدين بوضعها كما كانت عليه وهي باقية هناك إلى الآن إلا أن الشيخ محمدًا المعروف بصائم الدهر شوه صورها كما فعل بوجه أبي الهول ظنًا منه أن هذا الفعل من جملة القربات ا هـ خطط. قال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري المقري في كتابه مشارق الأنوار قد حصل لي في سنة سبعين ومائة بعد الألف كرب شديد من كروب الزمان فتوجهت إلى مقام السيدة زينب

المذكورة وأنشدتها هذه القصيدة فانجلى عني الكرب ببركتها وهي:

آل طه لكم علينا الولاء   لا سواكم بما لكم آلاء
مدحكم في الكتاب جاء مبينًا   أنبأت عنه ملة سمحاء
حبكم واجب على كل شخص   حدثتنا بضمنه الأنباء
إنني لست أستطيع امتداحًا   لعلاكم وأنتم البلغاء
كيف مدحي يفي بعلياء من قد   عجزت عن بلوغه الفصحاء
مدحكم إنما يريد بليغ   وقفت عند حده الشعراء
شرفت مصرنا بكم آل طه   فهنيئًا لنا وحق الهناء
منكم بضعة الإمام علي   سيف دين لمن به الاهتداء
خيرة الله أفضل الرسل طرًا   من له في يوم المعاد اللواء
زينب فضلها علينا عميم   وحماها من السقام شفاء
كعبة القاصدين كنز أمان   وهي فينا اليتيمة العصماء
وهي بدر بلا خسوف وشمس   دون كسف والبضعة الزهراء
وهي ذخري وملجئي وأماني   ورجائي ونعم ذاك الرجاء
قد أنخت الخطوب عند حماها   فعسى تنجلي بها الضراء
ليس إلاك وصلتي لنبي   خمدت عند نصره الأعداء
من كراماتها الشموس أضاءت   أين منها السها وأين السماء
من أتاها وصدره ضاق ذرعًا   من عسير أو ضاق عنه الفضاء
حلت الخطب مسرعًا وجلته   فانجلى عنه عسره والعناء
لا يضاهي آل النبي وصيف   لا يوفي كمالهم أدباء
شرفت منهم النفوس وساروا   حيثما أشرفوا فهم شرفاء
وعليهم جلالة وفخار   ووقار وهيبة وضياء
نوروا الكون بعد كان ظالمًا   إذ أضاءت ذماراهم الغراء
كل مدح مقصر بعلاهم   كل فرض من هديهم لآلاء

لهم الفضل من ألست فأنى   من سواهم يكون فيه استواء
إن هل يستوي الذين دليل   ولتطهيرهم بذاك اقتفاء
إن لي يا كرام حق جواري   فاحفظوه فإنكم أمناء
عن أبيكم روى الثقات حديثًا   حدثتنا بضمنه الأنباء
إن بالجار لم يزل يوصي جبرا   ئيل معناه وليس فيه خفاء
لست أخشى الضياع والحب عندي   طب قلبي ومقلتي وجلاء
بيتكم مهبط لجبريل وحيا   فيه تغدو الملائكة الكرماء
من أتى حيكم وكان أسيرًا   لدواعيه زال عنه الشقاء
يا كرام الورى أغيثوا نزيلا   أجحفته الخطوب والأدباء
قسمًا إن وصفكم في الثريا   أيدتكم نجومها والسماء
فتوسل بهم لكل صعيب   حيث جاء ابتغوا فهم شفعاء
وصلاة على النبي وآل   وكذلك الصحابة الأتقياء
ما جمام بروضة قد تغنى   أو على الدوح تسجع الورقاء
أو عبيد الرحمن أنشأ مدحًا   آل طه لكم علينا الولاء

فصل
في ذكر مناقب السيدة فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

(أمها) أم إسحاق التيمية بنت طلحة بن عبيد الله كذا قاله الخطيب البغدادي ومثله في الفصول المهمة (وتزوج) فاطمة بنت الحسن رضي الله عنهما ابن عمها حسن المثنى بن الحسن السبط عمها فولدت له عبد الله يلقب بالمحض وإنما سمي بالمحض لمكانه من الحسين وكان يشبه رسول الله ﷺ وكان شيخ بني هاشم قيل له لم صرتم أفضل الناس؟ فقال لأن الناس كلهم يتمنون أن يكونوا منا ولا نتمنى أن نكون من أحد وكان قويّ النفس شجاعًا ورعًا قال من الشعر شيئًا ومنه:

بيض حرائر ما هممن بريبة ... كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام زوانيا ... ويصدهن عن الخنا الإسلام

وكان عبد الله يلي صدقات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد أبيه الحسن ونازعه في ذلك زيد بن علي بن الحسين ولهما في ذلك حكايات مشهورة في كتب التواريخ ومات عبد الله المحض في حبس أبي جعفر الدوانيقي مخنوقًا وولدت له أيضًا فاطمة بنت الحسين صاحبة الترجمة للحسن المثنى إبراهيم القمر والحسن المثلث وكل منهم له عقب اهـ من بحر الأنساب. وفي بغية الطالب ومات المحض هو وإخوته في سجن المنصور العباسي وكان موته سنة خمس وأربعين ومائة قال وسمي بالمحض لأنه أول من جمع بين ولادة الحسن والحسين من الحسنية وأول من جمعها من الحسينية محمد الباقر اهـ ثم مات عنها الحسن فتزوجها عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنهم. وفي الأغاني خطب الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم إلى عمه الحسين فقال له الحسين يا ابن أخي قد كنت أنتظر هذا منك انطلق

معي فخرج به حتى أدخله منزله فـخيره في ابنتيه فاطمة وسكينة فاختـار فاطمة فزوّجه إياها قال عبد الله بن موسى في خبره إن الحسين خيره فاستحيا فقال له قد اخترت لك فاطمة بنتي فهي أكـثر شبهًا بأمي فاطمة بنت رسـول الله ﷺ ا هـ .ومثله في الفصول المهمة وتاريخ الخطيب البغدادي من رواية الزبير بن بكار وروى عنها الإمام أحمد وابن ماجـة عن أبيهـا الحسين رضي الله عنه عن النبي ﷺ حـديث: «ما من مـسلم يصاب بمصيبة فـيذكرها وإن قدم مشهـدها فيحدث لها الاسترجـاع إلا كتب الله له من الأجر مثل يوم أصيب». وفي درر الأصـداف ولما حضرت الحسن زوجها الوفـاة قال لفاطمة إنك امرأة مرغوب فيك وكأني بعبد الله بن عـمرو بن عثمان إذ خرج لجنازتي قد خرج على فرس مرجلا جـمته لابسًا حلته يسير في جانب الناس فيـتعرض لك فانكحي من شئت سواه فإني لا أدع من الدنيا ورائي همـا غيرك فقالت له آمن من ذلك وحلفت له بالعتق والصدقة أنهـا لا تتزوجه ثم مات الحسن وخرج عـبد الله بن عمرو لجنازته في الحالة التي وصـفه بها الحـسن وكان يقال لعـبد الله بن عمرو المطـرف لحسنة فنظر إلى فاطمة حـاسرة تضرب وجهـها فأرسل يقول لهـا إن لنا في وجهك حاجة فـارفقي به فاستحـيت وعرف ذلك منها وخمرت وجهـها فلما حلت أرسل إليها يخطبـها فقالت كيف بأيماني التي حلفت له بها فأرسل إليها يقول لها لك بكل مملوك مملوكان وعن كل شيء شيئان فعـوضها عن يمينها فنكحته وولدت له محمـدًا والقاسم وكان عبد الله بن الحسن المثنى ولدها يقول مـا أبغضت بغضي عبد الله بن عمـرو أحدًا ولا أحببت حب ابنه محمـد أحدًا ا هـ. وفي الفصول المهـمة ولما مات الحسن المثنى بـن الحسن ضربت زوجته فاطمـة بنت الحسين على قبره فسطاطًا وكانت تقوم الـليل وتصوم النهار وكانت تشبه بالحـور العين لجمالها فلما كـان رأس السنة قالت لمواليها إذا أظلم الليل فـقوضوا هذا الفسطـاط فلما أظلم الليل وقـوضوه سمـعت قائلا يقول: هـل وجدوا ما فـقدوا فأجابه آخر بل يئسوا فانقلبوا انتهى، وكانت فاطمة رضي الله عنها كريمة. ففي الفصول المهمة أيضًا أن يزيد لما جـهزهم إلى المدينة بعد قتل أبيـها الحسين رضي الله عنه أرسل معهم رجلا أمينًا من أهل الشام في خيل سيـرها صحبتهم إلى أن دخلوا المدينة فقالت

فاطمة بنت الحسين لأختها سكينة قد أحسن هذا الرجل إلينا فهل لك أن تصليه بشيء فقالت والله ما معنا ما نصله به إلا ما كان من هذه الحلي قالت فافعلي فأخرجت له سوارين ودملجين وبعثتا بهما إليه فردهما وقال لو كان الذي صنعته رغبة في الدنيا لكان في هذا مقنع بزيادة كثيرة ولكني والله ما فعلته إلا لله ولقرابتكم من رسول الله ﷺ وكانت فاطمة أكبر سنًا من سكينة ا هـ. قال القطب الشعراني في كتابه الأنوار عن شيخه الخواص إن السيدة فاطمة النبوية بنت الإمام السبط مدفونة بالدرب الأحمر ا هـ. وقال الشيخ عبد الرحمن الأجهوري الكبير السيدة فاطمة النبوية بنت الحسين السبط مدفونة خلف الدرب الأحمر في زقاق يعرف بزقاق فاطمة النبوية في مسجد جليل ومقامها عظيم وعليه من المهابة والجلال والوقار ما يسر قلوب الناظرين ولنا فيها أرجوزة عظيمة ولنا بها زيارات، وما اشتهر من أن فاطمة النبوية بدرب سعادة غير صحيح وعلى تقدير صحته يحتمل أن يكون معبدها ويحتمل أن تكون فاطمة أخرى من بيت النبوة ا هـ. وهو موافق لما قالوه من أن أولاد الحسين رضي الله عنه الإناث ثلاث سكينة وزينب وفاطمة واحدة ثم رأيت في درر الأصداف ما هو صريح في أن للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى؛ وعبارته وبالإسناد عنهم لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنه جاء غراب فتمرغ في دمه وطار حتى وقع بالمدينة على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهما وهي الصغرى فرفعت رأسها ونظرت إليه وبكت بكاء شديدًا وأنشأت تقول:

نعق الغراب فقلت من	تنعيه ويحك يا غراب
قال الإمام فقلت من	قال الموفق للصواب
قلت الحسين فقال لي	بمقال محزون أجاب
إن الحسين بكربلا	بين الأسنة والظراب
أبكي الحسين بعبرة	ترضي الإله مع الثواب
ثم استقل به الجنا	ح فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي	بعد الرضى المستجاب

فنعته لأهل المدينة فما كان بأسرع من أن جاءهم خبر قتل الحسين رضي الله عنه انتهى هذا وقد مر آنفًا أن فاطمة كانت مع أبيها بكربلاء وأنها كانت أكبر سنًا من سكينة. لا يقال إذا كان للحسين فاطمة صغرى وفاطمة كبرى على هذا فما المانع من أن فاطمة التي بدرب سعادة إحداهما لأنا نقول هذا مما يحتاج إلى نقل والشيخ الأجهوري حجة نفعنا الله ببركاته وأمدنا من إمداداته.

(تنبيه) من أهل البيت يقرب مزار الشيخ الحموي بدرب سعادة السيدة صفية بنت إسمعيل بن محمد بن إسمعيل بن قاسم بن إبراهيم بن إسمعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم توفيت صفية ليلة الخميس تاسع المحرم سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة من الهجرة النبوية كذا نقلته من خط بعض الفضلاء وعزاه لكتاب الأنساب للشيخ منصور بن عبد الحق الأهريتي الفيومي اهـ. وفي رحلة ابن بطوطة بعد الكلام على عزة ما نصه وبالقرب من هذا المسجد مغرة فيها قبر فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنه وبأعلى القبر وأسفله لوحان من الرخام في أحدهما مكتوب منقوش بخط بديع بسم الله الرحمن الرحيم لله العزة والبقاء وله ما ذرأ وبرأ وعلى خلقه كتب الفناء وفي رسول الله أسوة هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين رضي الله عنه وفي اللوح الآخر منقوش صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الأبيات:

أسكنت من كان في الأحشاء مسكنه ... بالرغم مني بين الترب والحجر
يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة ... بنت الأئمة بنت الأنجم الزهر
يا قبر ما فيك من دين ومن ورع ... ومن عفاف ومن صون ومن خفر

ا هـ ما أورده الشيخ الصالح؛ ومن كلام فاطمة رضي الله عنها: والله ما نال أحد من أهل السفه بسفههم شيئًا ولا أدركوا من لذاتهم شيئًا إلا وقد ناله أهل المروءات فاستتروا بجميل ستر الله، توفيت رضي الله عنها سنة عشر ومائة كذا في كتب التاريخ.

فصل

في ذكر مناقب السيدة عائشة بنت جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم

فأخوها موسى الكاظم ولم أعثر على أمها نعم إن كانت شقيقته فأمها حينئذ حميدة بضم الحاء وفتح الميم كما ضبطه بعضهم البربرية قال الشعراني في المتن في الباب العاشر أخبرني سيدي علي الخواص أن السيدة عائشة ابنة جعفر الصادق رضي الله عنهما في المسجد الذي له المنارة القصيرة على يسارك وأنت تريد الخروج من الرميلة إلى باب القرافة ا هـ لكن قد تقدم في ترجمة جعفر الصادق عند الكلام على أولاده عن الفصول المهمة أن بنت جعفر الصادق اسمها فروة وهو محل نظر. قلت على فرض أن جعفر الصادق رضي الله عنه لم يرزق من الإناث إلا فروة هذه يحتمل أن يكون هذا الاسم لقبًا لعائشة أو كنية وسقط من الكاتب لفظ أم ويرشحه أن جدتها أم أبيها جعفر تدعى أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه والله أعلم بحقيقة الحال والظن لا يغني من الحق شيئًا. قال الشعراني في طبقاته في فصل ذكر جماعة من عباد النساء قال ومنهن السيدة عائشة بنت جعفر الصادق رحمها الله وهي المدفونة بباب قرافة مصر رضي الله عنها كانت تقول وعزتك وجلالك لئن أدخلتني النار لآخذن توحيدي بيدي وأدور به على أهل النار وأقول لهم وحدته فعذبني توفيت سنة خمس وأربعين ومائة رضي الله عنها ا هـ ومثله في طبقات المناوي.

فصل

فى ذكر مناقب السيدة نفيسة بنت سيدى حسن الأنور ابن السيد زيد الأبلج ابن حسن السبط ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم

أمها أم ولد تزوج بنفيسة إسحاق بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهم وكان يدعى بإسحاق المؤتمن وكان من أهل الصلاح والخير والفضل والدين وروى عنه الحديث وكان ابن كاسب إذا حدث عنه يقول حدثنى الثقة الرضى إسحاق بن جعفر وكان له عقب بمصر من غير السيدة نفيسة وولدت السيدة نفيسة منه ولدين القاسم وأم كلثوم ولم يعقبا وكان مولد السيدة نفيسة بمكة المشرفة سنة خمس وأربعين ومائة ونشأت بالمدينة فى العبادة والزهادة تصوم النهار وتقوم الليل وكانت لا تفارق حرم النبى ﷺ وحجت ثلاثين حجة أكثرها ماشية وكانت تبكى بكاء كثيرًا وتتعلق بأستار الكعبة وتقول إلهى وسيدى ومولاى متعنى وفرحنى برضاك عنى فلا سبب لى أتسبب به بحجبك عنى. قالت زينب بنت يحيى المتوج وهو أخو السيدة نفيسة رضى الله عنهم خدمت عمتى نفيسة أربعين سنة فما رأيتها نامت بليل ولا أفطرت بنهار فقلت أما ترفقين بنفسك؟ قالت كيف أرفق بنفسى وقدامى عقبات لا يقطعهن إلا الفائزون قال القضاعى قيل لزينب بنت أخى السيدة نفيسة رضى الله عنهم ما كان قوت السيدة نفيسة قالت كانت تأكل في كل ثلاثة أيام أكلة وكانت لها سلة معلقة أمام مصلاها فكانت كلما اشتهت شيئًا وجدته فى السلة وكنت أجد عندها ما لا يخطر بخاطرى ولا أعلم من يأتى به فتعجبت من ذلك فقالت لى يا زينب من استقام مع الله تعالى كان الكون بيده وفى طاعته وكانت لا تأكل لغير زوجها شيئًا. وعن زينب أيضًا قالت كانت عمتى نفيسة تحفظ القرآن

وتفسيـره كانت تقرأ القرآن وتبكى وتقول إلهى وسيـدى يسر لى زيارة خليلك إبراهيم عليه السلام فحجت هى وزوجها إسحاق المؤتمن بن جعفر الصادق ثم زارت قبر خليل الرحمن عليه السـلام ثم رجعت إلى مصر وسكنت بالمنصـوصة فى دار أم هانئ وكان بجوراهم يهودى له ابنة مـقعدة لا تستطيع القيـام فقالت لها أمهـا يومًا إنى ذاهبة إلى الحمام ولا أدرى ما نصنع بك فهل لك أن نحملك معنا فقالت لا أستطيع ذلك قالت هل تقـيمين فى البـيت وحدك حـتى نعود قـالت لا يا أماه ولكن اجـعلينى عند هذه الشريفة التى بجـوارنا حتى تعودى فدخلت أمهـا إلى السيدة نفيسة وسـألتها فى ذلك فأذنت لها فـجاءت بابنتها إليـها فوضعتـها فى جانب من البيت ومـضت فجاء وقت صلاة الظهر فأحضرت السيدة نفيـسة ماء توضأت به فجرى من مائها شىء إلى جانب الصبية المقـعدة فجعلت تمر به على أعضـائها فتمددت بإذن الله تعالى فـما جاء أهلها خرجت إليهم تمشى فسألوها عن شأنها فأخبرتهم فأسلموا اهـ من درر الأصداف لكن الذى فى الخطط للمقريزى أنها توضأت وصبت من فضل وضوئها وهذه كرامة عظيمة منها رضى الله عنها وسيأتى ذكر كرامات لها أخر إن شاء الله تعالى وكان قدوم السيدة نفـيســة إلى مصـر سنة ثلاث وتسعين ومـائة على خـلاف فى ذلك، وفى تاريخ ابن خلكان دخلت مصر مع زوجها إسحاق بن جعفر الصادق رضى الله عنه وقيل دخلت مع أبيها الحسن وإن قبـره بمصر لكنه غير مشهور ا هـ قلت هو مـشهور الآن بل وقبر والده السيد زيد الأبلج رضى الله عنه كما سيـأتى ذلك فى ترجمة السيد حسن الأنور ولما سمع أهل مـصر بقـدومها وكـان لها ذكر شـائع عندهم تلقتـها النسـاء والرجال بالهوادج من العريش ولم يـزالوا معها إلى أن دخلت مصـر فأنزلها عنده كبيـر التجار بمصر جمال الدين عبدالله بن الجصاص بالجيم وقيل بالحاء والأول أصح وكان من أهل الصلاح والبر فنزلت عنده فى داره وأقامت بها مدة شهور والناس يأتون إليها أجمعون من سائر الآفاق يتبركون بزيارتها كذا فى المآثر النفيسة لكن قد تقدم عن درر الأصداف أنها نزلـت وبعلها بالمنصـوصة ولا منافاة لاحـتمـال أنها نزلت أولا عند عـبدالله بن

الجصاص وثانيًا بالمنصوصة والله أعلم قال المناوى قدمت السيدة نفيسة مصر وبها بنت عمها سكينة المدفونة بقرب دار الخلافة بمصر ولهـا الشهرة التامة فخلعت عليها الشهرة فصـار لنفيسـة القبول التـام بين الخاص والعام ا هـ وفى مـشارق الأنوار للشيخ عـبد الرحمن الأجـهورى ما نصه قال الشـعرانى لما دخلت السيـدة نفيسة مصـر كانت ابنة عمـها السيدة سكيـنة المدفونة قريبًا من دار الخـلافة مقـيمة بمصر قـبلها ولها الشـهرة العظيمة فـخلعت الشهرة والنذور عليها واختـفت رضى الله عنها اهـ وفى النفس منه شىء لأن قوله مقيـمة بمصر صريح فى أنهما كانتا فى عـصر واحد وليس كذلك لأن وفاة السيدة سكينة كانت سنة ست وعشرين ومـائة وقيل سنة سبع عشر ومائة على ما فى تاريخ ابن خلكان وولادة السيـدة نفيسة كانت سنة خـمس وأربعين ومائة باتفاق. نعم لو حملنا الشهـرة فى عبارة المناوى على شهرة البرزخ كان وجـيهًا، نقل صاحب المآثر النفيسة ما نصـه قال الحسن بن زولاق ولما شاعت هذه الكرامة بين الناس لم يبق أحد إلا قصد زيارة السيدة نفيـسة رضى الله عنها وعظم الأمر وكثر الخلق على بابها فطلبت عند ذلـك الرحيل إلى بـلاد الحجـار عند أهلهـا شق ذلك على أهل مـصـر وسألوها فى الإقامة فأبت فاجتمع أهل مصر ودخلوا على السرى بن الحكم أمير مصر وأخبـروه أنها عـزمت على الرحيل فـاشتـد ذلك عليه وبعث كـتابًا ورسولا يـأمرها بالرجوع عما عزمت عليه فأبت فركب بنفسه وأتى إليها وسألها فى الإقامة فقالت إنى كنت نويت الإقامـة عندكم وإنى امرأة ضـعيفـة والناس قد أكـثروا من المجىء عندى وشغـلونى عن أورادى وجمع زادى لمعـادى ومكانى هذا صغـير وضـاق بهذا الجـمع الكثيف فقـال لها السرى أنا سأزيل عنك جـميع ما شكوته وأمهـد لك الأمر على ما ترتضينه أمـا ضيق المكان فإن لى دارًا واسعـة بدرب السباع وأشهد الله تـعالى أنى قد وهبتهـا لك وأسألك أن تقبليها منى ولا تخـجلينى بالرد على فقالت قد قـبلتها منك ففرح السـرى بقبولها منه فقالت كـيف أصنع بهذه الجموع الوافدين علىّ قـال تتفقى

معهم علـى أن يكون للناس فى كل جمعة يومـان وباقى الجمعة تتـفرغين فيـه لخدمة مولاك اجعلى يوم السبت والأربعاء للناس ففعلت ذلك واستمر الأمر على ذلك ا هـ.

(حكاية) ذكر القرمـانى فى تاريخه وصاحب الغرر والعرر وصـاحب المستطرف أيضًا أنه لما ظلم أحمد بن طولون استـغاث الناس من ظلمه وتوجهوا إلى السيـدة نفيسة يشكونه إليها فقالت لهم متى يركب قالوا فى غد فكتبت رقعة ووقفت بها فى طريقه وقالت يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عـرفها فنزل عن فرسـه وأخذ منها الرقعـة وقرأها فإذا فيـها ملكتم فأسرتم وقدرتم فـقهرتم وخلوتم فعسفتم وردت إليكم الأرزاق فـقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لا سيما من قـلوب أوجعتموها وأكباد جوّعتموها وأجساد عريتموها فـمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالـم اعملوا ما شئتم فـإنا صابرون وجوروا فإنا بالله مستجيرون واظلموا فإنا إلى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون قال فعدل لوقته اهـ. قلت نسـبة هذه المقالة إلى السيدة نفيسة صاحبـة الترجمة مردودة بوجهين أحدهما نقلى وثانيهما ذوقى أما النقلى فـهو أن ظهور الدولة الطولونية التى أولها أحمد بن طولون كان فى سنة أربع وخمسين ومائتين كما فى تاريخ الإسحاقى أو سنة خمسين ومائتين على ما فى تاريخ القرمانى ووفـاة السيدة نفيسة كانت فى رمضـان سنة ثمان ومائتين باتفاق يعلم ذلك بمراجعة كتب التـواريخ وأما الذوقى فهو أن السيدة نفيـسة رضى الله عنها ليست من أوباش الناس حتى يتـوهم غبى غافل فضـلا عن فطن عاقل أنها تذهب إلى أحـمد بن طولون وتقف بالطريق تنتظره نعم لا مانع من صدور ذلك من نفيسة أخرى والله أعلم.

(تنبيه) أجمع أهل السير والتاريخ على وفاة السيدة نفيسة بمصر القاهرة بخلاف غيرها حتى إن بعضهم يسـميها بنفيسة المصرية قـال ابن الملقن ولما دخل الإمام الشافعى رضى الله عنه مصر كان يتردد إليها وكان يصلى بها التراويح فى مسجدها فى رمضان وكان يأتى إليها ويسألها الدعاء وسماع الشافعى الحديث منهـا هو الصحيح خلافًا لمن قال إنه قرأ عليها وهو صاحب التحفـة الأنسية اهـ. من المآثر النفيسة، هذا ولقائل أن يقـول ما المانع من كونه قرأ

عليها وقرأت عليه وفى المآثر أيضًا وكان الشافعى رضى الله عنه إذا مرض يرسل إليها إنسانًا من أصحابه كالربيع الجيزى أو الربيع المرادى فيسلم المرسل إليها ويقول لها إن ابن عمك الشافعى مريض ويسألك الدعاء فتدعو له فلا يرجع له القاصد إلا وقد عوفى من مرضه فلما مرض مرضه الذى مات فيه أرسل لها على جارى عادته يلتمس منها الدعاء فقالت للقاصد متعه الله بالنظر إلى وجهه الكريم فجاء القاصد له فرآه الشافعى فقال له ما قالت لك؟ قال قالت لى كيت وكيت فعلم أنه ميت فأوصى وأوصى أن تصلى عليه فلما توفى سنة أربع ومائتين كما هو المشهور مروا به على بيتها فصلت عليه مأمومة وكان الذى صلى بها إمامًا أبو يعقوب البويطى أحد أصحابه رضى الله عنه وكان مرور جنازة الشافعى على بيتها بأمر السرى أمير مصر لأنها سألته فى ذلك نفاذًا لوصية الشافعى رضى الله عنه لأنها كانت لا تستطيع الخروج إلى جنازته لضعفها من كثرة العبادة قال بعض الصالحين ممن حضر جنازة الشافعى رضى الله عنه سمعت بعد انقضاء الصلاتين أن الله تعالى غفر لكل من صلى على الشافعى بالشافعى وغفر للشافعى بصلاة السيدة نفيسة عليه رضى الله تعالى عنهما ونفعنا ببركتهما.

(كرمات زيادة على ما سبق) الأولى عن سعيد بن الحسن قال توقف النيل فى زمانها فجاء الناس إليها وسألوها الدعاء فأعطتهم قناعها فجاءوا به إلى البحر وطرحوه فيه فما رجعوا حتى وفر البحر وزاد زيادة عظيمة (الثانية) أن امرأة عجوزًا كان لها أربع بنات يتقوتن من غزلهن من ا لجمعة إلى الجمعة وفى آخر الجمعة تأخذ العجوز غزلهن وتمضى به إلى السوق فتبيعه وتشترى بنصف ثمنه كتانًا وبنصفه الآخر ما يتقوتن به من الجمعة إلى الجمعة فأخذته العجوز يومًا ولفته فى خرقة حمراء ومضت به إلى السوق فبينما هى مارة بالطريق والغزل على رأسها قد انقض طائر على رزمة الغزل واختطفها وارتفع فوقعت المرأة مغشيًا عليها فلما أفاقت قالت كيف أصنع بالأيتام وقد أجهدهم الجوع فبكت فاجتمع الناس وسألوها عن شأنهم فأخبرتهم بالقصة فدلوها على السيدة نفيسة رضى الله عنها وقالوا لها

امضى إليها واسأليها الدعاء فإن الله تعالى يزيل ما بك فمضت إلى السيدة نفيسة فأخبرتها بقصتها وما جرى لها وسألتها الدعاء فرحمتها السيدة نفيسة وقالت يا من علا فقدر وملك فقهر اجبر من أمتك هذه ما انكسر فإنهن خلقك وعيالك ثم قالت اقعدى فإنه على كل شىء قدير فقعدت المرأة على الباب وفى قلبها من جوع الأولاد التهاب فما كانت إلا ساعة وإذا بجماعة قد أقبلوا عليها واستأذنوا فى الدخول عليها فاذنت لهم فدخلوا وسلموا عليها فسألتهم عن أمرهم فقالوا إن لنا لأمرًا عجيبًا نحن قوم تجار ولنا مدة ونحن مسافرون فى البحر ونحن بحمد الله سالمون فلما وصلنا إلى قرب بلدكم انفتحت المركب التى نحن فيها ودخل الماء وأشرفنا على الغرق وجعلنا نسد المكان الذى انفتح بجهدنا فلم ينسد فاستغثنا إلى الله تعالى وتوسلنا بك إليه فإذا بطائر ألقى علينا خرقة فيها غزل فوضعناها فى المكان المنفتح فانسد بإذن الله تعالى ببركتك وقد جئنا بخمسمائة درهم فضة شكرًا لله تعالى على السلامة فعند ذلك بكت السيدة نفيسة رضى الله عنها وقالت إلهى ما أرأفك وألطفك بعبادك ثم نادت العجوز فجاءت فقالت لها السيدة بكم تبيعين غزلك كل جمعة فقالت بعشرين درهمًا فقالت أبشرى فإن الله تعالى عوضك عن كل درهم خمسًا وعشرين درهمًا ثم قصت القصة عليها ودفعت لها ذلك فأخذته وأتت بناتها فأخبرتهن بما جرى وكيف رد الله تعالى لفتها ببركة السيدة نفيسة رضى الله عنها. (الثالثة) تزوّج رجل من أهل المغافر بامرأة ذمية فجاء منها بولد فأسر فى بلاد العدوّ فجعلت المرأة تدخل البيع وتسأل عن الأسارى وولدها فقالت لزوجها بلغنا أن بين أظهرنا امرأة يقال لها نفيسة بنت الحسن اذهب إليها لعلها تدعو لولدى فإن جاء آمنت بدينها قال فجاء الرجل إلى السيد نفيسة رضى الله عنها وقص عليها القصة فدعت له أن الله يرده عليه فلما كان الليل إذا الباب يطرق فخرجت المرأة فوجدت ولدها واقفًا بالباب فقالت له يا بنى أخبرنى بأمرك كيف كان فقال يا أماه كنت واقفًا بالباب فى الوقت الفلانى وهو الوقت الذى دعت فيه السيدة نفيسة وأنا فى خدمتى فلم أشعر إلا ويد قد وقعت على القيد وسمعت من يقول أطلقوه فقد شفعت فيه السيدة نفيسة بنت

الحسن فأطلقت من الغل والقيد ثم لم أشعر بنفسى إلا وأنا داخل من رأس محلتنا إلى أن وقفت على الباب ففرحت أمه وشاعت هذه الكرامة وأسلم فى تلك الليلة أهل سبعين داراً ببركتها وأسلمت أمه وصارت من الخدام للسيدة نفيسة رضى الله عنها. ومما اتفق أن بنتًا كانت تلعب مع الصبيان وعلى رأسها قلنسوة عليها بعض دراهم ودنانير فطمع صبى من الصبيان فى البنت فأخذها وذهب بها إلى مقبرة السيدة نفيسة صاحبة الترجمة ونزل بالبنت من القبور وذبحها وأخذ الطاقية ففقد البنت أهلها وأخذوا يفتشون عليها فلم يروا لها أثراً ولا خبراً ثم ألهموا القبض على الصبيان الذين جرت عادة البنت اللعب معهم فقبضوا عليهم ورفعوهم إلى الحاكم فهددهم فأقر الصبى بما فعله مع البنت فأخذوه وذهبوا به إلى المقبرة ونزلوا القبر فوجدوا به البنت ولها حياة مستقرة وقد انقطع خروج الدم من موضع الذبح فخاطوا ذلك الموضع وعاشت البنت وأخبرت أنها لما ذبحها الصبى وانصرف دخلت عليها امرأة حسنة الصورة وقالت لها لا تخافى يا بنتى ومسحت على محل الذبح فانطقع الدم وسقتها فقالت لها من أنت قالت أنا السيدة نفيسة رضى الله عنها أوردها ابن إياس فى حوادث المائة العاشرة. وذكر الشيخ عبدالرحمن الأجهورى فى مشارق الأنوار أن السيدة جوهرة جارية السيدة نفيسة أخذت إبريق السيدة تملؤه فوضعته فجاء ثعبان يتمسح برأسه كأنه يتبرك به. (تتمة: فى الكلام على وفاتها) قال القضاعى إن السيدة انتقلت من المنزل الذى نزلت به إلى دار أبى جعفر خالد بن هرون السلمى وهى التى وهبها لها أمير مصر السرى ابن الحكم فى خلافة المأمون فأقامت بها حينًا إلى زمن وفاتها وحفرت قبرها بيدها فى بيتها وكانت تصلى فيه كثيراً وقرأت فيه مائة وتسعين ختمة وفى رواية عنه ألفى ختمة وقيل ألفًا وتسعمائة قالت زينب بنت أخيها تأملت عمتى فى أول يوم من رجب وكتبت إلى زوجها إسحاق المؤتمن كتابًا وكان غائبًا بالمدينة تأمره بالمجىء إليها ولا زالت كذلك إلى أول جمعة من شهر رمضان فزاد بها الألم وهى صائمة فدخل عليها الأطباء الحذاق وأشاروا عليها بالإفطار لحفظ القوة لما رأوا من الضعف الذى أصابها فقالت واعجباه لى ثلاثون سنة أسأل الله عز وجل أن يتوفانى وأنا صائمة فأفطر معاذ الله ثم أنشدت تقول:

اصرفوا عنى طبيبى ودعونى وحبيبى

زاد بى شــوقى إليــــــه	وغرامـــــى فى لهيــبى
طـاب هتكـــى فى هـــواه	بيـــن واش ورقيــــب
لا أبـــالـــى بـفـــوت	حـــين قــد صار نصيبى
ليـــس من لام يعــــذل	عنــه فـيــه بمصيـــب
جســــدى راض بسقـمـى	وجفــونـــى بنحـيـبى

قال صاحب المآثر النفيسـة ومن الناس من يرى أن هذه الأبيات لمحمد بن إبراهيم بن ثابت الكيزانى الشيعى قالت زينب ثم إنها بقيت كذلك إلى العشر الأواسط من شهر رمضان فاحتضرت واستفتحت بقـراءة سورة الأنعام فما زالت تقرأ إلى أن وصلت إلى قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾(1) ففاضت روحها الكريمة. وفى درر الأصداف عنها فمـا وصـلت إلى قـوله تعـالى: ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(2) . غشى عليها فـضممتها لصـدرى فتشهدت شهادة الحق وقـبضت رحمة الله عليها ووصل زوجها فى ذلك اليوم فقال انى أحملها إلى المدينة وأدفنها بالبقيع فاجتمع أهل مصر إلى أميـر البلد واستجاروا به إلى إسحاق ليرده عـما أراد فأبى فجمعوا له مـالا كثيراً وسق بعيـره الذى أتى عليه وسألوه أن يدفـنها عندهم فأبى فـباتوا فى مشـقة عظيمـة فلما أصبحوا اجتمـعوا عليه فوجدوا منه غير ما عهـدوه بالأمس فقالوا له إن لك لشأنا قال نعم رأيت رسول الله ﷺ وهو يقول لى رد عليهم أمـوالهم وادفنها عندهم وذلك فى سنة ثمان ومائتين بعد وفاة الإمام الشـافعى رضى الله عنه بأربع سنين ودفنت بمزار بدرب السباع وكان يوم دفنها يومًا مشهودًا وأتوها من البلاد والنواحى يصلون عليها بعد دفنها وأوقدت الشموع تلك الليلة وسمع البكاء من كل دار بمصر وعظم الأسف عليها قال القضاعى أقامت السيدة نفيـسة بمصر سـبع سنين وحفـرت قبرها بيـدها فى البيت الذى كانـت قاطنه فيـه اهـ قال الدميرى السيدة نفيسة رضى الله عنها كانت أميـة لا تقرأ شيئًا إلا أنها سمعت الحديث كثيراً وكانت من أهل الخير والصلاح وكانت فى آخر عـمرها إذا عجزت عن الصلاة قائمة صلت قاعـدة وكانت من كـثرة الصيـام والقيـام ضعف قواهـا. وزار قبرها جـماعـة من الأولياء

(1) سورة الأنعام ١٢. (2) سورة الأنعام ١٢٧.

والصلحاء كالأستاذ الكبير أبى الفيض تومان ذى النون المصرى ابن إبراهيم الإخميمى أحد رجال الطريقة المعتبرين وأبى الحسن الدينورى وأبى على الروذبارى وأبى بكر أحمد بن نصر الدقاق وبنان بن أحمد بن محمد بن سعيد الحمال الواسطى وشقران بن عبدالله المغربى وإدريس بن يحيى الخولانى والفضل بن فضالة والقاضى بكار بن قتيبة وإسماعيل المزنى صاحب الإمام الشافعى وعبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع المصرى وولده الإمام محمد صاحب تاريخ مصر وعبدالرحمن بن الحكم والإمام أبو يعقوب البويطى والربيع بن سليمان المرادى ممن لا يحصى عددهم إلا الله. وينبغى زيادة على ما تقدم فى أول الباب للزائر إذا دخل ضريحها بل وضريح كل من كان من أهل البيت خلافًا لمن خصه بالسيدة نفيسة أن يقول ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[1] رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد اللهم إنك قد نادبتنى لأمر قد فهمته وقلته وسمعته وأطعته واعتقدته وجعلته أجرًا لنبيك محمد ﷺ إذ هديتنا به إليك ودللتنا به عليك وكان كما قلت وكان بالمؤمنين رحيمًا حبيبًا إليه ما هديتنا عزيزًا عليه عنتنا وتلك الفريضة التى سألتها له وهى المودة فى القربى اللهم إنى مؤديها مريدًا بها النفع فى دينى ودنياى متوسلا بها إليك يوم انقطاع الأسباب اللهم زدهم شرفًا وتعظيمًا وهب لى بزيارتهم ثوابًا ومغفرة وأجرًا عظيمًا السلام عليكم يا بنى المصطفى يا بنى فاطمة الزهراء اللهم صلِّ وسلم على سيدنا محمد وعلى أزواج سيدنا محمد وعلى ذرية سيدنا محمد اللهم بلغنى ما أملت وما رجوت وأعد على وعلى المسلمين من بركاتهم يا رب العالمين كذا فى درر الأصداف وفيه زيادات انظرها. قال الموفق بن عثمان وكان بعض السلف يزور السيدة نفيسة ويقول عند ضريحها السلام والتحية والإكرام والرضا من العلى الأعلى الرحمن على السيدة نفيسة سلالة نبى الرحمة وهادى الأمة من أبوها علم العشيرة وهو الإمام حيدرة السلام عليك يا بنت الحسن المسموم أخى الإمام الحسين المظلوم والسلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء بنت خديجة الكبرى رضى الله عنك وعن أبيك وعمك وجدك وحشرنا فى زمرتهم أجمعين. اللهم بحق ما كان بينك وبين جدها محمد ﷺ ليلة المعراج

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

اجعل لنا من همنا الذى نزل بنا باب الفرج واقض حوائجى . وكان بعض السلف يقول أيضًا السلام والتحية والإكرام على أهل البيت النبوية والرسالة والسلام عليك يا بنت الحسن الأنور ابن زيد الأبلج ابن الحسن السبط ابن الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين السلام عليك يا بنت فاطمة الزهراء ويا سلالة خديجة الكبرى أنتم يا أهل البيت غياث لكل قوم فى اليقظة والنوم فلا يحرم من فضلكم إلا محروم ولا يطرد من بابكم إلا مطرود ولا يواليكم إلا مؤمن تقى ولا يعاديكم إلا منافق شقى. اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وأعطنى خير ما رجوت بهم وبلغنى خير ما أملت فيهم واحفظنى بذلك فى دينى ودنياى وآخرتى إنك على كل شىء قدير ثم قال :

يابنى الزهراء والنور الذى ظن موسى أنه نار قبس

لا أوالى قط من عاداكم إنهم آخر سطر فى عبس

وقد مدح بعض الفضلاء السيدة نفيسة بأبيات أحببنا ذكرها فقال :

يامن له فى الكون من حاجة عليك بالسيدة الطاهره

نفيسة والمصطفى جدها أسرارها بين الورى ظاهره

فى الشرق والغرب لها شهرة أنوارها ساطعة باهره

كم من كرامات لها قد بدت وكم مقامات لها فاخره

يا حبذا سيدة شرفت بها أراضى مصر والقاهره

بنفسها قد حفرت قبرها حال حياة يالها حافره

تتلو كتاب الله فى لحدها وهى لمن قد زارها ناظره

حجت ثلاثين على رجلها صائمة عن أكلها قاصره

كانت تصلى وتقوم الدجى دومًا على أقدامها ساهره

عابدة زاهدة جامعة للخير فى الدنيا وفى الآخره

فى كل قطر قد سما ذكرها عالمة فائقة ماهره

يسقى بها الغيث إذا ما القرى قد أجلت من سحبها الماطره

والناس قد عاشوا بها فى صفا عيش بأيام لها زاهره

والشافعى قد كان يأتى لها ... سعيًا إلى دار بها عامره
يرجو بأن تدعو له دعوة ... فيا لها من دعوة وافره
صلت عليه بعد موت وقد ... أوصى بذا فهى له شاكره
سبحان من أعلى لها قدرها ... لأنها بين الورى نادره

وللشيخ أحمد الخامى:

يا صاح إن رمت الحياة الفاخرة ... فاقصد حمى بنت الكرام الطاهره
ذات الكرامات المعظمة التى ... أسرارها بين الخلائق ظاهره
وبها توصل واحتمى بجوارها ... اذكر مصابك تلقها لك ناصره
فهى المنجية الشباب من العدا ... ب مغيثة الملهوف شمس الدائره
كم جاءها ذو فاقة يرجو الغنى ... جبرت بتيسير المعايش خاطره
فاغنم وسل بمقامها تعط المنى ... فعلى الدوام لزائريها حاضره
وادخل وطف واسعَ وسل ... بتأدب ما تشتهيه ونادها يا طاهره
إنى قصدتك مستغيثًا لائذًا ... مستعطفًا أهل القلوب العامره
حاشا وكلا أن يضام نزيلكم ... أو أن يعود بصفقة هى خاسره
يا كعبة الأسرار جئتك لائذًا ... أبغى الندى من وكف كف عاطره
يا أم قاسم الغياث فإننى ... عبد ضعيف الحال يدى قاصره
دنف ومسكين مهين عابر ... مالى معين قط عينى ساهره
يا بنت طه انقذى من لم يجد ... جاهًا سوى ذى المعجزات الظاهره
المصطفى الهادى البشير محمد ... من يرتجى كل الأنام مآثره
صلى عليه الله ما بدر زها ... والآل الصحب النجوم الزاهره
أو ما استغاث الحامى أحمد قائلا ... يا صاح إن رمت الحياة الفاخره

قال المقريزى: قبر السيدة نفيسة أحد المواضع المعروفة بإجابة الدعاء بمصر وذكر بقية المواضع فقال وسجن نبى الله يوسف عليه السلام ومسجد موسى صلوات الله

عليـه وسلامـه وهو الذى بطرا والمخدع على يسـار المصلى فى قبلـة المسجـد الأقدام بالقرافة قال ولم يزل المصريون ممن أصابته مصيـبة أو لحقته فاقة أو جائحة يمضون إلى أحدها فيـدعون الله تعالى فيستجيب لهم قال وقد جـرب ذلك وقد عد من المواضع التى يجاب بها الدعاء جامع ابن طولون كما ذكره عند الكلام عليه وعبارته جامع ابن طولون موضـعه يعرف بجـبل يشكر قال ابن عبـد الظاهر وهو مكان مشهـور بإجابة الدعاء. وقيل إن مـوسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمـات قال ويقال إن أول من بنى على قبر السيدة نفيسة عبـيد الله بن السرى بن الحكم أمير مصر. قال مكتوب فى اللوح الرخام الذى على باب ضريحها وهو الذى كان مصفحًا بالحديد بعد البسملة ما نصه نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد بن أبى تميم الإمام المنتصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه المكرمين أمـر بعمارة هذا الباب السيد الأجل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الأنام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين، عضد الله به الدين وأمتع بطول بقائه المؤمنين وأدام قدرته أو على كلمته وشد عضـده بولده الأجل الأفضـل سيف الأنام جلال الإسـلام شرف الأنام ناصر الدين خليل أميـر المؤمنين زاد الله فى علائه وأمـتع أميـر المؤمنين بطول بقائه فى شـهر ربيع الآخر سنة اثنتى وثمـانين وأربعمائة والقبـة التى على الضريح جددها الخليـفة الحافظ لدين الله فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وأمـر بعمل الرخام الذى بالمحراب كذا فى الخطط، وتوفى السرىّ ابن الحكم سنة أربع ومائتين وهى السنة التى مات فيها الشافعى رضى الله عنه وكان الخليفة إذ ذاك المأمون.

فصل

فى ذكر مناقب السيد حسن الأنور والد السيدة نفيسة وأخيه السيد محمد الأنور والدهما السيد زيد الأبلج ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين

قال صاحب كتاب مرشد الزوار إلى قبور الأبرار قدم الحسن بن زيد بن الحسن ابن على بن أبى طالب مصر ومعه ابنته نفيسة وكان إماماً عظيمًا عالمًا من كبار أهل البيت معدود من التابعين ولى المدينة من قبل عبدالله بن أبى جعفر المنصور بن أبى عامر العباسى الخليفة وكان مجاب الدعوة وكان يسمى شيخ الشيوخ ومدح بقصائد كثيرة لكرمه وحلمه وهو ممن انتهت إليه الرياسة فى زمنه من بنى الحسن ولما ولى الحسن والد السيدة نفيسة رضى الله عنهما المدينة كان بها رجل فقير يقال له أبى ذئب فقربه الحسن وأحسن إليه وكثر مال الرجل ورأسه وقربه إلى المنصور فلما عظم عند المنصور شرع يتكلم فى حق الحسن وينم عليه حتى إنه قال للمنصور إنه يريد الخلافة فأحضره المنصور وسلب نعمته ثم بعد قليل ظهر للمنصور كذب القائل فرد على الحسن أمواله وأنعم عليه إنعامًا بليغًا وأرسله إلى المدينة على عادة فلما قدم المدينة أرسل إلى ابن أبى ذئب هدية عظيمة وأمده بمال جزيل ولم يعاتبه. وفى الخطط أمه أم ولد توفى أبوه زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب وهو غلام وترك عليه دينًا أربعة آلاف دينار فحلف السيد حسن ألا يظل رأسه سقف مسجد رسول الله ﷺ أو بيت رجل يكلمه فى حاجة حتى يقضى دين أبيه فوفاه. ومن كرمه رضى الله عنه أنه أتى بشاب شارب متأدب وهو عامل على المدينة فقال يا ابن رسول الله لا أعود وقد قال رسول الله ﷺ: «أقيلوا ذوى الهيئات عثراتهم» وأنا ابن أبى أمامة بن سهل بن حنيف

وقد كان أبـى مع أبيك كما علمت فقـالت صدقت هل أنت عائد قال لا والله فـأقاله وأمر له بخمسين دينارًا وقال تزوج بها وعد إلـىّ فتاب الشاب فكان الحسن يحسن إليه بعد، وكـان الحسن والد السيـدة نفيسـة مجاب الـدعوة يقال مـرت به امرأة وهو فى الأبطح ومعهـا ولدها فاختطفه عقـاب فسألت الحسن أن يدعـو الله لها برده فرفع يده إلى السماء ودعا ربه فإذا بـالعقاب قد ألقى الصغير من غير أن يـضيره بشىء فأخذته أمه اهـ وللسيد حسن رواية فى سنن النسائى كذا فى حسن المحاضرة. حكى أنه دخل بعض الشعراء على الحسن الأنور ابن زيد الأبلج صاحب الترجمة فأنشده:

الله فــرد وابن زيـــد فـــرد فقال بفيـــك الأثلب ألا قلت

الله فرد وابن زيـــد عبـــد

ونزل عن سريره وألصق خده بالأرض، وخلف السـيد حسن الأنور من الأولاد تسعة ذكـور، هم القاسم ومحمد وعلى وإبـراهيم وزيد وعبيدالله ويحيى وإسـماعيل وإسحاق، ومن الـبنات ثنتين أم كلثوم ونفيسـة، وأمهم أم سلمة واسمـها زينب بنت الحسن عمـه ابن الحسن بن على بن أبى طالب. وأما نفيسـة فأمها أم ولد كـما تقدم وتزوج أم كلثـوم عبدالله بـن برعش النسابة فى كـتابه تحـفة الأشـراف أن الإمام زيدًا الأبلج والد السيد حسن الأنور رضى الله عنه كـان يأخذ بيد ولده الحسن ويدخل إلى قبر النبى ﷺ ويقول يا سـيدى يا رسول الله هذا ولدى الحسن أنا عنه راض ثم يرجع وينصرف فلما كان فى بعض الليـالى نام فرأى المصطفى ﷺ وهو يقول له: يازيد إنى راض عن ولدك الحسن برضاك عنه والحق سبحانه وتعالى راض عنه برضاى فلما أنشأ الحسن وجاء بالسيدة نفيسة إلى المدينة كان يأخذها بيدها ويدخل بها إلى القبرالشريف ويقول يا رسول الله إنى راض عن بنتـى نفيسة ويرجع فمـا زال يفعل حتى رأى النبى ﷺ فى المنام وهو يقول يا حسن أنا راض عن ابنتك نفيسة برضاك عنها والحق سبحانه

وتعالى راض عنها برضاى عنها قال الشعـرانى فى المنن وأخبرنى يعنى شيخه الخواص رضى الله عنه أن الإمام الحسن والد السيـدة نفيسة فى التربة المشهـورة قريبًا من جامع القراء بين مـجراة القلعة وجامع عـمرو اهـ. قلت وقد وجـد ما يدل على دفن والده السيد زيد الأبلج بهذا المكان أيضًـا وهو أنه وجد حجر عتيق شرقى مـقام والده السيد حسن الأنور بقرب جامع عمرو مجـراة القلعة بقليل مرقوم عليه نسب زيد ومن شك فى ذلك فليـذهب إلى هناك ليعلم ذلـك بالمعاينة والمشـاهدة وقدمنا الكلام عليـه فى تذييل وذكرنا فيـه أيضًا الحسن المثنى أخاه وذلك عند الكلام عـلى أولاد الحسن السبط فى الباب الثانى فارجع إليـه إن شئت. إن قلت لم لم تترجم له ههنا فى هذا الباب؟ قلت لأنى لم أعلم بذلك إلا بعد الفـراغ من الباب الثانى. وأما السيد مـحمد الأنور عم السيدة نفـيسة فقد قال الشـعرانى فى المنن أخبرنى يعنى شيـخه الخوّاص أن الإمام محمداً الأنور عم السيدة نفيسة فى المشهد القريب من عطفة جامع طولون مما يلى دار الخليفـة فى الزاوية التى ينزل إليهـا بدرج انتهى. قلت وهو على يمين الطالب السـيدة سكينة ومكتوب على بابه فى لوح رخام هذا البيت:

مسجـــــد حل فيــه نجـل لزيـــــد ... ذلك الأنــــــور الأجـــــل محمـــد

فصل

فى ذكر مناقب السيد زيد بن السيد على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه

أمه أم ولد. فى الفصول المهمة كان زيد بن على رضى الله عنهما دينًا شجاعًا ناسكًا وكان من أحسن بنى هاشم عبادة وأجلهم سيادة وكان ملوك بنى أمية تكتب إلى صاحب العراق أن امنع أهل الكوفة من حضور مجلس زيد بن على فإن له لسانًا أقطع من ظبة السيف وأحد من شبا الأسنة وأبلغ من السحر والكهانة ومن النفث فى العقد. قال له يومًا هاشم بن عبدالملك بلغنى أنك تروم الخلافة وأنت لا تصلح لها لأنك ابن أمة فقال له زيد قد كان إسمعيل بن إبراهيم ابن أمة وإسحاق بن حرة فأخرج الله من صلب إسمعيل خير ولد آدم فقال له قم فقال إذًا لا ترانى إلا حيث تكره فلما خرج من الدار قال ما أحب أحد الحياة إلا ذل فقال له سالم مولى هشام بالله لا يسمعنّ منك هذا الكلام أحد انتهى. وفى الخطط وكنيته أبو الحسن وتنسب إليه الزيدية إحدى طوائف الشيعة وكان بالمدينة وروى عن أبيه على بن الحسين وعن أبان بن عثمان وعبيد الله بن أبى رافع وعروة بن الزبير وروى عنه محمد بن شهاب الزهيرى وزكريا بن أبى زائدة وخلق. وروى له أبو داود الترمذى والنسائى وابن ماجة وذكره ابن حبان فى الثقات وقال رأى جماعة من الصحابة. قيل لجعفر الصادق بن محمد إن الرافضة يتبرءون من عمك زيد فقال برئ الله ممن تبرأ من عمى. كان والله أقرأنا لكتاب الله وأفقهنا فى دين الله وأوصلنا للرحم والله ما ترك فينا لدنيا ولا لآخرة مثله. قال أبو إسحاق السبيعى رأيت زين بن على فلم أر فى أهله مثله ولا أعلم منه

ولا أفضل منه وكان أفصحهم لسانًا وأكثرهم زهدًا وبيانًا. قال الشعبى والله ما ولدت النساء أفضل من زيد بن على ولا أفقه ولا أشجع ولا أزهد وقال أبو حنيفة شاهدت زيد بن على كما شاهدت أهله فما رأيت فى زمانه أفقه منه ولا أعلم ولا أسرع جوابًا ولا أبين قولا لقد كان منقطع القرين وكان يدعى بحليف القرآن قرأ مرة قوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[1] . فقال إن هذا لوعيد وتهديد من الله ثم قال اللهم لا تجعلنا ممن تولى عنك فاستبدلت به بدلا انتهى. وكان يقال لزيد زيد الأزياد خرج زيد على هشام بن عبد الملك وقد طمحت نفسه للخلافة فحاربه يوسف بن عمر الثقفى أمير العراقين من جهة هشام فانهزم أصحاب زيد عنه بعد أن خذله أكثرهم وكان قد بايعه ناس من أهل الكوفة وطلبوا منه أن يتبرأ من الشيخين أبى بكر وعمر لينصروه فقال كلا بل أتولاهما فقالوا إذن نرفضك فقال اذهبوا فأنتم الرافضة فسموا رافضة فقيل لهم رافضة من حينئذ وجاءت طائفة وقالوا نحن نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فقبلهم وقاتلوا معه فسموا الزيدية كذا فى تاريخ ابن عساكر والعجب ممن يتمذهب بمذهب زيد ويبرأ من الشيخين ويكرههما ويكره من يذكرهما بخير بل ربما سبهما، ثم إن زيدًا أصيب بسهم فى جبهته اليسرى ثبت فى دماغه فأنزلوه فى دار وأتوه بطبيب فانتزع النصل فضج زيد ومات لليلتين من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وكان عمره إذ ذاك اثنتين وأربعين سنة ولما مات اختلف أصحابه فى أمره فقال بعضهم نطرحه فى الماء وقال بعضهم بل نحز رأسه ونلقيه فى القتلى فقال ابنه يحيى والله لا يأكل لحم أبى الكلاب وقال بعضهم ندفنه فى الحفرة التى يؤخذ منها الطين ونجعل عليه الماء ففعلوا وأجروا عليه الماء وكان معهم مولى سندى فدل عليه وقيل رآهم فدل عليه يوسف بن عمر والى العراق لما تفرق أصحاب زيد فأخرجه وقطع رأسه وبعث به إلى هشام بن عبد الملك فدفع لمن وصل به عشرة

---

(١) سورة محمد ٣٨.

آلاف درهم ونصبه على بـاب دمشق ثم أرسله إلى المدينة وسار منها إلى مـصر. وأما جسده فإن يوسف بن عمر صلبه بالكناسة وأقام الحرس عليه فمكث زيد مصلوبًا أكثر من سنتين حتى مات هشام وولى الوليد من بعـده فبعث إلى يوسف بن عمر أن أنزل زيدًا وأحرقه بالنار فأنزله وأحرقـه وذرى رماده فى الريح ولما صلب زيد استرخى بطنه على عورته حتى لا يرى من سوأته شىء خطط. وفى تاريخ أبى القاسم بن عساكر أن العنكبوت نسجت على عورة زيد بن علـى بن الحسين لما صلب عريانًا فى سنة إحدى وعشرين ومائة وأقام مصلوبًا أربع سنين وكانوا وجهـوه لغير القبلة فدارت خشبته إلى القبلة ثم أحرقوا خشبته وجسده اهـ. قال عـبدالله بن حسين بن على بن الحسين بن على سمعت أبى يقول اللهم إن هشامًا رضى بصلب زيد فاسلبه ملكه وإن يوسف بن عمر أحـرق زيدًا اللهم فسلط عليه من لا يرحـمه اللهم وأحرق هشامًـا فى حياته إن شئت وإلا فأحرقه بعد موته قال فرأيت والله هشـامًا محرقًا لما أخذ بنو العباس دمشق ورأيت يوسف بن عمر بدمشق مقطعًا على كل باب من أبواب دمشق عضو منه فقلت يا أبتاه وافـقت دعوتك ليلة القدر وبعـد قتل زيد انفض ملك بنى أمـية وتلاشى ببنى العباس كذا فى الخطط، وفى الجمل على الهمزية عند الكلام على قوله:

رب يـــوم بكربــلاء مســـىء خففت بعض رزئـــه الزوراء

ما نصه الزوراء هى ناحـية ببغداد والمراد ما وقع فـيها من خلفائهـا بنى العباس الذين هم من جملة آل البيت أخـذوا ثأر بنى عمهم الحسين وغيره فـخرجوا على بنى أمية فنزعوا الخـلافة منهم وقتلوهـم شر قتلة وخصوصًـا السفاح منهم الذى أخرج بنى أمية من القبـور وحرقهم وذراهم فى الهواء وهو أول خلفاء بنى العـباس وهو عبدالله ابن محمد بن على بن عـبد الله بن عباس فلما ولى الخلافة بعد قطيـعة بنى أمية أمر بهشام بن عبد الملك فنبشوا قبره فوجد بحاله لأنه كان طلى بالعنبر لئلا يتغير فأخرجوه من قبره وجلدوه حتى تناثر لحـمه وحرقوه بالنار وفعلوا به كما فـعل بزيد جزاء وفاقًا انتهى قال المقريزى فى الخطط عند الكلام على المشاهد التى يتبرك بها بمصر هذا المشهد

الذى بين الجامع الطولونى ومدينة مصر تسميه العامة مشهد زين العابدين وهو خطأ وإنما هو مشهد رأس زيد بن على زيد العابدين بن الحسين وكان يعرف قديمًا بمسجد محرس الخصى قال القضاعى مسجد محرس الخصى بنى على رأس زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب حين أنفذه هشام بن عبد الملك إلى مصر ونصبه على المنبر بالجامع فسرقه أهل مصر ودفنوه فى هذا الموضع، وذكر ابن عبد الظاهر أن الأفضل ابن أمير الجيوش لما بلغته حكاية رأس زيد أمر بكشف المسجد وكان وسط الأكوام ولم يبق من معالمه إلا محراب فوجد هذا العضو الشريف قال محمد بن الصيرفى حدثنى الشريف فخر الدين أبو الفتوح خطيب مصر وكان من جملة من حضر الكشف قال لما خرج هذا العضو رأيته وهو هامة وافرة وفى الجبهة أثر فى سعة الدرهم فضمخ وعطر وحمل إلى داره حتى عمر هذا المشهد وكان وجدانه يوم الأحد تاسع عشر ربيع الأول سنة خمس وعشرين وخمسمائة وكان الوصول به فى يوم الأحد ووجدانه يوم الأحد قال المقريزى ومشهده باق إلى الآن بين كيمان مدينة مصر يتبرك به الناس ويقصدونه لا سيما فى يوم عاشوراء قال بعضهم والدعاء عنده مستجاب والأنوار ترى عليه.

(تنبيه) ما ذكره المقريزى من أن تسمية هذا المشهد بمشهد زين العابدين خطأ يشهد له اتفاقهم على دفن زين ا لعابدين بالبقيع وقد خالفهم الشعرانى فى منته وعبارته وأخبرنى يعنى الخواص أن رأس زين العابدين ورأس زيد بن الحسين فى القبة التى بين الأثل قريبًا من مجراة القلعة اهـ . وفيه أن زين العابدين لم يقتل ولم يقطع رأسه رضى الله عنه ولم أر من عد فى أولاد الحسين زيدًا من أصحاب المواد التى بيدى ثم رأيت الشيخ الأكبر صدر به أولاد الحسين فى محاضراته ولم أعثر على وفاته وكان سيبويه يحتج بشعر السيد زيد [1] وكان نقش خاتمة: اصبر تؤجر اصدق تنجح.

---

(١) ومن شعره رضى الله عنه :

ومن فضل الأقوام يوما برايه ... فإن عليا فضلته المناقب
وقول رسول الله والحق قوله ... وإن رغمت منه الأنوف الكواذب
بانك منى يا على معا لنا ... كهارون من موسى أخ لى وصاحب
- دعاه ببدر فاستجاب لأمر فبادر فى ذات الإله يضارب اهـ. من خط مؤلف نور الأبصار.

فصل
ومن أهل البيت السيد إبراهيم ابن السيد زيد

قال الشعـرانى فى المتن أخبرنى يعنى شيخه الخـواص أن رأس السيد إبراهيم بن الإمام زيد فى المسجد الخارج بناحية المطرية مما يلى الخانقاه وهو الذى قاتل معه الإمام مالك رضى الله عنه واختفى من أجله كذا وكذا سنة اهـ. قال بعضهم وهذا خلاف ما عليه النسابون فإنهم لم يذكروا فى أولاد زيد بن على زين العابدين ولا فى أولاد زيد ابن الحسن من اسمه إبراهيم فحينئذ لا يظهر أن زيد بن على زيد العابدين أبو إبراهيم المذكور ولا زيد بن الحـسين السبط أيضًـا وذكروا أن الذى قاتل مـعه مـالك أى أفتى الناس بالخروج مـعه وبايعه هو محـمد الملقب بالمهدى بن عبـدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السـبط فلعل إبراهيم هذا هو إبراهيم بن عبدالله المحض أخو مـحمد المهدى المذكور وكان مـرضى السيرة من كبار العلماء. روى أن الإمـام أبا حنيفة بايعه وأفتى الناس بالخروج معـه ومع أخيه محمد قال أبو الحـسن المعمرى قتل إبراهيم فى ذى الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وهو ابن ثمان وأربعين سنة وحمل ابن أبى الكرام رأسه الشريف إلـى مصر انتهى قال القـضاعى مسجـد تبر بنى على رأس إبراهيم بن عبدالله بن حـسن بن الحسن بن على بنى أبى طالب أنفذه المـنصور فسرقه أهـل مصر ودفنوه هناك وقال الكندى فى كتاب الأمراء ثم قدمت الخطباء إلى مصر برأس إبراهيم ابن عـبدالله بن حسـن بن الحسن بن على بن أبى طالب فى ذى الحـجة سنة خـمس وأربعين ومـائة لينصبـوه فى المسجـد الجامع وقـامت الخطباء فـذكروا أمـره اهـ. قال المقريزى هذا المسجد خـارج القاهرة مما يلى الخندق عرف قديمًا بالبئر والجـميزة وعرف

بمسجد تبر وتسميه العامة مسجد التبن وهو خطأ وموضعه قريب من المطرية وتبر هذا أحد الأمراء فى أيام كافور الإخشيدى ولما قدم جوهر القائد من المغرب بالعساكر ثار تبر هذا فى جماعة من الكافورية وحاربه فانهزم بمن معه إلى أسفل الأرض فبعث جوهر يستعطفه فلم يجب وأقام على الخلاف فسير إليه عسكرًا وحاربه بناحية صهرجت فانكسر وقبض عليه وأدخل إلى القاهرة على فيل فسجن إلى صفر سنة ستين وثلثمائة فاشتدت المطالبة عليه وضرب بالسياط وقبضت أمواله وجلس عدة من أصحابه فى القيد إلى ربيع الآخر منها فأطلق وأقام أيامًا مريضًا ومات فسلخ بعد موته وصلب قال ابن عبد الظاهر إنه حشى جلده تبنًا وصلب فربما سمت العامة مسجده بذلك لما ذكرنا وقبره بالمسجد المذكور اهـ .قال بعض المؤرخين كان جوهر القائد المذكور عبدًا صقليًا رافضًا شيعيًا ومن آثاره المحل الأنور الجامع الأزهر .

فصل

فى ذكر مناقب حسين أبى على المشهور بأبى العلاء الحسينى رضى الله تعالى عنه

قال الشعرانى فى الطبقات كان الشيخ حسين أبو على من كمل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى وكان كثير التطورات تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديًا ثم تدخل فتجده سبعًا ثم تدخل عليه فتجده فيلا ثم تدخل عليه فتجده صبيًا ومكث نحو أربعين سنة فى خلوة مسدود بابها ليس لها غير طاقة يدخل منها الهواء وكان يقبض من الأرض ويناول الناس الذهب والفضة وكان من لا يعرف أحوال الفقراء يقول هذا كيماوى سيماوى ولما شرع الخواجا ابن البرلسى فى بناء زاويته قال أعداؤه إن هذا المصروف العظيم إنما هو من كيماء الشيخ حسين فبرطلوا عليه بعض العياق أن يقتلوه فدخلوا على الشيخ فقطعوه بالسيوف وأخذوه فى تليس ورموه على الكوم وأخذوا على قتله ألف دينار ثم أصبحوا فوجدوا الشيخ حسينًا رضى الله عنه جالسًا فقال لهم غركم القمر وكانت النموس تتبعه حيثما مشى فى شوراع وغيرها فسموا أصحابه بالنموسية وكان رضى الله عنه بريئًا من جميع ما فعله أصحابه من الشطح الذى ضربت به رقابهم فى الشريعة وكان الشيخ عبيد أحد أصحابه الذى هو مدفون عنده الآن مثقوب اللسان لكثرة ما كان ينطق به من الكلمات التى لا تأويل لها وأخبرنى بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد فى مركب فوحلت فلم يستطع أحد أن يزحزحها فقال الشيخ عبيد اربطوها فى بيضى بحبل وأنا أنزل وأسحبها ففعلوا فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل إلى البحر، مات رضى الله عنه سنة نيف وتسعين وثمانمائة ودفن بزاويته بساحل النيل بمصر المحروسة ببولاق اهـ. **(ومن أهل البيت)**

السيدة أم كلثوم بنت القاسم بن محمد بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين وقبرها بمقابر قريش بمصر بجوار الخندق وهى أم جعفر بن إسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق كانت من الزاهدات كذا فى الخطط وفى طبقات المناوى فى ترجمة جعفر الصادق وله أى لجعفر ولد اسمه القاسم وللقاسم بنت اسمها أم كلثوم وهما المدفونان بالقرافة بقرب الليث بن سعد على يسار الداخل من الدرب المتوصل منه إليه قال بعضهم فى رد هذا ذكر بعد النسابين أنه ليس فى أولاد جعفر من اسمه القاسم وأن أم كلثوم بنت جعفر لصلبه انتهى **(ومن أهل البيت)** السيدة بنت محمد بن جعفر الصادق كانت شديدة الغيرة صوامة قوّامة لا تلتفت إلى أهل الدنيا ولا تقبل ما يعطونه لها ومشهدها معروف بإجابة الدعاء وإذا دخل الزائر إليه وجد أنسًا عظيمًا وقبرها بالمشهد المجاور لقبر عمرو بن العاص غربى قبر الإمام الشافعى رضى الله عنهم روى أن أهل مصر جاءوا إلى هذا المشهد يستسقون وقد توقف النيل فجرى بإذن الله تعالى توقيت سنة ثلثمائة وأربعين كذا فى الكواكب السيارة **(ومن أهل البيت)** بهذا المشهد السيدة الطاهرة فاطمة بنت القاسم بن محمد المأمون بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين رضى الله عنهم وكانت تعرف بالعيناء سميت بذلك لحسن عينيها حكى خادمها أنه كان يقرأ سورة الكهف فغلط فى موضع فردت عليه من داخل القبر وروى أنه كان بعينها شبه بالسيدة فاطمة الزهراء كذا فى الكواكب السيارة **(ومن أهل البيت)** السيدة آمنة بنت موسى الكاظم حكى الوزارى خادمها أنه كان يسمع فى قبرها قراءة القرآن بالليل. روى أن رجلا جاء بعشرين رطلا من الزيت وعاهد الخادم أن يوقدها فى ليلة واحدة فجعله الخادم فى القناديل فلم يوقد منه شىء فتعجب الخادم من ذلك فرآها فى المنام فقالت له يا فقيه رد عليه زيته واسأله من أين اكتسبه فإنا لا نقبل إلا الطيب فلما أصبح جاء إلى الرجل الذى أعطاه الزيت

وقال له خذ زيتك فقال لم آخذه؟ فقـال إنه لم يوقد منه شيء ورأيتها فى المنام فقالت لا نقبل إلا الطـيب فقال صــدقت السيـدة إنى رجل مكاس فقال قف فـخذه فـأخذه وقبرها بالقرافة أيضًـا كذا فى الكواكب السيارة **(ومن أهل البيت)** السيد يحيى الشبيه ابن القاسم الطيب بن محـمد المأمون بن جعفر الصـادق رضى الله عنهم قال القرشى فى تاريخه كان شبيهًا برسول الله ﷺ ابن النحوى كان بين كتفيه شامة بها شبه بخاتم النبوّة وكان إذا دخل الحمام ونظر الناس الشامة التى بين كتفيه يكثرون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ ولما سمع أهل مصر بقدومه خرجوا إلى ظاهر مصر يتلقونه وكان ابن طولون أقدمه من الحجاز وكان يوم قدومه يومًا مشهودًا وقبره بالقرافة وبالمشهد قبر أخيه عبد الله وقـبره وسط القبة وعنده لوح رخام فيه نسبـه وكان يتلو أخاه فى العبادة والطهارة والفقه والصلاح وهو محل عظيم معروف بإجابة الدعاء وبالقبة الدريد زوجة القاسم الطيب إلى جانب قبر والدها وكانت من الزاهدات العابدات وهى شريفة رضى الله عنها كذا فى الـكواكب السيارة **(ومن أهل البيت)** السيد يحـيى بن الحسن الأنور أخو السيـدة نفيسة وليس بمصـر من إخوانها سواه ولا عـقب له (حكى) عنه أنه كان على قبـره نور قال أبو المذكر دخلـت إلى قبر يحـيى ولم أحسن الأدب فسـمعت من ورائى قائلا يقول ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[1] اهـ. من الكواكب السيارة قال فيه وعند الخروج من قـبر السيد يحيى تجد حوشًا على يسار السالك مقابلا لضريح به جماعة من الأشراف قيل إن به البنات الأبكار.

---

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

فصل
ومن أهــــل البيـــت

نسل طباطبا إبراهـيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن المثـنى بن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم نقل صاحب درر الأصداف ما نصه لا خلاف عند علماء النسب فى صحة هذا النسب إلا أن طباطبا لم يمت بمصر ولا يعرف له بها وفاة وسمى طباطبا بفتح الطاءين كما ذكـره فى مختصر التواريخ لرتة كانت فى لسانه قال أبو بكر الخطيب لما قدم بغداد فى خلافة الرشـيد سمع به فبعث إليه فظن أن أحدًا قد وشى به فدخل على الرشيد فقام إليه وأجـلسه إلى جانبه وقال له ما حاجتك يا أبا إسحق فـقال له ظلمنى صاحب الطباء يـعنى صاحب القباء وكـان يقلب القاف طاء.
وفى تاريخ ابن خلكان وإنما قيل له ذلك لأنه كان يلثغ فيـجعل القاف طاء طلب يومًا ثيابه فقال له غلامه أجىء بدراعة فقال لا طباطبا يريد قباقبا فبقى له واشتهر به انتهى، وللسيد طباطبا من الأولاد لصلبه القاسم الرسى والرس قرية من قرى المدينة سكن بها فنسب إليـها وفى تاريخ ابن خلكـان والرسى بفتح الراء والسين المهـملة المشـددة قال السمعـانى هذه النسبة إلى بطن من بطون السادة العلوية انتـهى ولما وصل القاسم إلى مصر جلس بالجامع العـتيق واجتمع عليه الناس لسماع الحديث وجـمعوا له مالا فأبى أن يقبله فازداد أهل مصر فيه محبة وكانت لـه دعوة مستجابة قال العبدلى كان القاسم أبيض مقرون الحاجبين كثير الخضوع لا يتكلم إلا بالقرآن والحديث وكان يقول حدثنى أبى عن جـدى عن أبيه الحســن السبط عن على بن أبى طالب رضى الله عنـهم وكان يقول من أراد البـقاء ولا بقاء فليلـتحف الرداء ولا يكاثر الغذاء وليـقلّ من مجامـعة النساء وقال خير نسائكم الطيبة الرائحـة كان القاسم أكثر أهل زمانه علمًا قيل إنه عاد

إلى الحجاز ومات بالرس سنة خمس وعشرين وثلثمائة قال فى الكواكب السيارة وهذا المشهد قبر مكتوب عليه إبراهيم طباطبا بن إسمعيل الديباج بن إبراهيم القمر بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهم وقال فى موضع آخر قيل إن بالتربة من أبناء طباطبا لصلبه الحسن الأكبر والحسن الأصغر وعبدالله وأحمد والببغاء الكبير والببغاء الصغير والأزرق الكبير والأزرق الصغير قال ومن أولاد الحسن الكبير رضى الله عنهم بهذه التربة على بن الحسين بن طباطبا قيل بلغ ماله عند موته ثلاثة قناطير من الذهب ونصفًا وسبعة قناطير من الفضة ومائة أمة وكان قد أوصى بثلث ماله صدقة وتوفى سنة خمس وخمسين وثلثمائة قال وبهذا المشهد الإمام أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا وكان جليل القدر وله كلام رائق قيل إنه تصدق بمال أبيه كله حتى كان لا يجد ما ينفق وكان يأكل فى اليوم والليلة مرة واحدة فلما بلغ ذلك ابن طولون وقع له بقرية من قرى مصر وكان يشفع عنده ويمشى فى قضاء حوائج الناس قال ابن زولاق لم يكن بمصر فيمن نزل من الأشراف أكثر شفقة ورأفة وسعيًا فى حوائج الناس من محمد بن على بن الحسن قال ابن النحوى كان عبدالله بن طباطبا شريفًا جميلا عفيفًا فصيحًا وكان له رباع وضياع ودائرة متسعة وكان كثير الافتقاد للفقراء والأرامل والمنقطعين ذكر ابن زولاق قال حدثنى عبدالله ابن أحمد بن طباطبا قال رأيت كأن طاقة فى السماء صعدت إليها ومشيت فيها فرأيت سريرًا وعليه امرأة فعلمت أنها خديجة رضى الله عنها فسلمت عليها فقالت من أنت؟ فقلت عبدالله بن أحمد بن طباطبا فصاحت يا فاطمة قد جاء من أولادك ولد فخرجت من بيت على يسار خديجة فقمت إليها فقالت مرحبًا بالولد الصالح ثم أقبل اثنان أعلم أنهما الحسن والحسين رضى الله عنهما فقبلت يد أحدهما فقال هذا علمك وأشار إلى الحسين ثم خرج رجل عليه سكينة ووقار فقال لى أحدهما هذا جدك على بنى أبى طالب ثم رأيت رجلا أقبل جليلا جميلا فانكببت على رجليه فمنعنى وقال لا

تفعل هذا يا عبدالله مرحبًا بالولد الصالح وجلسوا يتحدثون فما أنسيت طيب حديثهم إلى الآن فأخذ بيدى رسول الله ﷺ فأنزلنى من الطاقة يده فى يدى وهو يقول لى بلغت الأرض فأقول لا إلى أن بلغ إبهام رجلى الأرض فلما وصلت رجلى انتهيت كالمصروع لا أعقل شيئًا فجاءونى بالمعوذين وعلقوا علىّ التعاويذ فبلغ الحديث إلى أبى عبدالله الزيدى فجاءنى وسألنى عن قصتى فحدثته فقال ليتنى كنت معكم قال ابن النحوى فى كتابه الرد على أولى الرفض وكان فى دهليز داره رجلان يكسران اللوز والفستق لعمل الحلوى للفقراء وكان يرسل إلى كافور فى كل يوم رغيفين وجامين منها فقال بعض المصريين لكافور هذا ينزل من قدرك فقال له يا شريف لا ترسل فقال إنى ما كنت أرسل إليك ما كنت أرسله استخفافًا بك وإنما لى والدة تعجنه بيدها وتقرأ عليه القرآن قال صدقت فكان لا يأكل بعد ذلك إلا منه قال العبدلى النسابة فى كتابه وفى سنة نيف وأربعين نام رجل فرأى فى منامه رسول الله ﷺ فقال يا رسوال الله إنى مشتاق إلى زيارتك وليس لى مال يوصلنى إليك فقال له رسول الله ﷺ زر عبد الله ابن أحمد بن طباطبا تكن كمن زارنى توفى عبد الله بن أحمد بمصر سنة ثمان وأربعين وثلثمائة. وفى طبقات الشعرانى ودفن بالقرب من الإمام الليث انتهى وفى الكواكب السيارة ما نصه ومعه فى القبة والده أحمد أى والد عبدالله قال وكان أحمد هذا عظيمًا جليل القدر يسأله السائل فيعطيه أثوابه قال أبو جعفر كان أحمد بن على طباطبا شاعرًا فصيحًا فمن شعره رضى الله عنه:

لقد غرت الدنيا أناسًا فأصبحوا ... سكارى بلا عقل وما شربوا خمرا

وقد خدعتهم من زخارفها بما ... غدوا فى كرب وقد كابدوا ضرا

وله شعر كثير فى دواوين مشهورة .

(نادرة) جاء إلى أحمد هذا رجل يطلب منه مالا فقال له لم يكن عندى شىء ولكن خذنى فبعنى فأخذه وأتى به للوزير الماردانى ليشتريه فقال الوزير وأنى أجد مالا

يكون ثمنك ثم أمر للرجل بألف دينار وكان أحمد بن على هذا يقول أشد الخجلة خجلة السؤال وأشد الندم الندم على المعاصى. وفى تاريخ ابن خلكان ومن أولاد طباطبا أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسمعيل بن إبراهيم طباطبا بن إسمعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم الشريف الحسنى الرسى المصرى كان نقيب الطالبيين بمصر وكان من أكابر رءوسها وله شعر مليح فى الزهد والغزل وغير ذلك توفى سنة خمس وأربعين وثلثمائة ليلة الثلاثاء لخمس بقين من شعبان ودفن بمقبرة مصر خلف المصلى الجديد بمصر وعمره إذ ذاك كان أربعًا وستين سنة انتهى وفى الكواكب السيارة قال وفى هذا المشهد عند باب القبة قبر السيدة خديجة بنت محمد بن إسمعيل بن القاسم الرسى بن إبراهيم طباطبا كانت زاهدة عابدة وهى زوجة عبدالله بن أحمد المتقدم ذكره قال بعلها عبدالله كانت تسابقنى إلى صلاة الليل وما رأيتها ضحكت قط توفيت سنة عشرين وثلثمائة وصلى عليها زوجها عبد الله وهى مدفونة فى القبة تحت رجليه.

(وحكت) خديجة هذه عن بعلها حكاية عجيبة قالت جئت مع بعلى عبدالله إلى دار له على جانب النيل وكان بها أثاث له وقماش فوجدت رجلا فتح الباب وضم جميع ما كان فى البيت وحمله على رأسه وكنت فى الدار فأردت أن أتكلم فأشار إلىّ السكوت فجعل يزاحمنى فى السلالم والسيد عبدالله بعلها يقيه من الحائط حتى لا يصاب بها فلما نزل قلت له هذا متاعنا فلم تدعه يأخذه وينصرف فقال وما يدريك أن يكون ذلك سببًا لتوبته فما كان إلا قليل حتى جاء رجل ومعه عبيد وحشم فقال له يا سيدى أريد منك أن أخلو بك فجاء معه وقال هل تذكر الذى كنت تقيه من الحائط؟ قال نعم قال يا سيدى أنا هو ولقد بورك لى فى متاعك حتى إن جميع ما تراه منه ومعى آلاف وقد جئت إليك بهذه ألف الدرهم وعبدين وجاريتين فتبسم وقال أنا منذ رأيتك دعوت لك بالبركة والله لا أقبل منك شيئًا ثم جاء إلىّ فأخبرنى بذلك رضى

الله عنه (قال) وفى هذا المشهد عند الحائط الغربى قبر أبى الحسن على بن الحسن بن على بن محمد بن محمد بن على بن الحسن بن طباطبا ويعرف بصاحب الحوراء كان فى أول عمره ينام الليل فنام ليلة فرأى الجنة وما فيها من الحور فأعجبته حوراء فقال لها لمن أنت؟ فقالت لمن يؤدى ثمنى فقال وما ثمنك؟ فقالت ألا ينام الليل فقال والله لا نمت بعد ذلك فرآها مرة أخرى وهى تقول إياك والنوم لئلا ينفسخ العقد.

(وحكى) ابن عثمان أن أبا الحسن رأى فى النوم جارية نزلت من السماء أضاءت الدنيا لنور وجهها فقال لها لمن أنت؟ فقالت لمن يعطى ثمنى فقال وما ثمنك؟ قالت مائة ختمة فقرأها ولما فرغ منها رآها فى المنام فقال لها قد فعلت ما أمرتنى به فقالت له يا شريف أنت ليلة غد عندنا فأصبح وجهز نفسه وأعلمهم بموته فمات من يومه رضى الله عنه قال ابن عثمان وإلى جانب قبره قبر فرج غلامهم وكان قد توفى قبلهم وكان إذا اشتد بهم أمر قالوا اللهم بحرمة فرج فرّج عنا فيفرج الله عنهم ببركته قال وبهذا المشهد قبر أبى محمد الحسن بن على بن محمد بن أحمد بن على بن الحسن بن طباطبا وكان من الزهاد. قال رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ فقلت يا رسول الله من أقرب الناس من أهلك إليك؟ قال من ترك الدنيا وراء ظهره وجعل الآخرة نصب عينيه لقينى وكتابه مطهر من الذنوب توفى سنة أربع وخمسين وثلثمائة وفى طبقات الشعرانى أن صاحب الرؤيا السيد عبدالله من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن يعنى المتقدم ولقائل أن يقول لا مانع من وقوعها لهما. وفى الكواكب قال ومعهم فى القبة القاسم يحيى بن على بن محمد بن جعفر بن على بن الحسين ابن سيدنا على رضى الله عنهم قال وهذا نسب صحيح ذكر الشيخ أبو جعفر شيخ النسابة قال كان أبو القاسم يحيى هذا من كبار العلويين انتهت إليه الرياسة فى زمنه رضى الله عنه انتهى وقد جمع هذا المشهد من آل محمد رسول الله ﷺ جماعة كثيرة وجمع جماعة من أهل العلم والصلاح منهم سهل بن أحمد البرمكى المستوزر للدولة الطولونية وكان

مشهورًا بالخير كثير البر للفقـراء محبًا لآل رسول الله ﷺ وقد أنشأ التربة المنسوبة إليه بجانب الأشراف رغبة فيهم ولما حضـرته الوفاة عاهد أهل بيته ألا يبكوا عليه وأمر أن يدفن بالتربة المذكورة وأنشد يقول :

إذا ما بكى الباكون حولى تحرقًا وقالوا جميعًا سهل بن أحمد

فقلت لهم لا تنبـــذونى فإننى مع السادة الأطهار آل محمـد

قلت ومن نسل طباطبـا أبو الحسن محـمد بن أحمـد بن محمد بن أحـمد بن إبراهيم طباطبا بن إسـمعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحـسن السبط بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم. وفى معاهد التنصيص كان شاعرًا مـفلقًا عالمًا محققًا ولد بأصبهان وبها مـات سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وله عقب كثير بأصبـهان فيهم علماء وأدباء وكان مشهورًا بالفطنة والذكاء وصـفاء القريحة وجودة الذهن وله من المصنفات كتاب عـيار الشعر وكتـاب تهذيب الطبع وكتاب العروض ولـم يـسبق إلى مثله، ومن شعره قصيدة تسعة وثلاثون بيتًا ليس فيها راء ولا كاف أولها :

يا سيدًا دانت له السادات وتتابعت فى فعله الحسنات

يقول منها فى وصف القـصيدة ميزانها عنـد الخليل معدل * متفاعلن مـتفاعلن فعلات * ومن شعره يهجو أبا على الرسى ويرميه بالدعوة والبرص:

أنت أعطيـــت من دلائـــل رسل الله آيا بها علوت الرءوســـا

جئـــت فردًا بلا أب وبيمنـا ك بـيـــاض فأنـت عيسى وموسى

فصل
ومن أهل البيت السيدة فاطمة بنت السيد على الرضا

قال فى الكواكب السيارة وإلى جانب قبر البويطى رضى الله عنه قبر السيدة فاطمة بنت السيدة على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم حكى عنها مع بشير بن سعيد الجوهرى حكاية وذلك أنه أصاب الناس قحط عظيم وكان زوجها مات وخلف مخدعًا لا يعرف ما فيه فقالت يومًا للخادمة وقد ضاق صدرها ليت شعرى ما فى هذا المخدع ففتحته فوجدت فيه شيئًا ملقى فى جانبه فأخذته فإذا هو كيس فيه عقد قد علاه الصدأ فقالت للخادمة امضى به إلى السوق لعل أن يأتينا ولو بقوت اليوم فخرجت الخادمة فطافت به على باب الصاغة فوجدت رجلا قائمًا عليه آثار الخير فنظرت إليه فقال يا أمة الله ما لك فقصت عليه القصة فأخذه منها وغاب قليلا وجاء إليها وقال لها تبيعينه بمائة دينار فسكتت الجارية وظنت أنه يهزأ بها فتركها وغاب قليلا ثم أتى إليها وقال ما يزيد ثمنه على مائتى وخمسين دينارًا فقالت الجارية ياسيدى أنا خادمة امرأة شريفة أتهزأ بها ولها دعوة مجابة فقال لا والله ما أنا بهازئ بها ولا أقول إلا حقًا فقالت الجارية اقبض المال وامض معى إلى مولاتى فقبض المال وأتى معها إلى الدار فدخلت وأعلمت السيدة فاطمة بذلك فخرجت السيدة فاطمة ووقفت وراء الباب وقالت أحق ما تقول هذه الجارية؟ قال نعم ثم صب المال فى طرف الجارية فقالت السيدة فاطمة اجعل هذا المال نصفين لنا النصف ولك النصف فقال لا والله لا ينالنى منه شيء بل ينالنى منك دعوة تكون فى عقبى إلى يوم القيامة فقالت جعل الله فى نسلك الصالحين فكان من نسله أبو عبدالله الحسينى وأبو الفضل بن عبدالله بن الحسين بن بشير الجوهرى رضى الله عنها وعنهم قال ثم تمشى خطوات

مستقبل القـبلة تجد قبر السيد الشريف أبى الفريد المعـروف بصاحب الخيار. حكى عنه أن إنسانًا ورث عن أبيه مالا كثيرًا فأذهبه ثم تداين دينًا فذهب منه فلقيه صاحب الدين وكتب ورقـة اعتقاله ثم وقف الناس فـانتظره إلى مضى ثلاثة أيام فلما كـان فى اليوم الثالث قال فى نفسه من أين أعطى هذا الرجل؟ ثم أتى إلى القـرافة وزار أكثر قبورها حتى انتهى إلى هذا القبر وكان عليه بناء بالطوب اللبن حاجزًا فزار الرجل وابتهل إلى الله تعالى ثم أخذه النوم فنام فـرأى كأن الشريف صاحب القبر نواله خـيارًا وكان فى أيام عدمه فاستيقظ فوجده فى حجره فـتعجب من ذلك فبينما هو يتعجب وإذا بالأمير ابن طولون واقف على رأسه فقال له مررت من ههنا مرارًا فما رأيتك إلا اليوم فنهض الرجل قائمًا وقص عليه قصته ثم ناوله الخـيار فأخرج الأمير ابن طولون مالا وقال له اقض بهذا دينك (قال) وكان ابن طولون ملازمًا لزيارة الصالحين مشهورًا بالخير انتهى.

(ومن المزارات) مشهد سنا وثنا قال المقريزى فى الخطط يقال إنهما من أولاد محمد بن جعفر الصادق كانتا تتلوان القرآن الكريم فماتت إحداهما فصارت الأخرى تتلو وتهدى ثواب قراءتها لأختها حتى ماتت.

(تنبيه) قد تـقدم فيـمـن ذكـر من أهل البيت أنى لم أعـين له مـزارًا معلـومًا وسـببـه عدم تبـين المواد التى بيدى لهـا ولكن سـألت عن المعظم فوجـدته بالقرافـة الصغرى وهى التى بهـا ضريح إمامنا الشافعى رضى الله عنه والبـاقى بها أيضًا ولكن درست علاماته.

(تتمة فى الكلام على القرافة) قال المقريزى وفى الخطط قال القاضى أبو عبدالله محمد بن سـلامة القضاعى القرافة هم بنو غض وفى نسـخة بنو غصن بن سيف بن وائل بن المغافـر وقال أبو عمرو الكندى بـنو جحد بن سيف بن وائل بن الجـيزى بن شراحـبيل بن المغافر بن يغـفر وقيل إن قـرافة اسم أم عذافر وحـجض ابنى سيف بن وائل بن الجيزى فقد صحف القضاعى فى قـوله غض بالغين المعجمة والأقرب ما قاله

الكندى لأنه أقعد بذلك وقال ياقوت والقرافة بفتح القاف وراء مخففة وألف خفيفة وفاء مقبرة بمصر مشهورة مسماة بقبيلة من المغافر يقال لهم بنو قرافة. اعلم أن القرافة بمصر اسم لموضعين القرافة الكبرى حيث الجامع الذى يقال له جامع الأولياء والقرافة الصغرى وبها قبر الإمام الشافعى وكانتا فى أول الأمر خطتين لقبيلة من اليمن هم من المغافر بن يغفر يقال لهم بنو قرافة ثم صارت القرافة الكبرى جبانة وهى حيث مصلى خولان والبقعة وما هو حول جامع الأولياء قاله المقريزى فى الخطط ثم قال والناس فى القديم إنما كانوا يقبرون موتاهم فيما بين مسجد الفتح وسفح المقطم واتخذوا الترب الجليلة أيضًا فيما بين مصلى خولان وخط المغافر التى موضعها الآن كيمان تراب وتعرف الآن بالقرافة الكبرى فلما دفن الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب ابنه فى سنة ثمان وستمائة بجوار قبر الإمام محمد بن إدريس الشافعى وبنى القبة العظيمة على قبر الشافعى وأجرى لها الماء من بركة الكبش بقناطر متصلة منها نقل الناس الأبنية من القرافة الكبرى إلى ما حول الشافعى وأنشئوا هناك الترب فعرفت بالقرافة الصغرى وأخذت عمائرها فى الزيادة وتلاشى أمر تلك؛ وأما القطعة التى تلى قلعة الجبل فحدثت بعد السبعمائة من الهجرة وكان ما بين قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه وباب القرافة ميدانًا تتسابق فيه الأمراء والأجناد فى جهة وتجتمع الناس هناك للتفرج على السباق كانت الأمراء تتسابق فى جهة والأجناد منفردين عن الأمراء وكان الشرط فى السابق من تربة الأمير بيدر إلى باب القرافة ثم أحدث أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون فى هذه الجهة الترب فبنى الأمير يلبغا التركمانى الأمير قشطمر الدمشقى والأمير قوصون وغيرهم من الأمراء وتبعهم الجند وسائر الناس فبنوا الترب والخوانك والأسواق والطواحين والحمامات حتى صارت العمارة من بركة الجيش إلى باب القرافة وانقسمت الطرق فى القرافة وتعددت بها الشوارع ورغب كثير من سكناها لعظم القصور التى أنشئت بها وسميت بالترب قال موسى بن محمد بن سعيد فى

كتاب المعرب عن أخبار المغرب بت ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط وهى فى شرقيها بها منازل الأعيان بالفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معتنى بها وفيها القبة العالية العظيمة المزخرفة التى فيها قبر الإمام الشافعى [1] رضى الله عنه وبها مسجد جامع وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من ترب ولاسيما فى الليالى القمرة وهى معظم مجتمعات أهل مصر وأشهر متنزهاتهم وفيها أقول :

إن القرافة قد حوت ضدين ... دنيا وأخرى فهى نعم المنزل
يغشى الخليع بها السماع مواصلا ... ويطوف حول قبورها المتبتل
كم ليلة بتنا بها ونديمنا ... لحن يكاد يذوب منه الجندل
والبدر قد ملأ البسيطة نور ... فكأنما قد فاض منه جدول
وبدا يضاحك أوجهًا حاكينه ... لما تكامل وجهه المتهلل

وقال شافع بن على :

تعجبت من أهل القرافة إذ غدت ... على وحشة الموتى لها قلبنا يصبو
فألفيتها مأوى الأحبة كلهم ... ومستوطن الأحباب يصبو له القلب

---

(١) قوله (التى فيها قبر الإمام الشافعى) اى وهى الصغرى أى وبها قبر الإمام الليث بن سعد بن عبد الرحمن كان مولى قيس بن رفاعة وهو مولى عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمى، ولد الليث سنة أربع وتسعين من الهجرة فى شعبان نقل ابن خلكان أنه من قلقشندة قرية من قرى مصر والفهمى نسبة إلى فهم بطن من قريش قال اخوهم فابت إلى فهم البيت واختلفوا هل سمع عن مالك أو سمع مالك عنه قال ابن خلكان رأيت فى بعض المجاميع أن الليث كان حنفى المذهب وأنه ولى قضاء مصر وأن الإمام مالكًا أهدى إليه صينية فيها تمر فأعادها مملوءة ذهبًا وأنه كان يتخذ لأصحابه الفالوذج ويعمل فيها الدنانير فيحصل لكل من أكل كثيرًا أكثر من صاحبه توفى رضى الله عنه يوم الخميس وقيل الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ودفن يوم الجمعة بقرافة مصر الصغرى قال بعض أصحابه لما دفن الليث بن سعد سمعنا صوتًا وهو يقول:

ذهب الليث فلا ليث لكم ومضى العلم قريبًا وقبر نقل صاحب الكواكب أن ولدًا من عقب الليث ارتحل إلى البلاد الشامية وكان قد أعيل فاجتمع به رجل من أهل الثروة واليسار وقال له أنا ملكك وما تحت يدى ملكك فقال له ولم ذلك فقال أنا عبد من عبيد أبيك أبقيت وكان معى بعض من ا المال واتجرت فيه ففتح الفتاح علىّ فقال له قد أعتقتك ووهبتك ما بين يديك قال صاحب الكواكب لم يترجح عندى تفضيل احدهما على الآخر. نقله صاحب نور الأبصار.

وقال الأديب أبو سعيد محمد بن أحمد العميدى :

إذا ما ضاق صدرى لم أجد لى مقر عبـــادة إلا القرافــــه

لئن لم يرحم المولى اجتهـادى وقلة ناصـــرى لم ألق رافــه

روى عن أبى طيبة عن أبى بريدة مرسلا قال أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله ابن عبدالحكم فى كتابه فتوح مصر حدثنا عبدالله بن صالح حدثنا الليث ابن سعد قال سأل المقوقس عمرو بن العاص أن يبيعـه سفح المقطم بسبعين ألف دينار فعجب عمرو من ذلك قال أكـتب فى ذلك إلى أميـر المؤمنين فكتب بذلك إلى عمـر رضى الله عنه فكتب إليه عـمر سله لم أعطاك به مـا أعطاك وهى لا تزرع ولا يستنبت بهـا ماء ولا ينتفع بها؟ فـسأله فقال إنّا لنجد صـفتها فى الكتب أن فيـها غراس الجنة فكتب بذلك إلى عمر رضى الله عنه فكتب إليه عمر إنا لا نعلم غـراس الجنة إلا المؤمنين فاقبر فيها من مات قبلك من المسلمـين ولا تبعه بشىء فكان أول من دفن فيهـا رجل من المغافر يقال له عامر فقـيل عمرت فقال المقوقس لعمرو مـا على هذا عاهدتنا فقطع لهم الحد الذى بين المقبرة وبينهم. وعن أبى لهيعة أن المقوقس قـال لعمرو إنا لنجد فى كتابنا ما بين هذا الجبل وحـيث نزلتم ينبت فيه شـجر الجنة فكتب بقوله إلى عـمر بن الخطاب رضى الله عنهم فقال صدق فاجعلها مقبرة للمسلمين فقبر فيها ممن عرف من أصحاب رسول الله ﷺ خمـسة نفر عمـرو ابن العاص السهمى وعـبدالله بن حذافة السـهمى وعبدالله بن جزء الزبيدى وأبو بصيرة الغفارى وعقبة بن عامر الجهنى ويقال وسلمة بن مخلد الأنصـارى وفى شرح الشريشى على المـقامات الحريرية أن السـيدة آسيـة امرأة فرعون مدفونة بالقرافة الكبرى. وروى أبو سـعيد عبدالرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر من حديث حرملة بن عمران قال حدثنى عمير بن أبى مدرك الخولانى عن سفيان بن وهب الخولانى قال بينا نحن نسير مع عمرو بن العاص فى سفح هذا الجبل ومعنا المقوقس فقال له عمرو يا مـقوقس ما بال جبلكم هذا أقرع ليس عليه نبات ولا

شجر علــى نحو بلاد الشام؟ فقال لا أدرى ولــكن الله أغنى أهله بهذا النيل عن ذلك ولكنه نجد تحته ما هو خير من ذلك قال وما هــو؟ قال ليدفنن تحته قوم يبعثهم الله يوم القيامة لا حساب عليهم قال عــمرو اللهم اجعلني منهم قال حرملة ابن عمران فرأيت قبر عمرو بن العاص وقــبر أبى بصيرة وقبر عقبة بن عامر فــيه قال المقريزى والإجماع على أنه ليس فى الدنيا مقبرة أعجب ولا أبهى ولا أعظم ولا أنظف من أبنيتها وقبابها وحجــرها ولا أعجب تربة منها كأنهــا الكافور والزعفــران مقدسة فى جــميع الكتب وحين تشرف عليها تراها كأنها مدينة بيضاء والمقطم عال عليها كأنه حائط من ورائها.

(عجيبة) قال المقريزى وفى سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ظهر شىء بالقرافة يقال له القطربة تنزل من جــبل المقطم فــاختــطفت جمــاعة مــن أولاد سكانها حــتى رحل أكثرهم خوفًا منها وكان شخص من أهل مصــر يعرف بحميد القوال خرج من إطفيح على حماره فلمــا وصل إلى حلوان عشاء رأى امرأة جالســة على الطريق فشكت إليه ضعفًا وعجزًا فحملها خلفه فلم يشعر بالحمار إلا وقد سقط فنظر إلى المرأة فإذا بها قد أخرجت جوف الحــمار بمخالبها ففــر وهو يعدو إلى والى مصر وذكر له الخبــر فخرج بجمــاعته إلى الموضع فوجــد الدابة قد أكل جوفــها ثم صارت بعــد ذلك تتبع الموتى بالقرافة وتنبش قبورهم وتأكل أجوافــهم وامتنع الناس من الدفن فى القرافة زمنا حتى انقطعت تلك الصورة قال المقــريزى ما كان من القرافة فى سفح الجــبل يقال له القرافة الصغرى ومــا كان فى شرقى مصــر بجوار المساكن يقال لــه القرافة الكبرى كــما تقدم وفيها كان مــدافن أموات المسلمين منذ افتتحت مصر واخــتطت العرب مدينة الفسطاط ولم يكن لها مقبــرة سواها فلما قدم جوهر القائد من قبل المــعز وبنى القاهرة وسكنها الخلفاء اتــخذوا بها تربة عــرفت بتربة الزعــفران قبــروا بها مــوتاهم ثم لما مات أمــير الجيوش بدر الجمالى دفن خارج باب النصر فــاتخذ الناس هناك مقابر موتاهم وكثرت مقابر أهل الحسينية فى هذه الجهة انتهى.



الباب الرابع

فى ذكر مناقب الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب

رضى الله عنهم



في الروض الفائق ما نصه قال بعض الصالحين: رأيت في النوم كأني دخلت الجنة فرأيت في وسطها عموداً من نور ورأيت أربعة يجرونه بأربع سلاسل من جهاته الأربع وهو ثابت لا يتغير من مكانه فقلت يا لله العجب لو جره هؤلاء من فرد جهة واحدة لكان أسهل عليهم فسألت بعض الملائكة عن ذلك فقال لي هذا العمود هو دين الإسلام وهذه أربع السلاسل المذاهب الأربعة وهؤلاء الذين يجرونه هم أئمة الإسلام الشافعي وأحمد وأبو حنيفة ومالك رضي الله عنهم أجمعين فاتفاقهم فرض وقولهم حق واختلافهم رحمة للمسلمين.

فالشافعي له علوم الشرق ... بين الورى وله ثناء يعبق
ولمالك نشرت علوم ما لها ... حد كبحر زاخر يتدفق
ولأحمد تعز العلوم لأنه ... يروى الحديث وصدقه متحقق
وأبو حنيفة سابق فلأجل ذا ... آثاره وعلومه لا تسبق
فهم الأئمة خصهم رب العلا ... بالفضل منه فشأوهم لا يلحق

فصل

فى ذكر مناقب الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطا بن ماه الكوفى مولى بنى تيم الله بن ثعلبة

وزوطا بضم الزاى وسكون الواو كذا ضبطه بعضهم ولد أبو حنيفة النعمان رضى الله عنه بالكوفة سنة ثمانين ونشأ بها. وكان رضى الله عنه حسن السمت والوجه والثوب والفعل والمواساة لكل من طاف به وكان ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير وكان من أحسن الناس منطقًا، وأدرك رضى الله عنه ستة من الصحابة وهم أنس بن مالك وعبد الله بن الحارث بن جزء وعبدالله بن أنيس وعبدالله بن أبى أوفى وواثلة بن الأسقع ومعقل بن يسار وفى إدراكه جابر بن عبدالله خلاف، وفى تتمة المختصر لم يلق أحدًا منهم ولا أخذ عنهم وأصحابه يزعمون غير ذلك انتهى.

(ذكر) الخطيب فى تاريخ بغداد أنه أخذ الفقه عن حماد بن أبى سليمان وسمع عطاء بن أبى رباح وأبا إسحاق السبيعى ومحارب بن دثار والهيثم بن حبيب الصواف ومحمد بن المنكدر ونافعًا مولى عبدالله بن عمر وهشام بن عروة وسماك بن حرب. وفيه قال أبو حنيفة دخلت على أبى جعفر أمير المؤمنين فقال لى يا أبا حنيفة عمن أخذت العلم؟ قال قلت عن حماد عن إبراهيم عن عمر بن الخطاب وعن على بن أبى طالب وعبدالله بن مسعود وعبدالله بن عباس قال بخ بخ استوثقت ما شئت يا أبا حنيفة الطيبين الطاهرين المباركين رضى الله عنهم أجمعين. وفيه أيضًا قيل دخل أبو حنيفة يومًا على المنصور وهو أبو جعفر وعنده عيسى بن موسى فقال المنصور إن هذا لعالم الدنيا اليوم ثم قال له يا نعمان عمن أخذت العلم؟ قال عن أصحاب عمر عن عمر وعن أصحاب على عن على وعن أصحاب عبدالله عن عبدالله وما كان فى وقت

ابن عبـاس على الأرض أعلم منه قال لقد اسـتوثقت روى عن أبى حنيفـة بن المبارك ووكيع بن الجراح والقاضى أبو يوسف ومحمد بـن الحسن الشيبانى وغيرهم. وحكى عن الشافعى أنه قال الناس كلهم عيال على ثلاثة مقاتل بن سليمان فى التفسير وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشـعر وعلى أبى حنيفة فى الفقـه. وفى ربيع الأبرار يقال إن أربعة لم يسبقوا ولم يلحقوا: أبو حنيفة فى الفقه والخليل فى نحوه والجاحظ فى تأليفه وأبو تمام فى شعـره، وفيه كان الثـورى إذا سئل عن مسـألة دقيقة قـال لا يحسن أن يتكلم فيهـا إلا رجل قد حسدناه يعنى أبا حنيـفة. وفى تاريخ اليافعى نقله أبو جـعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد وأراد أن يوليه القضاء فـأبى فحلف عليه ليفعلنّ فحلف أبو حنيفة لا يفعل فقال الربيع بن يونس الحاجب لأبى حنيفة ألا ترى أن أمير المؤمنين يحلف فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين أقدر منى على كفارة يمينه فأمر به إلى السجن فلم يقبل القضاء فضربه مائة سوط وحبس إلى أن مات. قال الخطيب البغدادى إن المنصور لما بنى مدينته ونزل بهـا ونزل المهدى فى الجانب الشرقى وبنى مسجـد الرصافة أرسل إلى أبى حنيفة فجىء به فعرض عليه قضاء الرصافة فأبى فقال له إن لم تفعل ضربتك بالسياط فـقال أو تفعل؟ قال نعم فقـعد فى القضاء يومين فلم يأته أحـد فلما كان فى اليوم الثـالث أتاه رجال صفار ومـعه آخر فقـال الصفار لى على هذا درهمـان وأربعة دوانق ثمن تور صفـر قال أبو حنيفة اتق الله وانظر فـيما يقول الصفـار قال ليس علىّ شىء فقال أبو حنيفة للصفار وما تقول؟ قال استحلفه لى فقال أبو حنيفة قل والذى لا إله إلا هو فجعل يـقول فلما رآه أبو حنيفة مـقدمًا على اليمين قطع عـليه وأخرج من صرة فى كـمه درهمين ثقـيلين وقال للصفـار هذا عوض مالك علـيه فلما كـان بعد اليومين اشـتكى أبو حنيـفة فمـرض ستـة أيام ثم مات رحمـه الله. وفى ربيع الأبرار للزمخشـرى أراد عمر بن هبيرة أبا حنيفـة على القضاء فأبى فحلف ليضـربنه بالسياط على رأسه ولـيسجننه وفـعل حتى انتـفخ وجه أبى حنيـفة ورأسـه من الضرب فـقال الضرب فى الدنيا بالسـياط أهون علىّ من مقامع الحـديد فى الآخرة؛ وعن أبى عون

ضرب أبو حنيفـة مرتين على القضاء ضربه ابن هبـيرة وضربه أبو جعفـر وأحضر بين يديه فدعا له بسويق وأكـرهه على شربه فشربه ثم قام فقـال إلى أين؟ فقال إلى حيث بعثتنى فـمضى به إلى السجن فمـات فيه، وكان الإمام أحـمد بن حنبل إذا ذكر ذلك بكى وترحم على أبى حنيفة وذلك بعد أن ضـرب الإمام أحمد على ترك القول بخلق القرآن وفى الكشاف وكان أبو حنيفة يفتى سراً بوجوب نصرة زيد بن على وحمل المال إليه والخروج على اللص المتغلب المتسمى بالإمام والخليـفة كالدوانيقى وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابنى بالخروج مع إبراهيم ومحمـد بن عبدالله بن الحسن حتى قتل فـقال ليـتنى مكان ابنك، وكان يـقول فى المنصـور وأشيـاعه لو أرادوا بناء مـسجـد وراودونى على عدّ آجـرّه لما فعلت. وذكـر الخطيب فى تاريخه أن أبا حنيـفة رأى فى المنام أنه نبش قبر رسـول الله ﷺ فبعث من سأل مـحمد بن سيرين قـال ابن سيرين صاحب هذه الرؤيا يثور علمًـا لم يسبقه إليه أحد. وعن صالح بـن محمد بن يوسف ابن رزين عن أبى حنيـفـة أنه قال رأيت فى المـنام كأنى نبـشت قـبر رسـول الله ﷺ وأخـرجت عظامًا فـاحتـضنتـها قـال فهـالتنى هذه الرؤيا فـدخلت على ابن سيـرين وقصصتها عليه فقال إن صدقت رؤياك لتحيين سنة محمد ﷺ روى عن أبى حنيفة أنه قال دخلت البصرة فظننت أنى لا أسأل عن شىء إلا أجبت عنه فسألونى عن أشياء لم يكن عندى فيها جواب فجعلت على نفسى ألا أفارق حمادًا فصحبته عشرين سنة قال وما صليت صـلاة إلا واستغفـرت لحماد مع والدىّ ولكل من قرأت عليـه. وكان أبو حنيفة رضى الله عنه يقول ما جاءنا أو يقول ما أتانا عن الله ورسوله قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا أو مـا أتانا عن الصحابة اخترنا أحسنه ولم نخـرج عن أقاويلهم وما جاءنا أو ما أتانا عن التابعين فهـم رجال ونحن رجال كذا فى ربيع الأبرار، وكان أبو حنيفة كثيراً من ينشد هذين البيتين :

حسدوا الفتى إن لم ينالوا سعيه   والكل أعداء له وخصـــوم

كضرائر الحسناء قلن لوجههـا   حسدًا وبغضًا إنه لدميــم

وعن خلف سالم عن صدقة المقابرى وكان صدقة مجاب الدعوة قال لما دفن أبو حنيفة فى مقابر الخيزران سمعت صوتًا من الليل ثلاث ليال يقول :

ذهب الفقه فلا فقه لكم ... واتقوا الله وكونوا حنفا

مات نعمان فمن هذا الذى ... يحيى الليل إذا ما سجفا

وفى تاريخ ابن الوردى كان شيخنا العلامة صدر الدين محمد بن الوكيل العثمانى ينشد لبعضهم :

الفقه فقه أبى حنيفة وحده ... والدين دين محمد ابن كرام

إن الأولى فى دينهم ما استمسكوا ... بمحمد ابن كرام غير كرام

قال الإمام الشافعى رضى الله عنه قيل لمالك هل رأيت أبا حنيفة؟ قال نعم رأيت رجلا لو كلمك فى هذه السارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجته. وعن على بن عصام قال لو وزن عقل أبى حنيفة بعقل أهل الأرض لرجح بهم. وفى حياة الحيوان كان أبو حنيفة إمامًا فى القياس وصلى صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان عامة ليله يقرأ القرآن فى ركعة واحدة وكان يبكى فى الليل حتى ترحمه جيرانه وختم القرآن فى الموضع الذى توفى فيه سبعة آلاف مرة اهـ. وروى عن أسد بن عمرو أنه قال صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة وكان يسمع بكاؤه حتى ترحمه جيرانه.

(فوائد) : الأولى أنا أبا حنيفة رضى الله عنه كان له جار إسكاف يعمل نهاره فإذا رجع إلى منزله ليلا تعشى ثم شرب فإذا دب الشراب فيه غنى وقال:

أضاعونى وأى فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

ولا يزال يشرب ويردد هذا البيت حتى يأخذه النوم وأبو حنيفة يسمع صوته كل ليلة وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ففقد أبو حنيفة صوته فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ليال فصلى أبو حنيفة الفجر من غده ثم ركب بغلته وأتى إلى دار الأمير فاستأذن عليه فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبًا ولا تدعوه ينزل حتى يطأ البساط ففعل به ذلك فوسع له الأمير فى

مجلسه وقال ما حاجتك قال أشفع فى جارى فقال الأمير أطلقوه وكل من أخذ فى تلك الليلة فأطلقوهم أيضًا وذهبوا وركب أبو حنيفة بغلته وخرج الاسكاف يمشى وراءه فقال له أبو حنيفة يا فتى هل أضعناك فقال بل حفظت ورعيت جزاك الله خيراً عن حرمة الجوار ثم تاب الرجل ولم يعد إلى ما كان يفعل كذا فى تاريخ بغداد ووفيات الأعيان، وهذا البيت للعرجى فى تتمة المختصر نسبة إلى العرج بسكون الراء عقبة بين مكة والمدينة وهو عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه اهـ. وفى المطول عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضى الله عنه وقيل البيت لأمية بن أبى الصلت وقد أورده صاحب التخليص شاهداً فى فن البديع على التضمين وشرحه السعد بما نصه اللام فى ليوم لام التوقيت والكريهة من أسماء الحرب وسداد بكسر السين سده بالخيل والرجال والثغر موضع المخافة من فروج البلدان أى أضاعونى فى وقت الحرب وزمان سد الثغر ولم يراعوا حقى أحوج ما كانوا إلى وأى فتى أى كاملا من الفتيان أضاعوا وفيه تنديم وتخطئة لهم اهـ ومثله فى الأطوال. واستشهد به أيضًا النضر بن شميل بضم الشين ابن جريشة بفتح الخاء المعجمة البصرى النحوى على كسر السين من سداد حين قال المأمون حدثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوزى وفتح السين سداد فأعاد النضر الحديث وكسر السين فاستوى المأمون جالسًا وقال: تلحننى يا نضر فقال إنما لحن هشيم وكان لحانًا فتبع أمير المؤمنين لفظه قال فما الفرق بينهما؟ قال السداد بالفتح القصد فى الدين والسبيل والسداد بالكسر البلغة وكل ما سددت به شيئًا فهو سداد بكسر السين وأنشد البيت فأمر له بخمسين ألف درهم. (الثانية) روى أن امرأة دخلت فى مسجد أبى حنيفة وهو جالس بين أصحابه فأخرجت تفاحة أحد جانبيها أحمر والآخر أصفر فوضعتها بين يديه ولم تتكلم فأخذها أبو حنيفة وشقها نصفين فقامت المرأة وخرجت ولم يعرف أصحابه مرادها فسألوه عن ذلك فقال إنها ترى تارة أحمر مثل أحد جانبى التفاحة وتارة أصفر مثل الجانب الآخر سألت أن يكون حيضًا أو طهراً فشققت التفاحة وأريتها باطنها وأردت بذلك ألا تطهرى حتى ترى البياض مثل باطنها فقامت وخرجت. (الثالثة) أن أعرابيًا دخل على أبى حنيفة وهو جالس بين أصحابه فقال له

أفى الصلاة واو أو واوان فقال واوات فقال بارك الله فيك كما بارك فى لا ولا فلم يعلم أحد سؤال السائل ولا جواب أبى حنيفة فسألوه عن ذلك فقال سألنى أو فى التشهد واو أو واوان فقلت واوات بالجمع فدعا لى بالبركة كما بارك فى الشجرة الزيتونة لا شرقية ولا غربية كذا فى المبسوط. (الرابعة) روى أن أبا حنيفة رضى الله عنه كان جالسًا يومًا فى المسجد فدخل عليه طائفة من الخوارج شاهرين سيوفهم فقالوا يا أبا حنيفة نسألك عن مسألتين فإن أجبت نجوت وإلا قتلناك قال أغمدوا سيوفكم فإن برؤيتها يشتغل قلبى قالوا كيف نغمدها ونحن نحتسب الأجر الجزيل بإغمادها فى رقبتك؟ فقال سلوا إذن فقالوا جنازتان على الباب إحداهما رجل شرب الخمر فغص فمات سكران والأخرى امرأة حملت حملا من الزنا فماتت فى ولادتها قبل التوبة أهما كافران أم مؤمنان والقوم السائلون مذهبهم التكفير بارتكاب ذنب واحد؟ فإن قال مؤمنان قتلوه فقال من أىّ فرقة كانا أمن اليهود؟ قالوا لا قال أمن النصارى؟ قالوا لا قال أمن المجوس؟ قالوا لا قال أمن عبدة الأوثان؟ قالوا لا قال ممن كانا؟ قالوا من المسلمين قال قد أجبتم قالوا وكيف قال اعترفتم بأنهما كانا مسلمين ومن كان من المسلمين كيف تجعلونه من الكافرين؟ قالوا هما فى الجنة أو فى النار؟ قال أقول فيهما ما قال الخليل ﷺ فى حق من هو شر منهما فمن تبعنى فإنه منى ومن عصانى فإنك غفور رحيم أو أقول ما قال عيسى روح الله عليه الصلاة والسلام فيمن هو شر منهما ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ فتابوا واعتذروا إليه اهـ . من الروض الفائق. وعن محمد بن الحسن قال حدثنى القاسم بن معن أن أبا حنيفة رضى الله عنه قرأ هذه الآية: ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴾[1] فلم يزل يرددها ويبكى ويتضرع إلى أن طلع الفجر. وعن ابن أبى زائدة قال صليت العشاء الآخرة مع أبى حنيفة وخرج الناس وأنا فى المسجد أريد أن أسأله من مسألة وهو لا يعلم أنى فى المسجد فقرأ حتى بلغ إلى قوله تعالى: ﴿ وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴾[2] . فلم يزل يرددها حتى طلع الفجر. ويروى أنه من شدة خوفه سمع قارئًا يقرأ ليلة فى المسجد ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ فلم يزل قابضًا على لحيته إلى الفجر وهو يقول يجزى بمثقال ذرة رضى الله عنه.

(١) سورة القمر ٤٦ .　　(٢) سورة الطور ٢٧ .

(تتمة) روى أن الخليفة دعا أبا حنيفة رضى الله عنه وقال له كم يحل للرجل الحر من النساء الحرائر؟ فقال أربع فقال الخليفة اسمعى يا حرة فقال أبو حنيفة على البديهة يا أمير المؤمنين لا يحل لك إلا واحدة فغضب الخليفة وقال الآن قلت أربع فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً ﴾[1] . فلما سمعتك تقول اسمعى يا حرة عرفت أنك لا تعدل فلهذا قلت لا يحلّ لك إلا واحدة فلما خرج أبو حنيفة بعثت زوجة الخليفة إليه ألف دينار وأنفذت تشكره وتثنى عليه فلم يقبلها وردّها وقال للرسول قل لها أنا ما تكلمت لأجلك وما تكلمت إلا لأجل الله فأجرى على الله. وكان رضى الله عنه كثير الخوف والصدقة قال الخطيب كان أبو حنيفة إذا أنفق على عياله نفقة تصدق بمثلها وإذا اكتسى ثوبًا جديدًا كسا بقدر ثمنه العلماء، وكان إذا وضع بين يديه الطعام ترك منه بقدر ما يأكل ثم يطعمه لإنسان فقير أو لمن فى بيته يحتاج إليه وكان رضى الله عنه يؤثر رضا ربه على كل شيء ولو أخذته السيوف فى الله لاحتمل وكان دائما يتمثل بهذين البيتين:

عطاء ذى العرش خير من عطائكمو وفضله واسع يرجى وينتظر
تكدرون العطا منكم بمنتكم والله يعطى فلا منّ ولا كدر

قال أبو بكر بن أحمد بن ثابت المؤرخ يقال إن أباه ثابتًا هو الذى أهدى الفالوذج لعلى بن أبى طالب يوم النيروز وقيل يوم المهرجان وكان أبو حنيفة يقول أنا فى بركة دعوة صدرت من على بن أبى طالب لأبى وفى رواية وكان ثابت أبو أبى حنيفة ببغداد فى رجب أو شعبان سنة خمسين ومائة وكان ابن سبعين سنة وهى السنة التى ولد فيها إمامنا الشافعى رضى الله عنهما وقيل إن المنصور سقاه سما فمات لقيامه مع إبراهيم بن عبدالله بن حسن ذكره اليافعى فى تاريخه . وعن جعفر بن الحسن قال رأيت أبا حنيفة فى المنام فقلت له ما فعل الله بك؟ قال غفر لى.

---

(١) سورة النساء ٣.

فصل

فى ذكر مناقب إمام دار الهجرة أبى عبدالله مالك بن أنس بن أبى عامر الأصبحى

نسبة إلى بطن من حمير يقال له ذو أصبح نقله بعضهم. وفى تتمة المختصر ما نصه مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحرث الأصبحى نسبة لذى أصبح الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قحطان اهـ. وأنس بن مالك هذا غير أنس ابن مالك خادم الرسول ﷺ إذ هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الأنصارى الخارجى، وأنس أبو الإمام مالك تابعى. ولد الإمام مالك رضى الله عنه سنة إحدى أو ثلاث أو أربع أوخمس أو سبع وتسعين قال الشافعى رضى الله عنه إذا وجدت لمالك حديثًا فشد يدك به فإنه حجة، وحمل حديث أبى هريرة «يضرب الناس أكباد الإبل فلا يجدون عالمًا أعلم من عالم المدينة». على مالك وعن الشافعى رضى الله عنه أنه قال ما بعد كتاب الله كتاب هو أكثر صوابًا من موطأ مالك قال العلماء قول الشافعى هذا كان قبل تصنيف البخارى ومسلم كتابيهما وإلا فهما أصح الكتب المصنفة. قال الشافعى رضى الله عنه إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وأخذ القراءة عن نافع بن أبى نعيم وسمع الزهرى وأخذ العلم عن ربيعة الرأى. قال الشافعى قال لى محمد بن الحسن أيما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكًا؟ قلت على الإنصاف قال نعم قلت أنشدك الله من أعلم بالقرآن صاحبنا أم صاحبكم؟ قال اللهم صاحبكم قلت فأنشدك الله من أعلم بالسنة؟ قال اللهم صاحبكم قلت من أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ المتقدمين صاحبنا أم صاحبكم؟ قال اللهم صاحبكم قلت فلم يبق إلا القياس والقياس لا يكون إلا على هذه الأشياء كذا فى تتمة المختصر.

(صفة الإمام مالك رضى الله عنه) كان طويلا جسيمًا عظيم الهامة أبيض

الرأس واللحية قيل كانت تبلغ لحيته صـدره وقيل كان أشقر أزرق العينين يلبس الثياب العدنية الرفيعة قال أشهب إذا اعتم جعل منـها تحت ذقنه ويسدل طرفها بين كتفيه قيل وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه من المثلة كذا فى كتاب الطبقات للشعرانى وغيره روى الحافظ أبو عـمر بن عبـد البر فى كتـاب الأنساب أن الإمـام مالك بن أنس بن مالك بن أبى عـامر الأصبـحى رضى الله عنه كان إمام دار الهـجرة وفيهـا ظهر الحق وانتصر وقام الدين واشتهر فى سائر الأقطار وضربت له أكباد الإبل وارتحل الناس إليه من كل فج فانتـصب لتدريس العلم وهو ابن سبع عـشرة سنة فاحـتاج أشياخـه إليه ومكث يفتى الناس ويعلمهم نحواً من سبعين سنة وشـهد له التابعون بالفقه والحديث وروى عنه محمد بن شهاب الزهرى وربيعة بن عبدالرحمن فقيه أهل المدينة ويحيى بن سعيد الأنصارى وموسى بن عقبـة وروى عنهم قال يحيى بن شعبة دخلت المدينة سنة أربع وأربعين ومائة ومالك أسود الرأس واللحـية والناس حوله سكوت لا يتكلم أحد منهم هيبة له ولا يفتى أحـد فى مسجد رسول الله ﷺ غيره فـجلست بين يديه فسألته فحدثنى فـاستزدته فزادنى ثم غمـزنى أصحابه فسكت. قـال مالك رضى الله عنه ما جلست للفتيا والحديث حتى شهد لى سبعون شيخًا من أهل العلم أنى مستحق لذلك وقال حماد بن زيد لرجل جاءه فى مسألة اختلف الناس فيها يا أخى إن أردت السلامة لدينك فسل عـالم المدينة وأصغ إلى قوله فإنه حـجة مالك بن أنس إمـام الناس وقال حمـاد بن سلمة لو قيل لى اختـر لأمة محـمد ﷺ إمامًا يـأخذون عنه دينهم لرأيت مالكًا لذلك مـوضوعًا وأهلا ورأيت ذلك صلاحًـا للأمة. وقال الليث بن سـعد علم مالك علم نقى مالك أمان لمن أخذ به من الأنام. وكـان عبدالرحمن بن القاسم يقول إنما أقتـدى فى دينى برجلين مالك فى علـمه وسليمـان بن القاسم فى ورعـه. وقال محمد بن رمح حججت مع أبى وأنا صبى لم أبلغ الحلم فنمت فى مسجد رسول الله ﷺ فى الروضة بين القبر والمنبر فرأيت النبى ﷺ قـد خرج من قبره وهو متوكئ على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقمت فـسلمت عليه فرد علىّ السلام فقلت يا رسول الله أين أنت ذاهب؟ فقال أقيم لمالك الصراط المستقيم فانتبهت فأتيت أنا وأبى فوجدت

الناس مجتمعين على مالك وقد أخرج الموطأ وكان أول خروجه. وحدث محمد بن عبدالحكم قال سمعت محمد بن أبى السرى العسقلانى يقول رأيت رسول الله ﷺ فى النوم فقلت يا رسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك فقال ﷺ إنى قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ثم مضى فتبعته فقلت يا رسول الله حدثنى بعلم أحدث به عنك فقال ﷺ يا ابن السرى إنى قد أوصيت إلى مالك بكنز يفرقه عليكم ألا وهو الموطأ ألا وليس بعد كتاب الله ولا سنتى فى إجماع المسلمين حديث أصح من الموطأ فاسمعه تنتفع به. قال عمر بن أبى سلمة ما قرأت كتاب الجامع من موطأ مالك إلا أتانى آت فى المنام فقال لى هذا كلام رسول الله ﷺ حقًا قيل إن مالكًا رضى الله عنه لما أراد أن يؤلف كتابه بقى متفكرًا فى أى شىء يسمى به تأليفه قال فنمت فرأيت النبى ﷺ فقال وطئ للناس هذا العالم فسمى كتاب الموطأ. قال عبدالله بن المبارك كنا عند مالك وهو يحدثنا حديث رسول الله ﷺ فلدغته عقرب ستة عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله ﷺ فلما تفرق الناس عنه قلت له يا أبا عبدالله لقد رأ يت اليوم منك عجبًا قال نعم صبرت إجلالاً لحديث رسول الله ﷺ وقال مصعب بن عبدالله كان مالك إذ ذكر النبى ﷺ يتغير لونه وينحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له فى ذلك؟ فقال لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم ما ترون وكان يكره أن يحدث فى الطريق أو هو قائم أو مستعجل ويقول أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ.

(فوائد) : الأولى قال عتيق بن يعقوب الزبيرى قدم هرون الرشيد المدينة وكان قد بلغه أن مالك بن أنس عنده الموطأ يقرؤه على الناس فوجه إليه البرمكى وقال له أقرئه السلام وقل له يحمل إلىّ الكتاب فيقرأه على فأتاه البرمكى فأخبره فقال له أقرئه السلام وقل له إن العلم يزار ولا يزور وإن العلم يؤتى ولا يأتى فأتاه البرمكى فأخبره وكان عنده أبو يوسف القاضى فقال يا أمير المؤمنين يبلغ أهل العراق أنك وجهت إلى مالك بن أنس فى أمر فخالفك اعزم عليه فبينما هم كذلك إذ دخل مالك ابن أنس فسلم وجلس فقال له الرشيد يا ابن أبى عامر أبعث إليك فتخالفنى فقال يا

أمير المؤمنين أخبرنى الزهرى عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه قال: «كنت أكتب الوحى بين يدى النبى ﷺ فكتب ﴿لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون﴾[1] . وكان ابن أم مكتوم عند النبى ﷺ فقال يا رسول الله إنى رجل ضرير وقد أنزل الله تعالى فى فضل الجهاد ما قد علمت فقال النبى ﷺ لا أدرى وقلمى رطب ما جف حتى ثقل فخذ النبى ﷺ علىّ ثم أغمى على النبى ﷺ ثم جلس رسول الله ﷺ فقال يا زيد اكتب ﴿غير أولى الضرر﴾[1] . يا أمير المؤمنين حرف واحد تعب فيه جبريل والملائكة من مسيرة خمسة آلاف عام ألا ينبغى لى أن أعزه وأجله وإن الله تعالى رفعك وجعلك فى هذا الموضع فلا تكن أنت أول من يضع عز العلم فيضع الله عزك قال فقام الرشيد فمشى مع مالك إلى منزله يسمع منه الموطأ وأجلسه معه على المصنفة فلما أراد أن يقرأه على مالك قال لمالك تقرؤه على قال يا أمير المؤمنين ما قرأته على أحد منذ زمان قال فيخرج الناس حتى أقرأه أنا عليك فقال إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة فأمر أن يقرأه معن بن عيسى القزاز عليه فلما بدأ بالقراءة قال مالك رضى الله عنه لهرون الرشيد يا أمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وأنهم ليحبون التواضع للعلم فنزل الرشيد عن المنصة فجلس بين يديه اهـ من الروض الفائق (الثانية منه أيضًا) قال كان مالك رضى الله عنه فى تعظيم علم الدين مبالغًا حتى إذا أراد أن يحدث توضأ وصلى ركعتين وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن فى الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ هكذا يكون تعظيم العلم فالعلماء إذا عظموا العلم عظمهم الله عند الناس وجعل لهم الهيبة والوقار فى قلوب الملوك ومن دونهم فيا أيها الطالب للعلم تواضع له فمن تواضع له تواضع لله ومن تواضع لله رفعه الله فإن التراب لما ذل لأخمص القدمين صار طهورا للوجه كما قال تعالى فامسحوا بوجوهكم يا هذا دم على حضور مجلس العلم فالطفل يحتاج كل ساعة إلى الرضاع فإذا صار رجلا صبر على الفطام. واعلم أن طريق الفضائل مشحونة بالبلاء ليرجع عنها مخنث العزم.

---

(١) سورة النساء ٩٥.

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه فى النفوس لعظما
أأغرســه عــزا وأجنيــه ذلة ... إذا فاتباع الجهل قد كان أحزما

(الثالثة) سأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال له اشتر لك بها دارًا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الرحيل إلى بغداد قال له ينبغى لك أن تخرج معنا فإنى عزمت على أن أحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حملك الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل لأن أصحاب النبى ﷺ افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال رسول الله ﷺ: «اختلاف أمتى رحمة» . وأما الخروج معك فلا سبيل إليه قال رسول الله ﷺ: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون». وقال: المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد». وهذه دنانيركم كما هى إن شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعنى أنك إنما كلفتنى مفارقة المدينة بما اصطنعته لدىّ من أخذ هذه الدنانير فالآن خذها فإنى لا أوثر الدنيا وما فيها على مدينة النبى ﷺ (الرابعة) سئل رضى الله عنه عن معنى قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[1] فعرق وأطرق وصار ينكت بعود فى يده ثم رفع رأسه وقال الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة وأمر به فأخرج كذا فى طبقات الشعرانى (الخامسة) سعى بالإمام مالك رضى الله عنه إلى جعفر بن سليمان بن على بن عبدالله بن العباس ابن عم المنصور وقالوا إنه لا يرى الإيمان ببيعتكم هذه بشىء لأن يمين المكره ليست لازمة فغضب ودعا به وجرده وضربه بالسوط ومدت يده حتى خلعت كتفه وارتكب منه أمرًا عظيمًا فلم يزل بعد ذلك الضرب فى علاء ورفعة (السادسة) قال القعنبى دخلت على مالك فى مرضه الذى مات فيه فسلمت عليه ثم جلست فرأيته يبكى فقلت يا أبا عبدالله ما الذى يبكيك؟ فقال يا ابن قعنب وما لى لا أبكى ومن أحق بالبكاء منى والله لوددت أنى ضربت بكل مسألة أفتيت فيها برأيى بسوط سوطًا وقد كانت لى السعة فيما قد سبقت إليه

---

(١) سورة طه ٥.

وليتنى لم أفت بالرأى كذا فى تتمة المختصر (قيل) لما اشتهر مالك رضى الله عنه بالعلم وانتشر صيته وذكره فى البلاد حملت إليه الأموال فكان يفرقها على أصحابه وأصحابه يفرقونها فى وجه البر موافقة لفعله وما كان يدخرها وكان يقول ليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب منه . وقال رضى الله عنه ما كان رجل صادق فى حديث لا يكذب إلا متعه الله بعقله ولم تصبه عند الهرم آفة ولا خرف. وعن الداروردى رحمه الله قال رأيت فى المنام أنى دخلت مسجد رسول الله ﷺ فرأيت النبى ﷺ يعظ الناس إذ دخل مالك فلما رآه النبى ﷺ قال إلىّ إلىّ فأقبل حتى دنا منه فنزع رسول الله ﷺ خاتمه من أصبعه ووضعه فى خنصر مالك رضى الله عنه فأولته العلم قد وضعه النبى ﷺ إليه وكانت العلماء تقتدى بعلمه والأمراء تستضىء برأيه والعامة منقادة إلى قوله فكان يأمر فيمتثل أمره بغير سلطان ويقول فلا يسأل عن دليل على قوله ويأتى بالجواب فما يجسر أحد على مراجعته ولذلك قال فيه بعض محبيه :

يأتى الجواب فلا يراجع هيبة	والسائلون نواكس الأذقان
لبس الوقار وعز سلطان التقى	فهو المطاع وليس ذا السلطان

(وعن الشافعى) رضى الله عنه قال رأيت على باب مالك دواب من أفراس خراسان جاءته هدية وقيل من مصر ما رأيت أحسن منها فقلت له ما أحسن هذه فقال هى هدية منى إليك فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انى لأستحيى من الله أن أطأ تربة فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة. وكان يحيى بن سعيد رحمه الله يقول مالك رحمة لهذه الأمة. وقال أبو قدامة مالك أحفظ أهل زمانه. وقال أبو عبدالله المنتاب حفظ مالك مائة ألف حديث. وقال الليث بن سعد والله ما على وجه الأرض أحب إلىّ من مالك. وقال اللهم زد من عمرى فى عمره وكان الأوزاعى يعظم مالكًا وإذا ذكره يقول قال عالم العلماء قال عالم المدينة قال مفتى الحرمين وقال المثنى بن سعيد القصير سمعت مالكًا يقول ما بت ليلة إلا رأيت النبى ﷺ فيها .

(تتمة) توفى الإمام مــالك رضى الله عنه لعشـرة أيام خلت من ربيع الأول سنة تسع وسبعين ومائة ومرض يوم الأحد ومات يوم الأحد وعاش تسعين سنة وأوصى أن يكفن فى بعض ثيابه ويصلى عليه فى موضع الجنائز فصلى عليه أكثر الناس منهم ابن عياش وهاشم وابن كنانة وشعبة بن داود وكاتبه حبيب وابنه ونزل فى قبره جماعة من الأكابر وفى طبـقات الشعرانى ومكث رضى الله عنه خـمسًا وعشرين سنـة لم يشهد الجماعة فقيل له ما يمنعك من الخروج فقال مخالفة أن أرى منكرًا أحتاج أن أغيره قال وإنما سومح فى ذلك لأنه مجتهد ولو فعل ذلك غيره لا يقر عليه والله أعلم اهـ (قال) ابن القاسم كنا عند مالك فـى مرضه الذى مات فيه فـدخل ابن الدراوردى فقال يا أبا عبدِ الله رأيت البـارحة رؤيا أتسمعهـا منى فقال قل قال رأيت رجـلا ينزل من السماء عليه ثيـاب بيض وبيده سجل ينشـره ما بين السماء والأرض ثلاث مـرات يقول هذه براءة لمالك من النار فبينما أنا أحدثه إذ دخل عليه رسـول الأمير فقال يا أبا عبدالله إن مؤذن مسجد المدينة رأى البـارحة رؤيا فسمعتها منه فقص عليـه مثل ذلك فقال مالك الله المستـعان ما شـاء الله كان. وعن أبى زكريا قـال سمعت الشـافعى رضى الله عنه يقول قالت لى عمتى ونحن بمكة رأيت فى هذه الليلة رؤيا قلت وما هى؟ قالت رأيت قائلا يقول مات الليلة أعلم أهل الأرض فحسـبنا ذلك اليوم فكان اليوم الذى مات فيه مالك. ورأى بعض الصالحين مـالكا بعد موته فى المنام فقال له مـا فعل الله بك؟ قال غفر لى قال بماذا؟ قال بكلمـة سمعتها عن عثمان أنه كـان إذا رأى ميتًا قال الله لا إله إلا هو الحى القيوم سبحان الحى الذى لا يموت فأدمت قولها فأدخلنى الله الجنة. وعن يونس ابن عبـد الأعلى قال سـمعت بشر بن بكر يقـول رأيت الأوزاعى فى المنام مع جماعة من العلماء فى الجنة فقلت له أين مالك؟ فقيل رفع قلت بماذا؟ قال بصدقة اهـ من الروض الفائق.

فصل
فى ذكر مناقب إمامنا الشافعى رضى الله عنه

هو أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى المطلبى وإنما نسب لشافع لأنه صحابى ابن صحابى وللتفاؤل بالشفاعة وهو جده الثالث، إذ هو محمد بن إدريس بن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف يجتمع مع النبى ﷺ فى عبد مناف، وهو الثالث من أجداد النبى ﷺ والتاسع مع أجداد الشافعى رضى الله عنه.

(تنبيه) لا يخفى أن هاشمًا الذى فى نسب الإمام غير هاشم فى نسبه ﷺ لأن الثانى عم الأول وأن الشافعى مطلبى من جهة أبيه وهاشمىّ من جهة أمهات أجداده وأزدى من جهة أمه، وقيل أمه فاطمة بنت عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه فاحفظه فإنه وهم جماعة من المتأخرين من أرباب الحواشى فخبطوا خبط عشواء وركبوا متن عمياء، وقد نقل عن الحاكم أبى عبدالله وأبى بكر البيهقى والخطيب البغدادى أنهم ذكروا أن الشافعى ولده هاشم بن عبد مناف جد رسول الله ﷺ ثلاث مرات وذلك لأن أم السائب هى الشفا بنت الأرقم بن هاشم بن عبد مناف وأم الشفا هى خليدة بفتح الخاء المعجمة والذال المهملة وكسر اللام وسكون المثناة التحتية ابنة أسد بن هاشم بن عبد مناف وأم عبد يزيد هى الشفا بنت هاشم بن عبد مناف تزوجها هاشم فولدت له عبد يزيد فالشافعى ابن عم رسول الله ﷺ وابن عمته. ولد الإمام الشافعى رضى الله عنه بغزة سنة خمسين ومائة فى رجب وقيل فى شعبان يوم توفى أبو حنيفة وعن الذهبى لم يثبت اليوم وقيل بعسقلان وقيل باليمن والأول أصح ونشأ بمكة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين والموطأ وهو ابن عشر وتفقه على مسلم بن خالد الزنجى مفتى مكة وأذن له فى الإفتاء

أى الاجتهاد وهو ابن خمس عشرة سنة كذا فسر الإفتاء شيخ المشايخ الباجورى فى حشايته على ابن قاسم الغزى وهو ما يرشد إليه استنباطه الحكم من الحديث بعدم وقوع الطلاق على الرجل الذى باع القمرى كما سيأتى فى الفائدة وكان سنه رضى الله عنه إذ ذاك أربع عشرة سنة وأذن مالك رضى الله عنه له بالإفتاء حينئذ ثم لازم مالكًا بالمدينة وقدم بغداد فاجتمع عليه علماؤها وأخذوا عنه وصنف فيها مذهبه القديم ثم عاد إلى مكة ثم خرج إلى بغداد فأقام بها شهرًا ثم خرج إلى مصر وصنف فيها مذهبه الجديد بجامع عمرو ثم لم يزل ناشرًا للعلم مشتغلا به، وكان الشافعى رضى الله عنه يقسم الليل أثلاثًا ثلثا للعلم وثلثا للصلاة وثلثا للنوم (صفته) كان رضى الله عنه طويلا سائل الخدين قليل لحم الوجه طويل العنق طويل القصب أسمر خفيف العارضين يخضب لحيته بالحناء حمراء قانئة حسن الصوت حسن السمت عظيم العقل حسن الوجه حسن الخلق مهيبًا فصيحًا من أذرب الناس لسانًا إذا أخرج لسانه بلغ أنفه وكان مسقامًا ممنّوًا بالبواسير كذا وصفه ابن الصلاح. وعن الربيع قال كان الإمام الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى كل يوم مرة، وعن الربيع أيضًا كان الشافعى يختم القرآن فى رمضان ستين مرة فرأيته يصلى نحوًا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة وكان لا يمر على آية رحمة إلا سأل الله تعالى الإنابة لنفسه وللمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ منها وسأل الله تعالى النجاة لنفسه وللمؤمنين قال الحميدى كان الشافعى يختم كل شهر رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ فى الصلاة وكان يقول رضى الله عنه ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأنه يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة. وكان رضى الله عنه يقول ما حلفت بالله فى عمرى لا كاذبًا ولا صادقًا. وسئل رضى الله عنه عن مسألة فسكت فقيل له لم لا تجيب؟ فقال حتى أعلم الفضل فى سكوتى أو فى جوابى. قال الشافعى رضى الله عنه لما ختمت القرآن دخلت المسجد فكنت أجالس العلماء وأحفظ الحديث أو المسألة وكان منزلنا بمكة فى شعب الخيف وكنت فقيرًا

بحيث لا أملك أن أشترى القراطيس فكنت آخذ وأكتب فيه (وفى تاريخ ابن الوردى) أخذ الشافعى العلم من مالك ومسلم بن خالد الزنجى وسفيان بن عيينه وسمع الحديث من إسمعيل بن علية وعبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفى ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهم، وناظره محمد بن الحسن بالرقة فقطعه الشافعى وكان الشافعى حافظًا للشعر قرأ عليه الأصمعى ديوان الهذليين وديوان الشنفرى بمكة وقدم بغداد مرتين وناظر بشرًا المريسى بها وكان بشر معتزليًا وناظر حفصا الفرد بمصر قال حفص القرآن مخلوق واستدل فتجاريا حتى كفره الشافعى وقال إنما خلق الله الخلق بكن فإذا كانت كن مخلوقة فكأن مخلوقًا خلق بمخلوق اهـ. قال المزنى ومحمد بن عبدالله بن عبد الحكم جاءالشافعى إلى مالك رضي الله عنهما فقال له أريد أن أسمع منك الموطأ فقال مالك امض إلى حبيب كاتبى فإنه يقول قرأته فقال له الشافعى تسمع منى رضى الله عنك صفحًا فإن استحسنت قراءتى قرأته عليك وإلا تركتك فقال له اقرأ فقرأ صفحًا ثم وقف فقال له مالك هيه فقرأ صفحًا ثم سكت فقال له الإمام هيه فقرأ فاستحسن مالك قراءته فقرأ عليه الموطأ أجمع ثم أتاه بعد ذلك فقال مالك اطلب من يقرأ لك فقال له الشافعى أحب أن تسمع قراءتى فإن خفت عليك وإلا طلبت من يقرأ لى فقال اقرأ فقرأت عليه فأعجبه ذلك ثم قال اقرأ فقرأت عليه الموطأ من أوله إلى آخره حفظًا فدعا لى وسر بذلك وكان حفظ الشافعى رضى الله عنه للموطأ فى تسع ليال كذا نقله بعضهم وقيل فى ثلاث. روى الحميدى أن الشافعى رضى الله عنه خرج إلى اليمن فى بعض أشغاله ثم انصرف إلى مكة ومعه عشرة آلاف درهم فضرب خيمته خارج مكة فكان الناس يأتونه فما برح من مكانه حتى فرقها جميعها، وخرج يومًا من الحمام وقد أتى بمال كثير فدفعه للحمامى وسقط سوطه من يده وهو راكب فرفعه إليه إنسان فأعطاه خمسين دينارًا وروى عنه أنه خاط قميصًا عند بعض الخياطين ممن جهل قدره فهزأ به الخياط وجعل له الكم اليمين ضيقًا لا تخرج منه يده إلا بجهد والكم الآخر كأنه رأس عدل فلما جاء الشافعى رأى كمه ضيقًا جدًا والآخر متسعًا جدًا فقال جزاك الله خيرًا هذا الكم الضيق جيد لتشمير الوضوء وهذا الكم الواسع لأجل الكتاب وكان

رسول الملك قد جاء إلى الشافعى بعشرة آلاف درهم فصادفه عند الخياط فقال له ادفعها إليه حق خياطته هذا الثوب وفكرته فى تفصيله فسأل عنه الخياط فقيل له هذا الإمام الشافعى فتبعه وقبل قدميه واعتذر إليه ثم خدمه وصار من أصحابه. قال الربيع تزوّجت فسألنى الشافعى كم أصدقتها؟ فقلت ثلاثين ديناراً قال كم أعطيتها قلت ستة دنانير فأرسل إلىّ بصرة فيها أربعة وعشرون ديناراً وجعل لى معلومًا على الأذان بالجامع سنة إحدى ومائتين كذا فى الروض الفائق ومن كلام الشافعى رضى الله عنه فى الكرم كما فى شرح لامية العجم لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى وكتاب المناقب للرازى:

يا لهف نفسى على مال أفرقه ... على المقلين من أهل المروءات

إن اعتذارى إلى من جاء يسألنى ... ما ليس عندى لمن إحدى المصيبات

ومن كلامه أيضًا رضى الله عنه كما فى الشرح المذكور:

علىّ ثياب لو يباع جميعها ... يفلس لكان الفلس منهن أكثرا

وما ضر نصل السيف إخلاق غمده ... إذا كان عضبا حيث وجهته برى

ومن كلامه رضى الله عنه ما أورده الدميرى فى حياة الحيوان والرازى فى المناقب:

سأكتم علمى عن ذوى الجهل طاقتى ... ولا أنثر الدر النفيس على الغنم

فإن يسر الله الكريم بفضله ... وصادفت أهلا للعلوم وللحكم

بثثت مفيدًا واستفدت ودادهم ... وإلا فمخزون لدىّ ومكتتم

فمن منح الجهال علمًا أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

ومن كلامه رضى الله عنه:

إذا لم أجد خلا تقيًا فوحدتى ... ألذ وأشهى من غوىّ أعاشره

وأجلس وحدى للسفاهة آمنًا ... أقر لعينى من جليس أحاذره

ومن كلامه رضى الله عنه:

زن من وزنك بما اتزنـ ... ـك وما وزنك به فزنه

من جا إليك فرح إليـ ... ـه ومن جفاك فصد عنه

مـــن أظـــن أنـــك دونــه ... فـــــاترك هـواه إذا وهـنـه

وارجـع إلى ربـا العـــبـــا ... د فـكـل مـــا يأتـيـك مـنـه

ومن كلامه رضى الله عنه:

أكل العـقـاب بقـوة جـيف الـفـلا ... وجنى الذباب الشـهـد وهو ضـعـيف

ومن كلامه رضى الله عنه:

تمنـى رجـــال أن أمـــوت وإن أمت ... فـتلك سـبـيل لـست فـيـهـا بأوحـد

فقـال للذى يبغى خـلاف الذى مضى ... تهـيـأ لأخـرى مـثلهـا فكـأن قـد

وقــد علمـوا لـو ينفع العلـم عندهم ... لئـن مت مـــا الداعى عـلى بمخـلد

ومن كلامه رضى الله عنه:

كل العــدوات قـد تـرجى مـودتهـا ... إلا عــداوة من عـاداك مـن حـسـد

ومن كلامه أيضًا رضى الله عنه:

أمَتُّ مطـامـعى فـأرحت نـفـسى ... فـإن النفـس مـا طـمـعت تهـون

وأحـيـيـت القنوع وكـان مـيـتًـا ... فـفى إحـيـائه عـرضى مـصـون

إذا طمـع يحـل بقلـب عـــبـــد ... علـتـــه مـهـــانـة وعـــلاه هون

ومن كلامه أيضًا :

مـــا حك جلـدك مـــثل ظفـــرك ... فـتـــول أنت جـمـيع أمـــرك

وإذا قـــصـــدت لحـــاجـــة ... فـاقـــصـــد لمعـتـــرف بقـدرك

ومن كلامه رضى الله عنه:

يا من يـعـانـق دنيـا لا بقـاء لهـا ... يمسى ويـصـبح فـى دنيـاه سـفـارا

هلا تركـت لذى الدنيـا مـعـانقـة ... حـتى تعـانق فى الفـردوس أبكارا

إن كنت تبـغى جنان الخلد تسكـنهـا ... فـيـنبـغى لك ألا تـأمن الـنارا

وله رضى الله عنه كلام كثير فى النظم والنثر أفرد بالتأليف، وحسبك قوله رضى الله عنه:

ولولا الشعر بالعلماء يزرى ... لكنت اليوم أشعر من لبيد
وأشجع فى الوغى من كل ليث ... وآل مهلب وأبى يزيد
ولولا خشية الرحمن ربى ... حسبت الناس كلهم عبيدى

قال الشعرانى فى المتن يعنى بالناس أبناء الدنيا الذين يحبونها بقرينة قول بعض العارفين لبعض الملوك أنت عبد عبدى فقال ولم ذلك؟ فقال لأنك عبد الدنيا والدنيا خادمة لى اهـ.

(ومن كلامه المنثور) من لا يحب العلم لا خير فيه فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة، فإنه حياة القلوب ومصباح البصائر، ومن كلامه رضى الله عنه: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وقال رضى الله عنه: أظلم الظالمين لنفسه الذى إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوى الفضل، وكان رضى الله عنه يقول: وددت أن الناس يتفعون بهذا العلم ولم ينسب إلىّ منه شىء وقال أيضًا ما نظرت أحدًا قط إلا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله عز وجل وما ناظرنى أحد قط إلا أحببت أن يظهر الحق على يديه ولا أبالى أن يبين الله عز وجل الحق على لسانى أو على لسانه، وقال أيضًا: ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت مودته ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته.

(لطيفة) حكى عن الشافعى أنه قال كان لرجل ابن أبله فبعثه يومًا ليشترى حبلا طوله ثلاثون ذراعًا فقال فى عرض كم؟ فقال فى عرض مصيبتى فيك.

(فوائد) : الأولى كان الإمام الشافعى رضى الله عنه جالسًا بين يدى الإمام مالك بن أنس رضى الله عنهما فجاء رجل فقال لمالك إنى رجل أبيع القمارى وإنى بعت فى يومى هذا قمريًا فرده علىّ المشترى وقال قمريك لا يصيح فحلفت بالطلاق إنه لا يهدأ من الصياح فقال له الإمام مالك طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها وكان الإمام الشافعى يومئذ ابن أربع عشرة سنة فقال لذلك الرجل أيما أكثر صياح قمريك أم

سكوته فقال بل صياحه فقال لا طلاق عليك فـعلم بذلك الإمام مالك فقال للشافعى يا غـلام من أيـن لك هذا؟ فـقـال لأنك حـدثـتنى عن الزهرى عن أبى سـلمـة بن عبدالرحمن عن أم سلمة «أن فاطمة بنت قيس قالت يا رسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطبانى فقال ﷺ أمـا معاوية فصعلوك لا مال له وأما أبو جـهم فلا يضع عصاه عن عاتقه». وقد علم رسول الله ﷺ أن أبا جهم كـان يأكل وينام ويستريح وقد قال ﷺ لا يضع عصـاه على المجاز والعرب تجـعل أغلب الفعلين كمـداومته ولما كان صـياح قمرى هذا أكثر من سكوته جـعلته كصياحه دائمًا فتعجب الإمـام مالك من احتجاجه وقال له أفت فقد آن لك أن تفـتى فأفتى من تلك السن كذا فى حياة الحـيوان (الثانية) أن محـمد بن الحسن وأبا يـوسف يعقوب بن إبراهيم صـاحبى أبى حنيـفة رضى الله عنهم امتـحنا الشافـعى محمـد بن إدريس رضى الله عنه صاحب التـرجمة بحـضرة الرشيد فقالا ما تقول فى رجلين خطبـا امرأة فحلت لأحدهما ولم تحل للآخر وليست بمحرم له؟ فقال إن أحـد الرجلين كان له أربع نسوة فحرمت عليه الخامـسة، فقالا ما تقول فى رجلين شربا خـمرًا فوجب على أحدهما الحـد ولم يجب على الآخر وكانا مسلمين؟ فقال إن أحدهما كان حرًا بالغًا فـوجب عليه الحد والآخر كان صبيًا لم يبلغ الحلم، قالا فما تقول فى خمـسة زنوا فوجب على أحدهم القتل وعلى الآخر الرجم وعلى الثالث الحـد وعلى الرابع نصف الحد والخـامس لم يجب عليه شىء فقـال أما الأول فمشرك زنى بمسلمـة فوجب عليه القتل وأما الثانى فمـحصن زنى فوجب عليه الرجم وأما الثالث فبكر زنى فوجب عليه الحـد وأما الرابع فمملوك زنى فوجب عليه نصف الحد وأما الخامس فصبى أو مجنون، قالا فما تقول فى رجل أخذ قدحًا فيه ماء فشرب بعضه حلالاً وحرم عليه الباقى؟ فقال إنه لما شرب بعضه رعف فى باقيه فحرم عليه، قالا فما تقـول فى رجل دفع لزوجته كيسًا مختـومًا وقال لها أنت طالق إن لم تفرغيه ولا تفـتحيه ولا تقطعيه ولا تفـتقيه فأفرغـته على ذلك الحكم؟ قال إن الكيس كان مملوءًا سكرًا أو ملحًا فـوضعته فى الماء فذاب وتفـرغ، قالا فما تقول فى جـماعة صلحاء سجـدوا لغير الله تعالى وهم فى فـعلهم مطيعون؟ قال إنهم المـلائكة سجدوا لآدم عليه السلام، قـالا فما تقول فى رجل صلى بقوم فسـلم عن يمينه فطلقت زوجته

وسلم عن يساره فبطلت صلاته ونظر إلى السماء فوجب عليه ألف درهم؟ قال هذا الرجل لما سلم عن يمينه نظر إلى رجل كان تزوج امرأته بالغيبة ولم يدخل بها قد قدم من السفر فوجب عليه طلاقها ثم سلم عن يساره فرأى فى ثوبه دمًا كثيرًا فوجب عليه إعادة الصلاة ثم نظر إلى السماء فرأى الهلال وكان عليه ألف درهم فى الشهر فوجبت عليه، قالا فما تقول فى رجل لقى جارية فقبلها وقال فديت من أبى جدها وأخى عمها وأنا زوج أمها؟ قال هى ابنته، قالا فما تقول فى امرأة لقيت غلامًا فقبلته وقالت فديت من أمى ولدت أمه وأخو زوجى عمه وأبوه ابن حماتى وأنا امرأة أبيه؟ قال هى أمه فلما فرغ من مسائلهما أقبل الشافعى على محمد بن الحسن وقال: ما تقول فى رجل تزوج امرأة وزوج ابنه أمها فجاء الأم والبنت بولدين ما يكون هذا الولد من ذلك وذلك من هذا؟ فسكت محمد بن الحسن فقال الرشيد للشافعى فسر لنا هذه فقال يا أمير المؤمنين ابن الأم خال لابن البنت وابن البنت عم لابن الأم فأعجب الرشيد ذلك، ثم أقبل الشافعى على أبى يوسف وقال ما تقول فى رجل مات وخلف ستمائة درهم وله من الورثة أخت فأصابها درهم واحد افرض لنا هذه القسمة، فسكت أبو يوسف فقال الرشيد للشافعى بحياتى فسر لنا الأخرى فقال يا أمير المؤمنين هذا شخص مات وخلف ستمائة درهم وترك ابنين أصابهما الثلثان وهما أربعمائة درهم وخلف والدته أصابها السدس وهو مائة درهم وخلف زوجته أصابها الثمن وهو خمس وسبعون درهمًا وله اثنا عشر أخًا كل واحد منهم درهمان ففضل للأخت درهم اهـ من الكنز المدفون ومثله فى كتاب المناقب للرازى وهى فائدة جمعت فوائد (الثالثة) كان الإمام أحمد بن حنبل يعظم الإمام الشافعى رضى الله عنهما ويذكره كثيرًا ويثنى عليه وكانت له ابنة صالحة تقوم الليل وتصوم النهار وتحب أخبار الصالحين الأخيار وتود أن ترى الشافعى لتعظيم أبيها له فاتفق مبيت الإمام الشافعى عند أحمد رضى الله عنهما فى وقت ففرحت البنت بذلك طمعًا أن ترى أفعاله وتسمع مقاله، فلما كان الليل قام الإمام أحمد إلى وظيفة صلاته وذكره والإمام الشافعى رضى الله عنه مستلق على ظهره والبنت ترقبه إلى الفجر فقالت لأبيها رأيتك تعظم الشافعى وما رأيت له فى هذه الليلة لا صلاة ولا ذكرا ولا وردا، فبينما هم فى

الحديث إذ قام الشافعى فقال له أحمد كيف كانت ليلتك؟ فقال ما رأيت ليلة أطيب منها ولا أبرك منها ولا أربح فقال كيف ذلك؟ قال لأنى رتبت فى هذه الليلة مائة مسألة وأنا مستلق على ظهرى كلها فى منافع المسلمين ثم ودعه ومضى فقال أحمد بن حنبل لابنته هذا الذى عمله الليلة وهو نائم أفضل مما عملته وأنا قائم اهـ من الروض الفائق (الرابعة) روى سويد بن سعيد رحمه الله قال كان الشافعى جالسًا بعد صلاة الصبح فى مدينة النبى ﷺ إذ دخل عليه رجل فقال له: إنى خائف من ذنوبى أن أقدم على ربى وليس لى عمل غير التوحيد فقال له الإمام الشافعى رضى الله عنه يا مؤمن لو أراد الله عز وجل أن يؤيسك من المسامحة لديه لما أحالك فى مغفرة الذنوب عليه حيث يقول: «ومن يغفر الذنوب إلا الله» ولو أراد عقوبتك فى جهنم وتخليدك لما ألهمك معرفتك به وتوحيدك ثم أنشد:

إن كنت تغدو فى الذنوب جليدا ... وتخاف فى يوم المعاد وعيدا
فلقد أتاك من المهيمن عفوه ... وأتاح من نعم عليك مزيدا
لا تيأسن من لطف ربك فى الحشا ... فى بطن أمك مضغة ووليدا
لو شاء أن تصلى جهنم خالدا ... ما كان ألهم قلبك التوحيدا

فبكى الرجل وأقبل على العبادة ورفح بكلامه رضى الله عنه كذا فى الروض الفائق (الخامسة) روى عبدالله بن مروان قال: كنت أجلس فى حلقة العلم عند الإمام الشافعى رضى الله عنه وأكتب ما أفهمه منه فأتيته سحرًا فوجدته فى المسجد وهو قائم يصلى فجلست حتى فرغ من صلاته ثم دعا بدعوات حفظتها منه فكان من جملة ذلك اللهم امنن علينا بصفاء المعرفة وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على السنة وارزقنا صدق التوكل عليك وحسن الظن بك وامنن علينا بكل ما يقربنا إليك مقرونًا بعوافى الدراين برحمتك يا أرحم الراحمين. قال فلما فرغ من دعائه خرج من المسجد وخرجت خلفه فوقف ينظر إلى السماء ثم أنشد :

بموقف ذلى دون عونك العظمى ... بمخفى سر لا أحيط به علما
بإطراق رأسى باعترافى بذلتى ... بمديدى أستمطر الجود والرحما

بأسمائك الحسنى التى بعض وصفها لعزتها يستغرق النثر والنظمـــا
بغهـد قديم من ألســت بربكـــــم بمن كان مجهولا فعلمته الأسما
أذقنا شـــراب الأنس يا من إذا سقى محبا شرابا لا يضام ولا يظمـا

ومن جملة دعائه رضى الله عنه: اللهم إنى أعوذ بنور قدسك وعظمة طهارتك وبركة جـلالك من كل آفة وعـاهة وطارق من الإنس والجن إلا طارقًا يطرق بخـير. اللهم أنت عـياذى فبك أعـوذ وأنت ملاذى فـبك ألوذ يا من ذلت له رقاب الجـبابرة وخضعت له أعناق الفراعنة أعوذ بجلالك وكـرمك من خزيك وكشف سترك ونسيان ذكـرك والانصراف عـن شكرك، أنا فى كنفك ليلى ونهـارى ونومى وقـرارى وظعنى وأسـفارى، ذكـرك شعـارى وثناؤك دثارى، لا إله إلا أنت تنزيهـا لأسمـائك وتكريماً لسبحات وجهك أجرنى من خزيك ومن شر عبادك وقنى سيئات مكرك واضرب على سـرادقات حـفظك وأدخلنى فى حـفظ عنايتك يا أرحم الـراحمين كـذا فى الروض الفائق. وفيـه أيضًا قرأ عليه بعضهم يومًـا قوله تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ لا يَنطِقُـونَ * وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾[1] . فتغير لونه واقشعر جلده واضـطربت مفاصله وخر مغشيًا عليه فلما أفاق قال أعوذ بك من مقام الكذابين وإعراض الغافلين، اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لهيـبتك نفوس المشتاقين، إلهى هب لى جـودك وجللنى بسترك واعف عنى فى تقصيرى بكرمك. وهذه الفائدة قد احتوت على فوائد. (السادسة) قال عبدالله بن مـحمد البكرى: كنت مع الإمام الشافـعى رضى الله عنه بشط بغداد فرأى شابًا يتوضـأ ولا يحسن الوضوء فقال له يا غلام أحـسن وضوءك أحسن الله إليك فى الدينا والآخرة ثم مضى فأسرع الشاب فى وضـوئه ثم لحق الإمام الشافعى ولم يعرفه فالتفت إليه الإمام وقال له هل لك من حاجة؟ قال نعم علمنى مما علمك الله فقال له اعلم أن من عـرف الله نجا ومن أشفـق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عـيناه بما يرى من ثواب الله غدا أفـلا أزيدك؟ قال بلى قـال من كان فـيه ثلاث

---

(١) سورة المرسلات ٣٦.

خصال فقد استكمل الإيمان من أمر بالمعروف وائتمر به ونهى عن المنكر وانتهى عنه وحافظ على حدود الله تعالى قال أفلا أزيدك؟ قال بلى قال كن فى الدنيا زاهدًا وفى الآخرة راغبًا واصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين، ثم مضى فسأل عنه الشاب بعد ذلك فقيل له هذا الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول: رأيت وأنا فى اليمن كأنى جالس فى فضاء الطواف إذ أقبل على بن أبى طالب رضى الله عنه فقمت إليه مسرعًا وسلمت عليه وصافحته فعانقنى ونزع خاتمه من أصبعه فجعله فى أصبعى فلما أصبحت قصصت ذلك على المعبر فقال لى أبشر يا أبا عبدالله، أما رؤيتك لعلى بن أبى طالب فى المسجد الحرام فهو النجاة من النار، وأما مصافحتك إياه فهو الأمان يوم الحساب، وأما جعله الخاتم فى أصبعك فسيبلغ اسمك فى الدنيا ما بلغ اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه. قال الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه: ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى وقال له ابنه يا أبت أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال الإمام أحمد يا بنى كان الشافعى كالشمس للدنيا والعافية للناس فانظر يا بنى هل من هذين خلف؟ قال صاحب الروض هكذا العلماء والصالحون هم كالشمس للدنيا والعافية للناس وليس منهما خلف فإن بهم يدفع الله البلاء وينزل الرخاء وتعم البركة وتنشر الرحمة فلله درهم فروا من الدنيا إلى الله وأنتم تفرون من الله إلى الدنيا. قال الخطيب فى الإقناع وحمل حديث «عالم قريش يملأ طباق الأرض علمًا» على الشافعى وفى رواية «يملأ الأرض علمًا» وعن أبى الفرج عبدالرحمن بن الجوزى قال قال أحمد بن حنبل إن الله تعالى يقيض للناس فى رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفى عن رسول الله ﷺ الكذب فنظرنا فإذا فى رأس المائة عمر بن عبدالعزيز وفى رأس المائتين الشافعى، وكان أحمد بن حنبل يقول: ما عرفت ناسخ الحديث ومنسوخه حتى جالست الشافعى رضى الله عنهما.

(تتمة) فى الكلام على رحلته ووفاته وأولاده رضى الله عنه. قال الشيخ الإمام العالم المقرى أبو القاسم عبدالعزيز بن يوسف الأردبيلى المالكى بالجامع العتيق بمصر فى

سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة أخبرنا الشيخ أبو محمد عبدالله بن فتح المعروف بابن الحبشى سنة ثلاثين وخمسمائة أخبرنا الشريف القاضى الموسوى ابن إسمعيل بن الحسينى المقرى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة بالجامع العتيق بمصر قال أخبرنا الشيخ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفارسى فى ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وأربعمائة قال أخبرنا يحيى بن عبدالله الرجل الصالح ويحيى بن موسى المعدل بمصر قالا حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد الواعظ المصرى الكراز قال حدثنى أبو الفرج عبد الرزاق حميدان البطين قال حدثنى أبو بكر محمد بن المنذر قال حدثنى الربيع بن سليمان قال سمعت الإمام الشافعى رضى الله عنه يقول: فارقت مكة وأنا ابن أربع عشرة سنة لا نبات بعارضى من الأبطح إلى ذى طوى وعلى بردتان يمانيتان فرأيت ركبًا فسلمت عليهم فردوا على السلام ووثب إلى شيخ كان فيهم قال سألتك بالله إلا ما حضرت طعامنا قال الشافعى رضى الله عنه وما كنت أعلم أنهم أحضروا طعامًا فأجبت مسرعًا غير محتشم فرأيت القوم يأخذون الطعام بالخمس ويدفعون بالراحة فأخذت كأخذهم كى لا يستبشع عليهم مأكلى والشيخ ينظر إلىّ ثم أخذت السقاء فشربت وحمدت الله وأثنيت عليه فأقبل على الشيخ وقال أمكى أنت؟ قلت مكى قال أقريشى أنت؟ قلت قريشى ثم أقبلت عليه وقلت يا عم بما استدللت علىّ قال أما فى الحضر فبالزى وأما فى النسب فبأكل الطعام لأنه من أحب أن يأكل طعام الناس أحب أن يأكلوا طعاه وذلك فى قريش خصوصًا، قال الشافعى رضى الله عنه فقلت للشيخ من أين أنت قال من يثرب مدينة النبى ﷺ فقلت له من العالم بها والمتكلم فى نص كتاب الله تعالى والمفتى بأخبار الرسول ﷺ قال سيدى ابن أصبح مالك بن أنس رضى الله عنه قال الشافعى رضى الله عنه فقلت واشوقاه إلى مالك فقال لى قد بل الله شوقك انظر إلى هذا البعير الأورق فإنه أحسن جمالنا ونحن على رحيل ولك منا حسن الصحبة حتى تصل إلى مالك فما كان غير بعيد حتى قطروا بعضها إلى بعض وأركبونى البعير الأورق وأخذ القوم فى السير وأخذت أنا فى الدرس فختمت من مكة إلى المدينة ست

عشرة ختمة بالليل ختمة وبالنهار ختمة ودخلت المدينة فى اليوم الثامن بعد صلاة العصر فصليت العصر فى مسجد رسول الله ﷺ ودنوت من القبر فسلمت على النبى ﷺ ولذت بقبره فرأيت مالك بن أنس متزرًا ببردة متشحًا بأخرى قال حدثنى نافع عن ابن عمر عن صاحب هذا القبر وضرب بيده إلى قبر رسول الله ﷺ قال الشافعى رضى الله عنه فلما رأيت ذلك هبته مهابة عظيمة وجلست حيث انتهى بى المجلس فأخذت عودًا من الأرض فجعلت كلما أملى مالك حديثًا كتبته بريقى على يدى والإمام مالك رضى الله عنه ينظر إلى من حيث لا أعلم حتى انقضى المجلس وانتظرنى مالك أن أنصرف فلم يرنى انصرفت فأشار إلى فدنوت منه فنظر إلى ساعة ثم قال أحرمى أنت؟ قلت جرمى قال أمكى أنت؟ قلت مكى قال أقرشى أنت؟ قلت قرشى قال كملت أوصافك لكن فيك إساءة أدب قلت وما الذى رأيت من سوء أدبى؟ قال رأيتك وأنا أملى ألفاظ الرسول عليه الصلاة والسلام تلعب بريقك على يدك فقلت له عدمت البياض فكنت أكتب ما تقول فجذب مالك يدى إليه فقال ما رأى عليها شيئًا فقلت إن الريق لا يثبت على اليد ولكن فهمت جميع ما حدثت به منذ جلست وحفظته إلى حين قطعت. فتعجب الإمام مالك من ذلك فقال أعد على ولو حديثًا واحدًا قال الشافعى رضى الله عنه فقلت حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر وأشرت بيدى إلى القبر كإشارته حتى أعدت عليه خمسة وعشرين حديثًا حدث بها من حين جلس إلى وقت قطع المجلس وسقط القرص فصلى مالك المغرب وأقبل على عبده وقال خذ بيد سيدك إليك وسألنى النهوض معه قال الشافعى رحمه الله فقمت غير ممتنع إلى ما دعا من كرمه فلما أتيت الدار أدخلنى الغلام إلى خلوة فى الدار وقال لى القبلة فى البيت هكذا وهذا إناء فيه ماء وهذا بيت الخلاء قال الشافعى رضى الله عنه فما لبث مالك رضى الله عنه حتى أقبل هو والغلام حاملا طبقًا فوضعه من يده وسلم الإمام علىّ ثم قال للعبد اغسل علينا ثم وثب الغلام إلى الإناء وأراد أن يغسل علىّ أولا فصاح عليه مالك وقال الغسل فى أول الطعام لرب البيت وفى آخر الطعام

للضيف قال الشافعى رضى لله عنه فاستحسنت ذلك من الإمام مالك رضى الله عنه وسألته عن شرحه فقال إنه يدعو الناس إلى كرمه فحكمه أن يتبدئ بالغسل وفى آخر الطعام ينتظر من يدخل فيأكل معه قال الشافعى رضى الله عنه فكشف الإمام رضى الله عنه الطبق فكان فيه صفحتان فى إحداهما لبن والأخرى تمر فسمى الله تعالى وسميت فأتيت أنا ومالك على جميع الطعام وعلم مالك أنا لم نأخذ من الطعام الكفاية فقال لى يا أبا عبدالله هذا جهد من مقل إلى فقير معدم فقلت لا عذر على من أحسن إنما العذر على من أساء قال الشافعى رضى الله عنه فأقبل مالك يسألنى عن أهل مكة حتى دنت العشاء الآخرة ثم قال عنى وقال حكم المسافر أن يقل تعبه بالاضطجاع فنمت ليلتى فلما كان فى الثلث الأخير من الليل قرع علىّ مالك الباب فقال لى الصلاة يرحمك الله فرأيته حامل إناء فيه ماء فتبشع علىّ ذلك فقال لا يرعك ما رأيته فخدمة الضيف فرض قال الشافعى رضى الله عنه فتجهزت للصلاة وصليت الفجر مع الإمام مالك فى مسجد رسول الله ﷺ والناس لا يعرف بعضهم بعضًا من شدة الغلس وجلس كل واحد منا فى مصلاه يسبح الله تعالى إلى أن طلعت الشمس على رءوس الجبال فجلس مالك فى مجلسه بالأمس وناولنى الموطأ أمليه وأقرؤه على الناس وهم يكتبونه قال الشافعى رضى الله عنه فأتيت على حفظه من أوله إلى آخره وأقمت ضيف مالك ثمانية أشهر فما علم أحد من الأنس الذى كان بيننا أينا الضيف ثم قدم على مالك المصريون بعد قضاء حجهم للزيارة واستماع الموطأ قال الشافعى فأمليت عليهم حفظًا منهم عبد الله بن الحكم وأشهب وابن القاسم قال الربيع وأحسب أنه ذكر الليث بن سعد ثم قدم بعد ذلك أهل العراق لزيارة النبى ﷺ قال الشافعى رضى الله عنه فرأيت بين القبر والمنبر فتى جميل الوجه نظيف الثوب حسن الصلاة فتوسمت فيه خيرًا فسألته عن اسمه فأخبرنى وسألته عن بلده فقال العراق فقلت أى العراق؟ فقال لى الكوفة فقلت من العالم بها والمتكلم فى نص الكتاب والمفتى بأخبار

رسول الله ﷺ؟ فقال لى أبو يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبى حنيفة رضى الله عنه فقال الشافعى رضى الله عنه فقلت ومتى عزمتم تظعنون؟ فقال لى فى غداة غد وقت الفجر فعدت إلى مالك فقلت له خرجت من مكة فى طلب العلم بغير استئذان العجوز فأعود إليها أو أرحل فى طلب العلم فقال لى العلم فائدة يرجع منها إلى فائدة ألم تعلم أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلبه قال الشافعى رضى الله عنه فلما أزمعت السفر زودنى الإمام مالك رضى الله عنه فلما كان السحر سار معى مشيعًا إلى البقيع ثم صاح بعلو صوته من يكرى راحلته إلى الكوفة فأقبلت عليه وقلت بم تكترى وليس معك ولا معى شيء؟ فقال لى انصرفت البارحة بعد صلاة العشاء إذ قرع قارع علىّ الباب فخرجت إليه فأصبت ابن القاسم فسألنى قبول هديته فقبلتها فدفع إلى صرة فيها مائة دينار وقد أتيتك بنصفها وجعلت النصف لعيالى فاكترى لى بأربعة دنانير ودفع إلى باقى الدنانير وودعنى وانصرف وصرت فى جملة الحاج حتى وصلت إلى الكوفة يوم رابع وعشرين من المدينة فدخلت المسجد بعد صلاة العصر وصليت العصر بينما أنا كذلك إذ رأيت غلامًا قد دخل المسجد وصلى العصر فما أحسن الصلاة فقمت إليه ناصحًا فقلت له أحسن صلاتك لئلا يعذب الله هذا الوجه الجميل بالنار فقال لى أنا أظن أنك من أهل الحجاز لأن فيكم الغلظة والجفاء وليس فيكم رقة أهل العراق وأنا أصلى هذه الصلاة خمس عشرة سنة بين يدى محمد بن الحسن وأبى يوسف فما عابا على صلاتى قط وخرج معجبًا ينفض رداءه فى وجهى فلقى للتوفيق محمد بن الحسن وأبا يوسف بباب المسجد فقال أعلمتما فى صلاتى من عيب؟ فقالا اللهم لا قال ففى مسجدنا هذا من عاب صلاتى فقالا اذهب إليه فقل له بم تدخل الصلاة؟ قال الشافعى رضى الله عنه فقال لى يا من عاب صلاتى بم تدخل فى الصلاة؟ فقلت بفرضين وسنة فعاد إليهما وأعلمهما بالجواب فعلما أنه جواب من نظر فى العلم، فقالا اذهب إليه فقل له ما الفرضان وما السنة؟ فأتى إلى فقال ما الفرضان وما السنة؟ فقلت له أما الفرض الأول فالنية والثانى تكبيرة الإحرام والسنة رفع اليدين فعاد إليهما فأعلمهما بذلك فدخلا إلى المسجد فنظرا إلىّ أظنهما ازدريانى

فجلسا فى ناحية وقالا اذهب إليه وقل له أجب الشيخين قال الشافعى رضى الله تعالى عنه فلما أتانى علمت أنى مسئول عن شىء من العلم فقلت من حكم العلم أن يؤتى إليه وما علمت لى إليهما حاجة قال الشافعى رضى الله عنه فقاما من مجلسهما إلىّ فلما سلما على قمت إليهما وأظهرت البشاشة لهما وجلست بين يديهما فأقبل على محمد بن الحسن قال أحرمى أنت؟ فقلت نعم فقال أعربى أم مولى؟ فقلت عربى فقال من أى العرب؟ فقلت من ولد المطلب قال من ولد من؟ قلت من ولد شافع قال رأيت مالك (هكذا وقعت هذه اللفظة) قلت من عنده أتيت قال لى نظرت فى الموطأ؟ قلت أتيت على حفظه فعظم ذلك عليه ودعا بدواة وبياض وكتب مسألة فى الطهارة ومسألة فى الزكاة ومسألة فى البيوع والفرائض والرهان والحج والإيلاء ومن كل باب فى الفقه مسألة وجعل بين كل مسألتين بياضًا ودفع إلى الدرج وقال أجب عن هذه المسائل كلها من الموطأ قال الشافعى رضى الله عنه فأجبت بنص كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وإجماع المسلمين فى المسائل كلها ثم دفعت إليه الدرج فتأملته ونظر فيه ثم قال لعبده خذ سيدك إليك قال الشافعى رضى الله عنه ثم سألنى النهوض مع العبد فنهضت غير ممتنع فلما صرت إلى الباب قال لى العبد إن سيدى أمرنى ألا تصير إلى المنزل إلا راكبا قال الشافعى رضى الله عنه فقلت له قدم إلىّ بغلة بسرج محلى فلما علوت على ظهرها رأيت نفسى بأطمار رثة فطاف بى أزقة الكوفة إلى منزل محمد بن الحسن فرأيت أبوابًا ودهاليز منقوشة بالذهب والفضة فذكرت ضيق أهل الحجاز وما هم فيه فبكيت وقلت أهل العراق ينقشون سقوفهم بالذهب والفضة وأهل الحجاز يأكلون القديد ويمصون النوى ثم أقبل علىّ محمد بن الحسن وأنا فى بكائى فقال لا يرعك يا عبدالله ما رأيت فما هو إلا من حقيقة حلال ومكتسب وما يطالبنى الله فيها بفرض وإنى أخرج زكاتها فى كل عام فأسر بها الصديق وأكبت بها العدو قال الشافعى رضى الله عنه فما بت حتى كسانى محمد بن الحسن خلعة بألف درهم ثم دخل خزانته

فأخرج إلى الكتــاب الأوسط تأليف الإمام أبى حنيـفة فنظرت فى أوله وفــى آخره ثم ابتدأت الكتاب فى ليـلتى أتحفظه فما أصبـحت إلا وقد حفظته ومحــمد بن الحسن لا يعمل بشىء من ذلك وكان المشهور بالكوفة بالفتوى والمجيب فى النوازل فأنا قاعد عن يمينه فى بعض الأيام إذ سئل عن مسألة أجاب فيها وقال هكذا قال أبو حنيفة فقلت له قد وهمت فى الجواب فى هذه المسألة والجـواب من قول الرجل كذا وكذا وهذه المسألة الفلانيـة وفوقها المســألة الفلانية فى الكتــاب الفلانى فأمــر محمد بن الحـسن بالكتاب فأحضر فتـصفحه ونظر فيه فوجد القول كمـا قلت فرجع عن جوابه إلى ما قلت ولم يخرج إلىّ كتابًا بعد هذا قال الشافعى فاسـتأذنته فى الرحيل فقال ما كنت لآذن لضيف بالرحيل عنى وبذل لى مشــاطرة نعمته فقلت ما لذا قـصدت ولا لذا أردت ولا رغبتى إلا فى السفر قــال فأمر غلامه أن يأتى ما فى خـزانته من بيضاء وحمـراء فدفع إلى ما كان فـيها وهو ثلاثة آلاف درهم وأقـبلت أطوف العراق وأرض فـارس وبلاد الأعاجم وألقى الرجال حتى صرت ابن إحدى وعشرين سنة ثم دخلت العراق فى خلافة هرون الرشيد فـعند دخول الباب تعلق بى غلام فـلاطفنى وقال لى ما اسمك فقلت مـحمد فقال ابن من؟ قلت ابن إدريس الشافعى فقال مطلبى؟ فقلت أجل فكتب ذلك فى لوح كان فى كمه وخلى سـبيلى فأويت إلى بعض المساجد أفكر فى عاقبـة ما فعل حتى إذا ذهب من الليل النصف كـبس المسجـد وأقبلوا يتـأملون وجه كل رجل حـتى أتوا إلىّ فقالوا للناس لا بأس عليكم هذا هو الحاجة والغاية المطلوبة ثم أقبلوا علىّ وقالوا أجب أميـر المؤمنين فقـمت غيـر ممتنع فلما بصـرت بأمير المؤمنين ســلمت عليه سلامـا بينا فاستـحسن الألفاظ ورد علىّ الجواب ثم قال تزعم أنك من بنى المطلب فـقلت يا أمير المؤمنين كل زعم فى كتاب الله باطل فقال أبن لى عن نســبك فانتسبت حتى لحقت آدم عليه السلام فقال لى الرشيد مـا تكون هذه الفصاحة ولا هذه البلاغة إلا فى رجل من ولد المطلب هل لك أن أوليك قضاء المسلمين وأشاطرك ما أنا فـيه وتنفذ فيهم حكمك وحكى على ما جـاء به الرسول عليه الصلاة والســلام واجتمعت عليه الأمـة فقلت يا أمير المؤمنين لـو سألتنى أن أفتح باب القضاء بـالغداة وأغلقه بالعشى بنعـمتك هذه ما

فعلت ذلـك أبدا فبكى الرشـيد وقال تقـبل من عرض الدنيـا شيء (هكذا وردت هذه اللفظة) قلت يكون معجلا فأمر لى بألف دينار فما برحـت عن مقامى حتى قبضتها ثم سألنى بعض الغلمـان والحشم أن أصلهم من صلتى فلم تسع المروءة أن كنت مـسئولا غير المقاسـمة فيما أنعم الله به على فخـرج لى قسم كأقسامهم ثم عـدت إلى المسجد الذى كنت فيه فى ليلتى فتـقدم يصلى بنا غلام صلاة الفجر فى جمـاعة فأجاد القراءة ولحقه سهو فلم يدر كيف الدخول ولا كيف الخروج فقلت له بعد السلام أفسدت علينا وعلى نفسك أعد فأعاد مسرعًا وأعـدنا ثم قلت له أحضر بياضًا أعمل لك باب السهو فى الصلاة والخروج منها فسارع إلى ذلك ففتح الله عزّ وجل فألفت كتابًا من كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام وإجمـاع المسلمين وسميته باسمه وهو أربعون جزءًا يعرف بكتـاب الزعفرانى وهو الذى وضعته بـالعراق حتى تكامل فى ثلاث سنين وولانى الرشيد الصدقات بنجران وقدم الحاج فـخرجت أسألهم عن الحجاز فرأيت فتى فى قبته فلما أشرت إليه بالسلام أمـر قائد القبة أن يقف وأشار إلىّ بالكلام فسألته عن الإمام مالك وعن الحجـاز فأجاب بخير ثم عاودته إلى السؤال عن مـالك فقال أشرح لك أو أختصـر؟ قلت فى الاختصار البلاغة فـقال فى صحة جسم وله ثلثـمائة جارية يبيت عند الجارية ليلة فـلا يعود إليها إلى سنة فقـد اختصرت لك خبره قـال الشافعى رضى الله عنه فاشـتهيت أن أراه فى حـال غناه كما رأيته فـى حال فقرة فـقلت له أما عندك من المال ما يصلح للسفر فقال إنك لتوحـشنى خاصة وأهل العراق عامة وجميع مالى فيه لك فـقلت له فبم تعيش؟ قال بالجاه ثم نظر إلى وحكمنـى فى ماله فأخذت منه على حسب الكفاية والنهـاية وسرت على ديار ربيعة ومضر فـأتيت حران ودخلتها يوم الجمعة فذكـرت فضل الغسل وما جاء فيه فقصـدت الحمام فلما سكبت الماء رأيت شعر رأسى شعثا فدعوت المزين فلما بدأ برأسى وأخذ القليل من شعرى دخل قوم من أعيـان البلد فدعوه فـسار إليهم وتركنـى فلما قضـوا ما أرادوا منه عاد إلىّ فـما أردته وخرجت من الحمام فدفعت إليه أكـثر ما كان معى من الدنانير وقلت له خذ هذه وإذا وقف بك غريب لا تحقره فنظر إلى مـتعجبًا فاجتمع على باب الحمـام خلق كثير فلما

خرجت عاتبنى الناس فـبيما أنا كذلك إذ خرج بعض من كان فى الحـمام من الأعيان فقدمت له بغلة ليركبها فسمع خطابى له فـانحدر عن البغلة بعد أن استوى عليها وقال لى أنت الشافعى؟ فـقلت نعم فمد الركاب مما يلينى وقـال بحق الله اركب ومضى بى الغلام مطرقًا بين يدى حتى أتيت إلى منزل الفتى ثم أتى وقد حصلت فى منزله فأظهر البشاشة ثم دعا بالـغسل فغسل علىّ ثم حضرت المائدة فسمى وحـبست يدى فقال ما لك يا عبدالله فـقلت له طعامك حرام على حتى أعرف من أين هذه المعـرفة؟ فقال أنا ممن سمع منك الكتاب الذى وضعته ببغداد وأنت لى أستاذ قال الشافعى رضى الله عنه فقلت العـمل بين أهل العقل رحم مـتصلة فأكلت بـفرحة إذ لم يعـرف الله تعالى إلا بينـى وبين أبناء جنسى فـأقمت عنده ثلاثـًا فلما كـان بعد ثلاث قال لـى إن لى حول حران أربع ضياع ما بنجران أحسن منها أشهد الله إن اخترت المقام فإنها هدية منى إليك فقلت فبم تعـيش قال بما فى صناديقى تلك وأشار إليهـا وهى أربعون ألف درهم وقال أتجر بها فـقلت ليس إلى هذا قصدت ولا خرجت من بلدى إلا فى طـلب العلم فقال لى فالمال إذًا من شأن المـسافر فقبـضت أربعين ألفا وودعته وخرجـت من مدينة حران وبين يدى أحمال ثم تلقـانى الرجال وأصحاب الحديث منهم أحمد بـن حنبل وسفيان ابن عيـينة والأوزاعى فأجـزت كل واحد منهم على قـدر ما قسم الله لـه حتى دخلت مدينة الرملة وليس مـعى إلا عشرة دنانير فـاشتريت بها راحلة واستـويت على كورها وقصدت الحجاز فما زلت من منهل إلى منهل حتى قصدت مدينة النبى ﷺ بعد سبعة وعشرين يومًا بعد صـلاة العصر فصليت العصر ورأيت كرسيًـا من الحديد عليه مخدة من قباطى مصر مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ قال الشافعى رضى الله عنه وحوله أربعمائة دفتـر أو يزيدون بينما أنا كذلك إذ رأيت مالك بن أنس رضى الله عنه فـدخل من باب النبى ﷺ وقد فـاح عطره فى المـسجد وحـوله أربعمـائة أو يزيدون يحـمل ذيوله منهم أربعـة فلمـا وصل قام إليـه من كـان قاعـدًا وجلس على الكرسى فألقى مسألة فى جراح العمد فلما سمعت ذلك لم يسعنى الصبر فقمت قائمًا

فى سور الحلقة فرأيت إنسانًا فقلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب قبل فراغ مالك من السؤال فأضرب عنه مالك وأقبل على أصحابه فسألهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل ففرح الجاهل بإصابته فلما ألقى السؤال الثانى أقبل علىّ الجاهل يطلب منى الجواب فقلت له الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فلم يلتفت إليه مالك وأقبل على أصحابه واستخبرهم عن الجواب فخالفوه فقال لهم أخطأتم وأصاب الرجل قال الشافعى رضى الله عنه فلما ألقى السؤال الثالث قلت له قل الجواب كذا وكذا فبادر بالجواب فأعرض مالك وأقبل على أصحابه فخالفوه فقال أخطأتم وأصاب الرجل ثم قال للرجل ادخل ليس ذلك موضعك فدخل الرجل طاعة منه لمالك وجلس بين يديه فقال له مالك فراسة قرأت الموطأ؟ قال لا قال فنظرت ابن جريج قال لا قال فلقيت جعفر بن محمد الصادق؟ قال لا قال فهذا العلم من أين؟ قال إلى جانبى غلام شاب يقول لى قل الجواب كذا وكذا فكنت أقول قال فالتفت مالك والتفت الناس بأعناقهم لالتفات مالك رضى الله عنه فقال للجاهل قم فأمر صاحبك بالدخول إلينا قال الشافعى رضى الله عنه فدخلت فإذا أنا من مالك بالموضع الذى كان الجاهل فيه جالسًا بين يديه فتأملنى ساعة وقال أنت الشافعى؟ فقلت نعم فضمنى إلى صدره ونزل عن كرسيه وقال أتمم هذا الباب الذى نحن فيه حتى ننصرف إلى المنزل الذى هو لك المنسوب إلىّ قال الشافعى رضى الله عنه فألقيت أربعمائة مسألة فى جراح العمد فما أجابنى أحد بجواب واحتجت أن آتى بأربعمائة جواب فقلت الأول كذا كذا والثانى كذا كذا حتى سقط القرص وصلينا المغرب فضرب مالك بيده إلىّ فلما وصلت المنزل رأيت بناء غير الأول فبكيت فقال بم بكاؤك كأنك خفت يا أبا عبد الله أن قد بعت الآخرة بالدنيا؟ قلت هو والله ذلك قال طب نفسا وقر عينا هذه هدايا خراسان وهدايا مصر والهدايا لا تجىء من أقاصى الدنيا وقد كان النبى ﷺ يقبل الهدايا ويرد الصدقة وإن لى ثلثمائة خلعة من رق خراسان وقباطى مصر وعندى عبيد بمثلها لم تستكمل الحلم فهم هدية منى إليك وفى صناديقى تلك خمسة آلاف دينار

أخرج زكاتها عند كل حول فلك منى نصفها قلت إنك موروث وأنا موروث فلا يبيت جميع ما دعوتنى به إلا تحت خاتمى ليجرى ملكى عليه فإن حضرنى أجلى كان لورثتى دون ورثتك وإن حضرك أجلـك كان لى دون ورثتك فتبسم فى وجـهى وقال أبيت إلا العلم فقلت لا يستعمل أحسن منه وما بت إلا وجميع ما وعدنى تحت ختمى فلما كان فى غداة صليت الفجر فى جماعة وانصرفت إلى المنزل أنا وهو وكل واحد منا يده فى يد صاحـبه إذ رأيت كراعًا على بابه من جـياد خراسـان وبغلا من مصر فـقلت له ما رأيت كراعًـا أحسن من هذا فقـال هو هدية منى إليك يا أبا عبـدالله فقلت له دع لك منهـا دابة فقال إنـى أستحى مـن الله أن أطأ قرية فـيها نبـى الله ﷺ بحافر دابـة قال الشافعى رضى الله عنه فعلمت أن ورع الإمام مـالك باق على حاله فأقمت عنده ثلاثًا ثم ارتحلت إلى مكة وأنا أسوق خير الله ونعمه ثم أنفذت من يعلم بخبرى فلما وصلت إلى الحرم خرجت العـجوز ونسوة معها فـضمتنى إلى صدرها وضمتنى بعـدها عجوز كنت آلفها دعوها خالتى وقالت :

ليس أمك اجتاحت المنايـــا كل فـــؤاد عليـــــك أم

قال الشافـعى رضى الله عنه وهو أول كملة سمعـتها فى الحجـاز من امرأة فلما هممت بالدخـول قالت لى العجوز إلى أين عـزمت؟ فقلت إلى المنزل فقالـت هيهات تخرج من مكة بالأمس فقيـرًا وتعود إليها مترفًا تفخـر على بنى عمك بذلك فقلت ما أصنع؟ فقالت ناد بالأبطح فى العرب بإشباع الجائع وحمل المنقطع وكسوة العراة فتربح ثناء الدنيا وثواب الآخرة ففعلت ما أمرت به وسار بذلك الفعل الرجال على آباط الإبل وبلغ ذلك مالكًا فبـعث إلىّ يستحثنى على هذا الفعـل ويعدنى أنه يحمل إلىّ فى كل عام مثلما صار إلىّ منه وما دخلت إلى مكة وأنا أقدر على شىء مما جاء معى إلا على بغلة واحدة وخمسين دينارًا فوقعت المقرعة فناولتنى إياها أمة على كتفها قربة فأخرجت لها خمسة دنانير فقالت لى العجوز ما أنت صانع فقلت أجيزها على فعلها فقالت ادفع إليها جمـيع ما تأخر معك قال فدفعت إليهـا ودخلت إلى مكة فما بت تلك الليلة إلا

مديونًا وأقام مالك رضى الله عنه يحمل إلىّ فى كل عام مثلما كان دفع إلىّ أولا إحدى عشرة سنة فلما مات ضاق بى الحجاز وخرجت إلى مصر فعوضنى الله عبدالله بن عبد الحكم فقام بالكلفة فهذا جميع ما لقيته فى سفرى فافهم ذلك يا ربيع قال الربيع وسألنى المزنى إملاء ذلك بحضرته فما وجدنا للمجلس فرغة فما وقع كتاب السفر إلى أحد غيرى اهـ من ثمرات الأوراق للشيخ تقى الدين أبى بكر بن على المعروف بابن حجة الحموى: توفى الإمام الشافعى رضى الله عنه يوم الجمعة بعد العصر سلخ رجب سنة أربع ومائتين وله من العمر أربع وخمسون سنة ودفن بالقرافة فى هذه القبة المشهورة التى عليها من الأنس والرحمات ما لا يخفى وفيها يقول صاحب البردة:

لقبة قبر الشافعى سفينة رست فى بناء محكم فوق جلمود

وقد غاض طوفان العلوم بقبره استوى الفلك من ذاك الضريح على الجودى

وقال آخر

أتيت لقبر الشافعى أزوره تعرضنا فلك وما عنده بحر

فقلت تعالى الله تلك إشارة تشير بأن البحر قد ضمه القبر

وقال آخر:

لقد أصبح الشافعى الإما م فينا له مذهب مذهب

ولو لم يكن بحر علم لما غدا وعلى قبره مركب

وقال آخر:

مررت على قبة الشافعى فعاين طرفى عليها العشار

فقلت لصحبى لا تعجبوا فإن المراكب فوق البحار

وقال آخر:

أكرم به رجلا ما مثله رجل مشارك لرسول الله فى نسبه

أضحى بمصر دفينا فى مقطمها نعم المقطم والمدفون فى تربه

قال الشيخ عبد الرحمن الجبرتى وقد جددها الأمير على بك الملقب بجن على

ويلقب أيضًا ببلوط قبان المتوفى سنة ست ومـائة وألف فكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى الـقرن الخامس وكان قد تشـعث وصدأ لطول الزمان فجدد ما تحته من خشبهـا البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبـوك الجيد المثبت بالمسامير العظيمة وهو عمل كـثير وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ وكتب بإفريزها تاريخًا بخط صالح أفندى اهـ وقد أراد أناس نقلـه رضى الله عنه إلى بغداد فلما حـضروا عبـقت رائحة عظيـمة عطلت حواسهم فتركوه. قال الشـيخ محيى الدين بن العربى فى المحاضرات روى عن المزنى قال دخلت على الشافعى رضى الله عنه فى مرضه الذى مات فيه فقلت له كيف أصبحت؟ قال أصبحت من الدنيا راحلا وللإخوان مفارقًا ولسوء عملى ملاقيًا ولكأس المنيـة شاربًا وعلى الله واردًا فـلا أدرى أروحى تصيـر إلى الجنة فـأهنيهـا أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول:

ولما قـســا قلبى وضــاقت مــذاهبى ... جـعلت رجـائى نـحـو عـفـوك سلمـا

تعــاظمنى ذنـبى فلمـــا قــرنـتــه ... بعــفـوك ربى كــان عــفـوك أعظـمـا

ومـا زلت ذا عـفـو عـن الذنب لم تزل ... تجـــود وتعـــفـــو منه وتـكرمــا

هذا ما فى المحاضرات، ثم رأيت فى الروض الفائق زيادة على ذلك هى :

فلـله در الـعـــارف الفـــرد إنـه ... تسح لفــرط الوجـد أجـفـانه دمـا

يقـــيم إذا مـــا الليـل جن ظلامـــه ... على نفـســه من شـدة الخـوف مـأتما

فـصـيـحًـا إذا مـا كـان فى ذكـر ربه ... وفـيمـا سواه فى الورى كـان معـجمـا

ويذكــر أيامًــا مـضت مـن شـبــابه ... ومـا كـان فـيـهـا بـالجـهـالة أجـرمـا

فــصـــار قـــرين الهم طـول نهـاره ... ويخـــدم مـــولاه إذا الليـل أظلمـــا

يقـول حـبـيـبى أنت سـؤلى وبغـيـتى ... كـفـى بك للراجين سـؤلا ومـغـنـمـا

ألسـت الذى غـــذيتنـى وكـــفلتـنى ... ومـــا زلت منـانًا علـى ومنعــمـــا

عـسى من له الإحـســان يغـفـر زلتى ... ويســتـر أوزارى ومــا قـــد تقـدمــا

قـال الشعـرانى فى المنن ومما وقع لى مـع الإمام الشـافـعى رضى الله عنه أننى تعوقت عن زيارته مدة فرأيته فى المنام وقال لى أنا عاتب عليك وعلى الشيخ نور الدين الطرابلسى الحنفـى وعلى الشيخ نور الـدين الشونى فى قلـة الزيارة فإن صـرت رهين رمسى أنتظر دعوة من رجل صالح فقلت له إن شاء الله تعالى تزروكم بكرة النهار فقال لا بل تذهب فى هذا الوقت معى وكـنت تلك الليلة فى مولد فى الروضة عند سـيدى أبى الفضل شيخ بيت السادات من بنى الوفا رضى الله عنه فخرجت لزيارته ثم سبقنى هو فلتقانى من خلف قبته مما يلى قبر القاضى بكار وطلع بى إلى فوق القبة وفرش لى حصيرًا جـديدًا ووضع لى سفرة فيها خبـز لين أبيض وجبن أزرار وشق لى بطيخة من العبدلاوى وكان أول طلوعه بمصـر وقال لى كل يا أخى فى هذا المكان الذى ماتت فيه ملوك الدنيا بحـسرة أكلة فيـه معى اهـ. ومما وقع لى معـه بعد ذلك أنه لما دخل على بيتى وقال قد جئت آخذك تسكن عندى أنت وعيالك فقلت له إن شاء الله فى غد فقال بل فى هذا الوقت فحمل ابنتى رقية على كتفه وأخذ بيد أختها نفيسة وخرجت معه أنا وأمهما حتى أدخلنا القبة فـأسكننى بين قبره وبين قبر أم السلطان الكامل المدفونة خلف ظهره فغار منا الخدام فقال لـهم هذا لا يزاحمكم فى شىء من ا لدنيا فرجعوا عنى ثم انتفخت القبة من أعاليها كالباب فنزل منه شىء أبيض كالقطن أو كالجص المعجون فلا زال ينزل ويراكم حتى صـار كومًا عند رأس الإمـام فقلت له ما هذا فـقال هذا سكينة الحياء من الله تعالى فمن نظر إليها رزقه الله تبارك وتعالى الاستحياء من الله تعالى حق الحياء فصرت آمر كل داخل بالنظر إليها ثم استيقظت اهـ.

(كرامة) نقل غير واحـد أن الإمام الشافعى رضى الله عنه لما احتـضر دخل عليه أصحابه فـقال أما أنت يا أبا يعقوب فـتموت فى قيودك وأمـا أنت يا مزنى فيكون لك بمصر هنات وهنات وأما أنت يا ابن عبـد الحكم فترجع إلى مذهب أبيك وأنت يا ربيع أنفعهـم فى نشر الكتب فكان كما قـال رضى الله عنه. ومناقبه رضى الله عنه كـثيرة،

فعن هرون بن سعيد الهيثم الإيلى قال ما رأيت مثل الشافعى قط ولقد قدم علينا مصر فقالوا قدم رجل من قريش فقيه فجئناه وهو يصلى فما رأينا أحسن منه وجهًا ولا أحسن صلاة فافتتنا به فلما قضى صلاته تكلم فما رأينا أحسن منه وجها ولا أحسن صلاة فافتتنا به فما رأينا أحسن منطقًا منه وكان يتكلم فى الحقيقة وفى الزهد وفى أسرار القلوب، وكان يقول: كيف يزهد فى الدنيا من لا يعرف قدر الآخرة، وكيف يخلص من الدنيا من لا يخلو من الطمع الكاذب، وكيف يسلم من لا يسلم الناس من لسانه ويده، وكيف ينال الحكمة من لا يريد بقوله وجه الله عز وجل. وتزوج الشافعى رضى الله عنه من حميدة بنت نافع بن عنبسة بن عمرو بن عثمان بن عفان فولدت له أبا عثمان محمدًا وكان قاضيًا بمدينة حلب وفاطمة وزينب وللشافعى ولد آخر يقال له الحسن مات طفلا وأمه أم ولد نقله الرازى.

فصل
فى ذكر مناقب الإمام أبى عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيبانى المروزى ثم البغدادى الحافظ

وفى تاريخ ابن خلكان ما نصه: الإمام أحمد بن حنبل هو أبو عبدالله أحمد ابن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبدالله بن حيان بن عبدالله بن أنس بن عوف بن واسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكاية بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن واسط بن هنب بن أقصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيبانى المروزى الأصل قال هذا هو الصحيح فى نسبه اهـ. ولد الإمام أحمد رضى الله عنه سنة أربع وستين ومائة فى شهر ربيع الأول بمرو وقيل ببغداد ونشأ بها قال ابن خلكان كان الإمام أحمد إمام المحدثين صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث ما لم يتفق لغيره قيل وكان يحفظ ألف ألف حديث وكان من أصحاب الإمام الشافعى وخواصه رضى الله عنهما ولم يزل مصاحبه إلى أن ارتحل الشافعى إلى مصر اهـ. وكان شيخًا أسمر مديد القامة يخضب بالحناء. وفى طبقات الشعرانى وكان يقول رأيت رب العزة فى المنام فقلت يا رب ما أفضل ما يتقرب به المتقربون إليك؟ فقال بكلامى يا أحمد فقلت بفهم أو بغير فهم؟ قال بفهم وبغير فهم ، وكان رضى الله عنه إذا جاءه طالب حديث وحده لم يحدثه حتى يكون معه غيره، وكان يقول تزوج يحيى بن زكريا عليهما السلام مخافة النظر، وكان رضى الله عنه يضرب به المثل فى اتباع السنة واجتناب البدعة، وكان لا يدع قيام الليل قط وله فى كل يوم وليلة ختمة وكان يسر ذلك عن الناس قال أبو عصمة بت ليلة عند أحمد رضى الله عنه فجاءنى فوضعه فلما أصبح نظر إلى الماء كما هو فقال يا سبحان الله رجل يطلب العلم ولا يكون له ورد من الليل، وكان رضى الله عنه يلبس الثياب

النقية البياض ويتعهد شاربه وشعر رأسه وبدنه وكان مجلسه خاصًا بالآخرة لا يذكر فيه شىء من أمر الدنيـا وتعرت أمه من الشياب فجاءته زكـاة فردها وقال العرى خـير من أوساخ الـناس وإنها أيام قـلائل ثم نرحل من هذه الدار وكان إذا جـاع أخذ الكـسرة اليابسـة فنفضها من الغـبار ثم صبّ عليها الماء فى قـصعة حتى تبـتلّ ثم يأكلها بالملح وكانوا فى بعض الأوقات يطبخون له فى فخارة عدسًـا وشحمًا وكان أكثر إدامة الخل، وكان إذا مـشى فى الطريق لا يمكن أحـدًا يمشى معه وكـان يحيى الليل كلـه منذ كان غلامًا وكان من أصبر الناس على الوحدة لا يراه أحد إلا فى المسجد أو جنازة أو عيادة وكان يكره المشـى فى الأسواق، وكان ورده كل يوم وليلـة ثلثمائة ركـعة فلمـا ضرب بالسياط ضعف بدنه فكان يصلى مـائة وخمسين ركعة كل يوم وليلة، وحج رضى الله عنه خمس حجات ثلاثة منهـا ماشيًا وكان ينفق فى كل حجة نحـو عشرين درهمًا ولما قدم للسـياط أيام المحنة أغاثه الله تعـالى برجل يُقال له أبو الهـيثم العيـار فوقف عنده وقال يا أحـمد أنا فلان اللص ضربت ثـمانية عشـر ألف سوط لأقر فمـا أقررت وأنا أعرف أنى على الباطل فاحـذر أن تقلق وأنت تموت على الحق من حرارة السوط فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكـر كلام اللص وكان بعد ذلك لم يزل يترحم عليه. ولما دخل أحمـد رضى الله عنه على المتوكل قال المتـوكل لأمه يا أماه قـد نارت الدار بهذا الرجل ثم أتوا بثيـاب نفيسـة فألبسوها له فـبكى الإمام وقال سلمت منهم عـمرى كله حتى إذا دنا أجلى بليت بهم وبدنـياهم ثم نزعها لما خـرج وكان رضى الله عنه يواصل الصوم فيفطر كل ثلاثة أيام على تمر وسويق قال الفضيل بن عياض حبس الإمام أحمد رضى الله عنه ثمانية وعشـرين شهرًا وكان فيها يضـرب كل ليل بالسياط إلى أن يغمى عليه وينخس بالسيف ثم يرمى على الأرض ويداس علـيه ولم يزل كذلك إلى أن مات المعتصم وتولى بـعده الواثق فاشتد الأمـر على أحمد وقال لا أسكن فى بلد الحـد فيه فأقام مختفيًا لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولى المتوكل فرفع المحنة

عن أحمد وأمر بإحضاره وإكـرامه وإعزازه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة وأن القرآن غير مخلوق وخمدت المعتزلة وكـانوا أشر الطوائف المبتدعة. قال أحمد بن غسان ولما حمـلت مع أحمد إلى المأمون تلقاه الخادم وهو يبكى ويمسـح دموعه ويقول عز على يا أبا عبدالله ما نزل بك قد جرد أمير المؤمنين سيفًا لم يجرده قط وبسط نطعًا لم يبسطه قط ثم قال وقرابتى من رسول الله ﷺ لا رفعت السيف عن أحمد وصاحبه حتى يقولا القرآن مخلوق فجثا أحمد على ركبـتيه ولحظ السماء بعينيه ودعا فما مضى الثلث الأول من الليل إلا ونحن بصيحة وضجة فـأقبل علينا خادمه وهو يقول صدقت يا أحمد القرآن كلام الله غير مخلوق قد مـات والله أمير المؤمنين وكان قد لقيه قبل أن يدخل المدينة رجل من العـباد فقـال احذر يا أحـمد أن يكون قدومك مـشئـومًا على المسلمين فـإن الله تعـالى قد رضى بك لهـم وافدًا والناس إنما ينـظرون إلى ما تقـول فيقولون به فـقال أحمد حسبنا الله ونعم الوكيل ولمـا سجنوه رضى الله عنه وضعوا فى رجليه أربعـة قيود وكـان ابن أبى دؤاد هو الذى تولى جدال أحـمد عن الخليفـة وكان يقول للخليفة إن أحـمد ضال مبتدع ثم يلتفت إلى أحمد ويقـول قد حلف الخليفة ألا يقتلك بالسيف وإنما هو ضرب بعد ضرب إلى أن تموت فما زالوا بأحمد رضى الله عنه يناظرونه بالليل والنهار إلى أن ضجر الخليفة من ذلك فلما طال بهم الحال قال ابن أبى دؤاد يا أمير المؤمنين اقـتله ودمه فى أعناقنا فرفع الخليفـة يده ولطم أحمد فخر مغـشيًا عليه فخاف الخليفـة على نفسه ممن كان من الشيعة مع أحمـد فدعا بماء فرش منه على وجه أحمد اهـ.

(غريبة) اجتمع الشـافعى وأبو ثور ومحمد بن الحكم رضـى الله عنهم عند أحمد ابن حنبل يتذاكرون فصـلوا صلاة المغرب وقدموا الشافعى ثم مـا زالوا يصلون فى المسجد إلى أن صلوا العتمة ثم دخلوا بيت أحمـد بن حنبل ودخل أحمد على امرأته ثم خرج على أصحابه وهو يضـحك فقال الشافعى مم تضحك يا أبا عـبدالله؟ قال خرجت إلى

الصلاة ولم يكن فى البيت لقمة من طعام والآن فـقد وسع الله علينا قال الشافعى فما سببه؟ قال أحمد قالت لى أم عبدالله إنكم لما خرجتم إلى الصلاة جاء رجل عليه ثياب بيض حسن الوجه عظيم الهيـئة زكى الرائحة فقال يا أحمد بن حنبل فـقلنا لبيك فقال هاكم خذوا هذا فسلم إلينا زنبيلا أبيض وعليه منديل طيب الرائحة وطبق مغطى بمنديل آخر وقال كلوا من رزق ربكم واشكروا له فقال الشافـعى يا أبا عبدالله فما فى الزنبيل والطبق فقال عشرون رغيفًا قد عجنت باللبن واللوز المقشور أبيض من الثلج وأزكى من المسك ما رأى الراءون مثله وخـروف مشوى مزعفـر حار وملح فى سكرجة وخل فى قارورة على الطبق وبقل وحلواء مـتخذة من سكر طبرزد ثم أخـرج الكل ووضعه بين أيديهم فتعجبوا من شأنه وأكلوا ما شاء الله قال فلم تذهب حلاوة ذلك الطعام والحلواء مدة طويلة وكل من أكل من ذلك الطعام مـا احتاج إلى طعام غيره مـدة شهر فلما أن فرغـوا من الأكل حمل أحمد مـا بقى منه وأدخله إلى أهله فأكلوا وشبـعوا وبقى منه شيء فـاجتـمع رأيهم على أن الطعـام كان من غـيب الله وأن الرسول كـان ملكًا من الملائكة قال صـالح بن أحمد بن حنبل ما أصـابتنا مجاعة قط مـا دام ذلك الزنبيل فى بيتنا وكان يـأتينا الرزق من حيث لا نحتسب رضى الله عنهم وأعـاد علينا من بركاتهم اهـ. من ثمرات الأوراق.

(فوائد): الأولى بلغ الإمام أحـمد بن حنبل أن رجلا وراء النهر يروى أحـاديث ثلاثية فرحل الإمام أحـمد بن حنبل إليه فلما ورد عليـه وجده يطعم كلبًا فسلم عليـه أحمد رضى الله عنه فرد عليه السـلام ثم اشتغل بإطعام الكلب ولـم يقبل على الإمـام فوجد الإمام أحمد فى نفسه شيئًا إذ أقبل الرجل على الكلب ولـم يلتفت إليه فلما فرغ الرجل من طعـمة الكلب التـفت إلى الإمام وقـال لعلك وجـدت فى نفسك إذ أقـبلت على الكلب ولم أقبل عليك قـال نعم، فقال الرجل حـدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «من قطع رجـاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم

القيامة فلن يلج الجنة». ثم قال الرجل أرضنا هذه ليست بها كلاب وقد قصدني هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه فقال الإمام أحمد يكفيني هذا الحديث ثم رجع كذا في حياة الحيوان وغيره. (الثانية) قال الشعراني في المنن لم يدون الإمام له مذهبًا وإنما مذهبه الآن مفلق من صدور أصحابه فإنه كان مذهبه الحديث، وكان يقول أستحيي من رسول الله ﷺ أن أتكلم في معنى كلامه فقد لا يكون ذلك مراده، وكان رضي الله عنه يقول أو لأحدكم كلام مع رسول الله ﷺ قال الشعراني وبلغنا أنه وضع في أحكام الصلاة نحو ثلاثين مسألة رضي الله عنه اهـ. (الثالثة) قال المروزي لما حبس أحمد بن حنبل في سجن الواثق على أن يقول بخلق القرآن جاءه السجان يومًا فقال له يا أبا عبدالله الحديث الذي يروى في الظلمة وأعوانهم صحيح قال صحيح قال السجان أفأنا من أعوان الظلمة؟ قال لا قال وكيف ذلك؟ قال لأن أعوان الظلمة الذي يأخذ شعرك ويغسل ثوبك ويصلح طعامك وأما أنت فمن الظلمة؟ (الرابعة) قال إدريس الحداد لما زالت المحنة وصرف أحمد إلى بيته حمل إليه مال كثير جزيل وهو محتاج إلى أيسره فرد جميع ذلك ولم يقبل منه قليلا ولا كثيراً فجعل عمه إسحاق يحسب ما رده في ذلك اليوم فكان خمسين ألف دينار فقال له أحمد يا عم أراك مشغولا بحساب ما لا يفيدك؟ فقال له قد رددت اليوم كذ وكذا وأنت محتاج إلى حبة قال يا عم لو طلبناه لم يأتنا إنما أتانا لما تركناه قال علي بن سعيد الرازي سرنا مع أحمد بن حنبل يومًا إلى باب المتوكل فلما أدخلوه من باب الخاصة قال لنا أحمد انصرفوا عافاكم الله فما مرض منا أحد بعد ذلك اليوم ببركة دعائه. وقال هلال بن العلاء أربعة لهم على الإسلام منة أحمد بن حنبل حيث ثبت على المحنة ولم يقل بخلق القرآن وأبو عبدالله الشافعي حيث بنى الفقه على الكتاب والسنة وأبو عبدالله القاسم بن سلام حيث فسر حديث النبي ﷺ وأبو زكريا حيث بين الصحيح من السقيم. (الخامسة) كان له على ولده عبدالله رغيف خبز وشيء من الأدم فلما ولي ولده القضاء امتنع من قبول الرغيف وقال والله لا آكل له طعامًا أبدًا فكان كما قال إلى أن مات. قال إدريس الحداد ما

رأيت أحمد قط إلا مصليًا أو يقرأ فى المصحف أو كتاب وما رأيته فى شىء من أمور الدنيا قال وكان إذا اشتد به الأمر بقى اليوم واليومين والثلاثة لا يأكل شيئًا فإذا رأى أهله شرب الماء يوهمهم أنه شبعان. قال الشافعى خرجت من بغداد وما خلفت لها أحدًا أتقى ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل قال عبدالله بن أحمد بن حنبل كان أبى يقرأ فى كل ليلة سبع القرآن ويختم فى كل سبعة أيام ختمة ثم يقوم إلى الصباح وكان يصلى فى كل يوم ثلثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط أضعفه ذلك فكان يصلى كل يوم مائة وخمسين ركعة وكان له فى الليل ثلاث هدآت وثلاث صيحات قال وكان ذات يوم جالسًا عند الشافعى فمر بهما شيبان الراعى وعليه مدرعة صوف فقال أحمد للشافعى يا أبا عبدالله ألا أنبه هذا الجاهل على جهله فقال له الشافعى لا تفعل دعه فى شأنه فقال أحمد لا بد ثم إنه استحضر شيبان وقال له يا شيبان ما تقول فى رجل نسى صلاة من يوم لا يدرى أى صلاة هى ما الواجب عليه أن يفعل؟ فقال شيبان يا أحمد هذا رجل غفل قلبه عن الله فهو ساه غافل الواجب عليه أن يؤدب حتى لا يرجع إلى مثلها أبدًا ثم بعد ذلك يقضى صلاة اليوم أجمع ثم التفت إليهما وقال هل تقدران أن تردا علىّ قال فصاح أحمد وقال لا والله بل هذا هو الحق ثم تركهما وانصرف قال إدريس كان أحمد لا يلبس ثوبا مكفوفا بل كان يشلله ويقور وسطه ويتركه فى رأسه ويقول هذا لمن يموت كثير قال وكان أكثر مؤنته من نبات الأرض ويقول هذا والله هو الحلال الذى لا له حساب ولا تبعة قال وكان يومًا جالسًا وعنده جماعة نساء من أصحابه فجاءت إليه امرأة وقالت له يا سيدى إننا جماعة نساء نقعد على سطوحنا بقطن الغزل فيمر بنا مشاعل أهل الشرطة أفيجوز لنا أن نغزل فى ضوئها وشعاعها فقال لها أحمد من أنت؟ فقالت له أنا أخت بشر الحافى فقال لها أحمد من بيتكم خرج الورع لا تغزلى فى ضوئها. قال إدريس الحداد لما دخل أحمد بن حنبل مكة للحج عسر عليه بعض حوائجه فأخذ سطلا كان معه فدفعه إلى بعض البقالين رهنًا

على شيء كان يأخذه فلما فتح الله عليه بفكاكه حضر عند ذلك البقال فدفع له ما كان له وطلب السطل فقام البقال وأحضر سطلين على هيئة واحدة وقال له قد اشتبه عليّ سطلك فخذ أيهما شئت فقال أحمد وأنا أشكل على أيهما لى والله لا أخذته فقال البقال وأنا لا أتركه أبدًا فاتفقا على بيعه والتصدق به. قال وخرج يومًا من داره فوقع نظره على امرأة مكشوفة الوجه فقال لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وحلف ألا يخرج إلا مغطى الوجه لئلا يبصر أحدًا وكانت إذا وقعت الحادثة أو المسألة لا يكتبها حتى يوردها على الفقهاء فإن وافق رأيهم رأيه كتبها وإلا تركها واستغفر الله مما خطر بباله، وكان رضى الله عنه إذا جف القلم بيده مسحه فى رأسه ولم يمسحه فى ثوبه فقيل له فى ذلك فقال إن هذا مداد أثر العلم فلا أضعه فى خرقة لعلها ترمى فى نجاسة وروى ألف ألف حديث منها بالأسانيد والمتون مائة ألف وخمسون ألفًا ذكر ذلك صاحب الروض الفائق وأنشد :

وأحمد المعروف فى كل مشهد	وقد رفع الله العظيم له قدرًا
وآتاه علمًا فى الورى ومهابة	وجاد عليه بالكرامة فى الأخرى

توفى أحمد رضى الله عنه سنة إحدى وأربعين ومائتين وعاش سبعًا وسبعين سنة ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر إليه وقال هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده واجتمعت الناس والدواب على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدرب ولما قبض صاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء وارتجت الدنيا لموته وخرج أهل بغداد إلى الصحراء يصلون عليه فحزروا من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ومن النساء ستين ألف امرأة سوى من كان فى الأطراف والسفن والأسطحة فإنهم ذلك يكونون أكثر من ألف ألف وفى رواية بلغوا ألفى ألف وخمسمائة ألف وأسلم يومئذ عشرون ألفًا من اليهود والنصارى والمجوس كذا فى طبقات الشعرانى ومثله فى تاريخ ابن الوردى وفيه قال حدث إبراهيم الحربى قال رأيت بشر بن الحرث الحافى فى المنام كأنه

خارج من مسجد الرصافة وفى كمه شىء يتحرك فقلت ما فعل الله لك؟ فقال غفر لى وأكرمنى فقلت ما هذا الذى فى كمك قال قدم علينا البارحة روح أحمد بن حنبل فنثرعليه الدر والياقوت فهذا مما التقطت قلت ما فعل يحيى بن معين وأحمد بن حنبل؟ قال تركتهما وقد زارا رب العالمين ووضعت لهما الموائد قلت فلم لا تأكل معهما أنت قال قد عرف هوان الطعام علىّ فأباحنى النظر إلى وجهه انتهى ومثله فى تاريخ ابن خلكان.

(فائدة) الأئمة الستة أصحاب المذاهب المتبوعة فى الأمصار أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل وسفيان الثورى وداود الظاهرى وقد جمعوا فى بيتين وهما:

وإن شئت أركان الشريعة فاستمع ... لتعرفهم واحفظ إذا كنت سامعا

محمد والنعمان مالك أحمد ... وسفيان واذكر بعد داود تابعا

خاتمة الكتاب

فى ذكر مناقب الأربعة الأقطاب



وهم سيدى أحمد الرفاعى وسيدى عبد القادر الجيلى وسيد أحمد البدوى وسيدى إبراهيم الدسوقى وكلهم أشراف من أهل البيت ينتهى نسبهم إلى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم إلا سيدى عبدالقادر فإلى سيدنا الحسن السبط ابن سيدنا على بن أبى طالب كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى فى الكلام على ترجمته قال سيدى حسن يخاطب أخاه سيدى أحمد البدوى: واعلم يا أخى أن كل بلاد لها رجال ولكل رجال قطب يحكم عليهم بمشيئة الله تعالى اهـ قال المناوى فى شرحه على الجامع قال ابن عربى قدس الله سره من رجال الله تعالى رجل واحد وقد يكون امرأة فى كل زمان وهو القاهر فوق عباده له الاستطالة على كل شيء شهم شجاع مقدام كثير الدعوى بحق يقول حقًا ويحكم عدلا قال وكان صاحب هذا المقام عبدالقادر الجيلانى ببغداد انتهى. وفى زبدة الأعمال قال سراج الحرم أبو بكر السكتيانى قدس سره النقباء ثلثمائة والنجباء سبعون والأبدال أربعون والأخيار سبعة والعمد أربعة والغوث واحد ثم مسكن النقباء المغرب ومسكن النجباء مصر ومسكن الأبدال الشام والأخيار سياحون فى الأرض والعمد فى زوايا الأرض ومسكن الغوث مكة فإذا عرضت الحاجة من أمر العامة ابتهل فيها النقباء ثم النجباء ثم الأخيار ثم العمد فإن أجيبوا وإلا ابتهل فيها الغوث فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته انتهى . قال المناوى رأيت فى شرح مقدمة الوصول للشيخ إبراهيم المواهبى نقلا عن شيخه العارف أبى المواهب التونسى رضى الله عنهما أن أول من تولى القبطانية من المصطفى ﷺ فاطمة الزهراء مدة حياتها رضى الله عنها ثم انتقلت منها إلى أبى بكر وعمر ثم عثمان ثم

على ثم الحسن رضى الله عنهم انتهى. ولكن نقل عن العارف المرسى رضى الله عنه أن أول الأقطاب مطلقًا الحسن بن على رضى الله عنهما، والله أعلم.

(فالأول من السادة الأشراف الأربعة سيدى **أحمد بن الرفاعى**) قال المناوى فى الطبقة السادسة من طبقاته سيدى أحمد بن يحيى بن حازم بن رفاعة أحد الأولياء المشايخ المشاهير أبو العباس الرفاعى المغربى شريف نمى روض شرفه وهمى على العالم غيث سلفه وكان سيدًا جليلا صوفيًا عظيمًا نبيلا قدم أبوه العراق وسكن أم عبيدة بأرض البطائح وولد له صاحب الترجمة سنة خمسمائة ونشأ بها وتفقه على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه وقرأ كتاب التنبيه وجاهد نفسه حتى قصرها وأعرض عما فى أيدى الناس وأقبل على اشتغاله بالحقيقة ومهر واشتهر وانتهت إليه الرياسة فى علوم القوم وكشف مشكلات منازلاتها وتخرج به خلق كثير وأحسنوا به الاعتقاد اهـ. قال ابن خلكان وغيره وهم الطائفة الرفاعية ويقال لهم الأحمدية والبطائحية ولهم أحوال عجيبة من أكل الحيات حية والنزول فى التنانير وهى تضرم نارًا وينام أحدهم فى جانب الفرن والخباز يخبز فى الجانب الآخر وتوقد لهم النار العظيمة ويقال لهم السماع فيرقصون فيها إلى أن تنطفئ ويركبون الأسد وكان ابتداء أمره أنه مرّ على عبد الملك الحزنوبى فقال له يا أحمد أول ما أقول لك ملتفت لا يصل ومشكك لا يفلح ومن لم يعرف من وقته النقص فكل أوقاته نقص ففارقه وجعل يكررها سنة ثم عاد إليه وقال أوصنى فقال ما أقبح الجهل بالألباء والعلة بالأطباء والجفاء بالأحباء قال فخرجت وجعلت أرددها سنة فانتفعت بموعظته تلك قال بعضهم لكونه اختصر له الطريق. وسأله رضى الله عنه رجل أن يدعو له فقال عندى قوت يوم ومن عنده قوت يوم لا يسمع دعاؤه فإذا فقدته دعوت لك وكان يغسل للمجذومين والزمنى ثيابهم ويفلى شعورهم ويحمل إليهم الطعام ويأكل معهم ويسألهم الدعاء ويقول زيارتهم واجبة لا مستحبة ومر بولد فقال له ابن من أنت؟ فقال له أيش فضولك فجعل يكررها ويبكى ويقول أدبتنى يا ولدى وكانت حلقة مريديه ستة عشر ألفًا وكان يمد لهم السماط صباحًا

ومساء وكان يضرب به المثل فى تحمل الأذى ومكارم الأخلاق. ومن مكارم أخلاقه ما نقله الشنوانى فى حاشيته على مختصر ابن أبى حمزة أن كلبًا حصل له جذام فاستقذرته نفوس أهل بلده وصار كل واحد يطرده عن بابه فأخذه سيدى أحمد الرفاعى وخرج به إلى البرية وضرب عليه مظلة وصار يأكل هو وإياه ويسقيه ويدهنه حتى عافاه الله من الجذام بعد أربعين يومًا فسخن له ماء وغسله ودخل به البلد فقيل له أتعتنى بهذا الكلب هذا الاعتناء كله؟ فقال نعم خفت أن يؤاخذنى الله يوم القيامة ويقول أما عندك رحمة لهذا الكلب أما تخشى أن أبتليك بما ابتليت به الكلب اهـ. وكان رضى الله عنه كثيرًا ما يتجلى الحق عليه بالعظمة فيذوب حتى يصير بقعة ماء ثم تدركه الرحمة فيجمد شيئًا فشيئًا حتى يرد إلى بدنه المعتاد ويقول لجماعته لولا لطف الله ما عدت إليكم. وفى طبقات الشيخ عبدالوهاب السبكى أن هرة نامت على كم صاحب الترجمة وجاء وقت الصلاة فقص كمه ولم يزعجها وعاد من الصلاة فوجدها قد قامت فوصل الكم بالثوب وخاطه وقال ما تغير. وتوضأ فى يوم بارد ومد يده زمانًا طويلا لا يحركها فتقدم يعقوب مؤذن المنارة يقبل يده فقال أى يعقوب شوّشت على هذه الضعيفة فقال يعقوب ما هى؟ قال بعوضة كانت تأكل رزقها من يدى فهربت منك. وكان رضى الله عنه يقول سلكت كل طريق فما رأيت أسهل ولا أقرب ولا أصلح من الافتقار والذل والانكسار.

(كرامات) : الأولى أنه كان إذا صعد الكرسى للقراءة سمع كلامه البعيد كالقريب حتى إن أهل القرى الذين حول بلده يسمعون كالذين بزاويته حتى إن الأصم إذا حضره سمع كلامه فقط. (الثانية) أنه كان إذا سأل إنسان أن يكتب له عوذة يأخذ الورقة ويكتب عليها من غير مداد ففعل ذلك برجل يومًا فغاب عنه مدة ثم جاء بها ليكتب له ممتحنًا فلما نظرها الشيخ قال له يا ولدى هذه مكتوبة. (الثالثة) أن رجلين من أصحابه وجماعته تحابا فى الله فخرجا يومًا بصحراء فتمنى أحدهما كتاب عتق من

النار ينزل من السماء فسقط منهـا ورقة بيضاء فلم يريا فيها كتابة فـأتيا إليه ولم يخبراه بالقصة فنظر إليها ثم خر ساجدًا لله تـعالى ثم قال الحمد لله الذى أرانى عتق أصحابى من النار فى الدنيا قبل الآخرة فقيل له هذه بيضاء فقال أى أولادي يد القدرة لا تكتب بسواد هذه مكتوبة بالنور، وذكرها التى قبلها صاحب درر الأصداف. (الرابعة) لما حج رضى الله عنه ووقف على القبر الشريف أنشد:

فى حالة البعد روحى كنت أرسلها　　تقبل الأرض عنى وهى نائبتـــى

وهذه دولة الأشباح قد حضـــرت　　فامدد يمينك كى تحظى بها شفـتى

فخرجت له اليـد الشريفة من القبـر فقبلها بحضـرة الناس وهم ينظرون كذا فى درر الأصداف وحاشية الجمل على الهمـزية قال الشيخ سليمان الجمل ووقع ذلك أيضًا لشيخ الناظم القـبط المرسى فإنه قال صافحت بكفى هذه كـف النبى ﷺ مرارًا انتهى. لكن المشهور بهذه الكرامة سيدى على الرفاعى الشـهير بأبى شباك الذى بمسجد ذخيرة الملك بسوق السلاح تجـاه مدرسة السلطان حسن ولقائل أن يقول لا مـانع من وقوعها لهمـا والله أعلم. (الخامسة) قـال الشعرانى فى المنن أخـبرنى الشيخ أحـمد الخنازيرى الضرير أنه بات عنده فى مـشهده الذى فى البـرية فقال له الخـادم لا تقدر تنام هنا من الهيبة التى تقع فى الليل فقال توكلت على الله فلما دخل وقت العشاء ارتعد من الهيبة حتى كادت مفـاصله تنقطع وصارت السباع تجأر خارج المقـام وأبوابه الحديد يحس بها تفتح وتـرد لها صوت عظيم قـال ثم إنى أحســست بشخص جلس عندى وقـال ليلة مباركة أمـا تقرأ القرآن أقرأ معك؟ فقلت له نعم فـقرأت أنا وإياه من سورة النحل إلى سورة النجم فلما قرب طلوع الفجـر أتانى برغيفين وإناءين فى أحدهما لبن دسم وفى الآخر عسل نحل فأكلت حتى شبعت فـطلع الفجر فلم أجده ثم قال إن الخادم جاءنى وقال خاطرى معـك فى هذه الليلة فإن أحدًا لا يقدر ينام هنا أبدًا قال فقـصصت عليه القصـة فقال هذا الذى قرأ مـعك وأطعمك هو سيـدى أحمد انتهى. (السـادسة) أراد شراء بسـتان فأبى صاحـبه بيعه إلا بقـصر فى الجنة فأرعد وتغـير واصفرّ ثم قـال قد

اشتريتـه منك بذلك قال اكتب لى خطك فكتب بسم الله الرحمن الرحـيم هذا ما ابتاع إسمعيل من العبد أحمد الرفاعى ضامنًا على كرم الله تعالى له قصرًا فى الجنة يحف به حدود أربع الأول لجنة عـدن الثانى لجنة المأوى الثالث لجنـة الخلد الرابع لجنة الفردوس بجميع حوره وولدانه وفرشه وأسرّته وأنهاره وأشجاره عوضًا عن بستانه فى الدنيا والله شاهد على ذلك وكفـيل فلما مات إسمعـيل دفنت معه الورقة فأصبـحوا وإذا مكتوب على قبره قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا مناوى.

(تنبيه) قال المقريزى فى الخطط مسجد ذخيرء الملك تحت قلعة الجبل بأول الرميلة تجاه شبابيك مدرسة السلطان حسن بن مـحمد بن قلاوون التى تلى الباب الكبير الذى سده الملك الظاهر برقوق أنشأه ذخيرة جعـفر متولى الشرطة. قال ابن المأمون فى ولاية القاهرة والحسبة بسجل أنشأه ابن الصيرفى وجرى من ظلمه وعسفه ما هو مشهور وبنى المسجد الذى ما بين الباب الجديد إلى الجبل الذى هو معروف به وسمى مسجد لا بالله وذلك أنه كان يقبض الناس من الطريق ويعـسفهم فيحلفون ويقولون لا بالله فـيقيدهم ويستـعملهم فيه بغـير أجرة ولم يعـمل فيه منذ أنشـأه إلا صانع مكره أو فاعل مقـيد وكتبت عليه الأبيات:

بنى مسجدًا لله من غيـــر حلـــه	وكان بحمد الله غير موفـــــق
كمطعمة الأيتام من كد فرجهـــا	لك الويل لا تزنى ولا تتصدقى

وكان قـد أبدع فى عذاب الجناة وأهل الفسـاد وخرج عن حكم الكتـاب فابتلى بالأمراض الخارجة عن المعـتاد ومات بعد ما عجل الله له ما قدّر وتجنب الناس تـشييعه والصلاة عليـه وحكى عنه فى حالتى غسله وحلوله بقـبره ما يعيـذ الله منه كل مسلم وقال ابن عبـد الظاهر مسجد الذخيـرة تحت قلعة الجبل وذكر مـا تقدم عن ابن المأمون انتهى. قلت وقد جدد فى زماننا فى أواخر المائة الثالثة عشرة ولم يكمل. وفى طبقات الشعرانى وكان سيدى أحمد الرفاعى يبدأ فى لقيه بالسلام حتى الأنعام والكلاب وكان إذا رأى خنزيرًا يقول له أنعم صبـاحًا فقيل له فى ذلك فقال أعود نفسى الجميل وكان

إذا سمع بمريض فى قرية ولو على بعد يمضى إليه يعوده ويرجع بعد يوم أو يومين وكان يخرج إلى الطريق ينتظر العميان حتى إذا جاءوا يأخذ بأيديهم ويقودهم وكان إذا رأى شيخًا كبيرًا يذهب إلى أهل حارته ويوصيهم عليه ويقول قال النبى ﷺ: «من أكرم ذا شيبة يعنى مسلمًا سخر الله له من يكرمه عند شيبته». وكان إذا قدم من السفر وقرب من أم عبيدة يشد وسطه ويخرج حبلا مدخرًا معه ويجمع حطبًا ثم يحمله على رأسه فإذا فعل ذلك فعل الفقراء كلهم فإذا دخل البلد فرق الحطب على الأرامل والمساكين والزمنى والمرضى والعميان والمشايخ وكان رضى الله عنه لا يجازى قط بالسيئة ولقيه مرة جماعة من الفقراء فسبوه وقالوا يا أعور يا دجال يا من يستحل المحرمات يا من يبدل القرآن يا ملحد يا كلب فكشف سيدى أحمد رضى الله عنه رأسه وقبل الأرض وقال يا أسيادى اجعلوا عبيدكم فى حل وصار يقبل أيديهم وأرجلهم ويقول ارضوا عنى وسلمكم يسعنى فلما أعجزهم قالوا ما رأينا قط فقيرًا مثلك تحمل منا هذا كله ولا تتغير فقال هذا ببركتكم ونفحاتكم ثم التفت إلى أصحابه وقال ما كان إلا خيرًا أرحناهم من كلام كان مكتومًا عندهم وكنا نحن أحق به من غيرنا فربما لو وقع منهم ذلك لغيرنا ما كان يحملهم. وأرسل إليه الشيخ إبراهيم البستى كتابًا يحط عليه فيه قال سيدى أحمد رضى الله عنه للرسول اقرأه لى فقرأه فإذا فيه أى أعور أى دجال أى مبتدع يا من جمع بين الرجال والنساء حتى ذكر الكلب ابن الكلب وذكر أشياء تغيظ فلما فرغ الرسول من قراءة الكتاب أخذه سيدى أحمد رضى الله عنه وقرأه وقال صدق فيما قال جزاه الله عنى خيرًا ثم أنشد:

فلست أبالى من زمان يريبه ... إذا كنت عند الله غير مريب

ثم قال للرسول اكتب إليه الجواب من هذا اللاش أحيمد إلى سيدى الشيخ إبراهيم البستى رضى الله عنه أما قولك الذى ذكرته فإن الله تعالى خلقنى كما شاء وأسكن فى ما شاء وإنى أريد من صدقاتكم أن تدعو لى ولا تخلينى من حلك وحلمك فلما وصل الكتاب إلى البستى هام على وجهه فما عرفوا إلى أين ذهب.

وكان رضى الله عنه إذا علم أن الفقراء يريدون أن يضربوا أحدًا من إخوانهم لزلة وقعت منه يستعير منه ثيابه ويلبسها وينام فى موضعه فيضربونه فإذا فرغوا من ضربه واشتفوا منه يكشف لهم عن وجهه فيغشى عليهم فيقول لهم ما كان إلا الخير أكسبتمونا الأجر والثواب فيقول بعض الفقراء لبعضهم تعلموا هذه الأخلاق وقال رضى الله عنه لأصحابه يومًا من رأى فى أحيمد منكم عيبًا فليعلمه به فقام شخص فقال يا سيدى فيك عيب عظيم قال وما هو يا أخى فقال كون مثلنا من أصحابك فبكى الفقراء وعلا نحيبهم وبكى سيدى أحمد معهم وقال أنا خادمكم أنا دونكم وكان لسيدى أحمد شخص ينكر عليه وينقصه فى نواحى أم عبيدة فكان كلما لقى فقيرًا من جماعة سيدى أحمد فيجد فيه أى ملحد أى باطلى أى زنديق وأمثال ذلك من الكلام القبيح ثم يقول سيدى أحمد رضى الله عنه صدق من أعطاك الكتاب ثم يعطى الرسول دريهمات ويقول جزاك الله عنى خيرًا كنت سببًا لحصول الثواب فلما طال الأمر على ذلك الرجل وعجز عن سيدى أحمد مضى إليه فلما قرب من أم عبيدة كشف رأسه وأخذ مئزره وجعله فى وسطه وأمسكه إنسانًا وصار يقوده حتى دخل على سيدى أحمد فقال ما أحوجك يا أخى إلى هذا فقال فعلى فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه ما كان إلا الخير يا أخى ثم طلب منه أخذ العهد عليه فأخذه عليه وصار من جملة أصحابه إلى أن مات وكان رضى الله عنه يقول لا يحصل للعبد صفاء الصدر حتى لا يبقى فيه شىء من الخبث لا لعدو ولا لصديق ولا لأحد من خلق الله عز وجل وهناك تستأنس الوحوش بك فى غياضها والطير فى أوكارها لا تفر منك ويتضح لك سطر الحاء والميم، وقال له شخص من تلامذته يا سيدى أنت القطب فقال نزه شيخك عن القطبية فقال له وأنت الغوث فقال نزه شيخك عن الغوثية. قال الشعرانى قلت وفى هذا دليل على أنه تعدى المقامات والأطوار لأن القطبية والغوثية مقام معلوم ومن كان مع الله وبالله فلا يعلم له مقام وإن كان له فى كل مقام مقام والله أعلم.

وفى طبقات الفقهاء الشافعية لابن السبكى أحضر بعض الأكابر مريضًا لصاحب الترجمة رضى الله عنه ليدعو له فبقى أيامًا لم يكلمه فقال يعقوب مؤذن منارة المسجد

أى سيدى ما تدعو لهذا المريض فقال أى يعقوب وعزة العزيز لأحمد كل يوم عليه مائة حاجة مقضية وما سألته منها حاجة واحدة فقلت أى سيدى فتكون واحدة لهذا المريض المسكين فقال لا كرامة ولا عزازة تريد أن أكون سيئ الأدب لى إرادة وله إرادة ثم قرأ: ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[1] أى يعقوب الرجل المسكين فى أحواله إذا سأل حاجة وقضيت له نقص تمكنه درجة فقلت أراك تدعو عقب الصلاة وكل وقت قال ذاك الدعاء تعبد وامتثال ودعاء الحاجات له شروط وهو غير هذا الدعاء ثم بعد يومين شفى ذلك المريض انتهى.

(تنبيه) ابن السبكى المذكور هو صاحب جمع الجوامع وولده التاج السبكى أخذ عن ابن الرفعة وقد رأيت بعضهم نسب له الأبيات المشهورة وهى:

سهرى لتنقيح العلوم ألذ لى ... من وصل غانية وطيب عناق

وصرير أقلامى على أوراقها ... أحلى من الدوكاء والعشاق

وألذ من نقر الفتاة لدفها ... نقرى لألقى الرمل عن أوراق

وتمايلى طربًا لحل عويصة ... فى الدرس أشهى من مدامة ساقى

وأبيت سهران الدجى وتبيته ... نومًا وتبغى بعد ذاك لحاقى

قال يعقوب الخادم رضى الله عنه ولما مرض سيدى أحمد رضى الله عنه مرض الموت قلت له تجلى العروس فى هذه المرة قال نعم فقلت له لماذا فقال جرت أمور اشتريناها بالأرواح وذلك أنه أقبل على الخلق بلاء عظيم فتحملته عنهم وشريته بما بقى من عمرى فباعنى وكان يمرغ وجه وشيبته على التراب ويبكى ويقول العفو العفو ويقول اللهم اجعلنى سقف البلاء عن هؤلاء الخلق وكان مرض الشيخ رضى الله عنه بالبطن فكان يخرج منه كل يوم ما شاء الله فبقى به المرض شهراً فقيل له من أين هذا كله ولك عشرون يومًا لا تأكل ولا تشرب فقال له يا أخى هذا اللحم يندفع ويخرج ولكن

(١) سورة الأعراف ٥٤.

قد ذهب اللحم ومـا بقى إلا المخ واليوم نخرج وغـدًا نعبر على الله تعالى فـخرج منه شيء أبيض مرتين أو ثلاثًا وانقطع ثم توفى يوم الخميس وقت الظهر ثانى عشر جمادى الأولى سنة سبعين وخمسمائة وكان يومًا مشهودًا وكان آخر كلمة قالها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله ودفن فى قبـر الشيخ يحيى النجارى وكان شافعى المذهب قرأ كتاب التنبـيه للشيخ أبى إسحاق الشيـرازى وما تصدر قط فى مجلس ولا جلس على سجادة تواضعًا وكـان لا يتكلم إلا يسيرًا ويقول أمرت بالسكوت رضى الله عنه كذا فى طبقات الشعرانى وخالفه غيره فى تاريخ الوفاة فإنه قال مات رضى الله عنه ببلدة أم عبيدة سنة ثمان وسبعين وخمســمائة ولم يعقب وإنما المشيخة لابن أخيه رضى الله تعـالى عنهمـا قال المناوى وله فى الطريق كـلام عال، ومنه: الـزهد أو مقـامات القاصدين إلى الله تعالى فمن لم يحكم أساسه فيه لم يصلح له شيء من بعد المقامات وقال رضى الله عنه علامة الأنس بالله الوحشة من جميع الخلق إلا الأولياء فإن الأنس بهم أنس به قال رضى الله عنه من توهم أن عمله يوصل إلى مـأموله الأعلى فقد ضل وقال رضى الله عنه قرِّب قلبك من مجالسة الذاكرين لعله يتنبه من غفلتك وقال رضى الله عنه أقـرب الأشيـاء إلى المقت رؤية النفس وأحوالهـا وأعمـالها وأشـد منه طلب العوض على العمل وقال رضى الله عنه أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات وقال رضى الله عنه العـبودية الوفاء بالوعـد والصبر على المفقـود وقال رضى الله عنه سلكت كل طريق فمـا رأيت أقرب ولا أسهل ولا أصلح من الـذل والانكسار لعـظيم أمر الله تعـالى والشفقـة على خلقه اهـ ولولا مخـافة التطويل لزدناك كـلامًا من هذا القبيل.

(الثانى من الأقطاب الأربعـة سيدى **عبدالقادر الجيلى** رضى الله عـنه) هـو أبو صالح عبدالقـادر بن موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد بن مـحمد بن داود بن موسى ابن عبدالله بن مـوسى الجون بن عبدالله المحض بن حـسن المثنى بن الحسـن بـن على ابن أبى طالب رضى الله عنهم أجمعين. ولد رضى الله عنه سنة سبعين وأربعمائة كذا

فى طبقات الشعرانى، قال وحكى عن أمه رضى الله عنها قالت لما وضعت ولدى عبد القادر كان لا يرضع ثديه فى نهار رمضان ولقد غم على الناس هلال رمضان فأتونى وسألونى عنه فقلت لهم إنه لم يلتقم اليوم ثديًا ثم اتضح أن ذلك اليوم كان من رمضان واشتهر ببلدنا فى ذلك الوقت ولد للأشراف ولد لا يرضع فى نهار رمضان وكان رضى الله عنه يلبس لباس العلماء ويتطيلس ويركب البغلة ويتكلم على كرسى عال وربما خطا فى الهواء خطوات على رءوس الناس ثم يرجع إلى الكرسى رضى الله عنه يقول بقيت أيامًا لم أستطعم فيها بطعام فلقينى إنسان فأعطانى صرة فيها دراهم وأخذت منها خبزًا ثميذًا وخبيصًا وجلست آكله فإذا برقعة مكتوب فيها قال الله تعالى فى بعض كتبه المنزلة: «إنما جعلت الشهوات لضعفاء خلقى ليستعينوا بها على الطاعات أما الأقوياء فما لهم وللشهوات». فتركت الأكل وانصرفت وكان رضى الله عنه يقول إنه لتردّ علىّ الأثقال الكبيرة التى وضعت على الجبال لتصدّعت فإذا كثرت علىّ الأثقال وضعت جنبى على الأرض وتلوت: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[1] . ثم أرفع رأسى وقد انفجرت عنى تلك الأثقال وكان رضى الله عنه يقول قاسيت الأهوال فى بدايتى فما تركت هولا إلا ركبته وكان لباسى جبة صوف وعلى رأسى خريقة وكنت أمشى حافيًا فى الشوك وغيره وكنت أقتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من شاطئ النهر ولم أزل آخذ نفسى بالمجاهدات حتى طرقنى من الله تعالى الحال فإذا طرقنى صرخت وهمت على وجهى سواء كنت فى صحراء أو بين الناس وكنت أتظاهر بالتخارس والجنون وحملت إلى البيمارستان وطرقتنى مرة الأحوال حتى مت وجاءوا بالكفن والغاسل وجعلونى على المغسل ليغسلونى ثم سرى عنى وقمت وقال له رجل مرة كيف الخلاص من العجب؟ فقال رضى الله عنه من رأى الأشياء من الله وأنه هو الذى وفقه للعمل وأخرج نفسه من البين فقد سلم من العجب. وقيل له مرة ما لنا لا نرى الذباب يقع على ثيابك فقال أى شىء يعمل الذباب عندى وأنا ما عندى شىء من دبس الدنيا ولا عسل الآخرة

---

(١) سورة الشرح ٥ و ٦.

وكان رضى الله عنه يقول أيما امرئ مسلم عبر على باب مدرستى خفف الله عنه العذاب يوم القيامة وكان رجل يصرخ فى قبره ويصيح حتى آذى الناس فأخبروه به فقال إنه رآنى مرة ولابد أن الله تعالى يرحمه لأجل ذلك فمن ذلك الوقت ما سمع له أحد صراخًا وكان رضى الله عنه يقرأ القرآن بالقراءات بعد الظهر وكان يفتى على مذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنهما وكانت فتواه تعرض على العلماء بالعراق فتعجبهم أشد الإعجاب فيقولون سبحان من أنعم عليه.

(فوائد) الأولى: رفع إليه سؤال فى رجل حلف بالطلاق الثلاث أنه لا بدّ أن يعبد الله عز وجل عبادة ينفرد بها دون جميع الناس فى وقت تلبسه بها فماذا يفعل من العبادات؟ فأجاب على الفور يأتى مكة ويخلى له المطاف ويطوف أسبوعًا وحده فينحل يمينه فأعجب علماء العراق وكانوا قد عجزوا عن الجواب عنها. (الثانية) رفع له شخص ادّعى أنه يرى الله عزّ وجلّ بعينى رأسه فقال أحق ما يقولون عنك فقال نعم فانتهره ونهاه عن هذا القول وأخذ عليه ألا يعود إليه فقيل للشيخ أمحق هذا أم مبطل فقال هذا محق ملبس عليه وذلك أنه شهد ببصيرته نور الجمال ثم خرج من بصيرته إلى بصره لمعة فرأى بصره ببصيرته وبصيرته يتصل شعاعها بنور شهوده فظن أن بصره رأى ما شهده ببصيرته وإنما رأى بصره ببصيرته فقط وهو لا يدرى قال الله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾[1] وكان جمع من المشايخ وأكابر العلماء حاضرين هذه الوقعة فأطربهم سماع هذ الكلام ودهشوا من حسن إفصاحه عن حال الرجل ومزق جماعة ثيابهم وخرجوا عرايا إلى الصحراء. (الثالثة) قال رضى الله عنه تراءى لى نور عظيم ملأ الأفق ثم تدلى فيه صورة تنادينى يا عبدالله أنا ربك وقد حللت لك المحرمات فقلت اخسأ يا لعين فإذا ذلك النور ظلام وتلك الصورة دخن ثم خاطبنى يا عبد القادر نجوت منى لعلمك بأمر ربك وفقهك فى أحوال منازلاتك ولقد أضللت بهذه الواقعة سبعين من أهل الطريق فقلت لله الفضل فقيل له كيف علمت أنه شيطان؟ قال بقوله قد حللت المحرمات. وسئل رضى الله عنه عن صفات الموارد

---

(١) سورة الرحمن ١٩ و ٢٠.

الإلهية والطوارق الشيطانية؟ فقال الوارد الإلهى لا يأتى باستدعاء ولا يذهب بسبب ولا يأتى على نمط واحد ولا فى وقت مـخصوص والطارق الشيطانى بخـلاف ذلك غالبًا.
وسئل رضى الله عنه عن الهمة فقال هى ألا يتعرى العبد بنفسه عن حب الدنيا وبروحه عن التعلق بالعقبى ويقلبه عن إرادته مع إرادة المولى ويتجرد بسره عن أين يلمح الكون أو يخطر على سره. ولما اشـتهر أمـره فى الآفاق اجتـمع مائة فقـيه من أذكيـاء بغداد يمتحنونه فى العلم فجمع كل واحد له مسائل وجاء إليه فلما استقر بهم المجلس أطرق الشيخ فظهرت من صدره بارقة من نور فمرت على صدور المائة فمحت ما فى قلوبهم فبهـتوا واضطربوا وصاحوا صيـحة واحدة ومزقوا ثـيابهم وكشفوا رءوسـهم ثم صعد الكرسى وأجاب الجميع عـما كان عندهم فاعترفوا بفـضله؛ وكان من أخلاقه أن يقف مع جلالة قدره مع الصغـير والجارية ويجالس الفقراء ويفلى لهـم ثيابهم وكان لا يقوم قط لأحـد من العظماء ولا أعـيان الدولة ومـا ألمّ قط بباب وزير ولا سلطـان، وكان رضى الله عنه يقول: أقـمت فى صحراء العراق وخرابه خـمسًا وعشـرين سنة مجردًا سائحًا لا أعـرف الخلق ولا يعرفوننى يأتينى طوائف من رجال الغـيب والجان أعلمهم الطريق إلى الله عزّ وجلّ ورافقنى الخضر عليه السلام فى أول دخولى العراق وما كنت عرفته وشرط ألا أخالفه وقال لى اقعد هنا فجلست فى الموضع الذى أقعدنى فيه ثلاث سنين يأتينى كل سنة مرة ويقـول لى مكانك حتى آتيك ذكر ذلك الشعـرانى فى طبقاته
(ومن) كلام سيدى عبدالقادر كما فى كتابه فتوح الغيب: إذا أقامك الله تعالى فى حالة فلا تطلب الانتقال منها إلى ما هو أعلى منها أو أدنى بل تربص حتى يكون الحق تعالى هو الذى ينقلك إليها بغير إرادة منـك وإذا أوقفك بالباب فلا تطلب الدخول إلى الدار واصبـر حتى تدخل إليـها بعـد تكرر الإذن بالدخول وإياك أن تقنع بمـجرد الإذن لك بالدخول مـرة واحدة لجواز أن يكون ذلك مكرًا وخـديعة من الملك فإذا كـان الدخول جبـرًا محضًـا وفضلا من الملك فـحينئـذ لا يعاقبك الملك على الـدخول وإنما تتطرق العقوبة إليك بشـؤم اختيارك وشرهك وقلة صبرك وسـوء أدبك وتركك الرضا بحالتك التى أقامك الحق تعـالى فيهـا إذا أدخلك تلك الدار بالإذن فكن مطرقا برأسك غـاضًا بصرك متأدبًا ناظرًا لما تؤمر به من الخدمة فتبادر إلى ذلك غير طالب للترقى إلى الدرجة

العليا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾[1] الآية.
فنهاه عن الالتفات إلى غير الحالة التى هو فيها، ثم إن العبد الطالب للانتقال من حال إلى حال لا يخلو من أين يكون ذلك الأمر قسم له أو قسم لغيره أو لم يقسمه الله لأحد بل أوجده الله تعالى فتنة، فأما المقسوم فهو واصل إلى العبد لا محالة فى الوقت الذى جعله الحق تعالى فلا ينبغى له أن يظهر بشره وسوء الأدب فى طلبه، وأما المقسوم لغيره فلا يتعب نفسه فيما لا يناله ولا يصل إليه وإن كان لم يقسم لأحد وإنما جعله الله فتنة فكيف يرضى العاقل أن يستجلب لنفسه الفتنة ويستحسنها فإذن الخير والسلامة فى حفظ الحال ثم إذا رقيت بعد الدار إلى الغرفة ثم منها إلى السطح فكن كما ذكرنا من الأدب والإطراق بل يتضاعف ذلك منك لأنك صرت أقرب إلى حضرة الملك فإياك وطلب الانتقال إلى محل أقرب من ذلك إلا إن أعلمك الملك أن تلك الدرجة أو المقام الذى تطلب الانتقال إليه قد وهبه الحق لك بعلامات وآيات انتهى كلام سيدى عبد القادر رضى الله عنه قال الشعرانى فى المنن وهو كلام فى غاية النفاسة فتدبره والحمد لله رب العالمين، وله كلام كثير منظوم فمنه :

أنا قطب أقطاب الوجود حقيقة ... على سائر الأقطاب قولى وحرمتى
توسل بنا فى كل هول وشدة ... أغيثك فى الأشياء طرًا بهمتى

ومن كلامه أيضًا :

أنا من رجال لا يخاف جليسهم ... ريب الزمان ولا يرى ما يرهب

(كرامات): الأولى جاء رجل من أهل بغداد وذكر أن له بنتًا قد اختطفت من سطح داره وهى بكر فقال له الشيخ عبدالقادر رضى الله عنه اذهب هذه الليلة إلى خراب الكرخ واجلس عند التل الخامس وخط عليك دائرة فى الأرض وقل وأنت تخطها بسم الله على نية عبدالقادر فإذا كانت فحمة العشاء مرت بك طوائف الجن على صور شتى فلا يرعك منظرهم فإذا كان السحر مر بك ملكهم فى جحفل منهم

---

(١) سورة الحجر ٨٨ .

فيسألك عن حاجتك فقل له قد بعثنى إليك الشيخ عبدالقادر واذكر له شأن ابنتك قال فذهبت وفعلت ما أمرنى به الشيخ عبدالقادر رضى الله عنه فمرت بى صور مزعجة المنظر ولم يقدر أحد منهم أن يمر على الدائرة التى أنا فيها وما زالوا يمرون زمرًا زمرًا إلى أن جاء ملكهم راكبًا فرسًا وبين يديه أمم منهم فوقف بإزاء الدائرة وقال يا إنسى ما حاجتك؟ فقلت له قد بعثنى إليك الشيخ عبدالقادر فنزل عن فرسه وقبل الأرض وجلس خارج الدائرة وجلس من معه ثم قال ما شأنك؟ فذكرت له قصة ابنتى فقال لمن حوله علىّ بمن فعل هذا فأتانى بمارد ومعه بنتى فقيل له إن هذا مارد من مردة الصين فقال له ما حملك على أن اختطفت هذه من تحت ركاب القطب فقال إنها وقعت فى نفسى فأمر به فضربت عنقه وأعطانى ابنتى فقلت ما رأيت مثل الليلة من امتثالك أمر الشيخ عبدالقادر فقال نعم إنه فى داره ينظر إلى مردة الجن وهم بأقصى الأرض فيفروا من هيبته وإن الله تعالى إذا أقام قطبًا مكنه من الجن والإنس كذا فى حياة الحيوان فى حرف الجيم عند الكلام على الجن. (الثانية) جاءت امرأة بولدها إلى الشيخ عبدالقادر رضى الله عنه وقالت له إنى رأيت قلب ابنى هذا شديد التعلق بك وقد خرجت عن حقى فيه لله عزّ وجلّ ولك فاقبله وأمره بالمجاهدة وسلوك الطريق فدخلت عليه أمه يومًا فوجدته نحيلا مصفرّ اللون من أثر الجوع والسهر ووجدته يأكل قرصًا من شعير فدخلت على الشيخ عبدالقادر رضى الله عنه فوجدت بين يديه إناء فيه عظام دجاجة مسلوقة قد أكلها فقالت يا سيدى تأكل لحم الدجاج ويأكل ابنى خبز الشعير فوضع الشيخ يده على تلك العظام وقال قومى بإذن الله تعالى الذى يحيى العظام وهى رميم فقامت دجاجة سوية قال الشيخ رضى الله عنه إذا صار ابنك يفعل هكذا فليأكل ما شاء الله كذا فى حياة الحيوان. (الثالثة) قال الشيخ الدميرى فى حياة الحيوان أيضًا روينا بالسند الصحيح أن الشيخ عبدالقادر الجيلى قدس الله روحه جلس يومًا يعظ وكانت الريح عاصفة فمرت على مجلسه حدأة طائرة فصاحت فشوّشت على الحاضرين ما هم فيه فقال الشيخ يا ريح خذى رأس هذه الحدأة فوقعت لوقتها فى ناحية ورأسها فى

ناحيـة فنزل الشيخ عن الكرسى وأخذها بيـده ومرر يده الأخرى عليهـا وقال بسم الله الرحمن الرحيم فـحييت وطارت والناس يشاهدون ذلك انتهى. (الرابعـة) سقط عليه رضى الله عنه وهو يدرس حية ففر من حضر منها فدخلت فى ذيله وخرجت من طوقه والتفّت على عنقه فلم يقطع كلامه ولم يتـغير ثم قامت بين يديه تكلمه بكلام لا يفهم وانصرفت فسـئل عن ذلك فقال قالت اختبـرت عدة أولياء فلم أجد كثبـاتك فقلت ما أنت إلا دويدة يحركك القضاء والقدر كـذا فى درر الأصداف. (الخامسة) توضأ رضى الله عنه يومًا فبال عليه عـصفور فرفع رأسه إليه وهو طائر فوقع ميـتًا فغسل الثوب ثم باعه وتصدق بثمنه وقال هذا بهذا كذا فى طبقات الشعرانى، وفيه وكان رضى الله عنه يقول: يا رب كيف أهدى إليك روحى وقـد صح بالبرهان أن الكل لك، وكان رضى الله عنه يتكلم فى ثلاثة عشر علمـًا وكانوا يقرءون عليه فى مدرسته درسًا من التـفسير ودرسًا من الحديث ودرسـًا من المذهب ودرسًا من الخلاف وكانوا يقـرءون عليه طرفى النهار التفسير وعلوم الحـديث والمذهب والخلاف والأصول والنحو اهـ. قال ابن الحاج فى شرح رسالة ابن باديس حضر يومًا مـجلسه الشيخ أبو الفرج بن الجوزى رضى الله عنه ففسر الشيخ عبدالقادر رضى الله عنه آية وذكر فيها وجوهًا وإلى جانب الشيخ أبى الفرج من يسأله أتعرف هذا القـول فيقول نعم إلى أن بلغ أحد عشر يعـرفها أبو الفرج ثم زاد الشيخ حـتى انتهى إلى أربعين وجهـًا وعزا كل وجه إلى قـائله فاشتـد تعجب الشيخ أبى الفرج من كثرة علم الشيخ ثم قال نترك المقال ونرجع للأحوال لا إله إلا الله محـمد رسول الله فـاضطرب الناس اضطرابًا شديدًا ومزق أبـو الفرج ثوبه اهـ. ومن كلامه رضى الله عنه زيادة على مـا سبق: احذروا ولا تأمنوا ولا تضيـفوا إلى أنفسكم حالا ولا مـقالا ولا تدعوها ولا تخبـروا بما يطلعكم الله تعالى عليه من الأحـوال فإن كل يوم هو فى شأن. وقـال رضى الله عنه لا تشك ضرًا نزل بك لغيـر الله تعالى وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو واحذر أن تشكو ضيق رزقك وعندك قوت فربما عسر عليك أسباب الرزق عقوبة على كفرانك. وقال رضى الله عنه النعم واصلة إليك

اجتلبتهـا أم لا والبلوى حاصلة بك وإن كرهتها فسلم لله فى الـكل يفعل الله ما يشاء فإن أتتك نعمة فاشـتغل بالذكر والشكر أو بلوى فبالصبر والموافقـةوأعلى منهما الرضا والتلذذ بالقـضاء. وكان رضى الله عنه يـقول ارض بالدون ولا تنازع ربك فى قـضائه فيقصمك ولا تغفل عنه فيسلبك ولا تقل فى دينه بهواك فيرديك ولا تسكن إلى نفسك فتبلى بها وبمن هو شر منها ولا تظلم أحدًا ولو بسوء ظنك به وحملك له على محامل السوء فـإنه لا يجاوز بك ظلم ظالم. وكان رضى الله عنه يقـول إذا وجدت فى قلبك بغض شخص أو حـبه فاعرض أفعـاله على الكتاب والسنة فإن كانت مـحبوبة فيـهما فأحبه وإن كانت مكروهة فاكرهه لئلا تحبه بهواك وتبغضه بهواك قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1] ولا تهجر أحدًا إلا لله وذلك إذا رأيته مـرتكبًا كبيرة أو مصرًا على صغيرة. قال الشعرانى قلت: ومعنى رأيته مرتكبًا كبيرة العلم بذلك ولو ببينة فلا يشـترط فى جواز الهجر رؤية الهـاجر لذلك العاصى ببصره كـذا فى طبقات الشعرانى وغـيره قال الأديب ابن حجة فى شـرح بديعيته ومما جـاء فى تجاهل العارف للمبالغة والتـعظيم قول القطب الفرد الجامع الشيخ عبـدالقادر الكيلانى رضى الله عنه من قصيدة:

أأظما وأنت العـذب فى كـل منهـل ... وأظلـم فى الدنيـا وأنت نصيـــرى

انتهى وقد رأيت هذا البيت وبيـتًا آخر معه فى ورقة عتيـقة ضاعت منى مكتوبًا فيها خاصيتهما ولكن أنسيتها والبيت الآخر هو ذا:

وعار على حامى الحمى وهو فى الحمى ... إذا ضـاع فى البيدا عقـال بعيـــرى

قال ابن الحاج فى شرح رسالة ابن باديس روى عنه أنه قال قدمى هذه على رقبة كل ولى لله تعالى قالوا فلم يبق ولى لله تعالى فى المشرق ولا فى المغرب ولا من وراء السد ولا فى جزائر البـحر المحيط ولا فى جبل قاف إلا مد عنقـه فى تلك الساعة إلا رجلا واحدًا فى أصفـهان لم يتأدب معه الشيخ فسـلب حاله، وقد روى أن الشيخ أبا

(١) سورة ص ٢٦ .

مدين مد عنقه فى بلاد المغرب فسأله أصحابه عن ذلك فقال إن سيدى الشيخ عبدالقادر قال فى هذه الساعة قدمى هذه على رقبة كل ولى فأرخ أصحابه ذلك اليوم حتى قدم المسافرون من أرض العراق فأخبروا بقوله ذلك فى اليوم ولما قال ذلك وهو على منبر وعظه سمع الرفاعى من أم عبيدة بلده فطأطأ رأسه وقال وعلى رقبتى وكذلك سائر الأولياء فى سائر البلدان. وفى طبقات الشرنوبى سمى عبدالقادر بالجيلانى لأن الله تعالى تجلى عليه وهو فى بطن أمه مائة مرة فسمته به الملائكة فسمعت به الرجال وسمته به وشاع هـ (توفى) رضى الله عنه سنة إحدى وستين وخمسمائة ودفن ببغداد رضى الله عنه قال ابن الأثير كان الجيلى رضى الله عنه من الصلاح على حال عظيم وهو حنبلى المذهب ومدرسته رباطه مشهوران ببغداد كذا فى تاريخ أبى الفداء.

(الثالث من الأربعة الأقطاب سيدى **أحمد البدوى** رضى الله عنه) وهو أحمد بن على بن إبراهيم بن محمد بن أبى بكر بن إسمعيل بن عمر بن عثمان بن حسين بن محمد بن موسى بن يحيى بن عيسى بن على بن محمد بن حسن بن جعفر بن على ابن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زيد العابدين بن الحسين بن على ابن أبى طالب كرم الله وجهه المعروف بالشيخ أبى الفتيان الشريف العلوى السيد أحمد البدوى الملثم المعتقد، والمشهور أن سلفه رضى الله عنه تحوّل من الحجاز إلى بلاد المغرب ثم خرج أبوه على بن إبراهيم من فاس فى سنة ثلاث وستمائة ومعه أولاده وامرأته فاطمة بنت محمد بن أحمد بن عبدالله وأولاده كلهم منها وهم الحسن ومحمد وفاطمة وزينب ورقية وفضة وأحمد البدوى صاحب الترجمة يريدون الحج فحج بهم فى سنة سبع وستمائة والسيد أحمد البدوى كان عمره إحدى عشرة سنة وأقام بمكة وعرف بالبدوى لكثرة ما كان يتلثم وعرض عليه أخوه التزويج فامتنع وأخذه تحت كنفه وأقرأه القرآن واشتهر بمكة بالشجاعة وسمى العطاب والغضبان ثم حدث له حال فى نفسه فتغيرت أحواله واعتزل الناس ولزم الصمت وكان لا يتكلم إلا بالإشارة فقيل له فى منامه أن سر إلى طندتا وبشر بحال يكون له وذلك فى ليلة الأحد عاشر محرم سنة ثلاث وثلاثين وستمائة فسار هو وأخوه حسن من مكة فى شهر ربيع الأوّل إلى العراق ودخل بغداد وجال فى البلاد ثم عاد حسن إلى مكة وتأخر أحمد بعده ثم لحق به وقدم

مكة ولزم الصيام والقيـام حتى كان يطوى أربعين يومًا لا يتناول فيهـا طعامًا ولا شرابًا وفى أكثر أوقاته يكون شاخصًا ببصره إلى السماء وقد صارت عيناه تتوقدان كالجمر ثم سار من مكة فى سنة أربع وثلاثين وستمائة يريد مصر ونزل ناحية طندتا فى رابع عشر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسـتمائة وأكثـر من الصياح ليلا ونهـارًا وأقام بعد ذلك بطندتا كذا نقل عن المقريزى وغيره. وفى طبقـات الشعرانى ما نصه وكان مولده رضى الله عنه بمدينة فاس بالمغرب لأن أجـداده انتقلوا أيام الحجاج إليها حين أكـثر القتل فى الشرفاء فلمـا بلغ سبع سنين سمع أبوه قائلا يقول له فى مـنامه يا على انتقل من هذه البـلاد إلى مكة المشرفـة فإن لنا فـى ذلك شأنًا وكـان ذلك سنة ثلاث وسـتمائة قـال الشريف حسن أخو سيدى أحمد رضى الله عنهما فما زلنا ننزل على عرب ونرحل عن عرب فـيتلقونا بالـترحيب والإكـرام حتى وصلنا إلى مكة المشرفـة مع أبى أربع سنين فتلقانا شرفاء مكة كلهم وأكرمونا ومكثنا عندهم فى أرغد عيش حتى توفى والدنا سنة سبع وعشرين وستمائة ودفن بباب المعلاة وقبره هناك ظاهر يزار فى زاوية قال الشريف حسن فأقمت أنا وإخوتى وكان أحمد أصغرنا سنًا وأشجعنا قلبًا وكن من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبـدوى فأقرأته القـرآن فى المكتب مع ولدى الحسين ولم يكن فى فـرسان مكة أشجع منه وكانوا يسمونه فى مكة العطاب فلما حدث عليه حادث الوله تغيرت أحواله واعـتـزل عن الناس ولازم الصـمت فكان لا يـكلم الناس إلا بالإشـارة وكـان بعض العارفين يقول إنه رضى الله عنـه حصلت له جمعيـة على الحق تعالى فاستغـرقته إلى الأبد ولم يزل حاله يتزايد إلى عصرنا هذا ثم إنه فى شوّال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى فى منامه ثلاث مرات قائلا يقول قم يا أحـمد واطلب مطلع الشمس فإذا وصلت مطلع الشمس فاطلب مغـرب الشمس وسر إلى طندتا فإن بها مقامك أيهـا الفتى فقام من نومه وشاور أهله وسافر إلى العراق فتلقاه أشيخاها منهم سيدى عبدالقادر الجيلانى وسيدى أحمد بن الرفاعى فقالوا يا أحمد مفاتيح العراق والهند واليمن والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاختر أى مفتاح شئت فقال لهـما سيدى أحمد لا حاجة لى بمفتاحكما ما آخذ المفتاح إلا من الفتاح قال سـيدى حسن رضى الله عنه فلما فرغ أخى أحمد من زيارة أضرحة أولياء العراق كالشيخ عدى بن مسافر والحلاج وأضربهما خرجنا قاصدين

إلى ناحية طندتا فأحدق بنا الرجال من سائر الأقطار يعارضوننا ويقاتلوننا فأومأ بيده إليهم سيدى أحمد البدوى فوقعوا أجمعين فرجع سيدى حسن إلى مكة وذهب سيدى أحمد رضى الله عنه إلى فاطمة بنت برى وكانت امرأة لها حال عظمى وجمال بديع وكانت تسلب الرجال أحوالهم فسلبها سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه حالها وتابت على يديه وحلفت إنها لا تتعرض لأحد بعد ذلك اليوم وتفرقت القبائل الذين كانوا اجتمعوا عونًا لبنت برى إلى أماكنهم وكان يومًا مشهودًا بين الأولياء ثم إن سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه رأى الهاتف فى منامه يقول يا أحمد سر إلى طندتا فإن تقيم بها وتربى بها رجالا وأبطالا عبدالعال وعبدالوهاب وعبد المجيد وعبدالمحسن وعبدالرحمن وكان ذلك فى شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وستمائة فدخل رضى الله عنه مصر ثم قصد طندتا فدخل على الحال مسرعًا إلى دار شخص من مشايخ البلد اسمه ابن شحيط فصعد إلى سطح غرفته وكان طول نهاره وليله واقفًا شاخصًا ببصره إلى السماء وقد انقلب سواد عينيه حمرة تتوقد كالجمرة وكان يمكث أربعين يومًا فأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا ينزل من السطح وخرج إلى ناحية فيشى المنارة فتبعه الأطفال فكان منهم عبدالعال وعبد المجيد فورمت عين سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فطلب من سيدى عبدالعال بيضة يعملها على عينه فقال وتعطينى الجريدة الخضراء التى معك فقال له سيدى أحمد رضى الله عنه نعم. فأعطاها له فذهب إلى أمه فقال لها ههنا بدوى عينه توجعه وطلب منى بيضة وأعطانى هذه الجريدة فقالت ما عندى شيء فرجع فأخبر سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه بذلك فقال اذهب فأتنى بواحدة من الصومعة فرجع سيدى عبد العال الصومعة قد ملئت بيضًا فأخذ له واحدة منها وخرج بها إليه ثم إن سيدى عبدالعال تبع سيدى أحمد رضى الله عنه من ذلك الوقت ولم تقدر أمه على تخليصه منه فكانت تقول يا بدوى الشوم علينا فكان سيدى أحمد رضى الله عنه إذا بلغه ذلك يقول لو قالت يا بدوى الخير كانت أصدق ثم أرسل إليها يقول لها إنه ولدى من يوم قرن الثوروكانت أم عبدالعال قد وضعته فى معلف الثور وهو رضيع فطأطأ الثور ليأكل فدخل قرنه فى القماط فشال عبدالعال على قرنه وهاج فلم يقدر أحد على تخليصه منه فمد سيد أحمد البدوى رضى الله عنه يده وهو

بالعراق فخلصه من القرن فتذكرت أم عبدالعال الواقعة واعتقدته من ذلك اليوم ولم يزل سيدى أحمد على السطوح مدة اثنتى عشرة سنة وكان سيدى عبدالعال يأتى إليه بالرجل أو الطفل فيطاطئ من السطوح فينظر إليه نظرة واحدة فيملؤه مددًا ويقول لعبدالعال اذهب به إلى بلد كذا أو موضع كذا فكانوا يسمون أصحاب السطح وكان رضى الله عنه لم يزل متلثمًا بلثامين فاشتهى سيدى عبدالمجيد رضى الله عنه يومًا رؤية وجه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فقال يا سيدى أريد أن أرى وجهك أعرفه فقال يا عبدالمجيد كل نظرة برجل فقال يا سيدى أرنيه ولو أموت فكشف له اللثام الفوقانى فصعق ومات فى الحال وكان فى طندتا سيدى حسن الصائغ الأخنائى وسيدى سالم المغربى فلما قرب سيدى أحمد رضى الله عنه من مصر أول مجيئه من العراق قال سيدى حسن رضى الله عنه ما بقى لنا إقامة صاحب البلد قد جاء فخرج إلى ناحية إخنا وضريحه بها مشهور إلى الآن ومكث سيدى سالم رضى الله عنه فسلم لسيدى أحمد رضى الله عنه ولم يتعرض له فأقره سيدى أحمد رضى الله عنه وقبره فى طندتا مشهور وأنكر عليه بعضهم فسلب وانطفأ اسمه وذكره ومنهم صاحب الإيوان العظيم بطندتا المسمى بوجه القمر كان وليًا عظيمًا فثار عنده الحسد ولم يسلم الأمر لقدرة الله تعالى فسلب وموضعه الآن بطندتا مأوى للكلاب ليس فيه رائحة صلاح ولا مدد فكان الخطباء بطندتا انتصروا له وعملوا له وقتًا وأنفقوا عليه أموالا وبنوا الزاوية مئذنة عظيمة فرفسها سيدى عبدالعال رضى الله عه برجله فغارت إلى وقتنا هذا وكان الملك الظاهر بيبرس أبو الفتوحات يعتقد سيدى أحمد رضى الله عنه اعتقادًا عظيمًا وكان ينزل لزيارته ولما قدم من العراق خرج هو وعسكره من مصر ليتلقوه وأكرموه غاية الإكرام.

(صفته رضى الله عنه) كان غليظ الساقين طويل الذراعين كبير الوجه أكحل العينين طويل القامة قمحى اللون وكان فى وجهه ثلاث نقط من أثر جدرى فى خده اليمين واحدة وفى خده الأيسر ثنتان أقنى الأنف على أنفه شامتان من كل ناحية شامة سوداء أصغر من العدسة وكان بين عينيه جرح موسى جرحه ولد أخيه الحسين بالأبطح لما كان بمكة ولم يزل من حين كان صغيرًا باللثامين ولما حفظ القرآن العظيم اشتغل بالعلم مدة على مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه حتى حدث له حادث الوله وكان

إذا لبس ثوبًا أو عمـامة لا يخلعها لغـسل ولا لغيره حتى تذوب فـيبدلونها له بغـيرها والعمامة التى يلبـسها الخليفة فى كل سنة فى المولدهى عمامة الشـيخ بيده وأما البشت الصـوف الأحمـر فهـو من لبـاس سيـدى عبـدالعـال رضى الله عنه اهـ من طبقـات الشعرانى.

(كرامات): الأولى أن الشيخ تقى الدين بن دقـيق العيد قاضى القـضاه بالديار المصرية سمع بالشيخ وأحواله فنزل إليه واجتـمع به بناحية طندتا وقال له يا أحمد هذا الحال الذى أنت فـيه ما هو مشكور فـإنه مخالف للشرع الشـريف فإنك لا تصلى ولا تحضر الجماعة وما هذه طريقة الصالحين فالتفت إليه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه وقال له اسكت وإلا أطيـر دقيقك ودفـعه دفعة فلم يشـعر بنفسـه إلا وهو فى جزيرة واسعة ولم يعلم لها طولا ولا عرضًا فأقبل يلوم نفسه ويعاتبها وهو ذاهل العقل غائب عن الصواب ويقول ما لى ولمعارضة أوليـاء الله تعالى فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم وصار يبكى ويستغيث ويبتهـل إلى الله تعالى فبينما هو كذلك إذ ظهر له رجل له هيبة ووقار وسلم عليه فرد عليه السلام وقـام إليه وجعل يقبل يديه ورجليه فقال له ما قضيتك؟ فـأخبره بخبره مع سيدى أحمد البدوى فـقال له لقد وقعت فى أمر عظيم أتدرى كم بينك وبين القاهرة قـال لا والله قال بينك وبينها سفر سـتين سنة فازداد همًا على همه وغـمًا على غـمه وكبـر فى قلبه الخوف وقـال يا ترى من يخلصى من هذه الورطة إنا لله وإنا إليه راجعون وأقبل على الرجل يقـول له أرشدنى يرحمك الله فقال له هوّن عليك الأمر فما يحصل لك إلا الخير إن شاء الله تعالى قال وكيف لى بذلك؟ فأخذه بيده وأراه قبة كبيرة وقال له ترى هذه القـبة اذهب إليها واجلس فيها فإن سيدى أحمد البـدوى يصلى فيها العصـر بجماعة من الرجال ويودعـونه وينصرف كل واحد منهم إلى حال سـبيله فإذا صليت معـهم فتعلق به وتملق بين يديه وقـبل يديه ورجليه واكشف رأسك وتأدب معه وقل له أستغفر الله وأتوب إليه ولا أعود لما صدر منى فإذا رأى منك ذلك فإنه يقـبل عليك ويردك إلى موضعك إن شاء الله تعـالى وكان الرجل الذى أتى الشيخ ابن دقـيق العيد هو الخضر علـيه السلام فامتـثل الشيخ تقى الدين بن

دقيق العيد أمره ومشى إلى القبة وجلس فيـها على وضوء ينتظر قدوم الجماعة فما كان إلا هنيهـة حتى أقبلت الجمـاعة من كل جانب ومكان وأقيـمت الصلاة فتقـدم سيدى أحمـد البدوى رضى الله عنه وصلى بهم إمامًـا فلما انقضت الصـلاة تعلق الشيخ ابن دقيق العـيد بأذياله وكشف رأسه وجـعل يقبل يديه ورجليه ويبكى ويسـتغفر ويعـتذر وأنصف من نفسه قال فأقبل عليه سيدى أحمد رضى الله عنه وقال له ارجع عما كنت فيه ولا تعد إلى مثله فـقال له السمع والطاعة يا سيدى فدفعه الشيخ دفـعة لطيفة وقال اذهب إلى بيتك فإن عيـالك فى انتظارك قال فلم يشعر ابن دقيق العـيد بنفسه إلا وهو واقف بباب داره بمصر فأقام مدة ببيته لا يخرج منه لما جرى له مع سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه قال صـاحب الجواهر السنية أخبـرنا بهذه الكرامة الفقـيه الأجل الرضى شمس الدين مـحمد المعروف بالحلبى قـال كنت أحضر مـجلس الشيخ زين الدين بن النقـاش المكنى بأبى هريرة بجامع أحـمد بن طولون وكنـت إذ ذاك شابًا فذكـر لأهل مجلسـه هذه الكرامة وذلك بعد أن قـال لأهل مجلسه يا أهل المجلس مـا تقولون فى سيدى أحمد البدوى؟ فسكتوا فأعاد عليهم ذلك ثانيًا وثالثًا وهم يسكتون فقال لهم كان رجلاً صـالحًا واتفق له مع الشيخ تقى الدين بن دقـيق العيد كـذا وكذا وحكى لنا هذه الحكاية من أولها إلى آخرها وقال إن هذه الكرامة صحيحة فإن الشيخ ذكر هذه الحكاية بنفسه عن نفسه. (الثانية) أن الشيخ ابن دقيق العيد كان قد أرسل إلى سيدى عبدالعزيز الديرينى رضى الله عنه وقـال له امتحن لـى هذا الرجل الذى اشتغل الـناس بأمره عن هذه المسائل فإن أجابك عنهـا فهو ولى لله تعالى فمضى إليه سيـدى عبدالعزيز وسأله عنها فأجاب عنهـا بأحسن جواب وقال هذا الجواب مسطر فى كتاب الـشجرة فوجدوه فى الكتاب كما قـال وكان سيدى عبدالعزيز إذا سئل عن سـيدى أحمد رضى الله عنه يقول هو بحر لا يدرك له قرار كـذا فى الطبقات. (الثالثة) قال الشـعرانى فى الطبقات شاهدت أنا بعـينى سنة خمس وأربعين وتسعـمائة أسيـرًا على منارة سيدى عبـدالعال رضى الله عنه مغلولا مقـيدًا وهو مخبط العقل فسألتـه عن ذلك فقال بينا أنا فى بلاد الإفرنج آخر الـليل توجهت إلى سيدى أحـمد فإذا أنا به فأخـذنى وطار بى فى الهواء

فوضعني ههنا فمكث يومين ورأسه دائر عليه من شدة الخطفة كذا في الطبقات.
(الرابعة) قال الشعراني في الطبقات أخبرني شيخنا الشيخ محمد الشناوي رضي الله عنه أن شخصًا أنكر حضور مولده فسلب الإيمان فلم يكن فيه شعرة تحن إلى دين الإسلام فاستغاث بسيدي أحمد رضي الله عنه فقال بشرط ألا تعود فقال نعم فرد عليه ثواب إيمانه ثم قال له وماذا تنكر علينا اختلاط الرجال والنساء فقال له سيدي أحمد رضي الله عنه ذلك واقع في الطواف ولم يمنع أحد منه ثم قال وعزة ربي ما عصى أحد في مولدي إلا وتاب وحسنت توبته وإذا كنت أرعى الوحوش والسمك في البحار وأحميها من بعضها فيعجزني الله عزّ وجلّ عن حماية من يحضر مولدي. (الخامسة) قال الشعراني حكى لي شيخنا أيضًا أن سيدي الشيخ أبا الغيث بن كتيلة أحد العلماء بالمحلة الكبرى وأحد الصالحين بها كان بمصر فجاء إلى بولاق فوجد الناس مهتمين بأمر المولد والنزول في المراكب فأنكر ذلك وقال هيهات أن يكون اهتمام هؤلاء بزيارة نبيهم ﷺ مثل اهتمامهم بأحمد البدوي فقال له شخص سيدي أحمد ولي عظيم فقال ثم في هذا المجلس من هو أعظم مقامًا فعزم عليه شخص فأطعمه سمكًا فدخلت حلقه شوكة تصلبت فلم يقدروا على نزولها بدهن غطاس ولا بحيلة من الحيل وورمت رقبته حتى صارت كخلية النحل تسعة شهور وهو لا يلتذ بطعام ولا شراب ولا منام وأنساه الله تعالى السبب فبعد تسعة الأشهر ذكره الله بالسبب فقال احملوني إلى قبة سيدي أحمد رضي الله عنه فأدخلوه فشرع يقرأ سورة يس فعطس عطسة شديدة فخرجت الشوكة مغمسة دمًا فقال تبت إلى الله تعالى يا سيدي أحمد وذهب الوجع والورم من ساعته.
(السادسة) أنكر ابن الشيخ خليفة بناحية أبيار بالغربية حضور أهل بلده إلى المولد قال الشعراني فوعظه شيخنا الشيخ محمد الشناوي فلم يرجع فاشتكاه لسيدي أحمد فقال ستطلع له حبة ترعى فمه ولسانه فطلعت من يومه ذلك وأتلفت وجهه ومات بها.
(السابعة) وقع ابن اللبان في حق سيدي أحمد رضي الله عنه فسلب القرآن والعلم والإيمان فلم يزل يستغيث بالأولياء فلم يقدر أحمد أن يدخل في أمره فدلوه على سيدي ياقوت العرشي فمضى إلى سيدي أحمد رضي الله عنه وكلمه في القبر فأجابه وقال له أنت أبو الفتيان رد على هذا المسكين رأس ماله فقال بشرط التوبة فتاب ورد

عليه رأس ماله قال الشعرانى وهذا كان سبب اعتقاد ابن اللبان فى سيدى ياقوت رضى الله عنه وقد زوجه سيدى ياقوت ابنته ودفن تحت رجليها بالقرافة اهـ من الطبقات.
(الثامنة) قال الشعرانى أخبرنى الشيخ محمد الشناوى رضى الله عنه قال ضاعت حمارة أخى أيام المولد فجاء إلى قبر سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فقال والله لا أخرج حتى تجيء حمارتى فبينما هو جالس فى القبة إذا بالحمارة واقفة جنب التابوت.
(التاسعة) قال الشعرانى فى الطبقات الصغرى أخبرنى الخواجا الحلبى قال بينما أنا مسافر بحمل قماش إلى المولد إذا سبعة فرسان أحاطوا بى ليأخذوا ما معى فقلت يا سيدى أحمد أنا فى دركك فما تم الكلام حتى خرج عليهم فارس على حصان أبيض لا يرى منه إلا عيناه فطردهم حتى غابوا عنى فعرفت أنه سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه. (العاشرة) ان امرأة أسر الإفرنج ولدها فلاذت به فأحضره إليها فى قيوده.
(الحادية عشرة) مر عليه رجل حامل قربة لبن فأومأ إليها بأصبعه فانقدت وانسكب اللبن وخرجت منه حية قد انتفخت ذكرها والتى قبلها ابن حجراً. (الثانية عشرة) أن حجراً أسود مثبتًا فى ركن قبته تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى وفيه موضع غوص قدمين شاع بين الناس أنه أثر قدمى النبى ﷺ وكل من زار الأستاذ يتبرك بمحل القدمين سعى جماعة عند بعض السلاطين فى إخراجه من محل ونقله للسلطان للتبرك به فأرسل السلطان جماعة من الجند يأخذون الحجر فلما هموا بقلعه صار الحجر مما لا يقدر أحد أن يأخذه وهو على الهيئة التى كان عليها قبل ذلك فخافوا وتركوه فى محله. (الثالثة عشرة) قال الشعرانى ومما وقع أننى دخلت مع شيخى محمد الشناوى لزيارة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه فشاوره الشيخ فى سفره إلى المدينة ليشترى رصاصًا للحمام الذى عمره بطندتا فقال له يا سيدى أحمد البدوى من القبر سافر وتوكل على الله. قال الشعرانى فى المنن ومما وقع لى مع سيدى أحمد رضى الله عنه أنه جاء ودعانى أيام خروج الناس من مصر إلى مولده وقال إن زرتنى طبخت لك ملوخية فلما ذهب إلى طندتا طبخ لى جميع من ضيفنى فيها ملوخية لمدة ثلاثة أيام من

غير تواطؤ تصديقًا لكلام الشيخ فى المنام وصار كل من دخل القبة يبدأ بالسلام على قبل زيارة الشيخ حتى استحييت منه وكانت أم ولدى عبدالرحمن لها معى مدة سبعة شهور وهى بكر فجاءنى وقال اختل بها فى ركن القبة الذى على يسار الداخل وأزل بكارتها ففعلت فطبخ لى حلوى وملوخية حتى كفى أهل المولد فلما رأيته أتى كنت جالسًا على سطح المقام وقت الزوال فرأيت هلال قبة سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه يدور ويزعق كالحجر العظيم من حجارة المعصرة الذى ليس تحته حب فدار نحو ثلاث دورات ثم جاء الخبر بنصرة السلطان سليمان بن سليم من آل عثمان على أهل رودس فى ذلك الوقت وكذلك ما سمعنا تابوته يفرقع ويزعق إلا ويحدث فى المملكة أمر، وعن المتبولى رضى الله عنه قال قال لى رسول الله ﷺ ما فى أولياء مصر بعد محمد بن إدريس أكبر فتوة منه ثم السيدة نفيسة ثم شرف الدين الكردى ثم المنوفى. قال ابن عربى الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان. وفى هذا القدر كفاية والله ولى التوفيق والهداية. قال بعضهم: ويؤثر عن سيدى أحمد البدوى شعر، وهو قوله:

مجانين إلا أن سر جنونهم ... عزيز على أبوابه يسجد العقل

وقد عثرت على هذه الأبيات فأحببت أن أذكرها وهى:

أنا الملثم سل عنى وعن هممى ... ينبيك عزمى بماذا قلته بفمى
قد كنت طفلا صغيرًا نلت منزلة ... وهمتى قد علت من سالف القدم
أنا السطوحى واسمى أحمد البدوى ... فحل الرجال إمام القوم فى الحرم
لك الهنا يا مريدى لا تخف أبدًا ... واشطح بذكرى بين البان والعلم
إذا دعانى مريدى وهو فى لجج ... فى قاع بحر نجا من ساحة العدم

توفى سيدى أحمد البدوى سنة خمس وسبعين وستمائة واستخلف بعده على الفقراء سيدى عبدالعال وسار سيرة حسنة وعمر طويلا إلى أن مات سنة ثلاث وثلاثين

وسبعمائة واشتهرت أصحابه بالسطوحية، نفعنا الله ببركتهما وأمدنا من إمدادتهما آمين.

(الرابع من الأربعة الأقطاب سيدى إبراهيم الدسوقى القرشى الهاشمى) وقد ذكر نسبه الشعرانى فى كتابه الطبقات بقوله: وهو إبراهيم بن أبى المجد بن قريش بن محمد بن أبى النجا بن زيد العابدين بن عبدالخالق بن محمد بن أبى الطيب بن عبدالله الكاتم بن عبدالخالق بن أبى القاسم بن جعفر الزكى بن على بن محمد الجواد ابن على الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب القرشى الهاشمى رضى الله عنهم أجمعين ا هـ. قال المناوى فى طبقاته سيدى إبراهيم الدسوقى شيخ الطائفة البرهامية صاحب المحاضرات القدسية والعلوم اللدنية والأسرار العرفانية أحد الأئمة الذين أظهر الله لهم المغيبات وخرق لهم العادات ذو الباع الطويل والتصرف النافذ واليد البيضاء فى أحكام الولاية والقدم الراسخ فى درجات النهاية انتهت إليه رياسة الكلام على خواطر الأنام وقد كان يتكلم بجميع اللغات من عربى وسريانى وغيرهما ويعرف لغات الوحش والطير (ومن كلامه) كما فى طبقات الشعرانى يجب على المريد ألا يتكلم قط إلا بدستور شيخه إن كان جسمه حاضراً وإن كان غائبًا يستأذنه بالقلب وذلك حتى يترقى إلى الوصول إلى هذا المقام فى حق ربه عزّ وجلّ فإن الشيخ إذا رأى المريد يراعيه هذه المراعاة رباه بلطيف الشراب وأسقاه من ماء التربية ولاحظه بالسر المعنوى الأولى فيا سعادة من أحسن الأدب مع مربيه ويا شقاء من أساء وكان رضى الله عنه يقول: من عامل الله تعالى بالسرائر جعله على الأسرة والحظائر، ومن خلص نظره من الانعكاس سلم من الالتباس، وكان رضى الله عنه يقول الشريعة أصل والحقيقة فرع فالشريعة جامعة لكل علم مشروع والحقيقة جامعة لكل علم خفى وجميع المقامات مندرجة فيها، وكان رضى الله عنه يقول يجب على المريد أن يأخذ العلم ما يجب عليه فى تأديته فرضه ونفله ولا يشتغل بالفصاحة والبلاغة فإن ذلك شغل منه عن مراده بل

يفحص عن آثار الصالحين فى العلم ويواظب على الذكر.

ومن كلامه المنظوم رضى الله عنه:

سقانى محبـــوبى بكـــأس المحبـــة	فتهت عن العاشق سكراً بخلوتـــى
ولاح لنا نور الجلالة لو أضـــــــاء	أطوف عليهـم كـرة بعـد كـرة
ونادمـــنى ســـراً بســـر وحكمــــة	وإن رسول الله شيخـــى وقدوتـــى
وعاهدنى عهـــداً حفظـــت لعهـــده	وعشت وثيقًا صـادقًا بمحبتــــــى
وحكمنى فى ســـائـــر الأرض كلهـــا	وفى الجن والأشبــاح والمرديــــة
وفى أرض صين الصين والشرق كلـهـا	لأقصى بلاد الله صحت ولايتـــى
أنا الحـــرف لا أقرا لكـل منـــاظــــر	وكل الورى من أمر ربى رعيتـــى
وكم عـــالم قد جـــاءنـــا وهو منكـــر	فصار بفضل الله من أهل خرقتى
وما قلت هـذا القـول فخـراً وإنمـــا	أتى الإذن كى لا يجهلون طريقتى
تجلى لنا المحجـــوب فى كل وجهـــة	فشاهدتـه فى كل معنى وصـــورة

اهـ من طبقات الشعرانى: وإن أردت أن تتضلع من كلامه المنثور والمنظوم فعليك بها. وذكر عن سيدى إبراهيم أنه صـام فى المهد وأنه ينقل اسم مريده من الشقاوة إلى السعادة وأن الدنـيا جعلت فى يده كخاتم وأنـه جاوز سدرة المنتهى وجالـت نفسه فى الملكوت ووقف بين يدى الله تعالى وأنه فك طلسم السبع المثانى وأن قدمه لم تسـعها الدنيا وقـال رضى الله عنه وليت القطبيـة فرأيت المشرقين والمـغربين وما تحت التـخوم وصافحت جبريل عليه السلام.

(**كرامات**): الأولى جاء سبعة من القضاة يمتحنونه فلما وصلت مركبهم إلى البر بناحية دسوق أرسل النقيب لهم فدفعهم فـوجدوا أنفسهم خلف جبل قاف فأقاموا سنة يأكلون من حشيش الأرض حتى تغيرت أجسـادهم وخلقت ثيابهم ثم تذكروا ما وقعوا فيه فتابوا هنالك فأرسل لهم النقيب فدفعهم فوجدوا أنفسهم على ساحل دسوق ومسح

الله من قلوبهم تلك الأسئلة كلها واعترفوا بما كانوا جاءوا لأجله فقال لهم الشيخ رضى الله عنه قولوا ما عندكم من المسائل فضحكوا وقالوا يكفينا ما جرى لنا فأخذوا عليه العهد وصاروا من تلامذته حتى ماتوا كذا فى درر الأصداف. (الثانية) قال المناوى خطف تمساح صبيًا فأتته أمه مذعورة فأرسل نقيبه فنادى بشاطئ البحر معاشر التماسيح من ابتلع صبيًا فليطلع به فطلع ومشى معه إلى الشيخ فأمره أن يلفظه فلفظه حيًا وقال للتمساح مت بإذن الله فمات. (الثالثة) توجه بعض تلامذته إلى ناحية الإسكندرية لحاجة يقضيها لأستاذه فتشاجر مع رجل من السوقة فى شأن حاجة اشتراها منه فاشتكاه السوقى إلى قاضى المدينة وكان جبارًا ظالمًا متكبرًا على الفقراء فلما وقف ذلك الفقير بين يديه أمر بحبسه وأراد ضربه بلا موجب بغضًا فى الفقراء فأرسل الفقير إلى شيخه سيدى إبراهيم يتشفع به فى خلاصه فلما بلغه الخبر كتب إلى القاضى رقعة فيها هذه الأبيات:

سهام الليل صائبة المرامى ... إذا وترت بأوتار الخشوع

يقوّمها إلى المرمى رجال ... يطيلون السجود مع الركوع

بألسنة تهمهم فى دعاء ... بأجفان تفيض من الدموع

إذا أوترن ثم رمين سهمًا ... فما يغنى التحصن بالدموع

فلما وصلت الرقعة إلى القاضى جمع أصحابه وقال لهم انظروا إلى هذه الورقة التى جاءت من هذا الرجل الذى يدعى الولاية بعد أن آذى حاملها بالكلام واحتقره ثم زاد فى سب الأستاذ ثم أخذ يقرؤها فلما وصل إلى قوله *إذا أوترن ثم رمين سهمًا* خرج سهم من الورقة فدخل فى صدره وخرج من ظهره فوقع ميتًا نعوذ بالله من سوء الاعتقاد فى الصالحين والاعتراض على الأولياء العارفين فعند ذلك هاج الناس وآمنوا بكرامة الشيخ وأطلقوا الرجل مكرمًا معظمًا وأنعموا على الذى جاء بالرقعة إنعامًا كثيرًا ببركه سيدى إبراهيم رضى الله عنه ذكرها الشيخ يوسف الخضرى فى كتابه روضة الناظر قال الشعرانى فى الطبقات تفقه سيدى إبراهيم الدسوقى على مذهب الإمام

الشافعى رضى الله عنه ثم اقتفى آثار السادة الصوفية وجلس فى مرتبة المشيخة وحمل الراية البيضاء وعاش من العمر ثلاثًا وأربعين سنة ولم يغفل قط عن المجاهدة للنفس والهوى والشيطان حتى مات سنة ست وسبعين وستمائة رضى الله عنه.

(تميم فى الكلام على مناقب القطب أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه) كانت ولادته رضى الله عنه سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. وقد نقل ابن عباد نسبه من كتاب اللطيفة المرضية فى شرح دعاء الشاذلية للشيخ شرف الدين أبى سليمان داود السكندرى بقوله: هو الشريف الحسيب ذو النسبتين الطاهرتين الجسدية والروحية المحمدى العلوى الحسنى الفاطمى أبوالحسن على الشاذلى بن عبدالله بن عبدالجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصى بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم اهـ. وفيه أنه لم يكن فى أولاد الحسن بن على من اسمه محمد له عقب وأن الذى أعقب من أولاد الحسن السبط زيد الأبلج وحسن المثنى كما نص عليه غير واحد قال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين منهم وهما الحسن وزيد اهـ فصوابه محمد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب اللهم إلا أن يقال إن ولد الابن ابن قال بعضهم على أبو الحسن السيد الشريف زعيم الشاذلية نسبة إلى شاذلة قرية بأفريقية قرب تونس نشأ ببلده واشتغل بالعلوم الشرعية حتى أتقنها وصار يناظر عليها مع كونه ضريرًا ثم انتهج التصوف وجد واجتهد حتى ظهر صلاحه وخيره وطار فى الفضائل طيره وحمد فى الطريق سراه وسيره نظم فرقق ولطف وتكلم على الناس فقرظ الآذان وشنف وطاف وجال ولقى الرجال وقدم الإسكندرية من المغرب وصار يلازم ثغرها من الفجر إلى الغروب وينفع الناس بحديثه الحسن وكلامه المعرب وكان إذا ركب تمشى أكابر الفقراء والدنيا حوله وتنشر الأعلام على رأسه وتضرب الكاسات بين يديه ويأمر النقيب أن ينادى أمامه من أراد القطب الغوث فعليه الشاذلى رضى الله عنه ثم تحول إلى الديار المصرية وأظهر فيها طريقته

المرضية وسيرته النبوية، وكان يقرأ ابن عطية والشفاء وأخذ عنه العز بن عبدالسلام وله أجزاء محفوظة وأحوال-بعين العناية ملحوظة وقيل له من شيخك؟ فقال أما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش وأما الآن فإنى أستقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة أرضية انتهى. قال أبو الحسن صاحب الترجمة سألت الله أن يجعل القطب من بيتى فإذا النداء يا على قد استجبنا لك. وكان يقول قيل لى: ما على وجه الأرض مجلس فى علم الحديث أبهى من مجلس عبدالعظيم المنذرى، وما على وجه الأرض مجلس فى علم الحقائق أبهى من مجلسك، وكان رضى الله عنه يحضر مجلسه أكابر العلماء كابن الحاجب وابن عبدالسلام عز الدين وابن دقيق العيد وعبدالعظيم المنذرى وابن صلاح وابن عصفور فكانوا يحضرون ميعاده بالمدرسة الكاملية من القاهرة ويقرأ ابن عطية والشفاء ويمشون بين يديه إذا خرج وكان رضى الله عنه يقول: إذا عرضت لك حاجة إلى الله فأقسم على الله بى قال الشيخ أبو العباس المرسى والله ما ذكرته فى شدة إلا انفرجت ولا فى أمر صعب إلا هان قال وأنت يا أخى إذا كنت فى شدة فأقسم على الله به وقد نصحتك والله يعلم ذلك قال الشيخ أبو عبدالله الشاطبى كنت أترضى على الشيخ فى كل ليلة كذا وكذا مرة وأسأل الله به فى جميع حوائجى فأجد القبول فى ذلك معجلا فرأيت رسول الله ﷺ فقلت له يا رسول الله إنى أترضى على الشيخ أبى الحسن فى كل ليلة بعد صلاتى عليك وأسأل الله به فى حوائجى أفترى على فى ذلك شيئًا إذ تعديتك فقال لى أبو الحسن ولدى حسًا ومعنى والولد جزء من الوالد فمن تمسك بالجزء فقد تمسك بالكل وإذا سألت الله بأبى الحسن فقد سألته بى اهـ من شرح البنانى على الحزب. وحج مرارًا قال ابن دقيق العيد ما رأيت أعرف بالله منه ومع ذلك آذوه وأخرجوه وجماعته من المغرب وكتبوا إلى نائب الإسكندرية: إنه يقدم عليكم مغربى زنديق وقد أخرجناه من ديارنا فاحذروه فدخل الإسكندرية فآذوه فظهرت كرامات أوجبت اعتقاده رضى الله عنه. قال الشعرانى فى خاتمة المنن حكى الشيخ تاج الدين بن عطا الله أن سيدى الشيخ أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يقول: لا

يكمل عالم فى مقام العلم حتى يبتلى بأربع؛ شماتة الأعداء وملامة الأصدقاء وطعن الجهال وحسد العلماء فإن صبر على ذلك جعله الله إمامًا يقتدى به ولما شاع أمره فى بلاد المغرب تجارأت عليه الأعداء والحسدة من كل جانب ورموه بالعظائم وبالغوا فى أذيته حتى منعوا الناس من مجالسته وقالوا إنه زنديق ولما أراد السفر إلى مصر كتبوا إلى سلطان مصر مكاتبات إنه سيقدم عليكم مصر مغربى من الزنادقة أخرجناه من بلادنا حين أتلف عقائد المسلمين وإياكم أن يخدعكم بحلاوة منطقه فإنه من كبار الملحدين ومعه استخدامات من ا لجن فما وصل الشيخ إلى مدينة الإسكندرية حتى وجد الخبر بذلك سابقًا على مقدمه فقال حسبنا الله ونعم الوكيل فبالغ أهل الإسكندرية فى إيذائه ثم رفعوا أمره إلى سلطان مصر وأخرجوا له مراسيم فيها ما يباح به دم الشيخ فمد يده إلى سلطان المغرب وأتى منه بمراسيمهم تناقض ذلك فيها من التعظيم والتبجيل ما لا يوصف تاريخ متأخر عن مراسيم فتحير السلطان وقال العمل بهذا أولى وأكرمه ورده إلى الإسكندرية مكرمًا ولما تزايد عليه الأذى توجه إلى الله تعالى وذلك أنه أرسل له سلطان مصر يسأله الدعاء ويتعطف بخاطره فكف الناس عنه الأذى حرمة للسلطان وبعضهم داوم على الأذى وكتبوا فيه للسلطان وقالوا يا مولانا إنه سيماوى فتغير السلطان ثم أرسلوا إليه مكاتبات أنه يضرب الزغل وأنه كيماوى وحذروا الناس من مجالسته واتفق أن خازندار السلطان محمد بن قلاوون وقع فى أمر يوجب القتل عند الملوك فأمر بشنقه فهرب واختفى بالإسكندرية وأقام عند الشيخ فبلغ الخبر السلطان فكتب إليه ما كفاك ضرب الزغل حتى إنك تؤوى غريم السلطان فأرسله ساعة وصول كتابنا إليك وإلا فعلنا بك وفعلنا فلم يرسله الشيخ فغضب السلطان وأرسل يتوعد الشيخ بالقتل ويقول له كيف تتلف مماليك السلطان فلما وصل إليه الخبر مع شخص من أخصاء السلطان قال له الشيخ معاذ الله أن نتلف أحدًا من مماليك السلطان وإنما نحن نصلحه ثم قال لقاصد السلطان ائتنا بما شئت من الرصاص من وحواصل السلطان حتى أريك الإصلاح فأتى بشىء كثير فألقاه الشيخ فى فسقية جامع من غير

ماء وقال للخازندار بل على هذا الرصـاص فبال عليه فصار ذهبًا خـالصًا فقال له أهذا إصلاح أم إفسـاد فساد؟ فقال إصـلاح ثم أمر إلقصاد بحـمل ذلك إلى خزانة السلطان فوزنوا ذلك فوجـوده خمسة قناطير فـقال هذا هدية لمولانا السلطان وقل له يرضى عن مملوكـه فرضى عنه ثم إن السلطان نزل إلى زيارة الشـيخ فى الإسكندرية وأضـمر فى نفسه أن يعلمه صنعة الكيمياء فقال له كمياؤنا التقوى فاتق الله يعلمك حرف كن ثم لم يزل معظمًا للشيخ حتى مات اهـ.

(وحكى) المرسى رضى الله عنه عن شيـخه صاحب الترجمـة قال صليت خلفه صلاة فشهـدت ما بهر عقلى شهدت بدن الشيخ والأنـوار قد ملأته وانبثت الأنوار من وجـوده حتـى لم أستطع الـنظر إليه وقـال المرسى رضى الله عنـه جلت فى الملكوت فـرأيت أبا مدين متعلقًـا بساق العرش فقلت له ما علومك؟ فقال أحد وسـعبون فقلت ما مقـامك؟ قال رابع الخلفاء ورأس السبعـة قال فقلت فما تقـول فى الشاذلى قال زاد على بأربعين علمًـا وهو البـحر الذى لا يحـاط به. ولما دخل الشـاذلى رضى الله عنه الإسكندرية كان بهـا أبو الفتح الواسطى فوقف بظاهرها فـاستأذنه فقال طاقـية لا تسع رأسين فمات أبو الفـتح الواسطى فى ليلته وذلك أن من دخل بلدًا على فقيـر بغير إذن فمهما كان أحدهما أعلـى من الآخر سلبه أو قتله فلذلك ندبوا الاستئذان (ومن كلامه رضى الله عنه) إن أردت ألا يصدأ لك قلب ولا يلحقك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فأكثر من الباقيات الصالحات، وقال من أحب ألا يعصى الله تعالى فى مملكته فقد أحب ألا تظهر مـغفـرته ورحمتـه، وقال رضى الله عنه لا يشم رائحـة الولاية من لم يزهد فى الدنيـا وأهلها، إذا افتـقرت فسلم وإذا ظلمت فـاصبـر واسكت تحت جريان الأقـدار فإنهـا سحـابة سائرة، وقـال رضى الله عنه من أدب مـجالسـة الأكابر عـدم التجسس على عـقائدهم ومن أدب مجالسة العلمـاء عدم تحديثهم بغيـر المنقول، وقال رضى الله عنه: رأيت أنى مع النبـيين عليهم الصـلاة والسلام فـقلت اللهم اسلك بى سبيلهم مع العافية عما ابتليـتهم فهم أقوى منى فقال لى قل وما قدرت علينا من شىء

فأيدنا فيــه كما أيدتهم، وقال رضى الله عنه نمت ليلة فى سيــاحتى فطافت بى السبــاع إلى الصبح فما وجدت أنسًا كتلك الليلة فأصبحت فخطر لى أنه حصل لى مقام الأنس بالله شىء فهبطت واديًا فيه طيور حجل فــأحست بى فطارت فخفق قلبى رعبًا فنوديت يا من كان البارحة يأنس بالسباع ما لك وجلــت من خفقان الحجل لكنك كنت البارحة بنا واليوم بنفسك وكــلامه رضى الله عنه كثير عــال كبير تركناه مخــافة التطويل، وقد أفرد ابن عطاء الله ما يتعلق بالتأليف فكان مجلدًا حافلاً، وقد ذكر الشيخ الشعرانى فى طبقاته نبذة عظيمة عن كلامه فعليك به قال أبو الحسن صاحب الترجمة رضى الله عنه رأيت الخضــر عليه السلام فــقال يا أبا الحسن أصــحبك الله اللطف الجمــيل وكان لك صاحبًا فى المقام والرحيل.

(وصية عظيــمة للشيخ وجدتها فى حــياة الحيوان) قال سيــدنا الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه: كن متمسكا بهذه الصفات الحميدة تفز بالدارين. لا تتخذ من الكافرين وليًا ولا من المؤمنين عدوًا وارحل بزادك من التقوى فى الدنيا وعد نفسك من الموتى واشهد لله تعالى بالوحدانية ولرسوله ﷺ بالرسالة وحسبك عمل صالح وإن قل وقل آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا ســمعنا وأطعنا غــفرانك ربنا وإليك المصــير فمن كــان متمــسكًا بهذه الصــفات الحميدة ضمن الله له عزّ وجلّ أربعة فى الدنيا الصدق فى القول والإخلاص فى العمل والرزق كــالمطر والوقاية من الشــر وأربعة فى الآخــرة المغــفرةالعظمى والقــربة الزلفى ودخول جنة المأوى واللحوق بالدرجة العليــا، وإن أردت الصدق فى القول فداوم على قراءة قــل أعوذ برب الفلق، وإن أردت الســلامة من شــر الناس فداوم على قــراءة قل أعوذ برب الناس، وإن أردت جــلب الخير والرزق والبــركة فداوم عــلى قراءة بسم الله الرحمن الرحيم الملك الحق المــبين نعم المولى ونعم النصير واقرأ سورة الواقــعة وسورة يس فإنه يأتيك الرزق كالمطر، وإن أردت أن يجعل الله لك من كل هم فرجًا ومن كل ضيق مخــرجًا ويرزقك من حيث لا تحتــسب فالزم الاستغــفار، وإن أردت أن تأمن مما

يروعك ويفزعك فقل أعوذ بكلمات الله التامات من شر غـضبه وعقابه ومن شر عباده ومن شر همـزات الشيـاطين وأن يحضرون، وإن أردت أن تعـرف أى وقت تفتح فـيه أبواب السماء ويستجاب فيه الدعاء فـاشهد وقت نداء المنادى فأجبه ففى الحديث: «من نزل به كرب أو شدة فليجب المنادى». والمنادى هو المؤذن، وإن أردت أن تسلم من أمر يربكك فقل توكلت على الحى الذى لا يموت أبدًا والحمـد لله الذى لم يتخذ ولدًا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولى من الذل وكبـره تكبيرًا، وإن أردت أن تنجو من هم أو غم أو خوف يصيـبك فقل اللهم إنى عبدك وابن أمتك ناصيـتى بيدك ماض فى حكمك عدل فى قضائك أسألك بكل اسم لك هو سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أوعلمـته أحدًا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغـيب عندك أن تجعل القرآن العظيم جلاء قلبى وذهاب همى فـيذهب عنك همك وحزنك، وإن أردت أن يداويك الله تعالى من تسعة وتسعين داء أيسـرها الهم فقل ما ورد فى الحديث لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإنهـا دواء مما ذكر، وإن أردت أن تنجو مما يصـيبك من مصيـبة فقل إنا لله وإنا إليه راجعـون اللهم عندك احتسب مصيبتى فآجـرنى وأبدلنى خيرًا منها ومنه حسـبنا الله ونعم الوكيل توكـلنا على الله وعلى الله توكلنا، وإن أردت أن يذهب همك ويقضى ديـنك فقل ما ورد على النبى ﷺ حين سـأله السائل فـقال ألا أعلمك كـلامًا إذا قـلته أذهب الله همـك ويقضى دينـك قال بلى يا رسـول الله قـال قل إذا أصبحت وإذا أمسيت اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من الدين وأعوذ بك من قهر الرجال، وإن أردت أن توفق للخـشوع فاترك فضول النظر، وإن أردت أن توفق للحكمة فاترك فضول الكلام، وإن أردت أن توفق لحـلاوة العبادة فعليك بالصوم وقيام الـليل والتهجد فـيه، وإن أردت أن توفق للهيبـة فاترك المزاح والضحك فإنـهما يسقطان الهيبة، وإن أردت أن توفق للمحبـة فاترك فضول الرغبة فى الدنيا، وإن أردت أن توفق لإصلاح عـيب نفسك فاترك التجـسس على عيوب الناس فإن التـجسس من شعب النفاق كما أن حسن الظن من شعب الإيمان، وإن أردت أن توفق للخشية فاترك

التوهم فى كيفية ذات الله تعالى تسلم من الشك والنفاق، وإن أردت ألا يموت قلبك فقل كل يوم مرة يا حى يا قيوم لا إله إلا أنت، وإن أردت أن ترى النبى ﷺ يوم القيامة يوم الحسرة والندامة فأكثر من قراءة «إذا الشمس كورت وإذا السماء انفطرت وإذا السماء انشقت» وإن أردت أن ينور وجهك فداوم على قيام الليل، وإن أردت السلامة من عطش يوم القيامة فلازم الصوم، وإن أردت أن تسلم من عذاب القبر فاحترز من النجاسات وأكل المحرمات وارفض الشهوات، وإن أردت أن تكون أغنى الناس فلازم القناعة، وإن أردت أن تكون خير الناس فكن نافعًا للناس، وإن أردت أن تكون أعبد الناس فكن متمسكًا بقوله ﷺ: «من يأخذ عنى هؤلاء الكلمات ليعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ قال أبو هريرة قلت أنا يا رسول الله فأخذ بيدى وعد خمسًا وقال اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنًا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلمًا ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب». وإن أردت أن تكون من المحسنين الخالصين فاعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وإن أردت أن يكمل إيمانك فحسن خلقك وإن أردت أن يحبك الله فاقض حوائج إخوانك المسلمين ففى الحديث: «إذا أحب الله عبدًا صير حوائج الناس إليه». وإن أردت أن تكون من المطيعين فأدِّ ما فرض الله عليك، وإن أردت أن تلقى الله نقيًا من الذنوب فاغتسل من الجنابة ولازم غسل الجمعة تلق الله وما عليك ذنب، وإن أردت أن تحشر يوم القيامة فى النور الهادى وتسلم من الظلمات لا تظلم أحدًا من خلق الله تعالى، وإن أردت أن تقل ذنوبك فالزم دوام الاستغفار، وإن أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله، وإن أردت أن يوسع الله عليك الرزق كالمطر فلازم الطهارة الكاملة، وإن أردت أن تكون آمنًا من سخط الله تعالى فلا تغضب على أحد من خلق الله تعالى، وإن أردت أن يستجاب دعاؤك فاجتنب الربا وأكل الحرام وأكل السحت، وإن أردت ألا يفضحك الله على رءوس الأشهاد فاحفظ فرجك ولسانك، وإن أردت أن يستر الله عليك عيبك فاستر عيوب الناس فإن الله

ستار يحب من عباده المسترين، وإن أردت أن تمحى خطاياك فأكثر من الاستغفار والخضوع والخشوع والحسنات فى الخلوات، وإن أردت الحسنات العظام فعليك بحسن الخلق والتواضع والتصبر على البلية، وإن أردت السلامة من السيئات العظام فاجتنب سوء الخلق والشح المطاع، وإن أردت أن يسكن عنك غضب الجبار فعليك بإخفاء الصدقة وصلة الرحم وإن أردت أن يقضى الله عنك الدين فقل ما قاله النبى ﷺ للأعرابى حين سأله وقال عليه الصلاة والسلام له: لو كان عليك مثل الجبال دينًا أداه الله عنك قل: «اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وأغننى بفضلك عمن سواك». وفى الحديث لو كان على أحدكم جبل من ذهب دينًا فدعا بذلك لقضاه الله عنه وهو: «اللهم فارج الهم كاشف الغم مجيب دعوة المضطرين رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها أنت ترحمنى فارحمنى برحمتك تغنينى بها عمن سواك»، وإن أردت أن تنجو من هلكة فالزم ما فى الحديث: «إذا وقعت فى ورطة فقل بسم الله الرحمن الرحيم ولا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فإن الله تعالى يصرف عنك ما شاء من أنواع البلاء». والورطة بفتح الواو وإسكان الراء الهلاك، وإن أردت أن تأمن من قوم خفت شرهم فقل ما ورد فى الحديث: «اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم». أو تقول: «اللهم اكفنا بما شئت وكيف شئت إنك على كل شىء قدير». وإن أردت أن تأمن سلطانًا فقل ما ورد فى الحديث: «لا إله إلا الله الحليم الكريم رب السموات السبع ورب العرش العظيم لا إله إلا أنت عزّ جارك وجلّ ثناؤك لا إله إلا أنت». ويستحب أن يقول ما تقدم اللهم إنا نجعلك فى نحورهم إلخ. وفى الحديث: «إذا أتيت سلطانًا مهابًا تخاف أن يسطو عليك فقل الله أكبر الله أكبر الله أكبر أعز من خلقه جميعًا الله أعز وأكبر مما أخاف وأحذر والحمد لله رب العالمين». وإن أردت ثبات القلب على الدين فادع بما أسند مرفوعًا أنه كان من دعائه ﷺ: «اللهم ثبت قلبى على دينك». وفى رواية «يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك» اهـ.

توفى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه سنة ست وخمسين وستمائة وهو قاصد

الحج فى شهر رمضان ودفن بصحراء عيذاب بحميثرا من الصعيد وكان ماؤها أجاجًا فعذب.

(ومن كراماته) زيادة على ما سبق ما نقله ابن بطوطة فى رحلته، قال: أخبرنى الشيخ ياقوت العرشى عن شيخه الشيخ أبى العباس المرسى رضى الله عنه أن أبا الحسن الشاذلى رضى الله عنه كان يحج كل سنة، فلما كان فى آخر سنة خرج فيها قال لخادمه استصحب فأسًا وقفة وحنوطًا، فقال له الخادم ولماذا يا سيدى؟ فقال فى حميثرا سوف ترى، وحميثر بصعيد مصر فى صحراء عيذاب فلما بلغ حميثرا اغتسل الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه وصلى ركعتين فقبضه الله تعالى فى آخر سجدة من صلاته ودفن هناك. قال: وقد زرت قبره وعليه قبة مكتوب عليها نسبه إلى الحسين رضى الله عنه كذا بالنسخة التى بيدى وهو مخالف لما مر من أن نسبه ينتهى إلى الحسن ومن حفظه حجة، والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

يقول مؤلفه السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجى: كان الفراغ منه يوم الخميس المبارك السادس والعشرين من شهر الله الحرام رجب الذى هو من شهور سنة تسعين بعد الألف والمائتين من هجرة سيد الكونين والثقلين سيدنا محمد ﷺ.

الفهرس

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين







